Revised fee waived after re-evaluation on 19/4/2022

قسم الدراسات الإسلامية
الجامعة الإسلامية بهاولفور؛ باكستان

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر قرآن".

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية

إعداد الطالب

الحافظ افتخار أحمد

إشراف
سعادة الدكتور عبد الرؤف ظفر
الأستاذ في قسم الدراسات الإسلامية ورئيس قسم السيرة النبوية
الجامعة الإسلامية بهاولفور
بنجاب باكستان

١٩٩٦م

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

وقل رب زدني علماً

الإهداء

إلى من غرسني في هذا المحضن التربوي إلى من قادني نحو النور الإلهي، وجعلني أشد الرحال إلى هذا الرحاب الطاهر.

إلى والدي الكريم أهدي باكورة ثمار غرسه راجياً رضاه وقاصداً بعملي وجه الله الذي لا يخيب من لاذ بحماه.

ثم إلى أولئك الأفذاذ من علماء الإسلام الذين حملوا مشعل الهداية للعلمين، وقدموا أرواحهم رخيصة من أجل رفعة هذا الدين، ونصرة المستضعفين. (حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)[1] رب العلمين.

إلى أولئك العلماء الأخيار الذين هم رهبان بالليل، وفرسان بالنهار، إلى من ضموا إلى مزية العلم، وقوة البيان شرف الرباط والجهاد باللسان وبالسنان.

إلى أمثال خباب بن الأرت، وسعيد بن جبير، وعبد الله المبارك، ومن سار على دربهم إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. أهدي هذا البحث المتواضع راجياً المولى الكريم أن يسلك بي طريقهم. وأن يحشرني في زمرتهم تحت لواء سيد المجاهدين، وخاتم النبين محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

---

[1] سورة الأنفال: الآية ٣٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يحتوى البحث على المقدمة وخمسة ابواب وخاتمة
تحتوى المقدمة على العناصر التالية:

- جهود علماء شبه القارة الهندية فى مجال تفسير القرآن.
- نبذة عن تفاسير معاصرى الاصلاحى.
- اسباب اختيار الموضوع.
- الدراسة السالفة عن تفسير تدبر قرآن.
- منهجى فى البحث.
- الاصطلاحات والرموز المستخدمة فى البحث.
- كلمة الشكر

المقدمة :

جهود علماء الهند في مجال خدمة القرآن الكريم.

إن لعلماء شبه القارة الهندية شأناً عظيماً في إحياء علوم الدين حيث برز كثير منهم، و قدموا خدمات جليلة في ميادين العلم و الفن. و أظهروا مهارتهم الفنية في تأليف كتب التفسير و الحديث و الفقه و الأدب العربي، كما أنهم قاموا بشرح كتب الفنون المختلفة و تحقيقها.

و الحق أن هذه البلاد عامرة بأعظم الرجال الذين خدموا الإسلام و الدليل على ذلك وجود المدارس الدينية بوفرة في جميع أنحاء شبه القارة التي يدرس فيها طلاب العلم ليلاً و نهاراً. و هذا متحقق منذ أن دخل الإسلام الهند. و المتخرجون فيها يلعبون دوراً كبيراً في نشر الدعوة الإسلامية. و معظم الذين سطعت نجومهم في سماء العلم و الفن ممن تخرج في هذه المدارس.

وقد شهد بجهود علماء الهند في خدمة علوم القرآن و السنة علماء العالم الإسلامي و منهم العلامة زاهد الكوثري (ت ١٣٧١هـ) حيث يقول - وهو يذكر خدماتهم في نشر علوم السنة -"و كانت أمصار المسلمين تتناوب في الاضطلاع بأعباء علوم السنة مدى القرون. إن قصر في ذلك قطر قام قطر آخر بواجبه في هذا الباب و هكذا، و كانت من أكبر الأقطار حظاً من العلوم، ما بين شرعية و عقلية و أدبية و لا سيما علوم السنة و الفقه، البلاد العراقية أيام مجد الدولة العباسية إلى تاريخ انقراضها، و ما خلف علماءها من مآثر خالدة شاهد صدق على ذلك .

ثم توزعت الأقطار النشاط العلمي و كان حظ إقليم الهند من هذا الميراث - منذ منتصف القرن العاشر - و هو نشاط في علوم الحديث فأقبل علماء الهند عليها إقبالاً كليًا، أن كانوا منصرفين إلى الفقه المجرد و العلوم النظرية، و لو استعرضنا ما لعلماء الهند من الهمة العظيمة في علوم الحديث منذ ذلك الحين - مدة ركود سائر الأقاليم - لوقع ذلك موقع الإعجاب الكلي و الشكر، و كم لهم من مؤلفات واسعة في أحاديث الأحكام، و كم لهم من آياد بيضاء في نقد الرجال و علل الحديث، و شرح الآثار، و تأليف و مؤلفات في شتى

الموضوعات. و الله سبحانه هو المسئول أن يديم نشاطهم في خدمة الحق و يوفقهم"[١] لنصرته بالقلم و البيان.

الناحية العلمية و الدينية في الهند أيام المغول:

شهدت شبه القارة الهندية في أيام المغول نشاطا علمياً مرموقاً لاحياء العلوم الاسلامية وقد برز في تلك الأيام رجال عظماء رضي الله عنهم لهذه العلوم، وكان من أشهر هؤلاء الرجال:

الشيخ أحمد السرهندي (المعروف بمجدد الألف الثاني)[٢] (٩٧١-١٠٣٤هـ) و الشيخ/عبد الحق المحدث الدهلوي[٣] و الشيخ ولى الله الدهلوي.[٤] فسعوا لإحياء الدين الإسلامي الحنيف. و كان محور سعى الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني تصحيح العقائد و رد البدع و التزام الشريعة و اتباع السنة النبوية الشريفة[٥].

و أما الشيخ/عبد الحق المحدث الدهلوي (المولود عام ٩٥٨هـ) الذى كان مماثلاً للشيخ أحمد السرهندي فقام بخدمة الحديث النبوي الشريف، بالدرس و التدريس و التأليف في التفسير و الحديث. فترجم مشكاة المصابيح إلى الفارسية. و كتب الشرح المفصل للكتاب المذكور المسمّى "لمعات التنقيح" باللغة العربية. و شرح المشكوة في اللغة الفارسية و سمّاه: "أشعة اللمعات" و قام ابنه شيخ الإسلام نورالحق بترجمة صحيح البخاري إلى الفارسية.

---

(١) مقالات الكوثري ص: ٧١-٧٢. محمد زاهد الكوثري المتوفى سنة ١٣٧١هجرية، مطبعة الأنوار بالقاهرة.

(٢) ولد الشيخ أحمد السرهندي في بلدة "سرهند" في شوّال سنة ٩٧١هجرية ١٥٦٣م و توفي في آخر صفر سنة ١٠٣٤هجرية ١٦٢٤م. نزهة الخواطر لعبد الحي الحسني (١٢٦٤هـ - ١٣٠٤هـ) - مطبعة أصح المكتب، مارخانه تجارت، كراچي - ٥/ ٥٣ - ٤١ - و مؤلف نزهة الخواطر مفصل الكلام في ترجمة الشيخ أحمد السرهندي وكتب أكثر من عشر صفحات.

(٣) ولد الشيخ عبد الحق في سنة ٩٥٨هـ بمدينة دهلي - و توفي يوم الإثنين لسبع بقين من ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين و ألف بدار المحدث دهلي مدفن بها - نزهة الخواطر ٥/ ١٠-٢٠١.

(٤) أنظر ترجمته في نزهة الخواطر ٦/ ٤٣-٩٨-٣٥١، أنظر ترجمته في نزهة الخواطر ٥/ ٤٢٥-٤٢٤.

أما أهم ما قام به الشيخ ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوي (المولود سنة ١١١٤ هـ والمتوفى سنة ١١٧٦ هـ)/قام بتأسيس مدرسة بمدينة شاهجهان آباد و قام بالتدريس فيها مدة طويلة.

و أهم عمل قام به الشيخ ولى الله هو ترجمة القرآن الكريم إلى الفارسية و سماه:"فتح الرحمن" و هذا كان في عام ١١٥٠ هـ وكانت الفارسية لغة رسمية.

و كذلك قام ابنه الشيخ عبدالقادر (ت سنة ١٢٣٠ هـ)[٦] بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأردية و سماه:" موضح القرآن". و هذا كان في عام ١٢٠٥ هـ. و هذه الترجمة كانت لمعاني القرآن. و كذلك قام ابنه الشيخ رفيع الدين[٧] بترجمة لفظية للقرآن الكريم. و كذلك كتب الشيخ عبدالعزيز بن ولى الله (ت سنة ١٢٣٩ هـ)[٨] تفسيراً للقرآن الكريم و سماه: "تفسير عزيزي" أو "تفسير فتح العزيز مجيدي" فسر فيه سورة الفاتحة ونصف سورة البقرة

و استمرت دعوتهم في تلاميذهم. و في عام ١٨٥٧م قضى الاستعمار البريطاني على حكم المسلمين في القارة الهندية، و قد أثر هذا الاستعمار على حياة المسلمين من كل ناحية لاسيما من الناحية الدينية. فقد ألغيت المحاكم الشرعية و استبدلت الشريعة الاسلامية بالقانون الانجليزي، و أسست المعاهد التعليمية العصرية و المدارس في طول البلاد و عرضها. و كان كل ذلك حسب المخططات الإستعمارية التي كان هدفها إنشاء جماعة هندية في اللون و الدم و مسلمة من الناحية الرسمية فقط و إنجليزية في الذوق و الرأي و اللغة و التفكير.

و جدير بالذكر بأن تلك المخططات الاستعمارية كان هدفها القضاء التام على الإسلام و المسلمين و إقامة الدولة الاستعمارية في شبه القارة الهندية. فقد استخدموا كل وسائل الترهيب و الترغيب لتحقيق ذلك الهدف الاستعماري.

---

(٦) أنظر الشيخ عبدالقادر ترجمة الخواطر ٧/٩٦-٢٩٥.

(٧) ولد بمدينة دهلى و نشأ بها و اشتغل بالعلم، و صنف التصانيف و هو من أكابر العلماء. و توفى سنة ثلاث و ثلاثين و مائتين بمدينة دهلى - فدفن بها خارج البلدة عند أبيه و جده. نزهة الخواطر ٧/٨٦-١٨٢.

(٨) أنظر ترجمته فى نزهة الخواطر ٧/٢٧٦-٢٦٨.

حركة التأليف :

لقد نشطت مجهودات علمية رائعة فألفت في هذه المنطقة كتب كثيرة باللغة العربية وغيرها في العلوم المختلفة من التفسير والحديث والفقه وأصوله، وعلم الكلام، والمنطق والفلسفة وغيرها.

التفسير:

من أهم التفاسير التي ألفت في شبه القارة (القرن الثالث عشر الهجري): «موضح القرآن» للشيخ الشاه عبدالقادر بن الشاه ولي الله المتوفي سنة ١٢٤٣ هـ، و«فتح المنان بتفسير القرآن» المعروف بالتفسير الحقاني للشيخ عبدالحق الحقاني المتوفى سنة ١٢٣٥هـ. كذلك كتبت الحواشي على التفاسير، مثل: «الكمالين حاشية الجلالين» للشيخ سلام الله الرامبوري المتوفى سنة ١٢٢٩هـ ١٨١٣م، و «الهلالين حاشية الجلالين» للشيخ تراب على المتوفى سنة ١٢٨١-١٨٦٤م.

وألف الشيخ عبدالرحمن السيلاني المستوطن بجلال آباد (افغانستان) تفسيراً باللغة البشتوية في مجلدين وقال الحسيني: إن تاريخ وفاة المؤلف مجهول ولكنه الأغلب من القرن الثالث عشر الهجري.[٢] وتفسير «معدن الجوهر» للشيخ ولي الله بن حبيب الله الأنصاري المتوفى سنة ١٢٧٠هـ.[٣]

الحديث وأصوله:

وأما ما ألف في الحديث وأصوله فمنها «الوصول الى أحاديث الرسول» للشيخ محمد عباد السندي، وله أيضا «المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة»، و «الأربعين في فضائل الحج والعمرة» لأبي سليمان محمد إسحاق المتوفى سنة ١٢٦٢هـ-١٨٤٥م، و «المحلى شرح الموطا» للشيخ سلام الله الرامبوري المتوفى سنة ١٢٢٩هـ، وله أيضا «رسالة في أصول الحديث».

التصوف

وأما ما كتب في التصوف فمنها «كشف القناع عن اباحة السماع» للشيخ سلام

١- عربی ادبیات میں پاک و ہند کا حصہ۔ سید صباح الدین عبدالرحمن۔ جامعہ پنجاب، لاہور ۱۹۷۲ء، ص ۶۱-۶۲۔
٢- تذکرۃ المفسرین۔ جلال الدین السیوطی۔ دارالعلم، بیروت۔ ص ۱۸٤۔
٣- المصدر نفسہ۔

الرامبوري.

و «شرح الفص النوحى من نصوص الحكم» لعبد العلى بحر العلوم اللكنوى المتوفى سنة ١٢٣٥هـ. و «إرشاد الطالبين وتأييد المريدين» للقاضي ثناء الله الباني بتى المتوفى سنة ١٢٢٥هـ،[٤] وهذا الكتاب يشتمل على ستة أجزاء ويسمى كل جزء بالكتاب: الأول في الولاية، والثاني في فرائض المريدين، والثالث في فرائض المرشدين، والرابع في الترقية الروحانية، والخامس في مدارج مختلفة للتقرب إلى الله، والسادس في فضائل وأوصاف مختلفة أولياء الله. وهذا الكتاب ثقة لدى العلماء.[٥]

الفقه وأصوله:

أما ما ألف في الفقه وأصوله فمنها «شرح الفقه الأكبر»، و «تنوير المنار شرح المنار» و «شرح مسلم الثبوت» للشيخ عبدالعلي بحر العلوم اللكنوي المتوفى سنة ١٢٣٥٥هـ، و «تحفة المشتاق في النكاح والصداق» لمرزا حسن على سفير محدث لكهنو المتوفى ١٢٢٦هـ-١٨١١م،[٦] و «طوالع الأنوار على الدر المختار» للشيخ محمد بن أحمد على بن يعقوب على السندي المتوفى سنة ١٢٥٧هـ-١٨٤١م. و «شرح مسلم الثبوت» لملا محمد مبين بن ملا محبّ الله المتوفى سنة ١٢٢٥هـ-١٨١٠م.

المنطق والفلسفة

«الهداية السعيدية» لفضل حق الخير آبادي المتوفى سنة ١٢٨٧هـ وله أيضا «شرح هداية الحكمة». و «المرقات»، و «شرح على بديع الميزان» الموسوم ب «تشحيذ الأذهان» للشيخ فضل إمام المتوفى سنة ١٢٤٣هـ، و «حاشية على قاضي مبارك» لحافظ دراز وحلّ فيها المباحث الصحيحة. وقيل: إذا لم يكتبها حافظ لم تحل هذه المباحث. وطبعت هذه الحاشية مع قاضي مبارك في باكستان وقاضي مبارك شرح لسلم العلوم للقاضي محبّ الله البهاري المتوفى سنة ١١٩هـ. و «مرآة الشروح» لملا محمد مبين المتوفى سنة ١٢٢٥هـ.

المعاجم

«منتهي الأرب» لعبد الرحيم الصفي بوري المتوفى سنة ١٨٥٧م، و «القول المأنوس في صفات القاموس» للمفتي سعد الله المراد آبادي المتوفى سنة ١٨٥٧م.

يعد القرن الثالث عشر[١] امتدادا لعصر الجهود والتقليد الذي كان بدأ في القرن الخامس الهجري. ومن أهم خصائص هذا العصر أنه كتبت فيه الشروح والحواشي للمتون القديمة

(١) كان يجب على الطالب أن يفتتح مبحث «مرحلة التأليف» بهذا الكلام

٤- الديبات ٨٦ ٥- المصدر نفسه ص: ١٠٣.
٦- المصدر نفسه: ط ٨٦.

وكان العلماء يفضلون فيه إبراز الجهود العلمية القديمة بدلا من الإقدام على تأليف الكتب من عندهم. هذا المنهج ينعكس في مجالات علمية مختلفة ومنها علم التفسير، إلا أنه يوجد بعض كتب التفسير التي كتبت خروجا على المنهج التقليدي وهو منهج الشروح والحواشي وهي "موضح القرآن" و"التفسير المظهري" و"التفسير الحقاني". إن تفسير "موضح القرآن" للشاه عبدالقادر يفسر ويوضح عدة أماكن غامضة ويسهلها للناس وتتجلّى أهميته في أن الشيخ شبير أحمد العثماني قد اعتمد بشكل رئيسي في تفسيره على هذا المجهود القيم. كما أن التفسير الحقاني يتناول قضايا فكرية وفلسفية معاصرة فهو أقرب إلى منهج التفسير الكبير للرازي إلاّ أنه يعالج قضايا فكرية جديدة.

هذا العصر بلا شك عصر الازدهار العلمي وقد حظيت مؤلفات هذا العصر بإعجاب الناس وموافقتهم في العصور اللاحقة بحيث أن بعضها اختير ليكون كتباً منهجية في المدارس الدينية المنتشرة في طول البلاد وعرضها ومن هذه الكتب "الهلالين شرح الجلالين" و"شرح مسلم الثبوت" و"شرح الفقه الأكبر" و"تنوير المنار شرح المنار" و"طوالع الأنوار على الدر المختار" و"المحلى شرح الموطا" و"الهداية السعيدية".

إن إنشاء المدارس الدينية في شبه القارة يشكل ميزة كبيرة لهذا العصر.

وكانت هذه المدارس قد أنشات الغزو الفكري البريطاني حيث كان العلماء مثل الشيخ بحر العلوم البلكرامي والشيخ عابد علي السندي وولي الله الفرنكي محلي وفضل امام وفضل حق الخير آبادي وثناء الله الپاني والشاه عبدالقادر والحافظ دراز قد أدركوا أن السيطرة الانكليزية علي الهند خطر كبير على المسلمين. وشعورا بهذا الخطر خططوا لإنشاء مؤسسات تعليمية إسلامية ونشروا شبكتها في كل أنحاء البلاد حتى تغذي أبناء المسلمين فكرياً وتعمل على نشر الثقافة الإسلامية في البلاد. وعلاوة على ذلك أقام العلماء والصوفيون حلقات الذكر والفكر والدعوة والإرشاد. وهذا كله كان من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية لأبناء المسلمين.

دور علماء شبه القارة في التفسير:

كما مرت الإشارة إلى أن للعلماء في شبه القارة الهندية دوراً بارزاً في نشر العلوم الإسلامية و كتبوا فيها كتباً شتى بلغات متعددة كالأردية و العربية و الفارسية و غيرها،[1] ولا يمكن حصرها ، و لذا فإنني اكتفي بالإشارة إلى بعض تفاسير علماء شبه القارة الهندية.

(١) "تبصير الرحمن و تيسير المنّان لبعض ما يشير إلى إعجاز القرآن": (المشهور ب"تفسير رحماني") للشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهائمي (ت: ٧٧٦-٨٣٥ هـ).[2]

(٢) "سواطع الإلهام": لأبي الفيض فيضي (ت:٩٥٤-١٠٠٤ هـ و ١٥٩٥م) [3]. و هذا التفسير باللغة العربية و ألف من الحروف الخالية من النقط. و لا يوجد له نظير في التراث الإسلامي.

(٣) "التفسير المظهري": للقاضي ثناء الله الباني بتي (ت:١٢٢٥ هـ-١٨١٠م) و يقع في سبعة مجلدات و أعيد طبعه في عشر مجلدات[4].

(٤) "جامع التفاسير": لقطب الدين الدهلوي بن محي الدين الحنفي أحد كبار القضاة (ت: ١٢٨٩ هـ)[5].

(٥) "فتح البيان في مقاصد القرآن": بالعربية في أربعة مجلدات، و ترجمة القرآن، و "نيل المرام في أحكام القرآن" كلها لنواب صديق حسن خان [6].

---

(١) أنظر الثقافة الإسلامية: ص: ١٦٤ للشيخ عبدالحي الحسني. و مشاركة شبه القارة الهندية في الأدب العربي من العهد القديم إلى سنة ١٨٥٧م: ص:٤٣. للدكتور زبيد أحمد رسالة الدكتوراه قدمها في جامعة لندن في عام ١٩٢٩م، ترجمها:شاهد حسين رزاقي، نشرتها إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور ١٩٩١م. و مفسري الهند و تفاسيرهم العربية: د: محمد سالم قدواني. مكتبة جامعة، جامعة نكر دهلي، ط:١. أغسطس١٩٧٣م.

(٢) نزهة الخواطر:١٠٥/٣ و مشاركة شبه القارة الهندية في الأدب العربي: ص:٤٤.

(٣) مفسري الهند و تفاسيرهم العربية: ص: ٥٩. و مشاركة شبه القارة الهندية في الأدب العربي:ص: ٥٠.

(٤) نزهة الخواطر: ١١٣/٧. و مشاركة شبه القارة الهندية في الأدب العربي: ص: ٤٦-٤٧.

(٥) نيل السائرين في طبقات المفسرين:ص: ٣٤٩. ونزهة الخواطر/٨٩-٣٨٧-

(٦) مفسري الهند و تفاسيرهم العربية: ص: ١٠٢.

(٦) "نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان": للشيخ عبدالحميد الفراهي (ت: ١٩٣٠م) (١)

(٧) "المقام المحمود": للشيخ عبيدالله السندي (ت: ١٣٦٣ هـ) (٢).

(٨) "تفسير القرآن بكلام الرحمن": لأبي الوفاء ثناء الله أمرتسري (٣).

(٩) "مواهب الرحمن في تفسير القرآن": للشيخ أمير علي بن معظم علي الحسيني، المليح آبادي ثم اللكهنوي أحد العلماء المشهورين في الهند. (المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ). (٤)

وهو تفسير بالمأثور في ثلاثين جزءا. وهو تفسير ممتاز، عرض المسائل الفقهية، ولكنه أكثر فيه من الرجوع لعلماء التصوف. وهو من أحسن التفاسير باللغة الأردية (٥).

(١٠) أحسن التفاسير": للشيخ أحمد حسن الدهلوي. أحد العلماء المشهورين (ت سنة ١٣٣٨ هـ) (٦).

و تفسيره باللغة الأردية و اعتمد في ترجمة معاني القرآن على ترجمة الشيخ ولي الله الدهلوي و رفيع الدين الدهلوي و عبدالقادر الدهلوي كما اعتمد في التفسير على تفسير ابن جرير الطبري و الخازن و الدر المنثور للسيوطي (٧).

(١١) "بيان القرآن": لحكيم الأمة أشرف علي بن عبد الحق التهانوي المربي المرشد (المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ) (٨).

---

(١) المصدر نفسه ص: ١٠٣ و ما بعد. نزهة الخواطر ٨/٢٢٩-٢٢٨ - وسيأتي ذكره في مشايخ الإصلاح إن شاء الله -

(٢) نيل السائرين في طبقات المفسرين: ص: ٣٦٤. ونزهة الخواطر ٨/٣٠٢-

(٣) المصدر نفسه: ص: ١٠٥-١٠٧. ونزهة الخواطر ٨/٩٦-٩٥ -

(٤) نزهة الخواطر ٨/٧٦-٧٥ -

(٥) نيل السائرين في طبقات المفسرين ص: ٣٤٩. و تفسيري رجحانات كا ارتقاء: ص: ١٩٤.

(٦) نزهة الخواطر: ٨/٤٤.

(٧) تفسيري رجحانات كا ارتقاء: ص: ٢١٢.

(٨) نزهة الخواطر: ٨/٥٦-٥٩.

و قد استوعب تفسير كثيراً من العلوم كالفقه و أسباب النزول والمناسبات بين الآيات و السور.

كما اهتم علماء شبه القارة الهندية بترجمة القرآن و تفسيره فتراهتموا كذلك لأحكام القرآن . و أذكر هنا على سبيل المثال منها:

١: "التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية": للشيخ أحمد بن أبي سعيد الصالحي (ت: ١١٣٠ هـ). (١)

٢: "أحكام القرآن": للمفتي محمد شفيع رحمه الله.(ت: ١٩٧٦)(٢) .

٣: "تفسير آيات الأحكام": لعبد العلي (٣).

و هناك مؤلفات كثيرة أخرى لعلماء شبه القارة الهندية لا يتسع المقام لذكرها.

نبذة عن تفاسير معاصري الإصلاحي:

١: "ترجمان القرآن": للشيخ أحمد بن خيرالدين الكلكتوي المشهور بأبي الكلام آزاد و سمّاه والده محي الدين [٤]. (المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ) (٥).

و تفسيره يمتاز بلغته العصرية و معالجة واقع الأمة (٦).

---

(١) المصدر نفسه ٦/٢١-١٩-

(٢) أحكام القرآن ٣/١٠-

(٣) الثقافة الإسلامية: ص: ١٧١.و مفسري الهند و تفاسيرهم العربية ص: ١٦. ٣٤٠ و ما بعد.

(٤) نزهة الخواطر: ٨/١٥.

(٥) المصدر نفسه: ٨/١٩.

(٦) نزهة الخواطر:٨/١٧-١٨.

٢: "تفسير معارف القرآن": للشيخ محمد ادريس الكاندهلوي (١).
و قد وصل/ الشيخ محمد ادريس ... إلى/ آخر سورة الصافات فوفاه الأجل و لم يكمله ثم أتمه ابنه الشيخ محمد مالك الكاندهلوي. وهو باللغة الأردية و مطبوع في سبعة مجلدات ضخمة.

٣: "تفسير معارف القرآن": للشيخ المفتي محمد شفيع (المولود عام ١٣١٤هـ- الموافق ١٨٩٧م= المتوفى سنة ١٩٧٦م (٢).

و من خصائصه أنه يذكر خلاصة التفسير من تفسير بيان القرآن (للتهانوي) و يتعرض للمسائل الفقهية تحت عنوان: "المسائل و المعارف". و كذلك يذكر المناسبات بين الآيات و السور، و هذا التفسير مطبوع في ثمانية مجلدات ضخمة و متداول بين أيدي الناس.

٤: "تفسير تفهيم القرآن": لأبي الأعلى المودودي بن أحمد (المولود في عام ١٩٠٣م و المتوفى سنة ١٩٧٩م). (٣)
وهذا التفسير باللغة الأردية طبع في ستة مجلدات، و ترجم إلى لغات عديدة.

٥: "تفسير ضياء القرآن": للشيخ كرم شاه الأزهري. وهذا التفسير مطبوع في خمسة مجلدات ضخمة و متداول بين أيدي الناس. / الشيخ كرم شاه توفي ٧ ابريل سنة ١٩٩٨، (٤)

---

(١) ولد في ١٢ ربيع الثاني ١٣١٢هجري ١٩٠٠م و توفي في الثامن والعشرين من يوليو عام ١٩٧٤م. تذكرة محمد ادريس، د: محمد ميان صديقي. ط: ١. ص: ٣٠٢-٣٠٣. مكتبة عثمانية، الجامعة الأشرفية، ١٣٩٦هـ، لاهور.

(٢) أحكام القرآن: ٣/ ١٠.

(٣) مجلة "ترجمان القرآن" شهرية. خورشيد احمد. "تذكرة الإصلاحي". رقم العدد ٤ ج ١٢٥ ص ١٠٥٠ إبريل ١٩٩٨/١.

(٤) ادارة ترجمان القرآن، لاهور.
المسعيد. فاروق خان سعيدي. ملتان. ج ١٥ العدد ٥ مايو ١٩٩٨، ص: ٤-٩٠.

سبب اختيار الموضوع :

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي

* ألف/تفسير "تدبر قرآن " باللغة الأردية للجيل الجديد الذي اشتغل بالثقافة الغربية و ابتعد عن دينه كتاباً و سنّة. فخاطبه المؤلف بمنهج جديد يألفه- و لكن لا يمكن له الاطلاع على ما وقع فيه/من خطأ و تفرد/من مخالفة إجماع الأمة بسبب قلة معرفته بما نقل عن السلف في تفسير القرآن الكريم.
* وكان لابد من الكشف الحجاب عن الأصول التي خالف فيها المؤلف إجماع الأمة أو مسلك أهل السنّة و الجماعة حيث لم يراع الإصلاحي الأصول المسلمة التي وضعها علماء الإسلام لتفسير القرآن الكريم. و اختلف أسلوبه عنهم تماماً و خاصة في قلة اعتداده بالحديث النبوي الشريف و الإكثار من النقل من الكتب السابقة، كما سنذكر إن شاءالله تعالى.
* لم يتناول أحد بهذا القدر من التوسع-حسب علمي-هذا التفسير بدراسة تحليلية و نقدية بمنهج علمي.
* أنه يفسر القرآن تفسيراً بعيداً عن الإسرائيليات و يبين موقفه مدعماً بالدلائل النقلية و العقلية.
* كذلك يثبت علمياً أن القرآن الكريم مرتبط من أوله إلى آخره بحيث لا يوجد فيه أيُ تشتت. و قدم فكرة جديدة عن نظم القرآن الكريم، ومن ثم تقسيم جميع سور القرآن إلى سبع مجموعات نظراً إلى موضوعها.
* اهتم الشيخ الإصلاحي في تفسيره بكلام العرب اهتماماً بالغاً، فأكثر من الاستشهاد بالشعر العربي. و قد بالغ في الا عتماد على المعاني اللغوية إلى درجة لا يوافقه عليها غيره من أهل العلم.- كما سيأتي الكلام في بيان موفقه من المسائل الفقهية-:

وكانت الحاجة لرفع الحجاب عن خصائص هذا التفسير مع ذكر ماله و ما عليه.ثم كان وراء هذه الدوافع و الأسباب و من فوقه جميعا:

مشية خالق القوي و القدر فهى التي شرحت صدري لهذا العمل.

وله الحمد من قبل و من بعد.

الدراسات السالفة عن الإصلاحي

الدراسة عن الإصلاحي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول فهو الدراسات التي تمت قبل تقديم رسالتي لمرحلة الدكتوراة (٦يناير ١٩٩٧م).

فتناولت فيه كل ما كتب عن الإصلاحي ومؤلفاته ومواقفه المختلفة من المسائل الشرعية.

وأما القسم الثاني فهو الذي كتب عنه بعد انتقاله إلى رحمة الله تعالى سنة ١٥ ديسمبر ٩٧م.

القسم الأول الدراسات عن الإصلاحي قبل تقديم رسالتي:

١- الأستاذ مستنصر مير:

قد كتب الأستاذ خالد مسعود مقالاً بعنوان: "الدراسة الجديرة بالذكر لتفسير "تدبر قرآن" الذي صدر في مجلة "تدبر" العدد ٨ ذي القعدة ١٤٠٣هـ الموافق أغسطس ١٩٨٣م.

فذكر فيه عن الرسالة عنوانها: "Thematic and Structural coherence in the Quran" A Study of Islahi's Concept of "Nazm"(1).

و هي التي أعدّها الأستاذ / "مستنصر مير" للحصول على شهادة الدكتوراة من جامعة "مشي كن" بالولايات المتحدة الامريكية.

تقع في مائتي (٢٠٠) صفحة. مطبوعة بالآلة الكاتبة، وتتكون هذه الرسالة من ستة أبواب.

ذكر الباحث في الباب الأول تاريخ نظم القرآن وربطه مع ذكر العلماء المؤيدين لهذه الفكرة مثل أبو سليمان حمد الخطابي، وأبو بكر محمد الباقلاني (ت:٧٥٤هـ). وعبدالقاهر الجرجاني (ت:٤٧١هـ) ومحمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٧هـ) و فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) وأبو حيّان (ت:٧٥٤هـ). ومحمد بن شربيني (٩٧٧هـ) وشهاب الدين الألوسي (١٢٧٠هـ).

وذكر في الباب الثاني تصور نظم القرآن عند الفراهي (ت:١٩٣٠م) والإصلاحي مفصلاً وحاول أن يثبت فيه أن هذين العالمين منفردان في تقديم هذه الفكرة. وهي عندهما من أصل الأصول لفهم القرآن.

وفي الباب الثالث والرابع والخامس تكلم عن خصائص النظم عند الإصلاحي وبيّن أن كل سورة وحدة مستقلة ولها عمود خاص ولكل سورة زوج مثلها وكل ركن من اركان المثنى يكمل العمود (الموضوع) و أن جميع سور القرآن تنقسم إلى

١- وتوجد نسخة مصورة في مكتبة الدكتور محمد حميد الله بالمجمع البحوث الإسلامي، اسلام أباد في قسم دراسة القرآن الكريم تحت رقم ورأيتها في المكتبة المذكورة ولكن لم أفد منها.

٧٥ "علوم القرآن" (٢٢٥٢ رقم داخل المكتبة).

سبعة زمر. و لكل زمرة(المجموعة) عمود مستقل. و قارن الباحث بين الإصلاحي و بين معاصريه مثل محمد حسين الطباطبائي، و سيد قطب القائلين بنظم القرآن، و أثبت فضل موقف الإصلاحي على معاصريه و أن موقفه علمي.

و في الباب السادس ذكر نتائج بحثه وهي:

١: منهج الإصلاحي في تفسيره مبني على دراسة القرآن و ترتيبه الحالي للمصحف يوافق بنظمه، و تصور نظمه جامع و يوجد في الآيات و السور و في الزمر.

٢: و أن الشيخ الإصلاحي/ هذا التصور و منهجه أخذ من الشيخ الفراهي إلا أن الإصلاحي أضاف إليه إضافات جديدة.

٣: و/أن تفسير "تدبر قرآن " يثبت أن القرآن كلام مترابط متناسق من حيث الألفاظ و المعاني و/أن غير هذا الترتيب أياً كان/فانه يخرجه من حسنه.

٤: أن الشيخ الفراهي و الإصلاحي منفردان في تصورهما عن نظم القرآن من غيرهما من قائليه و يمكن تأويلاً حتمياً للآيات نظراً إلى السياق وهو لا يمكن تحت أيٍّ نظم آخر ولذا قال الإصلاحي قول الحق إن نظم القرآن و مراعات السياق و السباق من أهم طريقة تفسير القرآن الكريم.

هذه الرسالة تتحدث عن الناحية المعينة و هي تصور النظم في القرآن الكريم عند الشيخ الإصلاحي، و لذا كانت و لا تزال حاجة لدراسة - شاملة لمعظم مباحث التفسير - تحليلية و نقدية بمنهج علمي.

٢- الشيخ محمد اسماعيل السلفي (١٣١٤-١٣٨٧هـ)(١).

لقد كتب فضيلة الشيخ المودودى (١٩٠٣-١٩٧٩م)(٢) مقالاً بعنوان: "مسلك الاعتدال"(٣) ونشأ من ذلك سوء تفاهم بين عامة المسلمين ضد الشيخ وجماعته. فتلقته الصحف والمجلات بالنشر والتوزيع والنقد والاستنكار جاهدة لتحديد موقف "الجماعة الإسلامية"(٤) من حجية الحديث الشريف ومدى ثقتها بالسنة النبوية المطهرة.

ولعل رجلا من "أهل الحديث" تأثر بهذا الواقع المرير، فطرح عدة أسئلة حول الموضوع أجاب عنها فضيلة الشيخ أمين أحسن الإصلاحى فى مجلة "ترجمان القرآن" الصادرة فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٥م.

لقد كتب الشيخ محمد اسماعيل السلفى مقالاً بعنوان: موقف الجماعة الإسلاميّة من الحديث النبوى. ورد فيه على الإصلاحى وقال:

"ومعروف لدينا أن نظريات الإصلاحى بحكم الهدف والاتجاه لا تختلف كثيراً مع نظريات الشيخ المودودى، مع شىء من الفارق بين أسلوبيهما. وخاصة تفكيرهما حول الحديث الشريف كتفكير رجل واحد تقريباً(٥).

وقال فى مقام آخر: وهو بصدد إبداء الملاحظات على تعريف الحديث النبوى والسنة والفرق بينهما للإصلاحى حيث قال: "فالحديث: هو كل قول، أو فعل، أو تقرير يروى عن النبى صلى الله

١- ولد العلامة محمد اسماعيل بن محمد إبراهيم السلفى حوالى سنة ١٣١٤هـ الموافق ١٨٩٥م بقرية "دهونكى" فى ضواحى "وزير آباد" بمديرية "غوجرانواله" باكستان. تلقى تعليمه الابتدائى فى قريته على يد أبيه ثم رحل إلى "وزير آباد" و "دهلى" و "أمرتسر" و "سيالكوت" وغيرها المدن التى كانت تعتبراً هم مراكز العلم والدين حينذاك. وألف كتباً عديدة. وتوفى فى ٢٠ ذو القعدة ١٣٧٨ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٦٨م (ترجمة محمد اسماعيل السلفى-أستاذ محمد بن اسماعيل السلفى. حجيت حديث. فاوان اكادمي، لاهور. ط١. ١٤٠١هـ. ص:١٣-١١- و "موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوى". محمد اسماعيل السلفى. تعريب: صلاح الدين مقبول أحمد. الدار السلفية، الكويت-ط:١-١٤٠٧هـ-١٩٨٦م، ص:٣٠-٢٤.

٢- بدأ الشيخ المودودى حركته الإسلامية بتصميم ثورى فى الفترة ما بين (١٩٣٣-١٩٤١م)، وأوضح ملامحها فى كتبه حتى أنشئت "الجامعة الإسلامية" بمدينة لاهور في (٢٦-أغسطس ١٩٤١م) وذلك فى جمع عدده(٧٥) شخصاً من طول الهند وعرضها، وتم انتخاب الأستاذ المودودى أميراً للجماعة الإسلامة، وبقى على منصبه ما يقارب إحدى وثلاثين سنة حتى (نومبر ١٩٧٢م) واعتزل عن إمارتها لظروف صحية، وبدأ يقود الحركة الفكرية للنشاط الإسلامى حتى وافاه الأجل سنة ١٩٧٩م. المصدر نفسه ص:٦٥.

٣- هذا المقال نشر فى مجلة "ترجمان القرآن" للشيخ المودودى فى (مايو ١٩٣٧م) وهو الآن مطبوع ضمن "التفهيمات" للشيخ المودودى (١/٣٥٠-٣٦٤) الطبعة الرابعة عشرينابر ١٩٨٢م).

٤- المصدر نفسه ص:٥٥-٦٥.

٥- المصدر نفسه ص:٧٢.

عليه وسلم ولكن المراد "بالسنة" هو " الطريقة المعلومة الثابتة" عن النبي صلى الله عليه وسلم فقط، التى عمل عليها بالاستمرار، وحافظ عليها وداوم بالعموم "..... "ولقد شذ الشيخ فى تحديد هذا المفهوم للسنة عن جميع علماء الأمة.

" على ما أعتقد أن الشيخ الإصلاحى لا ينكر الحديث ولا يرفض السنة. ولكن الأسلوب الذى استهل به مقاله، قد تفتح وراءه أبواب خلفية يستغلها منكرو الحديث فى تحقيق أهدافهم الخبيثة"(١).

لقد ذكر جدولاً زميناً لمنكرى الحديث مع ذكر الفرق التى أنكرته ذكر فيه:

" الشيخ شبلى، والشيخ حميد الدين الفراهي، والشيخ المودودى، والشيخ أمين أحسن الإصلاحى وعامة أبناء الندوة- ما عدا السيد سليمان الندوى- وقال:

"هؤلاء ليسوا بمنكرى الحديث إلا أنه يظهر من مناهج تفكرهم الاستخفاف بالحديث، واحتقاره، وتفتح من أساليب كلامهم الأبواب السرية لإنكار الحديث(٢). هذه بعض ملاحظات الشيخ السلفى على موقف الإصلاحى من الحديث النبوى وتساعدنا لفهم موقفه عن الحديث.

٣- الشيخ عبدالغفار حسن:

كتب الشيخ عبدالغفار حسن مقالاً بعنوان "الاستدراك" فهو استدرك فيه ما فات من الإصلاحى من روايات الرجم فى الشريعة الإسلامية. وطبع هذا المقال فى كتابه: " عظمت حديث"(٣) عقب الشيخ عبدالغفار على الإصلاحى فى ضوء الأدلة النقلية والعقلية ورد عليه بأسلوب جميل.

٤- الحافظ صلاح الدين يوسف:(٤)

وكتب أيضا الشيخ صلاح الدين يوسف كتابا تحت عنوان: "حد الرجم فى الشريعة الإسلامية" وعقب الشيخ صلاح الدين فيه الإصلاحى فى ضوء الدلائل النقلية والعقلية وطبع هذا المقال كجزء فى كتاب: " موقف الإسلام من الجريمة والعقوبة"(٥).

٥- الشيخ محمد يوسف الدهيانوى: (١)

هو من معاصرى الإصلاحى. وعقب على موقف الإصلاحى من مسألة الرجم. وطبع هذا

١- المصدر نفسه ص: ٩١.

٢- المصدر نفسه.

٣- قد طبع هذا الكتاب من مكتبة دار العلم اسلام أباد سنة ١٩٩٠م.

٤- لا يزال الشيخ حياً فى كتابة هذه الأسطر (٥-١-٢٠٠٠م) ويسكن فى مدينة لاهور.

٥- قد طبع هذا الكتاب تحت إشراف المعهد العالمى للفكر الإسلامى، بإسلام أباد سنة ١٩٩٧م. للشيخ خورشيد أحمد نديم.

المقال أول مرة فى جريدة شهرية " بينات" كراتشى، ورد فيه اللدهيانوى على الإصلاحى فى ضوء الأدلة النقلية والعقلية. وطبع هذا المقال الآن فى كتاب: "موقف الإسلام من الجريمة والعقوبة، الذى رتبه خورشيد أحمد نديم. ويشتمل هذا البحث ثلاث وخمسين صفحة (٥٣).

قام بعض طلاب الماجستير بجامعة بهاؤ الدين زكريا، ملتان بكتابة رسائلهم- لتكميل درجة الماجستير- حول موضوع " تفردات الإصلاحى فى تفسيره "تدبر قرآن" ذكر يعقوب على شودرى وامتياز احمد شودرى فى كتابهما": تحقيقات زكريا " خمس رسائل حول الموضوع. وتفصيلها كالآتى:

١- " **تفردات أمين أحسن الإصلاحى فى تفسير" تدبر قرآن** (المجلد الأول):

إعداد: شاكره بروين. اشراف: الأستاذ على اصغر سليمى. أستاذ قسم الدراسات الإسلامية. ١٩٨٩م. : ص٢١٦.

يشتمل البحث على أربعة أبواب- الباب الأول فى ترجمة الإصلاحى- والباب الثانى فى علم التفسير وتطوره وبيان مفهوم التفسير بالرأى. والباب الثالث فى نبذة عن تفاسير معاصرى الإصلاحى مع تراجم مؤلفيها وخصائصها. والباب الرابع فى تفردات الإصلاحى مع مقارنتها لتفاسير معاصريه(٢).

٢- تفردات الإصلاحى:

إعداد: محبوب أحمد عابى-اشراف: الأستاذ على اصغر سليمى- ١٩٩٠م ص:١٦٩-

ذكر الباحث فى هذه الرسالة تفردات الإصلاحى مع الأدلة. وقارن وجهة نظره بالتفاسير التالية:

١- تفهيم القرآن للشيخ أبى الأعلى المودودى.

٢- معارف القرآن للشيخ محمد شفيع.

٣- ضياء القرآن للشيخ پير محمد كرم شاه الأزهرى.

وإن لم يجد الباحث تفسير أية أية فى التفاسير المذكورة فرجع إلى تفسير المظهرى للقاضى ثناء الله بانى بتى. والتفسير الحقانى لعبد الحق الحقانى وتفسير ابن كثير ومواهب الرحمن لسيد أمير على. واكتفى الباحث بذكر تفرد الإصلاحى الذى اختلف موقفه من المفسرين المذكورين جميعا أو عن ثلاثة على الأقل(٣).

١- وهو أيضاً - يرزق (١٩٠٥-٢٠٠٠م) ويسكن فى مدينة كراتشى.

٢- تحقيقات زكريا (٩٣-١٩٧٦) يعقوب على شودرى وامتياز أحمد ـــــ معهد المكتبات. ملتان ١٩٩٥م ١/٢٢١.

٣- المصدر نفسه ١/٢٢٦.

٣- تفردات الإصلاحى (سورة القصص إلى سورة الصف).

إعداد: محمد قاسم: اشراف: الأستاذ على أصغر سليمى-١٩٩١م ص:١٩٩.

قام الباحث بذكر تفردات الإصلاحى فى تفسير مع مقارنته بتفاسير معاصرى الإصلاحى الأربعة وهى كالتالى:

١- تفهيم القرآن لأبى الأعلى المودودى (ت١٩٧٩م)

٢- ضياء القرآن لسيد پير كرم شاه الأزهرى (ت١٩٩٨م).

٣- معارف القرآن لمفتى محمد شفيع (ت١٩٧٤م).

٤- تفسير المظهرى القاضى ثناء الله بانى بتى.

لو لم يوجد شيء فى التفاسير المذكورة بكلمة ما فاستعان إذاً بكشف الرحمن أو عن التفسير الحقانى. واكتفى الباحث بذكر تفردات الإصلاحى التى تفرد بها عن المفسرين أعلى ذكرهم أو إذا خالف رأيه لثلاثة منهم على الأقل(١).

٤- تفردات الإصلاحى:

إعداد: فاطمة الزهراء. اشراف: الأستاذ على اصغر سليمى سنة ١٩٩٢م ص:١٨٧.

بحثت الطالبة فى رسالتها عن تفردات الإصلاحى كما ظهر من الموضوع. وقامت بمقارنة آراء الإصلاحى بتفسير تفهيم القرآن ومعارف القرآن وتفسير المظهرى وتفسير العثمانى (شبير أحمد العثمانى) وتفسير ابن كثير وضياء القرآن. ورجحت التفاسير المذكورة ماعدا معارف القرآن وابن كثير(٢).

٥- تفردات الإصلاحى (سورة ص إلى سورة التحريم).

اعداد: محمد إشرف القرشى. اشراف: الأستاذ علي اصغر سليمي سنة ١٩٩٢م ص ٢٠٧.

تكلم الباحث فى هذه الرسالة عن تفردات الإصلاحى فى تفسيره- تدبر قرآن- فى تفسير السور المذكورة- وقارن الباحث موقف الإصلاحى بالتفاسير الآتية:

تفسير ابن كثير، تفسير المظهري، تفهيم القرآن، معارف القرآن وضياء القرآن.

وفى عدم وجود تفسير آية فى التفاسير المذكورة نظر إلى تفسير كشف الرحمن وبيان القرآن (اشرف على تهانوى) وفتح المنان للشيخ عبدالحق الحقانى- وارتكز الباحث بذكر تفردات الإصلاحى التى اختلف موقفه عن المفسرين أعلى ذكرهم جميعاً أو عن ثلاثة على الأقل(٣).

١- المصدر نفسه ص:٢٣٦.

٢- المصدر نفسه ص: ٢٣٠.

٣- المصدر نفسه ص:٢٣٣-٢٣٤.

الشيخ الدكتور عبدالواحد- الأستاذ ونائب المفتى بجامعة المدنية، لاهور.

وقد قام الشيخ الدكتور عبدالواجد بنقد مؤلفات الشيخ الإصلاحي:

١- مبادئ تدبر قرآن. ٢- مبادئ تدبر حديث. ٣- تفسير "تدبر قرآن" في مقاله الطويل وهو طبع فى مجلة "أنوار مدينة" الصادرة من لاهور جمادى الثانى ١٤١٦هـ إلى ذى الحجة ١٤١٧هـ فى ثمانى عشرة حلقة.

وقد رد صاحب المقال فى ضوء الأدلة النقلية والعقلية مواقف الإصلاحى المختلفة من الأحاديث المتواترة وحجية الحديث وأصول التفسير- ويشتمل هذا المقال على ١٧٠ صفحة.

القسم الثانى:

يشتمل على ما كتب بعد انتقال الإصلاحى إلى رحمة الله تعالى ١٩٩٧ء.

إن الذين كتبوا عن مواقف الإصلاحى المختلفة بعد انتقاله منهم:

١- سعادة الأستاذ الدكتور عبدالرءوف ظفر.

كتب فضيلة الأستاذ الدكتور عبدالرءوف ظفر مقالاً عن "نظرية الحديث للإصلاحى". وقال فيه: إن الشيخ الإصلاحى لا ينكر الحديث بتاتاً بل إنه أحيانا يرد على فتنة منكرى الحديث ولكن نظريته تؤدى إلى تقوية هذه الفتنة من جهة. ومن جهة أخرى تؤدى إلى استخفاف الحديث. وأما أقواله عن الأحاديث المتواترة التى وردت فى مسألة الرجم فهى تختلف عن وجهات نظر المحدثين فلا يستطيع أن ينكر أحد من علماء الإسلام بأن أحسن تفسير القرآن الذى يفسر فى ضوء الحديث النبوى- بينما أن المحدثين وضعوا كتب التفسير فى كتب الحديث ولكن الإصلاحى لم يلتفت البتة إلى ذلك(١).

٢- الأستاذ خورشيد أحمد، مدير مجلة "ترجمان القرآن".

كتب الأستاذ خورشيد أحمد مقالاً طويلاً الذى طبع فى "ترجمان القرآن" فى حلقيتن لمارس وابريل ٩٨م بعنوان "تذكرة الإصلاحى" ونقد موقف الإصلاحى قائلاً:

"إن موقف الإصلاحى من الحديث النبوى وحجيته مضطرب جداً عندى لا سيما فى خبر الآحاد وكذلك لم أقتنع بموقفه من حد الرجم"(٢) الذى بينه فى كتابه "تدبر قرآن" عند تناوله تفسير سورة النور.

١- نظرية الحديث للإصلاحي د- عبدالرؤف ظفر. قدّم البحث للنشر في مجلة الفرقان لكهنؤ، هند. ص١٢.

٢- ترجمان القرآن. مارس وابريل ٩٨م لاهور- ص: ٥٩.

٣- الأستاذ خليل الرحمن جستى:

قد كتب الأستاذ خليل الرحمن جستى بحثا حول "خصائص تفسير تدبر قرآن" وذكر فيه خمسه عشرة خصوصية مثلاً: يدور "تدبر قرآن" حول ألفاظ القرآن الكريم ولم يخرج منه. وذكر مؤلفه فيه النكات البلاغية والنحوية وكذلك تناول اسرار البلاغة. وقال الباحث إن المؤلف قد تجنب من ذكر الروايات فى غير موضع(١). والحق أن هذا القول مبنى على نوع من المبالغة لأن الإصلاحى لم يتعرض للروايات الصحيحة فى بعض الأحيان كما فصلت الكلام فى المبحث الرابع فى الفصل الثانى من الباب الثانى.

٤- الأستاذ خالد مسعود:

قدم الأستاذ خالد مسعود- تلميذ الإصلاحى ومدير "تدبر" مقالاً علمياً يوضح فيه خدمة الإصلاحى للحديث النبوى فى مؤتمر الإصلاحى حياته وآثاره العلمية ٢١-٢٣ فبراير ١٩٩٩م عقد بمدرسة الإصلاح بسرائے مير أعظم جره الهند(٢).

٥- الشيخ عبدالخالق فاروقى:

كتب الشيخ عبدالخالق فاروقى مقالاً حول مؤلفات الإصلاحى. وبدأ يعرف كلامها بشكل ملخص(٣). واتبع الكاتب منهجى فى هذا البحث كما ذكرت فى المبحث الثانى فى الفصل الأول من الباب الأول: "آثاره العلمية".

٦- الدكتور الحافظ عبدالرحيم(٤):

كتب الدكتور عبدالرحيم بحثاً قيماً بعنوان: "مفسر القرآن الشيخ أمين أحسن الإصلاحى كمفكر إسلامى"- تقديماً للنشر فى مجلة "البعث الإسلامى" الصادرة من ندوة العلماء الهند سنة ١٩٩٩م.

وخلاصته القول إن كل من كتب عنه وعن مواقفه المختلفه من المسائل الشرعية وخاصة فى الأمور المذكورة سواء كان فى حياته أو بعد مماته لم يوافقه قط. بل أنه رد عليه بأسلوب علمى جامع. وأما ما كتب وطبع فى حياته عن مواقفه ومؤلفاته فلم يرجع عنها قط بل أصر على ذلك.

١- طبع هذا البحث أولاً فى مجلة شهرية "مشكاة المصابيح" لاهور، وثانياً فى مجلة "تدبر" العدد ٦٢- دسمبر ١٩٩٨م-١٤١٩هـ، ص:٤٠-٤٤.

٢- تدبر "السفر جديرة بالذكر" خالد مسعود، العدد ٦٣، ابريل ١٩٩٩م، ص:٧.

٣- وقد طبع هذا المقال فى مجلة "تدبر" العدد ٦٣ ابريل ١٩٩٩م-١٤١٩هـ، ص:٣٤-٤٢ والعدد ٦٤ يونيو ١٩٩٩- جمادى الثانى ١٤٢٠هـ، ص:٤٨-٦٥.

٤- أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة بهاء الدين زكريا ملتان.

منهجي في كتابة هذا البحث

قلما يقع الباحث في هذه البحوث التي تدور حول الكتب ونقدها ثم يتنحى منحى الإفراط أو التفريط. فإما أن يميل الباحث مع المؤلف ويمدحه ويرفع من شأن بحثه إلى حد كبير. و إما أن يحط منه و يقلل من قيمته. وفي كلا الحالين يُعدّ ذلك خروجاً عن المنهج العلمي. وإني في عملي هذا قد حاولت أن التزم ذلك المنهج العلمي. فما يستحق النقد والتعليق وافيته تنقيداً وتعليقاً. وما يستحق الشكر والثناء وافيته أيضاً. وأبرزت مواضعه وأثره على العلم. وسيجد القارئ الشواهد لكلا الأمرين أثناء قراءة هذا البحث المتواضع.

وبهذا قسمت البحث إلى الفصول والمباحث في خطة البحث. فإني كنت حريصاً خلال كتابة البحث على الأمور الآتية:

١: عزو جميع الآيات الواردة في البحث، وذلك بذكر اسم السورة و رقم الآية.

٢: تخريج الأحاديث الواردة فيه، وذلك بعزوها إلى مصادرها.

٣: أعطيت نبذة عن التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وعن أسباب النزول، و علم المناسبات. وأشرت إلى أهم المؤلفات في علم المناسبات.

٤: دعمت آراء الإصلاحي الصائبة بآراء المفسرين الآخرين في أغلب المواضع. و ما نقدت فيه الإصلاحي فقد بينت فيه مستندي في النقد، ومصدري ، أو دليلي الذي اعتمدت عليه في ذلك النقد.

٥: حرصت على أن أرجع فيما يتعلق بالتفسير المأثور، ونحوه إلى تفسير ابن كثير. و فيما يتعلق بالأحكام إلى تفسير " الجامع لأحكام القرآن" للإمام القرطبي. و علم كل منهما ذلك اللون من التفسير. وقد فعلت ذلك لتكون تلك النقول من التفاسير المعتبرة وغيرها مقارنة صامتة بين الشيخ أمين أحسن الإصلاحي وغيره.

٦: واستميح القارئ العذر في عدم وضعي فصلاً أو مبحثاً مستقلاً للمقارنة بين الإصلاحي ومعاصريه من المفسرين.

اصطلاحات خاصة
بهذا البحث

* إذا اطلقت كلمة "تدبر" أو "تدبر قرآن" في الصلب أو في الهامش فإنني أعني بذلك تفسير تدبر قرآن الذي هو موضوع الدراسة.
* إذا اطلقت كلمة " الإصلاحي " فالمراد به الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.
* إذا ذكرت كلمة "الفراهي" فأعني به الشيخ عبد الحميد الفراهي-المعروف بحميد الدين الفراهي.
* إذا اطلقت كلمة "نظام القرآن" فالمراد به تفسير نظام القرآن للشيخ الفراهي.
* ت: تعني تحقيق إذا جاء بعدها اسم، وتعني: توفي إذا جاء بعدها رقم.
* ط: تعني طبعة.
* د: تعني دكتور.
* ص: تعني هامش.

كلمة الشكر

قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[1]. ومن هذا المنطلق أرى أنه من الواجب علي أن أقدم شكري وتقديري للجامعة الإسلامية بهاولفور التي أتاحت لي فرصة الدراسة بها. وهيأت لطلابها الكثير من وسائل الراحة. والكثير من أسباب التحصيل العلمي.

كما أشكر جميع أساتذتي الذين شاركوا في تكويني العلمي والتربوي. وبخاصة سعادة الأستاذ الدكتور محمود أحمد غازي والدكتور أنوار حسين صديقي والدكتور عبد الرحيم أشرف. وفضيلة الأستاذ محمد ارشد مرزا وأخوه الشقيق فضيلة الأخ محمد بشارت مرزا وسيّد شكيل أحمد شاه هاشمي. وفضيلة الأخ الدكتور الحافظ عبد الرحيم و فضيلة الشيخ الحافظ محمد يامين رياض وسيّد محمد عبد الله، فجزاهم الله خير الجزاء.

كما أخص بالشكر سعادة الشيخ الأستاذ الدكتور عبد الرؤف ظفر الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، والذي عاش معي مراحل كتابتها، وصبر، ولم يضن علي بتوجيهاته القيمة، وآرائه السديدة، وأوقاته الثمينة، فجزاه الله خيرا الجزاء، وبارك الله له في عمره، وعياله، وماله، كما أشكر كل من أعانني برأي أو بمشورة أو إخراج هذه الرسالة بالصورة التي هي عليها الآن داعياً لنفسي، وللجميع بالمزيد من التوفيق، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

[1] سنن أبي داود، باب في شكر المعروف. ٣١٤/٢. وجامع الترمذي: ١٧/٢. حديث صحيح. ولفظه: من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الباحث:

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعلمين نذيراً. القائل في محكم كتابه: "إن هذا القرآن يهدى للّتى هى أقوم ويبشرُ المؤمنين الذين يعملون الصّلحٰت أن لهم أجراً كبيراً"[1]. والصلاة والسلام على من أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه بقدر حسنه وكماله وسلم تسليماً كثيراً. وعلى كل من دعا بدعوة من عبادك الصالحين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد يسر الله لي وأعانني على كتابة هذا البحث المتواضع عن "الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر قرآن" الذي اعتبره حلقة من سلسلة مناهج المفسرين.

وإني لأعترف بقصور علمي وقلة بضاعتي في هذا المجال ولكنني مع هذا بذلت جهدي مهما كان في استطاعتي ولم آل جهداً. ولا ريب أن العقل البشري قاصر عن بلوغ مدارك الكمال، لأن الكمال لله وحده، وله الحمد والمن من قبل ومن بعد، أقول مثلما قال أحد الأدباء المسلمين وهو العماد الأصفهاني:

"وإني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر". وصدق الله سبحانه وتعالى حيث قال: وفوق كل ذى علم عليم"[2]. ومن اصدق من الله حديثاً"[3]. ومن اصدق من الله قيلاً"[4].

حافظ افتخار أحمد

١٩٩٦/٢/٣م.

---

(1) سورة الإسراء الآية : ٩.

(2) سورة يوسف الآية ٧٦.

(3) سورة النساء الآية ٨٧.

(4) سورة النساء الآية ١٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي حياته وآثاره العلمية:

الفصل الأول: ترجمة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

الفصل الثاني: مشايخه و تلامذته.

الفصل الأول

ترجمة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

و يشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: اسمه ونسبه ونشأته وتحصيله العلمي.

المبحث الثاني: آثاره العلمية. (مؤلفاته).

المبحث الأول

اسمه نسبه نشأته وتحصيليه العلمي

مديرية أعظم جره: (الهند)

إن مديرية " أعظم جره" تقع في الولاية الشمالية للهند وهذا اسم " أعظم جره" اسم جديد لهذه المديرية والمدينة التي سميت به. وهو مكوّن من كلمتين " أعظم" و جره" ومعناه"حصن". ويقول العلامة السيّد سليمان الندوي(١) في كتابه: " حياة شبلي": إن تخطيط أعظم جره جاء في عهد الاستعمار ولكنها معروفة منذ قديم الزمن. ولها قسمان، قسم قد استوطنت فيه الطبقة الهندوكية المعروفة" ب(راجبوت) و قسم آخر استوطنه المسلمون الذي هاجروا إليه من البلاد الإسلامية أو المدن الإسلامية، ولا يزالون موجودين باسم "الملكي"(٢).

وقد نالت " أعظم جره" شهرة عظيمة في تاريخ الهند لكثرة العلماء والباحثين ولكثرة المراكز الدينية والثقافية في مدنها وقراها، فلا نبالغ إذا نسميّناها " بأرض المفكرين والعباقرة". وهي اخصب المناطق الهندية من حيث كثرة العلماء والمفكرين والأدباء والخبراء في المجالات المختلفة.

وأهل " أعظم جره" معروفون بحب العلم والأدب. وتدل على ذلك كثرة المدارس والمراكز الثقافية والفكرية فيها. وفي قرية صغيرة مثل "مئو" توجد أكثر من خمس عشرة مدرسة عربية لتدريس اللغة العربية والعلوم الشرعية. وهكذا بقية المدن مليئة بالمدارس والمعاهد الإسلامية التي تنشر الإسلام والثقافة العربية والإسلامية. وفي " أعظم جره" قرية إسمها " مباركفور" قد حظيت بشهرة عظيمة لكثرة من ظهر بها من العلماء والباحثين والمحققين. ففيها ظهر المحدث الشهير العلامة عبدالرحمن المباركفوري(٣) أستاذ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في الحديث صاحب " تحفة الأحوذي في شرح الترمذي"(٤).

١- هو الشيخ الفاضل سليمان بن الحسن الحسين الزيدي البهاري أحد العلماء المبرزين في الفنون الأدبية. ولد في سنة ١٣١٢هـ. والتحق بدار العلوم ندوة العلماء في عام ١٣١٨هـ. وأكمل " سيرة النبي" التي بدأها العلامة شبلي. المتوفى١٣٧٣هـ. نزهة الخواطر٨/٦٨-١٦٣.

٢- حياة شبلي: لسيد سليمان الندوي، طبع دار المصنفين أعظم جره، الهند، ص-٥٥.

٣- نزهة الخواطر، لعبد الحي الحسني، أصح المطابع، كتب خانه تجارت، كراتشي-٨، ٢٤٣-٢٤٣. وسيأتي ترجمته في ذكر مشايخ الإصلاحي في الفصل التالي.

٤- طبع هذا الشرح في بيروت في ثلاثة عشر مجلداً ضخماً.

ومن أشهر العلماء في هذه المنطقة العلامة شبلي النعماني(٥) (ت:١٩١٤م) والمفسر الشيخ عبدالحميد الفراهي(٦)(ت:١٩٣٠م) شيخ الإصلاحي– والمحدث الكبير الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي(٧) والدكتور مصطفى الأعظمي(٨) حفظه الله. فهؤلاء معدودون من عباقرة الإسلام.

مولد الشيخ أمين أحسن الإصلاحي:

ولد الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بن الحافظ غلام مرتضى بن وزير علي بقرية "بمهور" من ضواحي "أعظم جره" في إقليم يو–بي الهند في عام ١٩٠٤م. ولم يذكر التاريخ مولده بالضبط(٩) وكانت أسرته متدينة معروفة بالعزة والشرف في القرية. وكانت تعرف قبيلته باسم "راجبوت" وكان والد الإصلاحي رجلاً فلاحاً وكان جو بيته جوا دينيا. وأهله كانوا يمتثلون بأوامر الله سبحانه وتعالى.

٥– أحد زعماء الفكر الإسلامي في الهند. وصاحب المؤلفات القيمة بالأردوية– منها: سيرة نعمان بن ثابت (أبو حنيفة) والفاروق– سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأكمله تلميذه الشيخ سيد سليمان الندوي وطبع في ستة مجلدات ضخمة. وتوفي في ١٩١٤، نزهة الخواطر ٨/.

٦– ولد الشيخ الفراهي في عام ١٢٨٠هـ في قرية "فرية" من ضواحي أعظم جره في إقليم يو–بي الهند. انتقل إلى جوار ربه في التاسع العشرين من جمادى الثانية عام ١٣٤٩هـ الموافق ١١–١١–١٩٣٠هـ. نزهة الخواطر ٨/٢٢٩–٢٢٨. وسيأتي ذكر الشيخ الفراهي مفصلا في تراجم مشايخ الإصلاحي في الفصل التالي.

٧– ولد الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في عام ١٣١٩هـ. وقام بتحقيق مسند حميدي، ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبدالرزاق. وتوفي في عام ١٤١٢هـ. "الحق" (جريدة شهرية) يونيو ١٩٩٢، ج٢٧، ش٩ ص:٤٩–٥١. تصدرها الجامعة الحقانية تحت إشراف الشيخ سميع الحق. من مدينة اكورة خٹك، قريب من مدينة بشاور في إقليم سرحد– نزهة الخواطر ٨/٢٩–٢٢.

٨– استاذ الحديث–سابق– بجامعة الملك السعود بالرياض. والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية. وقام بتحقيق ووضع فهارس لسنن ابن ماجة، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٩–٢٧٣هـ). وطبع هذا الكتاب في مجلدين وكذا فهارسه من شركة الطباعة العربية السعودية بالرياض. الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ–١٩٨٤، وتؤلف: "دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه" وبناء عليه أخذ شهادة الدكتوراة من جامعة كيمرج في عام ١٩٦٤.

٩– رسالة السيد جاويد أحمد الغامدي باسم الباحث ١٥ فبراير ١٩٩٠، "وتدبر تحت عنوان، تذكرة وتبصره، خالد مسعود مجلة رقم ٥٩ يناير ١٩٩٨، اداره تدبر قرآن و حديث. سمن آباد. لاهور.

دراسة الشيخ الإصلاحي:

بدأ دراسته الابتدائية في قريته حيث تعلم الكتابة القرآن الكريم وبعض كتب الفارسية الابتدائية. وعند ما بلغ عمره عشر سنوات والتحق بمدرسة الاصلاح(١٠)ب [سرائے مير] من ضواحي "أعظم جره" بمشورة أحد علماء قريته. وهذا كان في عام سنه ١٩١٤م. فأقام الشيخ في المدرسة المذكورة إلى عام سنه ١٩٢٢م. فتخرج في هذه المدرسة ونسب إليها ولذا يقال له: "الإصلاحي" نسبة إلى المدرسة المذكورة. وتتلمذ الإصلاحي على يد عدد من أساتذة مدرسة الإصلاح ولكنه تأثر باستاذه الكريم الشيخ عبدالرحمن النكرامي(١١) الذي رباه تربية حسنة من ناحية العلم والأخلاق. ويقول الشيخ الإصلاحي: "عند ما التحقت بمدرسة الإصلاح لم أكن مجتهداً في المطالعة والدراسة ولكن بسبب الشيخ عبدالرحمن النكرامي اجتهدت اجتهد في التعلم لا سيما في اللغة العربية والخطابة. ولكن الفلسفة والاقتصاد لم تكن من المواد المدرسية المحبوبة. لأجل ذلك كنت ضعيفاً في مادة "علم الميراث والفرائض". واشتهر الإصلاحي بالخطابة في هذا الزمن(١٢). وقد زار الشيخ "محمد علي جوهر" مدرسة الإصلاح فكلّف المشيخ الإصلاحي بإلقاء خطبة من قبل مسؤلي المدرسة نيابة عن طلاب المدرسة أمام الضيف الكريم. ففرح الشيخ محمد علي بخطاب الإصلاحي فوهبه الشيخ الفراهي مجموعة كتبه جائزة للإصلاحي(١٣).

الشيخ الإصلاحي كاتباً:

بدأ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي يكتب حول موضوعات مختلفة وهو طالب في

١٠- مدرسة الإصلاح أسست على يد الشيخ محمد شفيع (رحمه الله عليه) أحد أعضاء "جمعية إصلاح المسلمين" في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجرى في أرض غير ذى ذرع قريبا من بلدة سرائ مير من ضواحى أعظم جره بالهند. (مدرسة الإصلاح تاريخها ونظامها ومنهجها. ص:٤-٥، مطبعة الكوثر، سرائ مير، أعظم جره، الهند).

١١- ولد الشيخ عبدالرحمن فى قرية "نكرام" من ضواحى لكهنؤ بالهند فى عام ١٨٠٠م. ودرس فى ندوة العلماء بالكهنؤ. وبعد ما تخرج عين استاذا فى مدرسة الإصلاح ب (سرائے مير) أعظم فى عام ١٩١٨م-١٩٢٠م. وقد عمل فى جريدة "پيغام" فى عام ١٩٢٠م، التى يصدرها الشيخ أبو الكلام آزاد. ثم عين استاذ فى ١٩٢٠م فى ندوة العلماء. وتوفى بارس ١٩٢٦م. معاصرين. عبدالماجد الدريابادى. ترتيب حكيم عبد القوى، گلوب پبلشرز اردو بازار، لاهور، ص:٢٢٣-٢٢٦.

١٢- تدبر ص: ٣-٤.

١٣- المرجع نفسه ص:٤.

المدرسة. وعندما تخرج في المدرسة في عام سنه ١٩٢٢م طلب منه الشيخ "محمد مجيد حسن" أن يعمل في جريدة "مدينة" التى كانت تطبع بمدينة "بجنور" في إقليم يو-بي. وكان لهذه الجريدة دور كبير في مجال السياسة والأدب لمسلمي الهند. فعين الإصلاحي "نائباً لمدير" الجريدة المذكورة وكان ابن ثمانية عشرة سنة. وبقى الإصلاحي يعمل فى الجريدة سنتين ونصف وكان للشيخ محمد مجيد حسن مجلة أسبوعية للأطفال "باسم" غنجة فعين الإصلاحي مديراً لهذه المجلة.

وكانت هناك جريدة أسبوعية - تصدر باسم "سچ"(الصدق) تحت إشراف الشيخ عبدالماجد الدريابادى فعمل الإصلاحي في هذه الجريدة كذلك(١٤).

وعمل الإصلاحي مرة فى جريدة "الناظر" التى كانت تصدر تحت إشراف الشيخ ظفر الملك علوى والشيخ الدريابادى (١٦).

الشيخ الإصلاحي مترجماً عندما كان يعمل الشيخ الإصلاحى فى الجرائد والمجلات كاتباً قام بترجمة بعض الكتب العربية إلى الأرودية منها:

١- هندوستانى جاسوس. يشتمل هذا الكتاب على قصة العين الهندى الذى ذهب إلى تركيا ليقتل مصطفى كمال باشا(١٧) وقد طبعت هذا الكتاب مكتبة "جريدة" مدينة" (بجنور).

٢- تاريخ الإسلام للشيخ محى الدين الخياط(١٨). المؤرخ الشهير قام الإصلاحى بترجمته إلى الأردية في ثلاث مجلدات وقد طبعته المكتبة المذكورة أعلاها(١٩).

١٤- المرجع نفسه.

١٥- مجلة "ترجمان القرآن" الشهرية. تذكرة الشيخ أمين أحسن الإصلاحى، خورشيد أحمد، العدد: ٣، ج: ١٢٥. مارس ١٩٩٨. ادارة ترجمان القرآن، لاهور ص:٥٣.

١٦- المرجع نفسه، ص:٥٣.

١٧- مصطفى كمال اتاتورك ولد سنة ١٨٨٠، فى مدينة سلانيك (مدينة اليهود) حيث يقطنها ١٤٠ ألف منهم ٨٠ ألف من اليهود الاسبان و ٢٠ ألفا من يهود الدونمه (أى المتظاهرين بالإسلام) وفى الخميس ١٠ نومبر سنة ١٩٣٨ الساعة التاسعة وخمس دقائق رحل أتاتورك من الدنيا "المنارة المفقودة" الدكتور عبدالله عزام. مطبوعات مجلة الجهاد. الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.ص٧ و٦٤.

١٨- محى الدين بن أحمد بن إبراهيم الخياط، أديب، شاعر، كاتب، صحافى، مؤرخ، مشارك فى بعض العلوم ولد بصيدا فى رجب من أسرة مغربية. وتعلم بمدارس جمعية المقاصد الخيرية بصيدا و بيروت. ثم عين معلما فى مدارسها. وساهم فى تحرير جريدة الاتحاد العثمانى. وتوفى بيروت فى ١٣ جمادى الأول ١٣٣٢هـ. معجم المؤلفين، عمر رضا كحاله ٢٠٥/١٢.

١٩- مجلة "ترجمان القرآن"، ص٥٤.

الشيخ الاصلاحى مدرساً:

ثم تولى الإصلاحى التدريس فى مدرسة الإصلاح سنة ١٩٢٥، ودرس فيها الأدب العربى والتفسير والفلسفة والتاريخ وغيرها من المواد الدراسية (٢٠). ومع اشتغاله بالتدريس بدأ يتلقي علم التفسير على يد الأستاذ عبدالحميد الفراهى المعروف ب [حميد الدين] رحمه الله تعالى " الذى كان وحيد عصره. وبرع فيه ولم يزل ملازماً له إلى أن توفى – الفراهى – (١٣٤٩ - ١٩٣٠).

قام الإصلاحى بتأسيس باسم " الدائرة الحميدية " فى مدرسة الإصلاح – وأراد أن يهتم با لتهذيب والاشاعة لكتب الفراهى المخطوطة. وفعلاً قام بنشر كتب الفراهى وترجمتها إلى الأردية، وأصدر مجلة شهرية باسم "الإصلاح" نسبة إلى هذه المدرسة(٢١).

وظل الإصلاحى يصدر مجلة "الإصلاح" إلى عام ١٩٣٩م(٢٢).

وبعد وفاة الفراهى قصد الإصلاحى إلى الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى (٢٣) رحمة الله رحمةً واسعة وطيب الله ثراه

وكانت تشد إليه الرحال من الأقطار – فقرأ نخبة

الفكر فى مصطلح أهل الأثر" لابن حجر أحمد بن على العسقلانى (ت٨٥٢هـ)(٢٤) وجامع الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩–٢٧٩هـ)(٢٥)

٢٠– مجلة "تدبر"، ص:٦. ٢١– المرجع نفسه، ص:٦–٧.

٢٢– المرجع نفسه، ص:٧.

٢٣– ولد الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفورى ببلدة "مباركفور" سنة ١٢٨٣هـ. وتلمذ على يد الشيخ نذير حسين الدهلوى ثم تولى التدريس بالمدرسة الأحمدية بمدينة حيدر آباد. ثم انتقل إلى مدرسة دار القرآن والسنة فى كلكتة. ووافته المنية سنة ١٣٥٣هـ. نزهة الخواطر ٨/٤٣–٢٤٢.

٢٤– هو أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر من ائمة أهل العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث. وأصبح حافظ الإسلام فى عصره. الاعلام، خير الدين الزركلى، دار العلم للملايين. لبنان، ١٩٨٩م، ١/١٧٢.

٢٥– أنظر ترجمة الإمام ترمذى: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٦١٣، شذرات الذهب لابن العماد ٢/١٧٥–١٤٢، الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٧/٤٧٠، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ٩/٨٩–٣٨٧.

ويقول الإصلاحي: ... لحل مشكلة بمتن الحديث فيقول الشيخ المباركفوري: انظر في سنده. وبعد القاء النظر في سند الحديث أقول لأستاذي: سنده صحيح. فيقول الأستاذ: إذاً تقدم. ويقول الإصلاحي بعد هذا: "إنني تعلمت من دروس المباركفوري أن المحدثين يركزون على الاسناد فقط ولا يهتمون بتحقيق متن الحديث"(٢٦). وبقي الإصلاحي يدرس في مدرسة الإصلاح ويتعلم على يد شيخ المباركفوري إلى أن توفي الشيخ في عام ١٩٣٥م. وترك الشيخ الإصلاحي مدرسة الإصلاح في عام ١٩٤٣م.(٢٧).

وعند ماتأسست "الجماعة الإسلامية" في عام ١٩٤١م/ على يد الأستاذ أبي الأعلى المودودي (ت:١٩٧٩م)(٢٨) رغم أن الأستاذ الإصلاحي لم يشترك حفلة تأسيسها ولكن الشيخ منظور أحمد النعماني(٢٩) نشر اسمه في قائمة مؤسسي الجماعة. وكان المكتب الرئيسي للجماعة في دار الإسلام "پتهان كوت" بالهند. وطلب الشيخ المودودي من الإصلاحي أن ينتقل من "سرائے مير" إلى "دار الإسلام". فانتقل الأستاذ الإصلاحي إلى دار الإسلام عام ١٩٤٣م، واستقال من مدرسة الإصلاح بعد أن شعر ببعض الصعوبات. وظل الأستاذ المودودي نائباً له عند غيابه (٣٠). وظل الإصلاحي يدافع عن الجماعة الإسلامية ورئيسها وكتب حول عدة مقالات. ونشرت فيما بعد في كتاب باسم "تنقيدات" الذي سوف يأتي ذكره ضمن مؤلفات الإصلاحي.

٢٦- مجلة "تدبر"، ص:٦.

٢٧- المرجع نفسه.

٢٨- أحد زعماء الفكر الإسلامي بالشبه القارة الهندية، و صاحب مؤلفات عديدة و من اشهر مؤلفاته: "تفهيم القرآن" في ست مجلدات ضخمة وتوفي سنة ١٩٧٩م. مجلة "ترجمان القران". العدد ٣، ج١٢٥، مارس ١٩٨٨م، ص٥٣.

٢٩- أحد علماء البارزين بالهند، ولد في عام ١٣٢٣هـ-١٩٠٣م، والتحق بدار العلوم ديو بند في عام ١٣٤٣هـ وتخرج في عام ١٣٤٥هـ. وأصدر مجلة شهرية "الفرقان" في عام ١٣٥٣هـ، مدينة بريلي بالهند وله مصنفات عديدة: منها: ما الإسلام و الدين والشريعة. ماذا يقول القرآن؟ معارف الحديث وتوفي في عام ١٩٩٧م. تحديث نعمت (آپ بيتى) منظور أحمد النعماني ترتيب: عتيق الرحمن النعماني، قريشي پبلشرز لاهور، ط١، مارس ١٩٩٧م، ص١٢-١٠.

٣٠- مجلة تدبر، ص:٨.

انتقال الإصلاحى إلى باكستان:

بعد تأسيس باكستان فى عام ١٩٤٧م انتقل الإصلاحى مع اعضاء الجماعة الإسلامية من دار الإسلام (الهند) إلى لاهور، وبدأ العمل بمشروع علمى وهذا المشروع سبب تاليف كتابه: "الرياسة الإسلامية" وسيأتى ذكره فى مؤلفاته.

وفى عام ١٩٥١، عقدت أول انتخابات تشريعية برلمانية، وشاركت الجماعة الإسلامية فى هذه الانتخابات، ودعمت الإصلاحى أحد أعضائها الذين رشحوا أنفسهم.

ولكن لم ينجح أحد منهم، بل فشلت الجماعة كلها.

وفى عام ١٩٥٣، بدأت حركة ختم النبوة ضد القاديانية – الفئة الكافرة التى تتبع غلام أحمد القادياني الكذاب الذى ادعى النبوة – وكان زمام الحركة فى أيدى العلماء الكبار. وكان بعض أعضاء الحكومة من تلك الفئة الكافرة مثل "سر ظفر الله خان" الذى كان وزير الخارجية لجمهورية باكستان الإسلامية، وبدأت الحكومة الباكستانية تسجن العلماء وقادة الحركة المذكورة.

ومن بين هؤلاء القادة الشيخ الإصلاحى سُجن لمدة سنة ونصف. وبدأ الإصلاحى يفكر. وهو فى السجن. تأليف تفسير "تدبر قرآن" ووضع خطته الأساسية فى أيام السجن(٣١).

استقالة الإصلاحى عن الجماعة الإسلامية:

بعد تأسيس باكستان بدأت الجماعة الإسلامية تسهم فى السياسة، واختلف الإصلاحى مع الجماعة فى شئون السياسية الانتخابية، وكان رأى الشيخ الإصلاحى أن هذه السياسة تضر الجماعة ومقاصدها. ونتائج الانتخابات التى عقدت فى ١٩٥١، أيدت موقف الإصلاحى.

ومن هنا بدأ الخلاف بين الشيخ المودودى والإصلاحى، وحاول بعض أصدقاء الجماعة الصلح بين الرجلين. ومن بين هؤلاء المصلحين الأستاذ محمد بهاء الدين الأميرى – سفير سورية – ولكن لم ينتج هذا الجهد للصلح حتى استقال الأستاذ الإصلاحى من الجماعة فى آخر يناير بعام ١٩٥٨م. وبعد استقالته من الجماعة حضر الأستاذ المودودى وفاوض معه بالرجوع عن الاستقالة. وقاله الإصلاحى:

"أنا عرفتك وأنت عرفتنى، هذا فراق بينى وبينك وسبيلنا متفرق ولن نلتقى أبداً"(٣٢).

---

٣١ – المرجع نفسه، ص:٩. ٣٢ – المرجع نفسه، ص: ١٠.

وبعد استقاله من الجماعة بدأ الناس يستفسرونه عن أسباب استقالته وأجابهم فأقنعهم الإصلاحى بأسلوب حسن– وكذلك كتب عدة مقالات– التى نشرت فى مجلة "الميثاق" شهرية تحت إشراف الإصلاحى– حول الخلاف بينه وبين المودودى وبين وجهة نظره بغاية الوضوح. وبعد ذلك جمعت هذه المقالات فى كتابه: "مقالاتِ اصلاحى"(٣٣).

برنامج الإصلاحى لخدمة الدين:

وعند ما فرغ الإصلاحى عن الجماعة بدأ بتأليف تفسير كتاب اللّه العزيز الذى سماه "تدبر قرآن" ونشر بعض اجزائه فى مجله "المنبر" التى يصدرها الشيخ عبدالرحيم أشرف(٣٤) من مدينة "لائل بور"(فيصل آباد حاليا).

وبعد ذلك أصدر الاصلاحى مجلة شهرية باسم "ميثاق" فى يونيو عام ١٩٥٩ء. وفى عام ١٩٥٨ء بدأ الإصلاحى يدرس تفسير القرآن بعض الطلاب، وازداد عددهم حتى وصل إلى عشرين. وفى عام ١٩٦١ء درسهم الإصلاحى الأدب العربى و صحيحاً مسلماً. واستمرت حلقة تدريسه إلى عام ١٩٦٥ء. وفى هذا العام استشهد ابنه "أبو صالح" – مدير الجريدة اليومية "مشرق" التى كانت تصدر من لاهور– فى حادثة الطائرة المصرية. وتوقف تدريسه وتأليفه لشدة الغم والحزن فى نفس العام (٣٥).

وفى عام ١٩٦٧ء بدأ الإصلاحى يلقى المحاضراة الأسبوعية عن موضوع التفسير فى بيت صديقه– الدكتور اسرار أحمد. وهو الآن رئيس منظمة خدام القرآن بلاهور. وانقطعت هذه السلسة بعد مدة بسبب اختلافه الفكرى مع دكتور اسرار أحمد(٣٦).

وفى عام ١٩٧١ء أصيب الإصلاحى بمرض النسيان وقد فرغ من تفسير سورة بنى إسرائيل. وظل مريضا سنة ونصف حتى شفاه اللّه تعالى من هذا المرض. وفى يونيو ١٢٧١ء استطاع مرة أخرى أن يكتب بقية تفسيره(٣٧).

٣٣– هذا الكتاب مطبوع من مؤسسة فاران، لاهور.

٣٤– أحد زملا، شيخ الإصلاحى، مؤسس "جامعة التعليمات الإسلامية" بمدينة فيصل آباد وانتقل إلى رحمة اللّه تعالى ١٩٩٦ء.

٣٥– مجلة تدبر، ص:١٣. ٣٦– المرجع نفسه، ص:١٤–١٣.

٣٧– المرجع نفسه.

قيام الإصلاحى فى رحمن آباد:

لم يكن لشيخ الإصلاحى شغل مستقل الذى يسبب له لقضاء حوائجه وتحمل مؤنته– علماً بأن الشيخ كان مريضا وهو بحاجة ماسة للعلاج– وكانت لزوجته أرض ذراعية فى إقليم البنجاب بضواحى مدينة "شيخو بوره" بقرية اسمها "خانقاه دوگران" وبدلها الإصلاحى ب (رحمن آباد) بعد انتقاله فيها. وانتقل الشيخ فى القرية المذكورة. وبدأ يشرف على الأمور الزراعية. ويصرف بقية أوقاته فى تأليف. تفسيره "تدبر قرآن".

وكان يخطب الجمعة فى مسجد القرية المذكورة– ويساعد أهل القرية فى حل مشاكلهم الدينية والدنيوية. وفى عام ١٩٧٩ء مرضت زوجته ولم يجد الشيخ تسهيلات علاجها فى القرية وأجبرت الظروف الشيخ الإصلاحى للرجوع مرةأخرى إلى مدينة لاهور. واستمر الإصلاحى مشغولاً فى تأليف تفسيره حتى انتهى منه فى عام ١٩٨٠ء(٣٨) وفى ٢٩ رمضان ١٤٠٠ھ فرغ الشيخ من تفسيره وقال بعد هذا: "وبعد كتابة هذه الأسطر الأخيرة من تفسير "تدبر قرآن" وضعت رأسى امام اللّه سبحانه وتعالى ساجداً وشاكراً لنعمه علىّ وداعياً: اللهم لو وفقتنى لخدمة كتابك العزيز فتقبله منى واجعله سبباً لمغفرتى ولا اتمنى شيئاً غيره"(٣٩).

تأسيس مجمع تدبر قرآن و حديث: (محرم ١٤٠٠ھ–١٩٨٠ء).

وبعد أن انتهى الشيخ الإصلاحى من تأليف كتابه "تدبر قرآن" قام بتأسيس" مجمع تدبر قرآن وحديث": وانتخب الإصلاحى رئيساً للمجمع ولم يزل رئيساً من وقت تأسيسه إلى أن توفى صباح يوم الإثنين ١٥ دسمبر ١٩٩٧ء فى لاهور بعد عمر يناهز أربعا وتسعين سنة. انا للّه وانّا اليه رجعون(٤٠).

وكان يلقى الشيخ الإصلاحى المحاضرة الأسبوعية لتفسير القرآن الكريم. ومحاضرة فى الأسبوع حول موضوع "أصول الحديث" ونفس هذه المحاضرات الأخيرة نشرت فيما بعد فى كتاب باسم "مبادئ تدبر حديث" وكذلك درّس موطأ امام مالك كاملاً وجزء اً من صحيح البخارى(٤١).

٣٨– المرجع نفسه، ص:١٤

٣٩– المرجع نفسه، ص:١٧

٤٠– المرجع نفسه، ص:١٩.

٤١– المرجع نفسه، ص٢.

وأهم الأعمال التى قام بها المجمع هو إصدار مجلة شهريةً بإسم "تدبر" ودروس الإصلاحى المذكورة لا تزال تنشر فى هذه المجلة. وكان الشيخ خالد مسعود(٤٢)– الباحث المتقاعد فى مكتبة قائد أعظم بلاهور تلميذ الإصلاحى الخاص مديراً لهذه المجلة. ويؤدى دوراً كبيراً لتطوير ونشر الفكر الفراهى والإصلاحى رحمهما الله رحمة واسعة.

وكان الشيخ الإصلاحى عالماً جليلاً معروفاً وأديباً فذاً بين قراء اللغة الأردية فى شبه القارة الهندية كلها. وقام بدور مهم فى نشر معارف القرآن وتوجيه المثقفين إلى حقيقة دين الإسلام.

سبب عدم لقائى بالشيخ الإصلاحى:

وفى عام ١٩٩٠، كتبت الرسالة إلى شيخ الإصلاحى طلبت منه أولاً ترجمته مفصلاً. والشيخ كان مريضاً فى ذلك الوقت ولم يستطع أن يكتب شيئاً ولكن بغاية المن والاحسان وجّه رسالتى إلى تلميذه جاويد أحمد الغامدى(٤٣) ليجيبنى. وكتب تلميذه ترجمته بغاية الاختصار وقائمة مؤلفاته(٤٤).

ثانياً استأذنت الشيخ الإصلاحى عدة مرات لزرياته واستعراض بعض المسائل العلمية ومناقشتها. وأجابنى تلميذه الآخرالشيخ خالد مسعود أن الشيخ مريض لا يستطيع الكلام لأنه مصاب بمرض الفالج وثانياً عنده لا حقة ثقل السماعة. لأجل ذلك انتظرت حتى يشتفى الله من هذه الأمراض. ولا زلت أكتب إليه وكان يعتذر عذر المرض عذراً مقبولاً. ولأجل أمراض الإصلاحى لم اتمكن لقائه.

الشيخ الإصلاحى لم يرجع عن موقفه أبداً:

١– عند ما كان يكتب الإصلاحى تفسير "تدبر قرآن" قد قام بطبعه الشيخ الدكتور إسرار أحمد تحت اشراف مكتبة منظمةخدام القرآن بلاهور حتى وصل الإصلاحى إلى تفسير سورة النور. وبين فيه وجهة نظره "حول مسألة الرجم". وكان الدكتور إسرار أحمد من بين هؤلاء الذين اختلفوا مع موقف الإصلاحى من المسألة المذكورة وطلب منه الرجوع عنه (٤٥). ولكن عندما

٤٢– المرجع نفسه، ص:١٩ وسيأتى ذكره ضمن تلامذة الإصلاحى ان شاء الله.

٤٣– سوف يأتى ذكره ضمن تلامذة الإصلاحى ان شاء الله.

٤٤– رسالة السيد جاويد أحمد الغامدى باسم الباحث ١٥ فبراير ١٩٩٠م.

٤٥– دعوت رجوع إلى القرآن كا منظر و پس منظر–د–إسرار أحمد، مكتبة منظمة خدام القرآن، لاهور، ١٩٩٠م، ص١٨١.

أصر الإصلاحى على موقفه فاعتذر الدكتور إسرار أحمد لمزيد من نشر تفسيره ولم ينشر أى جزء هذا التفسير من هذه المكتبة.

٢- الشيخ عبدالغفار رحمانى(٤٦) والد صهيب حسن "مقيم حالياً فى انجلترا- حكى لى فى لقاء معه فى إسلام آباد فى عام ١٩٩٠، أنه عقب الإصلاحى على موقفه من مسألة الرجم فى الإسلام- وكتب مقالاً تحت عنوان: "استدراك"(٤٧). وأرسله إلى الإصلاحى لينظره ويرجع عن موقفه وينشره فى مجلته-تدبر- ولكن الإصلاحى انكر الرجوع عن موقفه ورده إليه مقاله واعتذر بنشره فى المجلة.

٣- عندما أصر الإصلاحى على موقفه من مسألة الرجم فقال له أحد أصدقائه أنه خلاف المصلحة. فأجابه الإصلاحى:

"بينى وبينك اختلاف أصولى ولا أجبرك أن تقبل رأى. لأنى لو اخترت رأيا فاخترته نظراً لأدلته لا على الرجال. وأنت تعتمد على الرجال وتجعل الدليل بدرجة ثانية. لأجل ذلك لا ألوم عليك".

أولا: هذه قضية طبيعية.

ثانيا: مسئوليتى تختلف عن مسئوليتك.

لو اتضح الحق علىّ بعد التحقيق فلا بد علىّ أن أظهره عند الضرورة ولو يؤدى إلى اعدامى(٤٨).

هذا الجواب فى الحقيقة يساعدنا لفهم منهج حياته. ويكفى هذا القدر من الأدلة أن الإصلاحى لم يرجع عن موقفه أبداً. ولم يستعد أن يسمع خلافه.

موقف الإصلاحى عن مناصب الحكومة:

لم يكن الشيخ الإصلاحى يحب الشهرة ولا المناصب الحكومية بل يبتعد عنها بقدر الإمكان. وفى عام ١٩٥٦، شكلت الحكومة الباكستانية "لجنة القانون الإسلامى" فعين الإصلاحى

٤٦- انظر ترجمته فى كتابه: عظمت حديث مكتبة دار العلم، اسلام آباد، ١٩٩٠م.

٤٧- وطبع هذا المقال كجزء فى كتابه: "عظمت حديث" وطبع هذا الكتاب فى مكتبة دار العلم باسلام آباد سنة ١٩٩٠م.

٤٨- مجلة "تدبر" ص، ٢٤ -

عضواً لهذه اللجنة. وبقى فيها سنتين. ينظر إلى أعضاء اللجنة ومقاصدها وطرق عملها حتى وصل الإصلاحى إلى نتيجة أن الحكومة ليست مخلصة فى تنفيذ القانون الإسلامى. وتحاول عند تشكيل مثل هذه اللجنان أن لا يتم أمرها بطريقة صحيحة ولأجل ذلك تعين أعضائها الذين يختلفون فى أفكارهم فيما بينهم. فاعتذر الإصلاحى عن قبول أى منصب فى الحكومة بعد هذا(٤٩).

وفى عام ١٩٦٠، قام محمد أيوب(٥٠). الرئيس لباكستان السابق– فى الانتخاب لرئيس الجمهورية. وعينت بعض منظمات السياسية الباكستانية "فاطمه جناح"(٥١)– الشقيقة لمحمد على جناح المؤسس لجهورية باكستان– مقابل لأيوب لمنصب رئاسة باكستان. ومن بين المنظمات الجماعة الإسلامية التى أيدت "فاطمه جناح" وكتب أهل الجماعة الإسلامية تائيداً لها. وقام الإصلاحى بمخالفة موقف الجماعة لتأييدها لفاطمة جناح. ونشرت مقالات الإصلاحى فى مجلة "ميثاق" ولم يكتب الإصلاحى هذه المقالات لتأييد محمد أيوب مباشرة ولكنه حصل الفائدة منها وقامت الحكومة بنشرها وتوزيعها طول الدولة الباكستانية.

وعند ما انتخب محمد أيوب رئيساً لجمهورية باكستان نتيجة الانتخاب وجاء بمدينة "لاهور". ولقى مع الشيخ الإصلاحى وقدم له كلمة الشكر والتحية على أنه أيده لحصول هذا المنصب الجليل. وقال أيوب للإصلاحى إن الحكومة تريد أن تستفيد من فضيلتكم وتعطيكم منصباً مهماً الذى يليق بشأنكم المؤقر..علماً الشيخ الإصلاحى كان بحاجة ماسة من ناحية مالية وأجابه الإصلاحى:

" ما ايدتك بكتابة حول موضوع ورئاسة المرأة والذى كتبت كتبته نظراً إلى مسئوليتى الدينية. ولذلك لا أريد منكم جزاء ولا شكوراً بل اعتذركم بشكر جزيل"–(٥٢)

٤٩– مجلة "تدبر" ص:٢٢، ٢١.

٥٠– ولد محمد أيوب فى قرية "ريحانة" من ضواحى هزارة فى إقليم سرحد عام ١٩٠٧م. ودرس فى جامعة على جره بالهند. والتحق بالعسكر الهندى عام ١٩٢٨م، وعين وزيراً للدفاع عام ١٩٥٤م. وفاز على منصب الرئاسة بعد عزله رئيس سكندر مرزا عام ١٩٥٨م. وعين رئيساً مرة أخرى عام ١٩٦٥م. واستقال عن رياسة الدولة ٢٦ مارس ١٩٦٩م. وتوفى فى ٢٠ ابريل ١٩٧٤م باسلام آباد عاصمة باكستان ودفن فى قريته يراجع موسوعة الشخصيات مقصود اياز محمد ناصر. شعاع ادب، لاهور، ٨، ط:١–١٩٨٧م، ص:١٠١.

٥١– ولدت الأنسة فاطمة جناح فى ٣١ بوليو سنة ١٨٩٣م بكراتشى ودرست وعاشت يتيمة منذ طفولتها فتولى أخوها محمد على جناح مؤسس باكستان بتربيتها وقد قامت بتأدية خدماتها الخالصة الرابطة المسلم الباكستان للنسا. وقد وقفت

٥٢– "تدبر" ص: ٢٢.

٢- وفى عام ١٩٧٤، عندما كان يسكن الإصلاحى فى قرية "رحمن آباد" جاء إليه مسئول حكومة باكستان وقال: إن حكومة السيد ذوالفقار على لبوتو(٥٣)- الذى كان بيده زمام الحكومة- تريد أن تقدم جائزة لخدماتكم الدينية الجليلة. فقال له الإصلاحى: "كلما فعلت حتى الآن فكان ذلك لتأدية الواجب نحو الدين الإسلامى لا للحصول على الجائزة. "وما اسئلكم عليه من أجران اجرى إلا على رب العالمين"(٥٤).

٣- فى شهر أغسطس عام ١٩٧٧م أرسل الجنرال محمد ضياء الحق(٥٥) الشيخ ظفر أحمد الأنصارى(٥٦) إلى الإصلاحى ليهيئه بقبول منصب عضو فى اللجنة الاستشارية (مجلس الشورى) التى يريد ضيا، الحق تشكيلها فى باكستان.

فاعتذره الإصلاحى لأسباب تالية:

١- إننى مريض بثقل السماعة لو لم استطع أن اسمع شيئا غيره فلا أرى مناسباً أسمع غيرى.

٢- إننى مشغول فى تأليف تفسير "تدبر قرآن" ولا أريد أن اتوجه إلى شىء آخر الذى يشغلنى عنه.

٣- إن الجنرال محمد ضياء الحق جاء فى الحكومة لثلاثة أشهر فقط. ولما ذا يريد أن يتدخل فى شئون طويلة. وتدخله فى مثل هذه الشئون غير مناسبة عندى(٥٧).

٤- ذات مرة حضر الجنرال محمد ضياء الحق لزيارة الإصلاحى فى لاهور وقال: أريد أن أقدم إليكم مساعدةمالية. لو تتفضل لقبولى مساعدتنا فهى سعادة لنا". فأجابه الإصلاحى: أنا رجل درويش. فليس لى أية ضرورة ولا حاجة. اعطانى الله سبحانه وتعالى كل شىء(٥٨). فاعتذر

= فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٥م ضدّ محمد أيوب خان الرئيس الباكستانى السابق ولكنه الم تفز بسبب تزوير أيوب خان. وتوفيت فى ٩ يوليو ١٩٦٧م بكراتشى. موسوعة قائد أعظم، زاهد حسين انجم، مقبول اكادمى، لاهور، ١٩٩١م، ص:٤٩٣.

٥٣- ذوالفقار على بوتو مؤسس حزب الشعب الباكستانى ورئيس مجلس الوزراء وقد أعدم بعد قضاء المحكمة العليا الباكستانية بسبب جريمة قتله نواب محمد أحمد خان، سنة ١٩٧٩م. ودفن بمدينة "گرهى خدا بخش" السند.

٥٤- مجلة تدبر، ص:٢٢.

٥٥- الجنرال محمد ضياء الحق الرئيس الباكستانى السابق الذى استشهد فى حادثة الطيارة العسكرية (C١٣٠) فى قرية "لال كمال" (بهاولفور) ١٧ أغسطس ١٩٨٨م. ودفن بجوار مسجد الفيصل إسلام آباد.

٥٦- ظفر أحمد انصارى، أحد زعماء السياسة والدين فى شبه القارة الهندية. توفى باسلام آباد ٢١ دسمبر ١٩٩١م.

٥٧- مجلة تدبر ص:٢٣.

٥٨- المرجع نفسه.

الشيخ الإصلاحى عن قبول أية مساعدة مالية وأى منصب من قبل الحكومة الباكستانية سواء كان فى زمن محمد أيوب أو فى زمن ذوالفقار على بوتو أو فى زمن محمد ضياء الحق. فيتضح لنا من هذا شخصية الإصلاحى كعالم مخلص مبتعد عن الشهرة والمناصب العليا فى الحكومة ومقتنع وشاكر لله سبحانه وتعالى على ما اعطاه من العلم والفضل والصحة والسلامة والسداد والرشاد. وفي الحقيقة هذا هو شأن العلماء المخلصين فى كل زمان ومكان. رحمهم الله رحمةً واسعة.

موقف الإصلاحى بعد استقاله من الجماعة الإسلامية:

كان الاختلاف بين الإصلاحى والمودودى حول عدة مسائل منها مسئلة الحجاب والقومية المسلمة والإسلامية وشرط القرشية للحاكم وبعض مباحث الحديث التفصيلية ومسئلة الرجم. وهذا الاختلاف كان على المستوى العلمى ومثل هذا الاختلاف كان بين العلماء والفقهاء للأمة المسلمة. رغم هذا الإختلاف كانت هناك علاقة الاحترام والاكرام بين الإصلاحى والمودودى. ولذا لا يزال أعضاء الجماعة يستفيدون من كتب الإصلاحى كما كانوا يستفيدون منها حينما كان مرتبطاً بالجماعة ولا تزال كتبه من ضمن مقررات الجماعة. وكذلك الإصلاحى رغم استقاله عن الجماعة يقول: إن الجماعة الإسلامية هى جماعتى وأنا كنت فيها سبعه عشرة سنة. ونجاتها وفوزها فى أى معركة هو فوزى وظفرى. وفشلها هو فشلى. وهذه هى الجماعة التى ترجون منها إحقاق الحق وإبطال الباطل ولكن لكل هذا لا بد لأعضائها أن يعرفوا قدرهم ومنزلتهم (٥٩).

وفى عام ١٩٧٩، عندما توفى الشيخ المودودى حضر الشيخ الإصلاحى فى المكتب الرئيسى الجماعة الإسلامية فى "منصوره" مدينة لاهور- تأسف على موته وقال مراراً: ذهب اليوم صديقى". وعندما سأله الصحفى عن المودودى فقال: ما تعرفون منزلته؟ ذهب الرجل الذى كان عارف بطبيعة الرسول". وقال: الناس لا يعرفون شخصية المودودى(٦٠). فأين الآن مثله؟ وقال مرة لأحد تلامذته: لو تريد أن تفهم الإسلام فعليك قراءة كتب المودودى. ولو تريد أن تخدم الإسلام بالكتابة فعليك أن تتبع طريقة كتابة المودودى الداعية(٦١).

٥٩- مجلة "تكبير أسبوعية" ج٨ العدد٢، ٢٩ مايو ١٩٨٦م. مجلة ترجمان القرآن، شهرية، ص:٥٠-١٩٩٨.

٦٠- المرجع نفسه، ص:٥١.

٦١- المرجع نفسه.

هذا خير دليل على أن هناك علاقة الاحترام والتقدير بين شخصيتين عظيمتين لا زالت قائمة حتى بعد الفراق بينهما. وكل واحد منهما يذكر الآخر بغاية الاحترام والمحبة. ولذا بعد وفاة الإصلاحى طلب ورثائه من أمير الجماعة الإسلامية حاليا- قاضى حسين أحمد" أن يصلى الجنازة عليه. حيث اشركت فيها أعضاء الجماعة. وظنوا و أحسوا أنفسهم أنهم أصبحوا يتيماً مرة أخرى(٦٢) وكانت مرة أولى بعد وفاة أبى الأعلى المودودى رحمه الله رحمة واسعة.

أولاد الإصلاحي: خلف الشيخ الإصلاحى ثلاث بنين وهم:

١- أبو صالح، أديب، صحافى، استشهد فى حادثة الطائرة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م.

٢- أبو سعد اصلاحى: هو يسكن فى قرية بمهور فى ضواحى أعظم جره بالهند. ويشرف على الأمور الذراعية وهو حى- يرزق حتى كتابة هذه الأمطر ١٩٩٩/١٢/٢٧م.

٣- أبو سعيد اصلاحى: كان يعمل فى مجلس البنوك الباكستانى. وعين رئيساً لبنك القومى- وتقاعد من رياسئة بنك. وهو حى يرزق. ويسكن حالياً فى مدينة لاهور (٢٧-١٢-١٩٩٩م)(٦٣)

٦٢- المرجع نفسه، ص: ٥٢.

٦٣- رسالة خالد مسعود باسم الباحث ٢٠ دسمبر ١٩٩٩م.

المبحث الثاني:

آثاره العلمية.

المبحث الثاني:

آثاره العلمية.

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عالم كبير بحق، شغل أوقاته بالمفيد النافع له و لأبناء مجتمعه، و كان متفرغاً لطلب العلم، و تعليمه، و التصنيف فيه، و كانت لزوجته أرض الزراعية تدر عليه من المال ما يكفي لتغطية حوائجه،، الأمر الذي جعله يتفرغ للتصنيف والتأليف.

و هنا أسرد مؤلفاته على سبيل الإجمال ثم أفصل الحديث عن بعضها.

١- تدبر قرآن.

٢- مبادئ تدبر قرآن.

٣- مبادئ تدبر حديث.

٤- حقيقة الشرك والتوحيد.

٥- حقيقة الصلاة.

٦- حقيقة التقوى.

٧- الدعوة إلى الدين وأسلوبها.

٨- التدوين للقانون الإسلامي.

٩- الدولة الإسلامية.

10- حل ا ختلاف الفقهية في الدولة الإسلامية.

١١- تزكية النفس.

١٢- مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي.

١٣- أحكام الحجاب في القرآن الكريم.

١٤- نقديات.

١٥- توضيحات.

١٦- التعليق على تقرير قانون الأسرة.

١٧- مقالات الإصلاحي.

١٨- المسائل الأساسيَّة للفلسفة في ضوء القرآن الكريم.

١٩- تفهيم الدين.

١: تدبر قرآن:

وهو من أبرز مؤلفات الإصلاحي. طبع عدة مرات. أولاً طبع في ثماني مجلدات كبار ثم في تسع مجلدات متوسطة الحجم. و هو موضوع بحثنا.

١- ستمبر ١٩٦٧م مركزي انجمن خدام القرآن لاهور.

٢- يناير ١٩٧٣م

٣- أغسطس ١٩٧٦م

٤- فبراير ١٩٨٢م - ١٤٠٢هـ مؤسَّسة فاران. ٢٢- لاهور.

٥- يونيو ١١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ. مؤسَّسة فاران.-٢٢ لاهور.

٢: مبادئ تدبر قرآن: (٦).

كتب الشيخ عبد الحميد الفراهي تفسيراً لبعض سور القرآن الكريم و سماه: "تفسير نظام القرآن".

و قام الإصلاحي بترجمته إلى الأردية و نشره في مجلة "الإصلاح" ثم كتب فيها عدة مقالات بيَّن فيها أصول التفسير عند شيخه- الفراهي-. و طبعت

---

(٦) هذا الكتاب طبع عدة مرات.

١- ابريل ١٩٥١م. مكتبة مركزي انجمن خدام القرآن. لاهور.

٢- مايو ١٩٥٢م

٣- ابريل ١٩٧١م

٤- يونيو ١٩٨٥م.

٥- مؤسَّسة فاران. لاهور.

سماه

هذه المقالات فيما بعد باسم "تدبر قرآن". و بعد مدة نشرت في كتاب/"مبادئ تدبر قرآن". و كان يريد الإصلاحي أن يجعل هذا الكتاب مقدمة لتفسيره-تدبر قرآن-ولكنه لم يفعل لوجود التكرار فيه.

هذا الكتاب يشتمل على قسمين:

الأول: يشتمل على عناوين أساسيَّة وهي:

١: الشروط المبدئية لفهم القرآن.

٢: تدبر قرآن.

٣: تيسير القرآن.

ذكر الإصلاحي تحت العناوين المذكورة ما ذكره في مقدمة تفسيره مع بعض الفروق بينهما-

الثاني: ألقى الإصلاحي محاضرة في جامعة بنجاب ١٥-دسمبر ١٩٥١م لطلاب الماجستير في الدراسات الإسلامية تحت عنوان: "أصول التفسير". ونشرت هذه المحاضرة في آخرالكتاب و لذا نجد التكرار فيه واضحاً-

وذكر الإصلاحي طرقاً عديدة للتفسير مثل طريقة المحدثين وأهل الرواية، وطريقة المتكلمين، وطريقة المقلدين، وطريقة المجددين مع النقد والتحليل لهذه الطرق . وبعد ذلك ذكر الأصول الصحيحة للتفسير-عنده-وقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: الأصول القطعية للتفسير وهي أربعة:

١: اللغة العربية.

٢: نظم القرآن- (اتساقه)-

٣: تفسير القرآن بالقرآن.

٤: تفسير القرآن بالأحاديث المتواترة.

القسم الثاني: الأصول الظنيَّة للتفسير وهي

١: الأحاديث وآثار الصحابة.

٢: أسباب النزول.

٣: تاريخ الأمم السابقة.

٤: الكتب السماوية السابقة.

٣: تدوين القانون الإسلامي:

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها الإصلاحي في الكليات و الجامعات الحكومية. وهي تتضمن المواضيع والأبحاث الآتية:

أولاً: تكلم عن الفرق الأساسي بين القانون الإسلامي والقانون الوضعي مع ذكر المقارنة بينهما.

ثانياً: ذكر التطور في القانون الإسلامي وارتقاءه مع ذكر دائرة المباحات في الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: تكلم عن مصادر القانون الإسلامي. وأن معظم علماء الإسلام رتبوها على هذا الوجه الكتاب، و السنّة، والإجماع، والقياس. ولكن الإصلاحي لم يرض بهذا الترتيب بل يقول إن المصدر الثالث هو: الاجتهاد، بدلاً من الإجماع.

وكذلك لم يرض بأن يعدّ "القياس" كمصدر رابع للقانون، بل يقول إنه ليس مصدراً مستقلاً، بل هو طريقة من طرق الاجتهاد الذي هو مصدر ثالث للقانون في الإسلام.

وكذلك ذكر "العرف" و "المصلحة" في جملة مصادر القانون الإسلامي. هذا مصادر القانون عنده هي القرآن، والسنّة، والاجتهاد، والعرف، والمصلحة.

رابعاً: تكلم عن الاجتهاد وأهميته وضرورته وشروطه. والرأي الشخصي من الناحية الشرعية. والإجماع في عصرنا الحاضر ومفهوم "المعروف" و "المصلحة".

خامساً: تكلم عن تدوين القانون الإسلامي ونقد القوانين الوضعية مثل القومية و اللادينية و قال: "لو أردنا التدوين للقانون الإسلامي فلابد من سعة الفكر و العلم و التوجيه لتعليمه ونظمه حتى يكون بعيداً عن التأثر الغربي".

سادساً: أهمية الاجتهاد في العصر الحاضر.

هذه المحاضرة ألقاها الإصلاحي في كلية القانون بلاهور في ١١-يناير ١٩٦٠م. وبيّن فيها أهمية الاجتهاد ثم أعرب عن أمنيته في تدوين "موسوعة للقوانين الإسلامية". و أن الأمة بحاجة ماسة إليها في عصرنا. وقال: إن هذا لا يمكن إلا بالاستناد إلى أمهات الكتب الفقهية جميعاً.

٤: الدولة الإسلامية (٧).

يشتمل هذا الكتاب على خمسة أجزاء:

الجزء الأول: تكلم الإصلاحي فيه عن المباحث الأساسية للتصور الإسلامي عن الدولة. و نيابة عن وشروط الخلافة، وشرط القرشية-

الجزء الثاني: اشتمل على الحقوق والواجبات لسكان الدولة الإسلامية. فيتكلم عن الشرائط لسكان الدولة بالاختصار ثم تكلم عن حقوقهم أن لهم حقاً لملكية ذاتية و حرية شخصية ودينية و غيرها ثم بيّن فرائضهم منها السمع و الطاعة لأولي الأمر والتعاون على البر والتقوى والتضحية المالية والجسدية للحفظ والدفاع عن الدولة. وفي نهاية هذا الجزء ذكر حقوق وفرائض النسوة.

الجزء الثالث: تحدث الإصلاحي فيه عن حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية:

---

(٧) ١: هذا الكتاب طبع أول مرة ١٩٧٧م. مكتبة مركزي انجمن خدام القرآن. لاهور.
٢: طبع مرة ثانية تحت إشراف مؤسسة فاران. لاهور.

أولاً: تكلم عن أهل الصلح و حقوقهم في ضوء سيرة الرسول-صلى الله عليه وسلم-.
ثانياً تكلم عن أهل الذمة، وأرضهم، والخراج، والجزية وحقوقهم المالية و المذهبية والشخصية. ثم حاول الإجابة عن بعض الإشكالات التي تتعلق بأهل الذمة في الدولة الإسلامية. وبعد هذا تكلم الإصلاحي عن الحكم الشرعي لغير المسلمين بباكستان و حقوقهم. وفي النهاية تحدث عن مسؤلية الحكومة الإسلامية في الأمور الفقهية أو المنهج الذي ينبغي للحكومة أن تختاره في الأمور المذكورة.

الجزء الرابع: بيَّن فيه المؤلف شروط الإطاعة وحدودها في الدولة الإسلامية. فتكلم عن نظام الطاعة في الإسلام، والخلافة الراشدة وسماتها وشروط الإطاعة. ثم تكلم عن صور إنحراف الحكومة عن طريق النبوة وأحكامها.

الجزء الخامس: بيَّن الإصلاحي فيه مسؤلية الموظفين وأوصافهم في الدولة الاسلامية:

أولاً: تكلم عن التصور الإسلامي للمنصب أنه أمانة وطالبه خائن و محروم من نصرة الله.

ثانياً: تحدث عن أوصاف المسؤلين والعمَّال في الدولة بأن يكونوا قدوة للآخرين وأن يتصفوا بالحلم والجود والتنزه عن الانتقام والغضب ويحرصوا على الاستقامة دائما والتمسك بالكتاب والسنَّة.

٥: منهج الدعوة إلى الله: [٨]

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات كتبها الإصلاحي في الفترة ما بين محرم الحرام ١٣٦٥هـ وجمادي الأولى ١٣٦٦هـ. وقد نشرت تباعاً بمجلة "ترجمان القرآن".

---

[٨] قد طبع هذا الكتاب عدة مرات. و قام دار نشر الكتاب الإسلامي، بالكويت بطبعه باللغة العربية.

وماذا أراد المؤلف بهذا الكتاب؟ لنستمع إليه وهو يقدم/ويعرف الكتاب به وبمنهجه فيه:

"وقد حاولت في هذا الكتاب تفهيم وتقريبه منهج الدعوة والتبليغ لدى الأنبياء إلى الأذهان، فقد التوت طريقة الدعوة والتبليغ في أذهان الناس اليوم، و أصبحوا ينظرون إليها بمنظار محدود قاصر ، فقد عرضت الدين في هذا الكتاب كنظام شامل متكامل كما هو في الواقع، ومن هذه الرؤية الواقعية الصحيحة للدين انطلقت إلى تفصيل و إيضاح متطلبات و مراحل الجهود والمحاولات التي يجب القيام بها من أجل تحقيق هذا النظام وجعله واقعاً حيًّا متمثلاً في حياة الناس.

وقد أسّست كل فصل من فصول الكتاب على دلائل محكمة من القرآن الكريم. وقد التجأت إلى الأحاديث الصحيحة لإيضاح الفكرة كلما شعرت بالحاجة إلى ذلك، وإني لآمل أن الذين يمعنون دراسة هذا الكتاب، سيجدون وسيلة إلى فهم القرآن-وتلك هي قيمة الكتاب - بالإضافة إلى الإطلاع على المباحث التي يتناولها الكتاب ابتداءً".

هكذا يعرّف الإصلاحي بكتابه بما لا يحتاج/معه إلى مزيد من التفصيل. وألف هذا الكتاب بالأردية وقام سعيد الأعظمي الندوي ونور عالم الندوي بتعريبه.

٦: حقيقة الشرك والتوحيد:

بيّن الإصلاحي فيه حقيقة الشرك و أقسامه ثم فصل الكلام عن أسبابه و بعد ذلك تكلم عن مخاطبي القرآن الكريم ومسؤليتهم مستشهداً بالأدلة العقلية والنقلية. ثم ذكر تعريف التوحيد وأهميته وضرورته للحياة الإنسانية.

٧: حقيقة التقوى:

بيّن الشيخ الإصلاحي فيه معنى التقوى لغةً واصطلاحاً في ضوء القرآن الكريم و نقد أفكار الناس الخاطئة عن معنى التقوى و حقيقتها ثم تكلم عن آثارها وثمارها في الحياة الإنسانية.

٨: مقالات الإصلاحي:

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة مقالات الإصلاحي. رتبه الأستاذ خالد مسعود [٩]. و يشتمل على أربعة مباحث:

١: الأسوة الحسنة: تحدث الشيخ الإصلاحي فيه عن سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم.

٢: أسباب استقالته من الجماعة الإسلامية. وفي هذا المبحث ثمان مقالات. بيّن فيها أسباب الخلافات الأساسية و الأصولية التي تسبب -في رأى الإصلاحي-تقسيم الجماعة ونتيجة لذلك تركها الإصلاحي وغيره من علماء الجماعة في سنة ١٩٥٧م.

٣: منهجه لإصلاح المجتمع وفيه إحدى عشرة مقالة.
تكلم الإصلاحي فيها عن طرق إصلاح المجتمع في ضوء القرآن والسنّة ودعم موفقه بالأدلة العقلية. وفي آخرها تحدث عن حاجة إنشاء المؤسّسة التعليمية لأداء مسؤلية خدمة الإسلام.

٤: أسباب تأثر المسلمين بالثقافة الغربية. وذكر في هذا المبحث مقالتين:

١: تأثرهم بالفلسفة الجديدة و علومها. تحدث فيه الإصلاحي عن المثقفين الذين يُوالون شعائر الإسلام.

٢: تحديد النسل وموقف الشريعة منه: نقد الإصلاحي أحد المقال بالعنوان المذكور نقداً علمياً و رداً جميلاً في ضوء الأدلة النقلية و العقلية.

٩: حل الخلافات الفقهية في الدولة الإسلامية:

يشتمل هذا الكتاب على ثمانية أبواب. تكلم الإصلاحي فيه عن حياة مسلمي القرن الأول و بعد ذلك أشار إلى التغيير في عمل الأمة الذي وقع بعد تدوين الحديث والفقه. وحاول أن يبين و يبرز الأسباب للخلافات الفقهية مع ذكر حلها بحيث أن الأمة/ العمل بها إذا التزمت فإنه يمكنها

---

[٩] باحث في مكتبة القائد الأعظم لاهور. و مدير مجلة "تدبر" شهرية، تصدرها إدارة تدبر قرآن و حديث لاهور.

الرجوع إلى المكانة المفقودة.-وهي مكانة القيادة والسيادة للأمة-وعن وضع الفرق في الدولة الإسلامية ثم تكلم عن جهود العلماء السابقة لتدوين القانون الإسلامي.

١٠: توضيحات:

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من مقالات كتبها الإصلاحي حيناً فحيناً إما جواباً لسؤال أو نقداً لاعتراض أو لبيان حقيقة مسألة علمية.

و هذه المقالات على ثلاثة أنواع.

١: المسائل القرآنية.

٢: مسائل الحديث والسنّة.

٣: المسائل الاجتماعية والثقافية والفقهية.

معظم المسائل في القسم الأول كتبها الشيخ في تفسيره-تدبر قرآن-ونشرت في مجلة "الإصلاح"[١٠]وكذلك في الكتاب المذكور.

تكلم الشيخ الإصلاحي في القسم الثاني عن مفهوم الحديث والسنّة وموقف الجماعة الإسلامية منها.

و أما القسم الثالث فتحدّث فيه عن المسائل المختلفة مثل مسألة التمليك في الزكاة، و أحكام الحجاب - و قد طبع هذا المقال في كتاب مستقل كذلك -و الشورى و أهميتها، و تدوين القانون في الإسلام، و مصارف الزكاة، و غيرها في ضوء النقل و العقل.

أصول نجاحها:

١١: الدعوة الإسلامية و/

هذا الكتاب عبارة عن ثلاث مقالات حول الدعوة الإسلامية.

١: الدعوة الإسلامية وطرقها لأبي الأعلى المودودي.

د تعريف نشر مع بحثين آخرين في كتاب «الدعوة الإسلامية ومتطلبات بقاء».

---

(١٠) مجلة شهرية كان الشيخ الإصلاحي يصدرها من مدرسة الإصلاح ، سرائ مير أعظم جره. الهند.

٢ :الدعوة الإسلامية وأصول نجاحها للشيخ الإصلاحي.

٣: الدعوة الإسلامية ومسؤلية حامليها لمحمد طفيل.

تكلم الإصلاحي فيه عن عقائد الإسلام مثل الإيمان بالله و بالرسالة و بالقرآن و غيرها ثم تحدث عن مسؤلية المسلمين في معركة الحق و الباطل مع بيان أقسام المسلمين. و بعد ذلك بيّن أهداف تأسيس الحركة الإسلامية. ثم تعرض/عن متطلبات النجاح. (في أداء المسؤلية).

١٢: تنقيدات:[١١]

هذا الكتاب عبارة عن المقالات النقدية التي كتبها الإصلاحي حول مائة من المسائل السيا سية والاجتماعية والثقافية والفقهية والعقائدية و غيرها.

يشتمل هذا الكتاب على خمس مقالات:

المقالة الأولى: تكلم الشيخ الإصلاحي فيها عن موسى عليه السلام و أجاب لسائل عنه هل كان زعيماً قومياً أو نبياً و رسولاً؟ فرد الشيخ رداً جميلاً بالأدلة القاطعة.

المقالة الثانية: تحدث فيها عن الحكم هل هو لله أو للجمهور؟

المقالة الثالثة: هذه المقالة عبارة عن أجوبة الإصلاحي عن الاعتراضات على الجماعة الإسلامية.

المقالة الرابعة: أصدر بعض العلماء فتوى ضد الجماعة الإسلامية و كتب بعد هذا الشيخ منظور أحمد النعماني [١٢] مقالاً ينصح فيه المفتيين بجانب و زعماء الجماعة بجانب آخر. فتكلم الإصلاحي على هذا المقال و قدم وجهة نظره.

---

[١١] طبع هذا الكتاب عدة مرات:
١: ١٩٥٥م. ٢: ١٩٧٣م. ٣: ١٩٨٧م. اسلامك پبليكيشنز لاهور.
٢: مؤسسة فاران. لاهور.

[١٢] أحد العلماء البارزين في الهند. مؤلف "معارف الحديث" و مدير مجلة شهرية "الفرقان بلكنؤ. الهند.

المثال الخامس: قدم أحد أعضاء البرلمان "المسودة" القانونية المتعلقة بقانون الأسرة. فنقدها الإصلاحي من الناحية الشرعية.

١٣: مبادئ تدبر حديث:

هذا الكتاب عبارة عن محاضرات ألقاها الإصلاحي تحت إشراف "مؤسسة تدبر قرآن وحديث" ولعدة مدة رتبها.

يشتمل هذا الكتاب على عشرة أبواب:

ذكر الإصلاحي في الباب الأول الفرق بين الحديث و السنّة و قسمي الحديث أو الخبر وهما: بيان

١: الخبر المتواتر. ٢: الخبر الواحد.

ذكر تعريفهما ثم ذكر درجات أخبار الأحاديث من حيث القبول و الرد. و اعتمد فيه على "الكفاية في علم الرواية" للخطيب البغدادي. ولا يعترف الإصلاحي بوجود الخبر المتواتر[١٣].

تحدث الإصلاحي في الباب الثاني عن علاقة القرآن مع الحديث و السنّة.

إن الحديث لا يكون ناسخاً للقرآن و يقول يمكن أن يكون تخصيص القرآن بالحديث في بعض الأحيان لا في جميعها. و لذا يقول بتخصيص آية السرقة برواية عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**تقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً**"[١٤]. و كذلك بتخصيص آية الميراث برواية أسامة ابن زيد أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "**لا يرث المسلم الكافر و لا الكافر المسلم**"[١٥]. و لا

---

[١٢] مبادئ تدبر حديث: ص ٢٠.

[١٤] سنن أبي داود: كتاب الحدود. باب ما يقطع فيه السارق. و موطأ إمام مالك: باب : ما لا قطع فيه. ص:٦٩٩-٧٠٠.

[١٥] صحيح البخاري: كتاب الفرائض. باب: لا يرث المسلم الكافر و لا الكافر المسلم.

يقول بتخصيص آية حكم الزاني و الزانية بالرواية التي اتفق عليها الشيخان بل يقول إنه نسخ و لا يجوز نسخ القرآن بالحديث عنده أبداً.

الباب الثالث: تكلم فيه الإصلاحي عن الأصول الأساسية لتدبر الحديث.

الباب الرابع: تحدث فيه عن الميزان حيث يمكن لنا به الفرق بين صحيح و سقيم.

الباب الخامس: تكلم فيه عن عدالة الصحابة مع ذكر تعريف/ في ضوء القرآن و الحديث و آراء المحدثين.

الباب السادس: تحدث فيه عن سند الحديث مع ذكر بعض النواحي الضعيفة له.

الباب السابع: تحدث فيه عن رواية/ بالمعنى و بعض مضمراته ثم تكلم عن اهتمام الرواية باللفظ.

الباب الثامن: تحدث فيه عن حجية أخبار الآحاد في ضوء أقوال الأئمة.

الباب التاسع: تكلم فيه عن أسباب وضع الحديث و رد العلماء على واضعيها.

الباب العاشر: تكلم فيه عن طرق تدبر الحديث، ثم ذكر تعريفاً موجزاً بأمهات كتب الحديث مع ذكر خصائص موطأ إمام مالك. ومكانة الصحيحين مع ذكر خصائصهما.

١٤: تفهيم دين:

هذا الكتاب عبارة عن المراسلات التي كانت بين الإصلاحي وعامة الناس.

فهذا كان كنزاً مدفوناً في أوراق مجلة "ميثاق" فقام الأستاذ خالد مسعود مدير مجلة "تدبر" -بترتيب هذا المواد.

ويشتمل هذا الكتاب على خمسة أجزاء:

الجزء الأول إشتمل على موضوعات/ بالقرآن، تكلم فيه الإصلاحي عن الآيات المتشابهات و آيات الناسخة و المنسوخة/ والربا، و تنظيم النسل، و سجدة التعظيم، و موقف الشريعة من غلاف الكعبة و حدود تعظيمها. و آخيراً تكلم عن الملائكة، هل هم مكلفون أم لا؟

الجزء الثاني: تحدث فيه عن الحديث و السنّة مع ذكر/سنّة الخلفاء الراشدين.

الجزء الثالث: عن فلسفة الدين مع ذكر الفطرة الإنسانية و علاقتها بالعقائد و العبادات مع السيرة و السلوك.

الجزء الرابع: عن النظام الاجتماعي للإسلام و ذكر فيه الاجتهاد و الإجماع. و مفهوم الشورى و أهميته في الإسلام. ثم تكلم عن طلب المناصب في الدولة الإسلامية.

تكلم في الجزء الخامس عن أمور عامة تتعلق بالقوم و الملة مثل المنظمات الإسلامية في باكستان. و الخلافات بين الفرق الإسلامية. وفي النهاية تكلم عن غلام أحمد برويز[١٦]- أحد منكري الحديث-وكفره مع المقارنة بينه وبين سيّد أحمد خان[١٧].

١٥: تزكية النفس:

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة محاضرات/الإصلاحي في البرامج التربوية المختلفة. و طبع جزءه الأول في عام ١٩٥٧م الذي يشتمل على تزكية العلم. و أراد المؤلف أن يكتبه في ثلاثة أجزاء، و لكن لم يصدر منه سوى جزئين -

و قال الإصلاحي، إن هذا الكتاب تلخيص أفكاري - فذكرت فيه روح الدين و الشريعة -

و يشتمل الكتاب على جزئين:

١: تزكية العلم. ٢: تزكية العمل.

تكلم الإصلاحي في الجزء الأول عن أهمية تزكية النفس و ضرورتها. ثم تكلم عن مفهومها اللغوي و غرضها- ثم تحدث عن تزكية

---

(١٦) هو غلام أحمد برويز (المولودسنة ١٩٠٣م- والمتوفى سنة ١٩٨٥م) مجلة طلوع اسلام. مارس ١٩٨٥م ص: ٢٠. من منكري الحديث النبوي واشتهرت طائفة من الناس المنتسبين إليه باسم: فرقة البرويزية.

(١٧) هو السيّد أحمد خان المشهور بسر سيّد أحمد خان. المولود سنة ١٨١٢م- المتوفى سنة ١٨٩٨م. المؤسس لجامعة مسلم علي جره، بالهند. حيات جاويد لالطاف حسين حالي: ص ٣٩. مطبعة نامي لاهور.

العلم و ذكر المصدر الحقيقي للعلم و مفهوم معرفة الله تعالى و طريقة تحصيلها عند الفلاسفة و المتكلمين و الصوفية و نقدها مع ذكر المسلك الصحيح. وبعد هذا ذكر أصول تدبر القرآن و آدابه و شروطه. و ذكر هذا الموضوع في كتابه "مبادئ تدبر قرآن" و قد كرر في مقدمة تفسيره كذلك.

ثم تكلم عن سيرة الرسول و علاقتنا به حيث ذكر أربعة أشياء:
الإيمان، و الطاعة، و الاتباع ثم محبته. وبعد هذا ذكر موانع العلم مثل حب الدنيا، والكبر، والعصبية الجاهلية ثم الغفلة.

ثم تحدث عن آفة العلم مثل اتباع الهوى، والبدعة و تحريف (الدين) و كتمان الحق و غيرها. و بعد هذا ذكر العلاج لجميع الآفات المذكورة.

و تكلم في الجزء الثاني عن تزكية العمل مع ذكر دوافعه. ثم تكلم عن الصلاة و أوقاتها و الإنفاق و آفاتها مثل المنّ و الانتقام و الرياء مع ذكر علاجها. و كذلك تكلم عن الصوم و الحج مع ذكر الآفة لكل منهما وعلاجها.

و الشيء الذي يجعل القارئ في حيرة هو استشهاده بالأحاديث النبوية و أقوال الصحابة بحيث قل ذكرها في تفسيره. وليته اختار هذا الأسلوب في تفسير كتاب الله العزيز.

١٦: **المسائل الأساسية للفلسفة في ضوء القرآن الكريم:**

هذا الكتاب عبارة عن محاضرات الإصلاحي/ألقاها تحت إشراف "مجمع تدبر قرآن و حديث". ونشرت في مجلة "تدبر" وبعد ذلك رتبها الأستاذ خالد مسعود و محبوب سبحاني/في كتاب.

وهو يشتمل على ستّة أبواب:

١: ذات الله تعالى وصفاته.

٢: مكانة الإنسان في الدنيا.

٣: (مفهوم) الخير والشر.

٤: (مفهوم) الجبر و الاختيار.

٥: (مفهوم) الجزاء في الآخرة.

٦: مفهوم النبوة.

تكلم الإصلاحي في كل باب من الأبواب المذكورة عن آراء الفلاسفة ثم نقدها في ضوء القرآن الكريم و أثبت بطلانها بالأدلة و في آخرها قال: إن ما ذكره (القرآن) هو الحق و الصواب. و اعتمد الإصلاحي في بيان آراء الفلاسفة على كتابين:

1: The basic Teachingsof gr eat philisophers by: S. E. Frost.

2: Theory of phisoph y by: Wil Durant.

١٧: مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي:

تكلم الإصلاحي في هذا الكتاب عن الوسائل التي قدمها علماء الغرب ومفكروه لتحرير المرأة ثم أبطلها بالدلائل النقلية والعقلية مع ذكر النتائج السيئة التي ترتبت في المجتمع الغربي على تحرير المرأة. و ذكر بعد ذلك حقوق المرأة و فرائضها في ضوء القرآن و السنة. و كذلك ذكر حقيقة الحجاب و حدوده و بسط الكلام فيه. و حاول المؤلف أن يشير إلى الأمور التي تقوم المرأة بدورها في مجال الحياة و الأمور التي لا تشترك فيها.

١٨: أحكام الحجاب في القرآن الكريم:

هذا المقال طبع في كتابه "توضيحات" تحت العنوان نفسه مرة في عام ١٩٥٦م ثم طبع في كتاب مستقل في عام ١٩٨٢م.

تكلم الإصلاحي فيه عن أحكام الحجاب في ضوء القرآن الكريم و أقام الحجة على الذين ينكرون وجوده في القرآن الكريم. و قال: إن أحكام الحجاب في القرآن على ثلاثة أنواع:

١: الأحكام التي فيها خطاب لأزواج النبي صلى الله عليه و سلم و بواسطتهن حكم للمؤمنات و هي في سورة الأحزاب: الآيات: ٣٢-٣٣.٥٣ -٥٥.

٢: الأحكام التي فيها خطاب لعامة المؤمنات مع أهل البيت و هي في سورة الأحزاب: الآية: ٥٩.

٣: الأحكام التي فيها حكم للرجال و النساء من المؤمنين و المؤمنات. و هي في سورة النور الآيات: ٢٧-٣١. ٥٨-٦٠-٦١. [١٨] .

---

[١٨]: أحكام الحجاب في القرآن الكريم: للإصلاحي: ص: ٧.

الفصل الثاني:

ثقافة الشيخ الإصلاحي

ويشتمل هذا الفصل عل مبحثين:

المبحث الأول: مشايخ الإصلاحي.

المبحث الثاني: تلامذة الإصلاحي.

المبحث الأول:
مشايخ الإصلاحي.

إن الطالب-يأتي في الغالب-صورة مصغرة أو مكبرة عن شيوخه-والمشايخ الحقيقيون هم الذين ينقشون في ذهن الطالب وحسّه المعاني والعلوم والآداب، فيصبح العلم الذي يتلقاه طاقة تحركه، و تدفعه إلى الأمام في واقع الناس، ولا يورثونه العلم الذي يتوقع به في زوايا المساجد أو المعاهد لا يكاد يجاوز ذلك.

والمشايخ الذين تلقى عنهم الإصلاحي العلم كانوا ذوي التأثير المعروف في شبه القارة الهندية علماً و عملاً، و شهد لهم بأدوار عظيمة في مسرح الحياة.

و سأجمل ذكر هؤلاء المشايخ:
وقد تتلمذ الإصلاحي على يد كثير من العلماء و لكن نكتفي بذكر اثنين منهم .

ترجمة الشيخ عبد الحميد الفراهي (المعروف بحميد الدين الفراهي).

ولد الشيخ عبد الحميد الفراهي في قرية "الفريها" [١] في عام ١٢٨٠هـ الموافق ١٨٦٢ء. أي بعد ست سنوات من الثورة الهندية الكبرى. وقد سمّاه أبواه ب{حميد الدين}[٢].

دراسته:

بدأ الشيخ الفراهي دراسته في بيته و قد حفظ القرآن الكريم، و بعد ما أكمل حفظه بدأ يدرس اللغة الفارسية، لأنها كانت لغة الدراسات الإسلامية في ذلك العصر. و قد أعطاه الله ذهناً قويًا، و فكراً متيناً فنبغ في مدة قصيرة في الفارسية و الأدب الفارسي، وحصلت عنده ملكة شعرية جعلته ينظم القصائد في الفارسية. يقول العلامة السيّد سليمان الندوي في ترجمته: "و برع فيها وعرض قصيدة صعبة الرديف بارىٰ فيها شاعر الفارسية الزائح الصيت خاقاني الشرواني[٣] فأتى فيها بما أعجب الشعراء.[٤]

و كان عمره حين ذلك ست عشرة سنة. و أصدق شاهد على ذلك إن الشيخ شبلي النعماني و ابن خاله قد عرض هذه القصيدة على أديب

---

(١) قرية "فريها" تقع في ضواحي "أعظم جره" -إحدى مديريات القارة الهندية تقع في الولايات الشمالية - على بعد عشرة كيلو مترات، و التاريخ يسكت عنها و لعل سبب ذلك يرجع إلى عدم ظهور شخصية فيها كبيرة في العلم و الأدب، و إن لم تخل من المثقفين ثقافة عادية و لكن قدر الله لها أن يلمع نجمها في وقت فاقت شهرتها. شهرة المدن الكبيرة، لا في الولاية الشمالية فحسب بل في الهند كلها، وذلك بفضل الله ابنها العبقري العلامة حميد الدين الفراهي. (مولانا حميد الدين فراهي كي جائے پيدائش لور ان كى نسبت: د: شرف الدين اصلاحى: ص١٣٦.١٣٥. مجلة علوم القرآن: يوليو_ ديسمبر ١٩٨٥ء.اعظم جره).

(٢) قال بعض الناس إن اسمه عبد الحميد و قال الآخرون إنه حميد الدين، و سبب هذا الاختلاف أنه كان يكتب اسمه عبد الحميد، و لكنه يدعى بين الناس ب{حميد الدين}. و الشيخ السيّد سليمان الندوي يبيّن سبب هذا الاختلاف و يقول: "إن إسمه كان "حميد الدين" و لكنه لقب حسب القواعد العربية فكان يعتبر نفسه دون هذا الإسم تواضعاً منه و لذلك يكتب إسمه في مؤلفاته "عبد الحميد". (ترجمة الشيخ الفراهي: لسيّد سليمان الندوي: ص:٢.

(٣) هو شاعر إيراني من اب إسمه "علي" و من جارية نسطورية ابتاعها أبوه من سوق النخاسة ولد في غنجاسة في عام ١١٠١ء و توفي في عام ١٢٠٠ء.

(٤) مقدمة ديوان الفراهي: "نواى بهلوي" للشيخ بدرالدين الإصلاحي:ص١.

العصر في الفارسية والعربية-الشيخ فاروق-وسأله عن صاحبها فأجاب الشيخ:لا أعرف صاحبها ولكن الأسلوب والخيال يدلان على أن صاحبها من فحول الشعراء القدامى[٥].

وبعد أن أتم الفراهي دراسته الابتدائية خرج من بيته إلى أخيه العلامة شبلي النعماني وكان من نابهي الذكر في الهند. وكان شبلي يحب الفراهي غاية الحب لما عرف ذكائه فدرس عليه العربية وقد اعتنى به شبلي النعماني اعتناءً بالغاً. وكان المنهج الدراسي في ذاك الوقت يحتوي على الفلسفة والمنطق والنحو والبلاغة والأدب، فدرس الفراهي هذه العلوم على الشيخ شبلي في مدة قصيرة وحصل القدرة على الكتابة والقراءة في اللغة العربية.

وعند ما قام شبلي برحلة علمية خرج معه الفراهي أيضاً وكانت "لكناؤ" عاصمة الولاية الشمالية مركزاً علمياً و كان الشيخ أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي[٦]. يعقد حلقته المشهورة التي ينساب إليها الطلاب من أنحاء البلاد، فالتحق بها الفراهي و درس على عبد الحي الفقه الإسلامي في مدة قصيرة و في أثناء قيامه بلكناؤ اتصل الفراهي بالأديب الكبير خواجه عزيز الدين عزيز اللكنوي[٧] الذي كان مدرساً بكلية الملك الفارسية. و كان أديباً في اللغة الفارسية فاستفاد منه الفراهي و أصبحت بينهما علاقة ودية راسخة إلى أن فرق الموت بينهما[٨].

و بعد ذلك توجه الفراهي إلى "لاهور". و كانت بها كلية شهيرة "كلية العلوم الشرقية" و كان يُدرِّسُ فيها العلامة فيض الحسن السهارنفوري الذي كان يرجع إليه العلماء فضلاً عن الطلاب. فتتلمذ له الفراهي واستفاد منه -

---

(٥) ترجمة الفراهي: للشيخ أمين أحسن الإصلاحي:ص ٢٢.

(٦) هو محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم الأنصاري الهندي، عالم بالحديث و التراجم من فقهاء الحنفية.(ت:١٣٠٤هـ). انظر ترجمته في "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" للشيخ عبد الحي الحسني. تم بمراجعته و إكماله الشيخ السيد أبو الحسن علي الندوي - ٨/٣٩-٢٣٤ -

(٧) هو خواجه عزيز الدين كان شاعراً. أديباً". (ت:١٣٣٣هـ-١٩١٥ء) اردو جامع انسائيكلو بيديا "عزيز" حرف:ع.

(٨) معاصرين: لعبد الماجد دريابادي، ص ١٢١-١٢٢. مجلس نشريات اسلام، كراتشي.

و لا تعرف مدة إقامة الفراهي بلاهور غير أنه قد حصلت بينه و بين شيخه علاقة ودية راسخة و كان الفراهي متأثراً جداً بأستاذه، و لم ينسه طول حياته.

وكان الشيخ فيض الحسن يحترم الفراهي غاية الاحترام. و كان يفتخر بأن مثل الفراهي من تلاميذه. و قد أهدي إليه نسخة من شرحه للمعلقات السبع الطوال و كتب عليه كلمات تذكارية تبيّن مدى حبه لتلميذه الجليل الوفي. فكان الفراهي يحتفظ بها كشيء نادر و ظل محافظاً عليها إلى أن لقي ربه.

و بعد أن أكمل الفراهي الدراسة الفارسية و العربية بدا له أن يتعلم اللغة الإنجليزية رغم أن دراستها كانت تعتبر بمثابة الكفر في ذلك الوقت عند المسلمين و لكن الفراهي أثبت أن اللغة الإنجليزية و الثقافة لا بد من تعلمها لأبناء المسلمين لأن الدفاع عن الإسلام واجب كما أن نشر الإسلام و تعاليمه لا يمكن إلا بعد الجمع بين العلوم القديمة العربية و الحديثة الغربية إذ كان ذلك العصر عصر الانتقال من طور إلى طور و كان أهل الغرب نبغوا في الفلسفات الحديثة و أوجدوا علوما تقوم على التشكيك في العلوم الإسلامية عامة و العقائد خاصة. و قد تأثر الجيل الجديد من المسلمين بالثقافات الغربية و آراء علماء الغرب حيال الإسلام و ثقافته فكان من الضروري توجيههم توجيهاً سليماً و ذلك لا يمكن إلا بعد الوقوف الكامل على مناهج أهل الغرب في البحث و التفكير. و كانت طريقته الوحيدة، التعمق في الثقافة الغربية ففتح الشيخ الفراهي بإلتحاقه بكلية "علي جره الإسلامية" الباب المغلق أمام أبناء المسلمين.

و في سنة ١٨٩٢م حصّل الفراهي شهادة الليسانس في اللغة الإنجليزية من جامعة إله آباد بدرجة إمتياز مع مرتبة الشرف في الفلسفة الحديثة.

و يقول عن الشيخ الفراهي صاحب نزهة الخواطر:"ثم تولى التدريس في مدرسة الإسلام بكراتشي فدرس بها زماناً. ثم ولى في المدرسة الكلية بعلي جره، ثم بإله آباد. ثم سافر إلى حيدر آباد و تصدر بدار العلوم و أقام بها مدة من الزمان، ثم اعتزل عنها و لازم

بيته ببلدة أعظم جره. عاكفاعلى المطالعة و التأليف، و أسّس في سرائ ميرٌ قريباً من قريته مدرسة سمّاها "مدرسة الإصلاح" من أكبر مقاصدها تحسين طريقة تعليم العربية والاختصاص في علوم القرآن. و أنتخب رئيساً للجنة دار المصنفين.

و هو من كبار العلماء له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، و قدرة كاملة في الإنشاء و الترسل، و تورد إلى معارفه و أصحابه مع جودة فهم، و وفور ذكاء، و زهد و عفة، و شهامة نفس و انجماع، لا سيما عن بنى الدنيا و عدم الاشتغال بما لا يعنيه[٩].

وفاته:

كان رحمه الله منقطعاً إلى البر من العمل حتى أتاه الأجل في التاسع والعشرين من جمادي الثانية عام ١٣٤٩هـ-الموافق ١١-١١-١٩٣٠م.فانتقل إلى جوار ربه غريباً في مدينة "متور" كعبة الوثنيين في الهند. كان ترسل إليها عليلاً ليستشير طبيباً نطاسيًا من أبناء بلدته فلم ينجحه الدواء و لم يرزق الشفاء و خابت العملية التي قام بها الطبيب. و كان يتلو القرآن حين فاضت نفسه[١٠]. رحمه الله رحمة واسعة و طيّب الله ثراه.

مؤلفاته:

لم يكن الشيخ الفراهي مصنفاً محترفاً بل كان همه إصلاح المسلمين عن طريق إصلاح العلماء إذ بيدهم زمام أمور المسلمين كما جاء في وصفهم أنهم " ورثة الأنبياء". و قد أراد الشيخ الفراهي أن يكتب في جميع العلوم التي لها علاقة بكتاب الله و اختار اللغة العربية ليكتب فيها، فهي اللغة الموصلة إلى فهم الإسلام و هي لغة علماء المسلمين المشتركة و لغة كتاب الله و سنّة رسوله صلى الله عليه و سلم.

---

(٩) نزهة الخواطر: ٨/٢٢٨-٢٢٩. و معاصرين: ص ١٢٣-

(١٠) إمعان في أقسام القرآن: ص ٨.

الكتب المطبوعة:

أولاً: كتُب التفسير و علوم القرآن:

١: تفسير نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان:

هو عبارة عن تفسير آية البسملة و الفاتحة، و الزاريات، و التحريم و القيامة، و المرسلات، وعبس، والشمس، والتين، والعصر، والكوثر، والكافرون.

وقد طبع هذا التفسير في حياة الفراهي و بعد حياته مراراً. كما أن الشيخ الإصلاحي قد ترجمه إلى اللغة الأردية. و طبع الآن بإسم:"مجموعة تفاسير الفراهي".

٢: الإمعان في أقسام القرآن.

٣: التكميل في أصول التأويل.

٤: دلائل النظام.

٥: أساليب القرآن.

٧: مفردات القرآن.

٨: الرأي الصحيح في من هو الذبيح[١١].

١٠: في ملكوت الله.

ثانياً: كتب العقائد:

١: القائد إلى عيون العقائد.

٢: مقالة في الشفاعة و الكفارة. (باللغة الإنجليزية)

ثالثاً: كتب في اللغة و البلاغة.

١: جمهرة اللغة.

٢: أسباق النحو.

---

[١١] قام الشيخ أمين أحسن الإصلاحي بترجمته إلى الأردية و هو مطبوع و متداول بين أيدي الناس، و قد طبعته مؤسسة فاران بلاهور.

و كتب أخرى:

١: ديوان/بالفارسيه. شعره

٢: خرد نامه: الزاهد واحد

هذه اللآلي والدرر/منثورة في مخطوطات/وجمعها في سلك/الشيخ بدر الدين الإصلاحي كانت وقام بطبعها من الدائرة الحميدية في سنة ١٣٩١هـ.

الكتب المخطوطة:

مصنفاته و رسائله التي لم تطبع إلى الآن. و هي محفوظة في الدائرة الحميدية ب{سراى مير}[١٢] الهند:-

١: كتاب الرسوخ في معرفة الناسخ و المنسوخ.

٢: الأزمان و الأديان.

٣: إحكام الأصول بأحكام الرسول.

٤: حجج القرآن.

٥: الرائع في أصول الشرائع.

٦: أسباب النزول.

٧: الإكليل في شرح الإنجيل.

٨: القسطاس.

٩: تاريخ القرآن.

١٠: أوصاف القرآن.

١١: فقه القرآن.

١٢: رسالة في إصلاح الناس.

---

[١٢] إسم قرية بضواحي أعظم جره بالهند.

١٣: فلسفة البلاغة.

١٤: سليقة العروض.

١٥: النحو الجديد.

١٦: حكمة القرآن.

١٧: الإشراق في الحكمة الأوحى من حقائق الأمور و مكارم الأخلاق.

١٨: تزكية الروح:

١٩: الدرالنضيد في النحو الجديد.

٢٠: مختارات من الشعر العربي[١٣].

٢١: كتاب العقل و ما فوق العقل.

٢٢: النظر الفكري حسب الطريق الفطري[١٤].

الشيخ عبد الرحمن المباركفوري:

و قد تتلمذ الشيخ الإصلاحي على يد الشيخ عبد الرحمن المباركفوري و قرأ عليه سنن الترمذي.

و لد الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ببلدة مباركفور[١٥] سنة ثلاث و ثمانين و مأتين وألف.

وبدأ دراسته الابتدائية على والده -الشيخ عبد الرحيم-. ثم سافر إلى دهلي و أخذ الحديث عن الشيخ نذير حسين الدهلوي. ثم ولى التدريس بالمدرسة الأحمدية ببلدة آره. فدرس و أفاد زماناً.

---

(١٣) الإمام حميد الدين الفراهي و منهجه في التفسير و آراءه في مباحث علوم القرآن": ص:٥٧. بحث أعده أشهد جمال . كلية الشرعية وأصول الدين. دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ. الهند. ١٩٨٧م.

(١٤) منهج الشيخ حميد الدين الفراهي في تفسيره "نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان". (رسالة الماجستير: أعدتها: الطالبة: ياسمين ملك. كلية أصول الدين، قسم التفسير والحديث. الجامعة الإسلامية العالمية، بإسلام أباد. ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

(١٥) مباركفور: هي قرية من ضواحي أعظم جره.(التي تقع في الولاية الشمالية بالهند).

ثم انتقل إلى مدرسة دار القرآن و السنّة في كلكتة[١٦] و درس بها مدة. ثم اعتزل التدريس و انقطع إلى التأليف. وأقام عند الشيخ شمس الحق العظيم آبادي ثلاث سنين وأعانه في تكميل "عون المعبود" شرح سنن أبي داود. ثم رجع إلى بلده "مباركفور" و لزم بيته. و اشتغل في التصنيف و التأليف و الدرس والإفادة.

و أسّس مدارس دينية في "مباركفور" و في مدن أخرى بالهند.

و ألف "تحفة الأحوذي" شرح جامع الترمذي[١٧]. و أفرد جزأً بالمقدمة، و قد وقع هذا الكتاب من علماء هذا الشأن موقعاً كبيراً.

وكان شديد الانتصار لأهل الحديث، كثير الرد على الحنفية. كفّ بصره في آخر عمره. و وافته المنية في السادس عشر من شوال سنة ثلاث و خمسين و ثلاث مائة و ألف.[١٨] رحمه الله رحمة واسعة و طيّب الله ثراه و جعل الجنة مثواه. آمين.

---

(١٦) هي مدينة مشهورة بالهند.

(١٧) و هذا الشرح طبع في بيروت في ثلاث عشرة مجلدات ضخمة.

(١٨) ملخص من نزهة الخواطر: ٨/٢٤٢-٢٤٣. لعبد الحي الحسني الندوي. (ت: ١٣٤١هـ-١٩٢٣م). نور محمّد أصح المطابع. مكتب كتب التجارة، كراتشي. ١٣٩٦هـ-١٨٧٦م.

المبحث الثاني:
تلامذة الشيخ الإصلاحي.

تتلمذ على يد الإصلاحي كثير من العلماء الأفذاذ، و نفع الله به الجم الغفير من طلبة العلم فأصبح من طلبته العلماء والفقهاء، والكتّاب والدعاة.

وكان من جملة من أخذ عنه، وانتفع به، وتخرّج عليه الشيخ صدر الدين الإصلاحي.

نبذة عن حياة صدر الدين الإصلاحي ودراسته:

الشيخ صدر الدين الإصلاحي ابن الحافظ الجليل أحمد، من أبرز تلامذة الإصلاحي ولد في سنة ١٩١٦م في قرية "سيدها سلطان فور" من ضواحي أعظم جره الهند.

وبدأ دراسته الابتدائية في المدرسة الحكومية في قرية "بندول". ثم التحق بالمدرسة المتوسطة في "بلريا كنج" وتخرج فيها في سنة ١٩٢٩م. والتحق بعد التخرج منها بمدرسة "الإصلاح" ب{سرائ مير} من ضواحي أعظم جره، وظل يدرس بها من سنة ١٩٢٩م إلى سنة ١٩٣٧م.

بعد تخرجه من مدرسة "الإصلاح" انضم إلى جماعة الأستاذ أبو الأعلى المودودي ب{جمال فور} (پٹهان كوٹ الهند) في معهد دار السلام. ثم انتقل معه إلى لاهور حيث عمل باحثاً بقسم البحث والتأليف وفي آخر سنة ١٩٤٠م رجع إلى قرية "سيد سلطان فور".

وفي يوليو ١٩٤١م ذهب مدرساً إلى (قرية) "رنكون" بأمر أستاذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي.

كتب الشيخ صدر الدين حول موضوعات شتّى فنشر له مقال حول "مسألة النكاح" في مجلة "ترجمان القرآن" في سنة ١٩٣٦م. وكتب بعد ذلك مقالاً طويلاً حول مسألة "المسلم و الإمامة الكبرى". و نشر مرتين في نفس المجلة في سنة ١٩٣٧م. وفي مرة أخرى سنة ١٩٣٩م و كتب حول موضوع "حقيقة النفاق" و نشر في مجلة "ترجمان القرآن". ثم طبع في كتاب مستقل، ويعد أول كتاب لهذا الشيخ الجليل.

و كتب مقالات علمية أخرى من سنة ١٩٣٦م- ١٩٩١م وحوالي خمسة و عشرين كتاباً.

و كذلك قام بتلخيص تفسير "تفهيم القرآن"[١٩] للأستاذ/المودودي الأعلى. و طبع من مجلد واحد وكتب تفسير سورة البقرة ولم يطبع بعد. ويعتبر كتابه: "التصور القرآني للدين"[٢٠] من أبرز تصانيفه[٢١].

انتقل الشيخ صدر الدين الإصلاحي إلى رحمة الله تعالى في عام ١٩٩٩م- رحمه الله عليه رحمة واسعة -

بعض مؤلفات صدر الدين و جميعها بالأردية:

١: فريضئه اقامتِ دين.

٢: اساسِ دين كى تعمير. (ترجم إلى الانجليزية)

٣: دين كا قرآنى تصور.

٤: حقيقتِ ايمان.

٥: معركئه اسلام و جاهليت.

٦: نكاح كے اسلامى قوانين.

٧: اسلام ايك نظر ميں.

٨: تحريكِ اسلامى هند.

٩: راهِ حق كے مهلك خطرات.

١٠: اسلامى نظامِ معيشت.

١١: مطالعئه دين.

١٢: قرآنِ كريم كا تعارف.

---

[١٩] قد مر ذكر هذا التفسير في مقدمة بحثنا.

[٢٠] دين كا قرآنى تصور. بالأردية و طبع تحت إشراف اسلامك پبليكيشنز لاهور.

[٢١] أخذت هذه المعلومات عن شخصية صدر الدين الإصلاحي من مجلة "دعوت" العدد الخاص ص:١٤٩-١٥٠. المجلد ٩ العدد رقم ١٠٠، ٧-نوفمبر ١٩٩١ء يوم الخميس وفق ٢٩-ربيع الثاني ١٤١٢هـ. تصدر من دهلي الجديد، بالهند.

١٣: مسلم پرسنل لا دینی و ملی نقطئه نگاه سے.

١٤: حقیقت: عبودیت. (ترجمة لكتاب ابن اتيمية)

١٥: اختلافی مسائل میں اعتدال کی راہ. (ترجمة:"الانصاف في بيان سبب الاختلاف": لولي الله الدهلوي)

١٦: مسلمان اور دعوتِ اسلام.

١٧: یکساں سول کوڈ اور مسلمان.

١٨: اسلام اور اجتماعیت.

الشيخ خالد مسعود:

تتلمذ على يد الشيخ الإصلاحي وقرأ القرآن الكريم عليه. واللغة العربية وموطا لإمام مالك وصحيح البخاري و مسلم. وترجم كتابي الفراهي:

حكمة القرآن، والنظام في الديانة الإسلامية. وقد طبع هذان الكتابان في مجلة "حكمت قرآن".

وقد قام بترتيب دروس الإصلاحي التي كان يلقيها مرتين في الأسبوع تحت إشراف حلقة "تدبرِ قرآن" وإدارة "تدبرِ قرآن وحديث". وقد نشرت هذه المقالات في مجلة تدبر.

وقد ألف كتاباً "أسباق النحو". وكذالك اشترك في تدوين كتاب باسم: "معروف مسلم سا ئنسدان". كما أنه ألف عدة كتب للأطفال. ولايزال يكتب حول السيرة النبوية. وهو حي حتى كتابة هذه الأسطر ١٩٩٦/١١/٢٤م يوم الأحد. ويعمل باحثاً في مكتبة القائد الأعظم بمدينة لاهور. ومديراً لمجلة "تدبر" الشهرية التي تطبع تحت إشراف/الإصلاحي بمدينة لاهور.

١- ماجد خاور.

٢- محمود احمد لودهى.

٣- محمد صادق.

٤- محمد سليم: يترجم تفسير الإصلاحى- تدبر قرآن- إلى الانجليزية فى انجلترا حاليا.

٥- عبدالله غلام أحمد.

٦- جاويد احمد الغامدى(١)

٧- الشيخ عبدالرحمن ناصر.

٨- قمر الدين اصلاحى(٢).

هما مدرسان فى مدرسة الإصلاح فى الهند (٥-١-٢٠٠٠م)

الباحث

١- رسالة خالد مسعود باسم ٢٠ دسمبر ٩٩م.

٢- "تدبر" (ايك ياد گار سفر، خالد مسعود) العدد ٦٣-ابريل ٩٩م.

الباب الثاني

مدخل إلى دراسة منهج الشيخ الإصلاحي في تفسيره.

وفيه ثلاثة فصول.

الفصل الأول: تعريف عام بتفسير الإصلاحي (تدبر قرآن)

الفصل الثاني: مصادر الإصلاحي في تفسيره.

الفصل الثالث: جمع الشيخ الإصلاحي بين التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي.

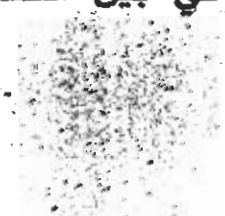

الفصل الأول:

تعريف عام بتفسير الإصلاحي (تدبر قرآن) و غرضه من تأليفه.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تأثر الإصلاحي بشيخه (الفراهي) في التفسير.

المبحث الثاني: التعريف بأجزاء تفسير تدبر قرآن.

المبحث الثالث: غرض الإصلاحي من تأليف تفسير تدبر قرآن.

المبحث الأول
تأثر الإصلاحي بشيخه (الفراهي) في التفسير.

بدأ الشيخ الإصلاحي يفكر في كتابة تفسير القرآن الكريم منذ أن تتلمذ على يد شيخه الإمام عبد الحميد الفراهي[1] في عام ١٩٢٥م. و ظل يستفيد من علومه خمس سنوات و استولى هذا الفكر على ذهنه طوال هذه المدة و كان يجمع فيها المعلومات و المواد اللازمة لكتابة التفسير، إلى أن بدأ في الكتابة عام ١٩٥٨م.

ويقول الإصلاحي: " إن هذا التفسير هو خلاصة سعي خمس و خمسين سنة من عمري بالإضافة إلى فكر الفراهي استغرق حوالي ثلاثين سنة و بعبارة أخرى هو حصيلة فكر استغرق من الزمن نحو قرن و بإمكان القارئ أن يسميه فكر الفراهي[2]".

و من هنا يظهر لنا مدى تأثر الإصلاحي بفكر الفراهي إلا أنه أضاف في تفسيره و بسط في ضوء الأصول و القواعد التي اخترعها الفراهي.

---

(١) قد مر ذكره في الفصل الثاني من الباب الأول ضمن مشايخ الإصلاحي.
و ألف تفسير "نظام القرآن" و يقول في مقدمة تفسيره:"إني كنت مولعاً بتلاوة القرآن الكريم و هو أحب كتاب إلي و لله الحمد، و قد كنت اسمع أن القرآن أشت الكتب نظماً لنزوله نجماً نجماً. و لكن بعد ما ظهر لي النظام في سورتي البقرة و القصص حثني ذلك على التدبر في باقيها. و كنت حديث السن فمضت عشر سنين حتى وفقني الله تعالى في أن ابتدأت من أول القرآن و يسر لي الاتمام في سنة كاملة و هممت أن أبرز للناس فردعني عظم الذمة و ردعني كبر العتبة فمكثت أراجع فيه النظرة مرة بعد مرة أمداً طويلاً مستعيذاً بالله من ظلمات النفس و غوايات الجهل...ثم ذكر أسباب تأليف التفسير حيث يقول:

١: "إني رأيت حل لختلاف الآراء في التأويل من عدم التزام رباط الآيات فإنه لو ظهر النظام و استبان لنا عمود الكلام لجمعنا تحت رأية واحدة و كلمة سواء.

٢: إني رأيت الملحدين قد طعنوا في القرآن من جهة سوء النظم.

هذه هي العوامل التي حرصت الفراهي على القيام بتفسير القرآن بطريقة جديدة و منهج علمي و أسلوب واضح بحيث يشرح كلمات القرآن و ألفاظه استناداً إلى أسلوب العرب الذي نزل به القرآن ثم يبيّن المقاصد العالية و المطالبة السليمة في ضوء أصول قوية استمدها من الكتاب و السنّة. و الفراهي يرى أن كثيراً من الفتن قد حدث في المجتمع الإسلامي بسبب بعد العلماء عن دراسة القرآن الكريم دراسة جديدة، فقد بدأ يضع أصولاً متينة لتفسيره قبل أن يبدأ التفسير. و قد ألف مقدمة التفسير و قد سماها: "فاتحة نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان" و قد مر ذكره في ترجمة الفراهي في الفصل الثاني من الباب الأول.

(2) مقدمة تدبر قرآن:ص:٧-٨.

المبحث الثاني

التعريف بأجزاء تفسير "تدبر قرآن".

أكمل الشيخ أمين أحسن الإصلاحي تفسيره في سنة ١٩٨٠م. و طبع في ثماني مجلدات كبار للمرة الأولى،ثم طبع للمرة الثانية في تسع مجلدات متوسطة الحجم. و الذي تولى الطبعة الأولى[١] هو منظمة خدام القرآن تحت إشراف الدكتور إسرار أحمد رئيس المنظمة بينما قامت بالطبعة الثانية مؤسَّسة فاران تحت إشراف الشيخ ماجد خلور.

و تفصيل أجزاء هذا التفسير كالآتي: [٢]

أجزاء التفسير	المحتويات	عدد الصفحات
الجزء الأول	مقدمة و سورتي الفاتحة و البقرة.	٦٥٢
الجزء الثاني	من سورة آل عمران و المآئدة.	٦١٠
الجزء الثالث	من سورة الأنعام إلى سورة التوبة	٦٦٨
الجزء الرابع	من سورة يونس إلى سورة مريم	٦٩٠
الجزء الخامس	من سورة طه إلى سورة القصص	٦١٨
الجزء السادس	من سورة العنكبوت إلى سورة الزمر	٦١٧
الجزء السابع	من سورة المؤمن إلى سورة الزاريات	٦٣٤
الجزء الثامن	من سورة الطور إلى سورة الجن	٦١٨
الجزء التاسع	من سورة المزمل إلى سورة الناس	٦٧٨

---

(١) قد مر تفصيل طبعاته ضمن مؤلفات الإصلاحي.

(٢) الطبعة الثانية يونيو ١٩٨٥ء - لاهور.

المبحث الثالث:

غرض الشيخ الإصلاحي من تأليف تفسير تدبر قرآن.

إن الأسباب التي أدت بالشيخ الإصلاحي إلى تأليف هذا التفسير منه:

بديهي أن يكون لأي عالم-في أي علم كان-غرضه أو أغراضه عند شروعه في إنتاج ما، و أود هنا أن أقف وقفة مع بعض الدوافع و الأسباب التي دفعت الشيخ الإصلاحي لتأليف هذا التفسير العظيم.

١: كان هذا التفسير بمنهجه- الذي ذكرته خلال البحث- نتيجة طبيعية لثقافة الشيخ و شغفه بالعلوم الشرعية و العربية خاصة.

٢: تأثره الواضح بمنهج شيخه الفراهي و رغبته في نشر فكرته و منهجه حيث سار الإصلاحي عليه.

٣: استشعار الشيخ الإصلاحي بأن كل التفاسير السابقة طبعت بطابع معيّن سواء كان فلسفياً أو كلامياً أو تقليدياً أو متحرراً أو ذلك الذي يعتمد فقط على ذكر أخبار الآحاد و أقوال السلف حتى و إن عالج بعضهم التفسير بالطريقة التي اتبعها هو في تفسيره هذا فكان همه الأوحد اختصاص ما يكتب بهذا المنهج -أعني تفسير القرآن لغوياً_ دون النظر إلى المناهج الأخرى.

٤: حرصه على ملء الساحة العلمية الشرعية في مجال التفسير بلغة شبه القارة الهند بهذا المنهج على أمل أن تكون بذرة و نواة لتكون مدرسة بدأها شيخه الفراهي التفسير.

هذه بعض الدوافع التي حثت الشيخ الإصلاحي على أن يؤلف تفسيره هذا، و لعل هناك دوافع أخرى تلحظ من طبيعته وميوله وثقافته والبيئة التي ترعرع فيها.

الفصل الثاني

مصادر الإصلاحي في تفسيره:

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثاني: مصادره من كتب الحديث النبوي.

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة.

المبحث الرابع: مصادره من الكتب السماوية السابقة.

مصادر الإصلاحي في تفسيره:

دراسة المصادر تستهدف الكشف عن الينابيع التي استقى منها المفسر و ذلك لأن المصادر أحد العناصر التي لها دور رئيسي في تكوين منهج المفسر، فدراستها تساعد على فهم منهجه و توضيحه.

و ما ذلك إلا لأن العلم أخذ و عطاء، أو تحمل و أداء إلى القريحة و الذكاء و على قدر تنوع الثمرات و الزهور التي يرتادها النحل، يأتي شراباً مختلفاً طعمه و ألوانه.

و لقد تعددت المصادر التي استقى منها الإصلاحي، و اختلفت مشاربها و تنوعت مناهجها،

و حيث إن مصادر الإصلاحي قد تنوعت موضوعاتها، فقد جعلت هذا الفصل في مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير و علوم القرآن.

المبحث الثاني: مصادره من كتب الحديث النبوي.

المبحث الثالث: مصادره من كتب اللغة.

المبحث الرابع: مصادره من الكتب السماوية السابقة.

المبحث الأول:

مصادره من كتب التفسير و علوم القرآن.

تمهيد:

نحب أن نشير هنا إلى أن الإصلاحي يعتمد في تفسيره اعتماداً كبيراً على تفسير الفراهي -نظام القرآن - و قد اعتمد الإصلاحي على مصادر تفسيرية و لغوية متعددة.

و إننا إذا أخذنا بالأصل و هو أن الإصلاحي قد نسب هذه الأقوال إلى أصحابها في تفسيره فهو يتحمل تبعتها إذ لا يفهم القارئ إلا أنه اطلع على هذه الآراء في كتب أصحابها التي تنسب إليهم خاصة فيما يجزم بنسبته من هذه الأقوال إلى أصحابها.

كما نشير إلى أن الإصلاحي حينما يصرح بذكر مصدره فإنه يقصد بذلك أحد أمرين:

١: إما الخروج من عهدة ذلك القول.

٢: و إما نصرة ذلك القول إذا كان قائله ممن يقتدي به.

و عليه فإنه قد يذكر آراء لغيره، و لا ينسبها إلى أصحابها و لا يعني ذلك أنه يرتضى تلك الآراء من بينها رأياً مع ذكر وجوه الترجيح.

مصادره من كتب التفسير:

١: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ)[١].

يتردد ذكر تفسير الطبري على قلة في تفسير "تدبر قرآن"، و قد بين الإصلاحي سببه حيث قال في مقدمة تفسيره: "و لا تجدون أسماء المراجع من كتب التفسير فيه و هذا لأن أساس هذا التفسير ليس على كتب التفسير كما هو المروج عندنا بل اعتماده على الوسائل الأصلية لفهم القرآن مباشرة و لكن مع هذا ذكرت المراجع من كتب التفاسير و أرباب التأويل الذين يؤيدونني، و لو شئت لذكرت لك المراجع لتأييد رأي و لكنني لم أحاول كثيراً لهذا[٢]".

و كما قال الإصلاحي : "إنني استفدت من ثلاثة كتب التفسير منها " تفسير ابن جرير الطبري"[٣].

نماذج من استشهاد الإصلاحي بأقوال ابن جرير :

١: اختار الشيخ الإصلاحي مسلك ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: "و لا تقربا هذه الشجرة...الآية"[٤]. حيث قال : "إن كلمة "الشجرة" معرفة فهي تدل على أن آدم و حواء قد أخبرا عن شجرة معينة، و لكن السؤال هنا من أي نوع كانت هذه الشجرة؟ و لا نجد جواباً لهذا السؤال في القرآن و لا في السنّة و لا داعي لمعرفتها. و الراجح عندنا هو مسلك الإمام ابن جرير حيث قال: "فالصواب في ذلك أن يقال إن الله تعالى جل ثناؤه نهى آدم و زوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا إلى مانهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه و لا علم عندنا بأي شجرة كانت

---

(١) هو الإمام أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري. ولد بآمل طبرستان سنة أربع و عشرين و مائتين و توفي سنة عشر و ثلاثمائة. و كان ذا زهد و قناعة. كانت الأئمة تحكم بقوله و ترجع إلى رأيه لمعرفته و فضله . جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره. شذرات الذهب:٢/٢٦٠. و الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٨/١٣٤-١٣٦. و النجوم الزاهرة: ٣/٢٥٠. و كشف الظنون: ١/٤٣٧.

(٢) مقدمة تدبر: ص:٤٢.

(٣) مقدمة تدبر: ص:٣٢.

(٤) سورة البقرة: ٣٥.

على التعيين لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن و لا في السنّة الصحيحة فأنى يأتي ذلك من أتى"[٥].[٦]

٢: و عند تفسير قوله تعالى: "و بينهما حجاب، و على الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم..."الآية[٧]. بعد أن فسر مقاطع الآية فقال: "لو سأل سائل من هم أصحاب الأعراف؟ فذكر ابن جرير عنهم أربعة أقوال:

١: فقال بعضهم: هم قوم من بني آدم استوت حسناتهم و سيّاتهم فجعلوا هنالك إلى أن يقضي الله فيهم ما يشاء.

٢: عن مجاهد قال: أصحاب الأعراف قوم صالحون فقهاء علماء.

٣: أصحاب الأعراف هم قوم غزوا في سبيل الله عصاة لآباءهم.

٤: أصحاب الأعراف هم: الملائكة[٨]".[٩].

ورجح الإصلاحي القول الثاني وقال: "نسب ابن جرير هذا القول إلى مجاهد"[١٠]. و مكانة مجاهد معروفة في مجال التفسير. و رد على القول الأول مع ذكر أربع وجوه للرد. و كذلك على القول الثالث و الرابع و لكن بدون ذكر الدليل.

---

(٥) تفسير الطبري ١/١٨٥.

(٦) تدبر: ١/١٦٦.

(٧) سورة الأعراف:٤٦.

(٨) تفسير الطبري:٨/١٣٨-١٣٩.

(٩) تدبر: ٣/٢٦٧.

(١٠) تدبر:٣/٢٦٨. و تفسير الطبري: ٨/١٣٩.

وعلل وجه قول مجاهد فقال: "و الظاهر أن مجاهد أراد بأصحاب الأعراف الناس الذين قاموا في الدنيا بالمعروف و النهي عن المنكر و تحملوا المشاكل و المتاعب من الناس فهم في الحقيقة يستحقون الجزاء و الإكرام بيوم القيامة و يشاهدون المنكرين الواقعين في العذاب بعاقبتهم السيئة (١١)".

٢: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. للزمخشري هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي(٤٦٧-٥٣٨هـ)(١٢).

تفسير الزمخشري مصدر أساسي ومهم عند الشيخ الإصلاحي، و قد أفاد الإصلاحي من هذا التفسير و اصطحبه من أول تفسيره إلى آخره و يشترك مع تفسير الشيخ الفراهي في اعتماد الإصلاحي عليه و نقله منه و تأثره به و خاصة في مسائل النحو والبلاغة.

و يقول الإصلاحي في مقدمة تفسيره - و هو بصدد بيان التفاسير التي استفاد منها - "إنني استفدت من تفسير الزمخشري في بيان مسائل النحو و البلاغة و الكشاف من التفاسير التي كنت أطلع عليه منذ صغري و رجعت إليه مرة أخرى عند كتابة هذا التفسير"(١٣).

و تأثر الإصلاحي بالزمخشري يبدو واضحاً في مجالات الإعراب و اللغة و البلاغة و اللطائف التفسيرية، كما تأثر به في طريقة العرض و هذه أمثلة توضح ذلك:

١: عند تفسير قوله تعالى: "قولوا حطة (١٤)" قال الإصلاحي فيها: "إن كلمة "حطة" قائم مقام الجملة مثل قوله تعالى: "يقولون طاعة (١٥)" و هو خبر مبتدأ

---

(١١) تدبر: ٢٦٨/٣.

(١٢) أنظر ترجمته في وفيات الأعيان: ١٦٨/٥-١٧٤. و طبقات المفسرين للسيوطي:ص: ١٢٠. و شذرات الذهب: ١١٨/٤-١٢٩. و النجوم الزاهرة: ٣٧٤/٥.

(١٣) مقدمة تدبر: ٣٢/١.

(١٤) سورة البقرة: ٥٨.

(١٥) سورة النساء: ٨١.

محذوف و قد صرح به الزمخشري حيث قال: "أي مسألتنا حطة"...[١٦].

(و الأصل: النصب بمعنى: حط عنا ذنوبنا حطة. و إنما رفعت لتعطي معنى الثبات)

٢: و عند تفسير قوله تعالى: "و من الجبال جدد بيض و حمر مختلف ألوانها و غرابيب سود"[١٧]. قال الإصلاحي: "جدد" جمع جدة. و قد ذكر بعده قول الزمخشري حيث قال: "يقال: جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره و بطنه. و المراد هنا بالجدد هو: الخطط و الطرائق.

و غرابيب جمع غربيب. ومعناه -كما قال الزمخشري عن عكرمة رضي الله عنه: هي الجبال الطول السواد-.

و ذكر بعد ذلك سؤالاً عن تقديم غرابيب على "سود" على أن غرابيب تاكيد ل{سود} حيث قال : فإن قلت: الغربيب تأكيد للأسود. يقال: أسود غربيب، و أسود حلكوك. و هو الذي أبعد في السواد و أغرب فيه. و من حق التاكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع...(أي تقديم التاكيد خلاف البلاغة) قلت: وجهه أن يضمر المؤكد قبله و يكون الذي بعده تفسيراً لما أضمر. و إنما يفعل ذلك لزيادة التاكيد [١٨]".

٣: و عند تفسير قوله تعالى : "تظن أن يفعل بها فاقرة"[١٩].

---

(١٦) تدبر: ١/ ٢٢٠. و الكشاف: ١/ ١٤٢.

(١٧) سورة فاطر:٢٧.

(١٨) تدبر:٦/ ٣٧٦. و الكشاف: ٣/ ٦٠٩-٦١٠.

(١٩) سورة القيامة: ٢٥.

قال الإصلاحي: "هذا بيان كيفية المجرمين الذاهبين إلى جهنم. و قال الزمخشري: "أي يفعل بها فعل هو في شدتها فاقرة". هذا ما نقله صاحب تدبر قرآن. وفي الكشاف: "...في شدته و فظاعته. (فاقرة) واهية تقصهم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير"(٢٠).

٤: و عند تفسير قوله تعالى:"كلا إذا بلغت التراقي"(٢١).

قال الشيخ الإصلاحي: "نذكر ملخص ما ذكر شيخنا الفراهي في تفسير هذه الآية لأنه مبني على التحقيق الصحيح"(٢٢). فقال الفراهي: "بلغت التراقي" يرجع الضمير في "بلغت" إلى النفس المحذوف و مثال هذا الحذف موجود في سورة الواقعة في قوله تعالى:"فلولا إذا بلغت الحلقوم"(٢٣) و مثل هذا الحذف معروف في العربية و لذا لا حاجة لذكر النفس. و استشهد على قوله بشعر الحاتم الطائي/الذي ذكره الزمخشري في الكشاف. و هو بصدد تفسير الآية المذكرة حيث قال :"و الضمير في "بلغت" للنفس و إن لم يجر لها ذكر، لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها، كما قال حاتم:

أما دي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما و ضاق بها الصدر(٢٤).

و قال الفراهي :"حذف الفاعل من{حشرجت} و هو النفس للقاعدة المذكورة. و نجد الأمثلة على هذا الحذف في القرآن الكريم/كما في قوله تعالى: "ما ترك على ظهرها من

---

(٢٠) تدبر: ٩/ ٩٠-٩١. و الكشاف: ٦٦٣/٤. و يظهر من تفسير هذه الآية أن الشيخ الإصلاحي نقله من الكشاف.

(٢١) سورة القيامة: ٢٦.

(٢٢) تدبر: ٩١/٩.

(٢٣) سورة الواقعة: ٨٣. و يرجع ضمير في "بلغت" إلى النفس. كذا في الكشاف: ٤/ ٤٧٠. و تدبر: ١٨٦/٨.

(٢٤) الكشاف: ٦٦٣/٤.

دابة"[٢٥]. و يرجع ضمير(ظهرها) إلى الأرض المحذوف"[٢٦]. و قال الزمخشري (على ظهرها) على ظهر الأرض"[٢٧].

٥: و عند تفسير قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود فلا يستطيعون...."[٢٨]." فسر الإصلاحي كأنه نقل من الكشاف من غير أن يعزو إليه.

يقول الزمخشري: "الكشف عن الساق و الإبداء عن الخدام [٢٩] مثل في شدة الأمر و صعوبة الخطب، و أصله في الروع و الهزيمة و تشهير المخدرات عن سوقهن في الهرب، و إبداء خدامهن عند ذلك. قال حاتم:

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَ إِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

- قال الإصلاحي: "شمرت عن ساقها الحرب تعبير عن شدت الحرب- و ذكر بعد هذا بيتاً ذكره الزمخشري حيث قال: "و قال ابن الرقيات:

تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَ تُبْدِي عَنْ خِدَامٍ [٣٠] الْعُقَيْلَةِ الْعَذْرَاءِ[٣١].

---

(٢٥) سورة الفاطر: ٤٥.

(٢٦) تدبر: ٩/٩٢-٩١.

(٢٧) الكشاف: ٤/٦١٩.

(٢٨) سورة "ن": ٤٢.

(٢٩) و الظاهر أن الفراهي نقله عن الزمخشري و الإصلاحي ذكره من غير أن يعزوه إلى الكشاف.

و يقول الإصلاحي: "الأمر بالسجود يكون لإتمام الحجة و الفضاحة و هذا ليكون وجودهم و جسدهم حجة عليهم التي لا يستطيعون إنكارها"(٣٢). و قال الزمخشري: "فإن قلت: لم يدعون إلى السجود و لاتكليف؟ قلت: لا يدعون إليه تعبداً و لا تكليفاً، و لكن توبيخاً و تعنيفاً على تركهم السجود في الدنيا، مع إعقام أصلابهم و الحيلولة بينهم و بين الاستطاعة تحسيراً لهم و تنديماً على ما فرّطوا فيه حين دعوا إلى السجود، و هم سالمون الأصلاب"(٣٣).

---

(٣٠) الخدلم: جمع خدمة: و هي الخلخال. جمع خلاخيل. حلية تلبس في الرجل كالسوار في اليد. المعجم الأبجدي: { الخلخل:ص:٤١٧}.

(٣١) الكشاف: ٤/٥٩١-٥٩٢.

(٣٢) تدبر: ٨/٥٢٧-٥٢٩.

(٣٣) الكشاف ٤/٥٩٥ . وفي الحاشية: "وهم سالمون الأصلاب" لعله سالمو الأصلاب بالإضافة

٣: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن الخطيب أو بابن خطيب الري (٥٤٤-٦٠٦هـ).[٣٤]

و هو تفسير كبير كاسمه. و مطبوع الآن في اثنين و ثلاثين جزءاً في ستة عشر مجلداً. يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض، و بين السور بعضها مع بعض كما أنه يستطرد إلى ذكر العلوم الرياضية و الطبيعية، و يكثر من الاستدلالات العقلية خاصة في مباحث الإلهيات. و الكتاب كما يقول الدكتور الذهبي أشبه ما يكون بموسوعة في علم الكلام، و في العلوم الكون و الطبيعية [٣٥]. لذلك قيل فيه كلمة جائرة: "فيه كل شيئ إلا التفسير". و لو كانت العبارة هكذا "فيه كل شيئ مع التفسير" لكانت أقرب إلى الصواب.

و لا غرو في هذا فصاحبه إمام في التفسير و علم الكلام و العلوم العقلية إضافة إلى نبوغه في علوم الفقه، والأصول، واللغة. و قد قيل أنه لم يتم/التفسير هو بنفسه بل أتمه غيره.* غير أن القارئ لا يكاد يلحظ فيه تفاوتاً في المنهج و المسلك بل يجري الكتاب من أوله إلى آخره على نمط واحد، و طريقة واحدة[٣٦].

هذا و قد أثار هذا التفسير نشاطاً ملحوظاً فيمن جاء بعده من المفسرين، فتفسير نظام الدين القمي النيسابوري (ت:بعد ٨٥٠) غرائب القرآن و رعائب الفرقان، يعتبر أحد (٣٧)

---

(٣٤) أنظر ترجمته في طبقات الشافعية: ٨/٨١-٩٦. وطبقات المفسرين للسيوطي: ص:١١٥. وطبقات المفسرين للداودي: ٢/٢١٣. وشذرات الذهب: ٥/٢١-٢٢. وميزان الاعتدال: ٣/٣٧٠. ولسان الميزان: ٤/٤٢٦-٤٢٩. والنجوم الزاهرة: ٦/١٩٧-١٩٨. و وفيات الأعيان: ٤/٢٤٨-٢٥٢.

(٣٥) التفسير و المفسرون للذهبي: ١/٢٩٤-٢٩٥. و قد ذكره في قائمة التفسير بالرأي.

(٣٦) التفسير و المفسرون: ١/٢١-٢٢.(٣٧) أنظر ترجمته في صفحة [redacted] التالية.

* قال ابن حجر العسقلاني: "إن الشيخ أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكي نجم الدين المخزومي (م ٧٢٧هـ) أكمل تفسير الإمام فخر الدين" الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١/٢٠٤ - وقال حاجي خليفة: "صنف الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد القمولي تكملة له (تفسير الرازي) وشهاب الدين بن خليل الحوراني الدمشقي كمل ما نقص منه". كشف الظنون ٤/٦١٣ -

مختصراته. كما أن كثيراً من المفسرين بعده تأثروا به، منهم الشيخ أمين أحسن الإصلاحي حيث صرح في مقدمة تفسيره،

حيث قال: "و كان عندي ثلاثة تفاسير منها تفسير الرازي و نجد فيه النكات العلمية و أقوال المتكلمين"(٣٨).

و لا يذكر الإصلاحي أسماء المفسرين في تفسيره إلا قليلا. و أسلوب استفادة الإصلاحي من كتب التفسير هو نفس الأسلوب لشيخه الفراهي الذي ذكره في المقدمة الخامسة من فاتحة نظام القرآن حيث يقول: "إن القرآن قطعي الدلالة و احتمالها المعاني الكثيرة ينشأ من قصور العلم و التدبر. و العلماء الذين نقلوا أقوالاً مختلفة في تفاسيرهم... فنختار منها ما يرجح عندنا و لكن ليس لنا أن نحفظ الأقوال من غير ترجيح عندنا فنبقى حيارى جاهلين ...ثم قال: ماأربت في كتابي هذا إلا ما صح عندي، و هذا كان دأب السلف الصالحين، فإن كثرة الأقوال تخبط أكثر الناس و ربما نقلوا الأقوال من غير استيعاب الدلائل فهذا ظلم على قائله و ظلم على من يسمعه و ما أخذت معنى الآيات من كتب التفسير و لكني تأملت في رباط الكلام و آيات متماثلة فإذا تقرر عندي معنى جملة من الآيات نظرت في تفسير الرازي و الطبري رحمهما الله تعالى فربما وافقني واحد من أقوال السلف و ربما كنت قريباً منهم... وربما أشكل على شيء فوقفت"(٣٩).

١: و لا يصرح الإصلاحي في تفسيره بأية نكتة أخذها من تفسير الرازي نظراً إلى أسلوب الاستفادة التي أشار إليه آنفاً ولهذا يصعب للقارئ الاطلاع على أقوال الرازي في تفسير الإصلاحي. و لو يذكره يذكر بألفاظه و هذا أوضح لذلك عند تفسير

---

(٣٧) الأعلام للزركلي: ٢٣٣/٢. هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، نظام الدين، و يقال له الأعرج، مفسر، من كبار علماء الإمامية في عصره، أصله من مدينة "قم" و نشأ و أقام في نيسابور، من كتبه: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، و لب التأويل، طبع و أوقاف القرآن، طبع. كشف الظنون: ٤٦٠ ١١٩٥. و معجم المؤلفين: ٣: ٢٨١.

(٣٨) مقدمة تدبر: ٣٢/١.

(٣٩) فاتحة تفسير نظام القرآن: المقدمة الخامسة: ص ١٦.

قوله تعالى: "و القينا على كرسيّه جسداً ثم أناب"[٤٠]. حيث يقول الإصلاحي: "إن المراد بالجسد هو جسد سليمان، حيث ابتلاه الله مرة فذهب ملكه و سلط عليه الخوف من بعض الجهات و صار بسبب الخوف كالجسد بلا روح الملقى على كرسيّه"[٤١]. ويقول الرازي - و هو بصدد بيان تفسير الآية المذكورة و بين عدة أقوال منها الرابع "لا يبعد أيضاً أن يقال إنه ابتلاه الله بتسليط الخوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه ، و صار بسبب قوة الخوف كالجسد الضعيف الملقى على الكرسي، ثم أزال الله عنه الخوف، و أعاده إلى ما كان عليه من القوة و طيب القلب"[٤٢].

٢: و في بعض الأحيان يذكر الإصلاحي موقف الرازي بالاختصار، و يرجح رأيه مثلاً: "عند تفسير قوله تعالى: "و إنهم لفي شك منه مريب"[٤٣]. يقول الإصلاحي: "هذه نتيجة اختلاف التوراة التي ذكرت في بداية الآية: "و لقد اتينا موسى الكتب فاختلف فيه"[٤٤] و قال بعد هذا: إن ضمير "ه" في { لفي شك منهُ} يرجع إلى القرآن الكريم عند الرازي و لكن مرجعه عندي التوراة [٤٥].

٣: و ربما يذكر الإصلاحي نكتة أو مسألة و لا يعزوها إلى مصدرها، مثل تفسيره لقوله تعالى:

---

[٤٠] سورة "ص": ٣٤.

[٤١] تدبر: ٥٣٣/٦.

[٤٢] التفسير الكبير: ١٨٠/٢.

[٤٣] سورة حم السجدة: ٤٥.

[٤٤] سورة حم السجدة: ٤٥.

[٤٥] تدبر: ١١٨/٧. و يقول الرازي: "و إنهم لفي شك من صدقك و كتابك مريب". التفسير الكبير: ١١٦/٢٧.

"و حمله و فصله ثلاثون شهراً[٤٦]". فذكر تحت عنوان {استنباط لطيف [٤٧]} ما ذكره الرازي حيث قال: "{المسألة الثانية} دلت الآية على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، أنه لما كان مجموع مدة الحمل و الرضاع ثلاثون شهراً، قال: "و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين"[٤٨] فإذا أسقطت الحولين الكاملين و هي أربعة و عشرون شهراً من الثلاثين، بقي أقل مدة الحمل ستة أشهر، روي عن عمر أن امرأة رفعت إليه، و قد ولدت لستة أشهر، فأمر برجمها، فقال علي: لا رجم عليها. و ذكر الطريق الذي ذكرناه، و عن عثمان أنه هم بذلك، فقرأ ابن عباس ذلك"[٤٩].

٤: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان: للشيخ عبد الحميد الفراهي.

هذا التفسير من أهم مصادر التفسير عند الإصلاحي. و هو ليس تفسيراً لجميع القرآن بل هو تفسير لبعض السور. و عند ما يأتي الإصلاحي إلى هذه السور فيكثر الاقتباسات منها في تفسير الفراهي و هذه بعض الأمثلة:

١: عند تفسير قوله تعالى: "و السماء ذات الحبك"[٥٠]. يقول الإصلاحي نقلاً عن تفسير الفراهي : "الحبك هو العقد و منه الأوماج و الاحكام في النسج و منه الحباك و جمعه الحبك للطرائق و الأسرة التي توجد في الثوب المحكم النسج و غيره... قال الفراء الحبك تكسر كل شيء كالرملة إذا مرت عليها الريح الساكنة و الماء القائم إذا مرت به الريح. و السحاب يوصف بذلك فإن الحبك فيه تجد قطعاته مثل الموج المزبد المتراكم أو كسائب القطن. قال امرؤ القيس يصف القصور الشامخات المكللة بالسحب:

---

[٤٦] سورة الأحقاف: ١٥.

[٤٧] تدبر: ٣٦٣/٧.

[٤٨] سورة البقرة: ٢٣٣.

[٤٩] التفسير الكبير: ١٤/٢٨. و تدبر: ٣٦٣/٧. و الكشاف: ٣٠٢/٤.

[٥٠] سورة الزاريات: ٧.

مكللة حمراء ذات أسرة لها حبك كأنها من وصائل

... و ما قيل من أن المراد به السماء التي فيها النجوم أما لإحكامها أو لكونها مجدرة بالكواكب فلا يصح، فإن الحبك ههنا ليس بالمصدر إنما هو جمع بمعنى الخطوط[٥١]".

٢: و كذلك عند قوله تعالى: "فورب السمآء و الأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون [٥٢]". يقول نقلاً عن تفسير الفراهي: "مما تقدم يتبيّن ما في هذا القول الجامع من رعاية حسن الترتيب و ذكر الأقرب فالأقرب. ففي قوله تعالى: "و في الأرض آيت- إلى قوله- و ما توعدون" ذكر الأرض ثم النفس ثم السماء متوسطة بينهما- و لها جانبان/ و نبه على ما في هذه الثلاث من الآيات ثم في قوله تعالى: "فورب السمآء و الأرض إنه لحق " ترقي إلى الدليل الكامل الأصلي و هو الاستدلال بالربوبيّة ثم بقوله"مثل ما أنكم تنطقون" أكد ذلك بتمثيل مأخوذ من صفة النفس التي هي مرآة ما في السماء فأشار به إلى ما تقدم من قوله تعالى: "و في أنفسكم أفلا تبصرون [٥٣]".[٥٤]

٣: و كذلك في قوله تعالى: "و تركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم"[٥٥]. فقال الإصلاحي :"ننقل هنا خلاصة كلام الفراهي حيث يقول:" اعلم أن الله تعالى أرسل على قوم لوط ريحاً ذارية فاشتدت و أقلت حاصباً فامطرت عليهم حجارة من طين و بلغت من شدتها إلى أن أفكت مساكنهم كما قال تعالى: "فمنهم من أرسلنا

---

[٥١] تدبر: ٧/ ٥٨١-٥٨٢. تفسير نظام القرآن: سورة الزاريات:ص: ٤-٥.

[٥٢] سورة الزاريات: ٢٣.

[٥٣] سورة الزاريات: ٢١.

[٥٤] تدبر: ٧/ ٧٠٢. و تفسير نظام القرآن: ص: ٢١.

[٥٥] سورة الزاريات: ٣٧.

عليه حاصباً"[٥٦]. و كما قال تعالى:"فجعلنا عاليها سافلها و أمطرنا عليهم حجارة من سجيل"[٥٧]. أي هبت الزعازع فهدمت بيوتهم و عروشهم و غطتهم بالحصي و الرمال كما قال تعالى:"و المؤتفكة أهوى. فغشها ما غشى"[٥٨].[٥٩].

٤: و كذلك قال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين"[٦٠]. إن الفراهي فسر الآية بالكلمات التالية حيث يقول: "ذو القوة المتين" لكون الوقف على المتين لا يظهر إعرابه فلا يكون موضعاً لاختلاف القراءة فيه و إنما اختلفوا في فهم إعرابه، فمنهم من يظنه جراً على أنه وصف للقوة فإن القوة في الأصل هي طاقة الحبل. والحبل يوصف بالمتين عموماً فجاء وصفاً للقوة و إنما يؤنث لكون فعيلاً كما ترى في قوله تعالى:" إن رحمة الله قريب من المحسنين"[٦١]. و منهم من يظنه رفعاً على أنه وصف لذي القوة، و لكن المتين لا يوجد في صفات الرب تعالى فلا بد أن يكون بتقدير فاعله أي المتين قوته فلا اختلاف بين الإعرابين من جهة التأويل"[٦٢].

٥: و عند تفسير قوله تعالى: "كذبت ثمود بطغوها"[٦٣]. فذكر الإصلاحي اقتباساً طويلاً من تفسير الفراهي حيث قال:إن الفراهي ذكر في تفسير سورة الشمس أحوال قوم ثمود و تشابههم بقريش. فننقل ما لا بد منه: "فاعلم أن الله تعالى استشهد عليهم بما علموه يقيناً من أحوال الأمم و ذلك بأن قوله تعالى "كذبت ثمود" إلى آخر القصة لم يقع على

---

[٥٦] سورة العنكبوت: ٤٠.

[٥٧] سورة الحجر: ٧٤.

[٥٨] سورة النجم: ٥٣-٥٤.

[٥٩] تدبر: ٧/٧١٣. و نظام القرآن:ص ٢٩. و قد ذكر الإصلاحي اقتباسا من تفسير الفراهي - نظام القرآن-في تفسير آية المذكورة (٧٤) من سورة الحجر. تدبر: ٤/ ٣٧٠-٣٧١.

[٦٠] سورة الزاريات: ٥٨.

[٦١] سورة الأعراف: ٥٦.

[٦٢] تدبر: ٧/١٣٣. و تفسير نظام القرآن: سورة الزاريات: ص ٤٣.

[٦٣] سورة الشمس: ١١.

سمع أهل مكة كما يقع على أسماعنا فإن ثمود كانت من العرب البائدة و قد سكنت العرب في مساكنهم و إشتهر فيهم ذكرهم و ضربوا بهم الأمثال...و أما ذكر العرب إياهم...وكانوا قوما أقوياء و لذلك قالت الخنساء:

و لاقاة من الأيام يوم كما من قبل لم يخلد قدار

و قدار هو أحمر ثمود عاقر الناقة و كان شديد أجبار الطاغية رئيسهم و أمامهم كما كان قبله "قيل بن عمر" في عاد. قال الأفوه الاودي هو جاهلي قديم يذم أشرار قومه يشبههم ب{قيل} و "قدار" رئيسي عاد و ثمود:

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم و إن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا

لا يرشدون و لن يرعو المرشدهم و الجهل منهم معا و الغي ميعاد.

أضحوا كقيل بن عمر و في عشرته إذا هلكت بالذي سدّى لها عاد.

أو بعده كقدار حين تابعه على الفواية أقوام فقد بادو.

٦: و كذلك نقل معظم تفسير سورة "التين". و نحن نكتفي بمثل واحد هنا و هو أن المراد بالتين هو الحبل.

يقول الفراهي تحت عنوان: "وجه الاستشهاد على الدينونة بالتين".

إعلم أن التين هو أول موضع لظهور الدينونة على الإنسان و ذلك بأن آدم عليه السلام لما نسي عهد الرب و سمع لقول حاسده وقعت عليه و على زوجته الدينونة فأهبطا بعد

الرفعة و سلبا لباس الجنة كما قال تعالى: "و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة"[٦٤]. و جعل الله تعالى ذلك الأمر تذكاراً و موعظة لنسله فقال تعالى: " يبني آدم لا يفتننكم الشيطن كما أخرج أبويكم من الجنة ينزغ عنهما لباسهما"[٦٥].و قد صرّح في التوراة بأن الشجرة التي حضظا عليهما من ورقها كانت شجرة التين ثم عند ذلك تابا إلى الرب و تاب الرب عليهما و و عد بإنزال هديه و أجر من تبعه من ذريته فأعطاه عهداً ثانياً فواقعة التين جمعت السلب و العطاء...[٦٦].

و كذلك يقول الإصلاحي نقلاً عن الفراهي تحت عنوان: "وجه الاستشهاد على الدينونة بالزيتون":

"اعلم أن الزيتون قد وقعت عليه الدينونة العظمى من سلب الأمانة و الناموس من اليهود و إعطائها لدوحة أخرى من شجرة إبراهيم إذا وقع ما وقع في آخر عهد المسيح في ليلة سهرها على جبل الزيتون و قد ناجى الرب إلى السحر و يئس من قومه فحزن غاية الحزن لمّا علم أن اليهود يهمّون بقتله و بذلك يلعنون و يسلبون الأمانة جديرة بها كما صرّح به المسيح حيث قال: "أما قرأتم قط في الكتاب الحجر الذي رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا و هو عجيب في أعيننا. (قوله الحجر إلى قوله في أعيننا منقول من زبور")[٦٧]. ثم نقل الإصلاحي من تفسير الفراهي في" وجه الإستشهاد عل الدينونة بطور سينين. و هذا البلد الأمين... ويقول في آخر تفسير هذه السورة :"إن معظم التفسير لسورة التين أخذ من تفسير الفراهي"[٦٨].

---

[٦٤] سورة الأعراف: ٢٢.

[٦٥] سورة الأعراف: ٢٧.

[٦٦] تدبر: ٩/ ٤٤٠. و تفسير نظام القرآن من سورة التين: ص ٨.

[٦٧] تدبر: ٩/ ٤٤١-٤٤٢، وتفسير بظام القرآن : سورة التين: ص ٩.

[٦٨] تدبر: ٩/ ٤٤٦.

هذه بعض الأمثلة لاستفادة الإصلاحي من تفسير الفراهي.

و من هنا يظهر لنا إلى أي مدى يعطي الإصلاحي أهمية لتفسير الفراهي.

مصادره من كتب تتعلق بعلوم القرآن:

لا شك في أن علوم القرآن كثيرة و متنوعة، و ما من علم من هذه العلوم إلا و قد ألف فيه و لا بد لأي مفسر أن يلـّم بمجموعة صالحة من هذه العلوم التي تخدم التفسير و تعين عليه.

و لا شك في أن الإصلاحي قد اطلع على مجموعة صالحة من المصنـّفات في علوم القرآن المختلفة يشهد لذلك مقدمته التفسيرية - و كتابه: مبادئ تدبر قرآن -التي زخرفت بأسماء العديد من الأدوات التي تساعد لفهم القرآن الكريم كما يشهد لذلك عزوه المتناثر خلال تفسيره إلى بعض مؤلفات شيخه الفراهي.

و لكنني اكتفي ببعض المؤلفات التي أشار إليها، أو صـّرح بذكرها في تفسيره.

١: فاتحة تفسير نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان:

عند ما أراد الفراهي أن يكتب تفسير القرآن فبدأ يكتب الأصول التي لا بد منها من أراد أن يفسر القرآن، و قضى من عمره عشرين سنة أو أكثر في جمع فوائده و تقييد أوابده فقضى نحبه و لم يتيسر له إتمام ما بدأ به فتركه مبعثراً و مبثوثاً في الدفاتر غير بعض السور تأتم صنعها فأخرجها في صور الطبع فقام صاحباه الشيخ أختر حسين و الشيخ

أمين أحسن الإصلاحيان اللذان تأدبا بآدابه و تعلقا باهدابه و جمعا ما تفرق منها في الأوراق فوضعاها في صورة الكتب و الرسائل و منها هذه الفاتحة"[٦٩].

أتى المصنف في ديباجة الفاتحة بما خط لتفسيره من الأصول بالاختصار و بعد ذلك كتب سبع عشرة مقدمة فصّل الكلام فيها عن هذه الأصول و قام بمراعتها في تفسيره و كذا اتبع الإصلاحي في تفسيره - تدبر قرآن -هذه الأصول.

و هي -فاتحة نظام القرآن -تحتوي على سبعة عشر أصلاً على هذا الترتيب:

١: أسباب النزول. ٢: المآخذ الخبرية. ٣: المآخذ اللسانية. ٤: الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين. ٥: إن القرآن قطعي الدلالة. ٦: المناسبة و الترتيب. ٧: إن كل سورة من سور القرآن منظمة و مرتبطة. ٨: نسبة القرآن إلى الكتب السابقة. ٩: مقدار السور. ١٠: عيون تعليم القرآن. ١١: المعروف و المنكر. ١٢: إن النظام له دلالة خاصة. ١٣: أجزاء الكلام. ١٤: أسماء السور من عمودها. ١٥: تعيين الخطاب في القرآن. ١٦: كيفية النزول. ١٧: تأويل القرآن بالحديث.

و قد وقف الفراهي عند كل أصل من هذه الأصول المذكورة تناولها بالبحث المستفيض. كما أنه قد التزم كل هذه الأصول بدقة في تفسيره.

و قد ألف لشرح بعض هذه الأصول كتباً خاصة أمثال "دلائل النظام" و "التكميل في أصول التأويل" و "الإمعان في أقسام القرآن" و أساليب القرآن" و مفردات القرآن" و غيرها.

٢: مفردات القرآن للفراهي:

---

[٦٩] الفاتحة للفراهي: ص ١٠.

من أهم مصادر الإصلاحي أيضاً هذا الكتاب. و عند ما يأخذ الإصلاحي منه فيصرّح به. و يقول الفراهي عن هذا الكتاب: "جعلته مما نحول إليه في كتاب نظام القرآن لكيلا نحتاج إلى تكرار بحث المفردات إلا في مواضع يسيرة يكون فيها الصحيح غير المشهور. فنذكر بقدر ما تطمئن القلوب/السليمة. و لا نورد في هذا الكتاب من الألفاظ إلا ما يقتضي بياناً و إيضاحاً. أما لبناء الكلام أو نظمه عليه. فإن الانحصار ربما يقع في نفس معنى الكلمة فيبتعد عن التأويل أو بعض وجوهها فيغلق باب معرفة النظم"(٧٠).

يعتمد الإصلاحي عليه في المعاني اللغوية. سنذكر عدة أمثلة إن شاءالله في المبحث الذي يتعلق بمصادره من كتب اللغة.

٣: أساليب القرآن للفراهي:

ففي هذا الكتاب يبحث الفراهي عن دلالة التراكيب المختلفة الوجوه ما لا دلالة له عليه. و استفاد الإصلاحي منه أيضاً".

٤: أصول التأويل للفراهي:

يبيّن الفراهي فيه ما يؤخذ من المعاني المختلفة و مالا يؤخذ و ما يمكن/بينهما الجمع.

تاريخ القرآن: و دلائل النظام: كلاهما للفراهي:

و يقول الفراهي عنهما أنه كتبهما لدفع الظنون التي بينت على الأوهام الناشئة من قلة النظر و التأمل في روايات جمع القرآن و مواقع تنزيلها.وضعنا كتابين: "تاريخ القرآن" و "دلائل النظام" لتطمئن القلوب و تستعد للنظر في نظم القرآن"(٧١).

---

(٧٠) كتاب مفردات القرآن للفراهي: ص٣.

(٧١) المصدر نفسه: ص١.

المبحث الثاني:

مصادره من كتب الحديث النبوي الشريف.

الحديث النبوي من المصادر المهمة لتفسير كتاب الله التي لا غنى عنها لأي مفسر لأن من البديهي أنه لا أحد أعلم بتفسير كتاب الله من الذي أنزل عليه، و هو رسول الله صلى الله عليه و سلم.

يقو ل الشيخ الإصلاحي -وهو بصدد بيان أدواته لفهم القرآن-"إن الأحاديث والآثار من أشرف و أزكى المآخذ الظنية للتفسير، و كانت أهميتها مثل أهمية السنّة المتواترة بشرط الاطمئنان إلى صحتها".

و زخرف تفسير الإصلاحي ببعض الأحاديث النبوية، غير أن التصريح بمصادر هذه الأحاديث كان يأتي على قلة.

و مما يجدر ذكره أن الإصلاحي استعمل عبارة (الحديث) و غالبا ما يكون الحديث في الصحيحين أو في أحدهما. و قد يقول الإصلاحي إن هذا ثابت بحديث الرسول بدون أن يذكره أو يعزوه إلى مصدره. و مع ذلك فإنه قد أشار في تفسيره إلى صحيح البخاري و مسلم في بعض المواضع. و هذه نماذج مختصرة توضح ذلك.

صحيح البخاري:

عند تفسير قوله تعالى: "و يسئلونك عن المحيض..."[١]. قال الإصلاحي : "كان الناس يجتنبون عن النساء في الجاهلية و كان هناك إفراط و تفريط ... فذكر القرآن الحدود

---

[١] سورة البقرة: الاية ٢٢٢.

للاجتناب عن النساء في قوله: و لا تقربوهن حتى يطهرن ..."[٢]. و ليس المراد بالاعتزال تركهن مستقلاً حيث لا تبقى معهن أية علاقة على الاطلاق كما كان في الجاهلية. فنجد توضيحالهذه المسألة في الأحاديث و في عمل الرسول صلى الله عليه و سلم"[٣].

فاكتفى الإصلاحي بالإشارة إلى الأحاديث التي رواها محمّد بن إسماعيل (١٩٦-٢٥٤ هـ)في صحيحه. و هي هذه:

١: روى البخاري: "عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم : كان يتكئ في حجري و أنا حائض، ثم يقرأ القرآن".

٢: و في رواية عن عائشة قالت: كنت اغتسل أنا و النبّي صلى الله عليه و سلم من إناء واحد، كلانا جنب. و كان يأمرني فاتزر، فيباشرني و أنا حائض. و كان يخرج رأسه إليّ و هو معتكف، فأغسله و أنا حائض.

٣: و في رواية عن ميمونة: كان النبّي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يباشر إمرأة من نسائه، أمرها فاتزرت و هي حائض"[٤].

٤: و عند تفسير قوله تعالى: "ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبين و كان الله بكل شيء عليما"[٥]. فذكر الإصلاحي الأحاديث - تحت عنوان مسألة ختم النبوة: - من صحيح البخاري.

---

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٣) تدبر: ٥٢٦/١ .

(٤) صحيح البخاري: كتاب الحيض باب(٣) :قرأة الرجل في حجر امرأته و هي حائض. رقم الحديث: ٢٩٣. أخرجه مسلم في الحيض باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها . رقم الحديث: ٣٠١. و في باب(٥) : مباشرة الحيض رقم الحديث: ٢٩٥. و ٢٩٧. و كذلك أخرج مسلم في الحيض: باب: مباشرة الحيض فوق الأزار، رقم الحديث: ٢٩٤. (١١٥/١١٤/١).

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "إن مثلي و مثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة و أنا خاتم النبين"(٦) (٧).

صحيح البخاري و مسلم:

و يقول الإصلاحي في تفسير سورة الفاتحة تحت عنوان:

"نظرة على السورة من ناحية الدعاء: إن هذه سورة خاصة بأهم عبادتنا و هذا يكفي لمعرفة أهميتها من ناحية الدعاء. و روى في الصحيحين عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"(٨) (٩).

(في الدعاء)

و قال بعد هذا: "و كذلك لها أهمية من ناحية التأثير/كما نجد في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلى الله عليه و سلم: من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج(١٠)". ثلاثاً، غير تمام. فقيل لأبي هريرة: إنا نكون وراء

---

(٦) صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب خاتم النبين. (الكتب الستة) ١٦٢/٤-١٦٣.

(٧) تدبر: ٢٤٣/٥.

(٨) صحيح البخاري: ٢٦٣/١. رقم الحديث: ٧٢٣. باب وجوب القراءة للإمام و المأموم في الصلات كلها..ضبطه: د: مصطفى ديب البغا. ط:٣. ١٩٨٧ء-١٤٠٧. و صحيح مسلم: كتاب الصلوة. ت: عبد الفواد. ٢٩٥/١.

(٩) تدبر: ٦٧/١.

(١٠) خداج: قال الخليل بن أحمد وأصمعي وأبو حاتم السجستاني والهروي وآخرون: "الخداج":النقصان. يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان إنتاج. وإن كان تام الخلقة. وأخدجته إذا ولدته ناقصاً . وإن تمام الولادة. ومنه قيل لذي اليدين: مخدج اليد، أي ناقصها. قالوا: فقوله عليه السلام (خداج) أي ذات خداج. وقال جماعة من أهل اللغة خدجت وأخدجت، إذا ولدت بغير تام بتعريف: كتاب العين: مادة:خ.د.ج. لأبي عبد الرحمن خليل بن أحمد الفراهيدي(١٠٠-١٧٥ هـ) ت:د.مهدي المخزومي وإبرهيم السامرائي. ط: ١. ١٤٠٥هـ.(١٥٧/٤). من منشورات دارا لهجرة. قم، ايران.

الإمام. فقال: اقرأ بها في نفسك. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين.[١١] و لعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العلمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. و إذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى علَيَّ عبدي. و إذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجَّدني عبدي.(و قال مرة: فوَّض إلَيَّ عبدي) فإذا قال: إياك نعبد و إياك نستعين. قال: هذا بيني و بين عبدي و لعبدي ما سأل. فاذا قال: اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي و لعبدي ما سأل"[١٢].

صحيح مسلم: قوله تعالى: "و إذ قلتم يموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثنكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون"[١٣]. فقال الإصلاحي : "عبّر القرآن الكريم حالة سبعين رجلا الذين ذهبوا مع موسى عليه السلام إلى "الطور" التي اعترت عليهم الموت و الرجفة [١٤] بالموت فيمكن أن يكون المراد بها الموت أو الإغماء بطريق الاستعارة. فجاءت كلمة الموت في اللغة العربية للنوم و الإغماء كذلك. وذكر بعد ذلك الدعاء/يقرأ الذي الإنسان بعد الانتباه من النوم. و هو:{الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور[١٥]}.

---

[١١] قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة. سمّيت بذلك لأنها لا تصحُّ إلا بها.

[١٢] صحيح مسلم: كتاب الصلاة باب قرأة الفاتحة في كل ركعة. رقم الحديث: ٣٩٥. و مسند أحمد بن حنبل: رقم الحديث: ٧٨٢٣-٧٢٨٩.

[١٣] سورة البقرة: ٥٥-٥٦.

[١٤] قوله تعالى: "و اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ، فلما أخذتهم الرجفة... الآية: سورة الأعراف: ١٥٥.

[١٥] وذكر هذا الحديث مسلم في صحيحه في كتاب "الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار". باب:(١٧) ما يقول عند النوم و أخذ المضجع حيث قال: حدثنا عبيد الله بن معاذ. حدثنا أبي شعبة عن عبد الله بن أبي السفر عن أبي بكر بن أبي موسى عند البراء أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قال: اللهم باسمك أحيا وباسمك أموت". وإذا استيقظ قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور. حديث ٢٧١١ ص: ٢٩٨٣. وكذلك ذكره ابن ماجة في سننه في كتاب الدعاء باب (١٦) ما يدعو به إذا انتبه من الليل. حديث: ٣٨٨٠.
تدبر: ٢١٦/١. وذكر معناه من لسان العرب: مات الرجل وهمد وهوَم إذا نام ...الموت السكون وكل ما سكن فقد مات...وفي الحديث دعاء الانتباء - كما ذكرنا سابقا - يسمّى النوم موتا لأنه يزول معه العقل و الحركة تمثيلا وتشبيها لا تحقيقا . وقيل الموت في كلام العرب يطلق على السكون يقال ماتت الريح أي سكنت ومنها المنام لقوله: والتي لم تمت في منامها وقد قيل المنام الموت الخفيف والموت النوم الثقيل... والموتة جنس من الجنون والصرع يعتري الإنسان فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم والسكران والموت الغشي.

البخاري ومسلم وغيرهما:

في بعض الأحيان يذكر الشيخ الإصلاحي حديثاً بعد أن يفسر الآية و مثال ذلك قوله تعالى: "قل الله اعبد مخلصاً له ديني...ألا ذلك هو الخسران المبين"[١٦]. فقال: "المقصود من ذكر "أهليهم" إشارة إلى حقيقة أن كل إنسان ليس مسئولاً عن نفسه فقط بل عن أهله كذلك. و وضح الرسول صلى الله عليه و سلم هذه الحقيقة في الحديث حيث قال: "كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته"[١٧]. فمن اقتضاء المسئولية أنه لا يكتفي بالتفكير عن نجاته فقط بل يفكر لنجاة أهله كذلك و لو أجبرهم على ارتكاب معصية الله فهو لم يهلك نفسه بل أهلكهم أيضاً"[١٨].

---

[١٦] سورة الزمر: ١٤-١٥.

[١٧] أخرجه البخاري في باب الجمعة في القرى والمدن عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كلكم راع. و زاد الليث قال يونس كتب رزيق بن حكيم إلى ابن شهاب و أنا معه يومئذ بوتدي القرى هل ترى أن أجمّع و رزيق بن حكيم عامل على أرض يعمل فيها جماعة من السودان و غيرهم و رزيق يومئذ على ايلة فكتب ابن شهاب و أنا اسمع يأمره أن يجمع يخبره أن سالما حدثه أن عبد الله ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته الامام راع و مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته و المرأة راعية في بيت زوجها و مسؤلة عن رعيتها و الخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته قال و حسبت أن قال والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته وكلكم راع ومسئول عن رعيته". ٢١٤/١. و كذلك في كتاب الاستقراض. باب العبد في مال سيده ولا يعمل إلا باذنه. ٨٧/(٨)/٣. و في كتاب العتق. باب كراهية التطاول على الرقيق: ١٢٤/٢. و في باب العبد راع في مال سيده: ١٢٥/٣. و في النكاح باب قوا أنفسكم و أهليكم نارا: ١٤٦/٦. و في باب: المرأة راعية ١٥٢/٦. و في كتاب الوصايا: باب: من بعد وصية توصون بها": ١٨٩/٣. وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة: رقم الباب: ٢٠. والحديث: ١٨٢٩. و ذكر الإمام أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء. باب: ما يلزم الإمام من حق الرعية: كتاب الجهاد باب ما جاء في الإمام. الحديث ١٧٠٥.

[١٨] تدبر: ٥٧٤/٦.

سنن الترمذي:

وقال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"(١٩). " ليس المراد بالختم هنا ختم ظاهري ومحسوس، بل المراد منه الختم المعنوي.

وكذلك ليس المراد منه أن الله ختم على قلوبهم وهم كانوا في بطون أمهاتهم بل هذا الختم هو نتيجة اعراضهم عن امتثال أوامر الله تعالى وارتكابهم لمعصيته"(٢٠). و قال بعد هذا: " فحقيقة الختم الذي ذكرناها هي ذكرت في الأحاديث فنكتفي هنا بحديث منها مخافة الاطالة وهو:

إن المؤمن إذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستعتب صقل قلبه وإن زادت حتى تعلو قلبه فذلك " الران" الذي قال الله تعالى(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون(٢١)}.(٢٢).

وذكر الإصلاحي حديثاً من سنن الترمذي مفسراً قوله تعالى: " ما كان محمدٌ أبآ أحد من رجالكم ولكن رّسول اللّه وخاتم النبيّن وكان اللّه بكل شيء عليماً"(٢٣).

" عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبيٌ، قال: فشق ذلك على الناس فقال: لكن المبشرات. فقالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة"(٢٤).

---

(١٩) سورة البقرة: الآية٧. (٢٠) تدبر: ١/١٠، و ١١٣. (٢١) سورة المطففين: الآية ١٤.

(٢٢) وذكر ابن كثير مرفوعاً عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.. و قال اخيرا:- هذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة والليث بن سعد وابن ماجة عن هشام بن عمار... وقال الترمذي حسن صحيح. تفسير ابن كثير: ١/٤٩. وعبّارة الترمذي تختلف عن ابن كثير وقال: عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتي يعلو قلبه وهو " الران" الذي ذكر الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) سنن الترمذي: كتاب التفسير سورة المطففين:٥/٤٣٤

(٢٣) سورة الاحزاب: الآية ٤٠.

(٢٤) سنن الترمذي: كتاب الرؤيا(٥٣)، باب:(٢) ذهبت النبوة وبقيت المبشرات(الكتب الستّة ١٤) ٤/٥٣٣. رقم الحديث:٢٢٧٢.

المبحث الثالث:

مصادر الإصلاحي من كتب اللغة.

لا شك في أن أهمية الملكة النحوية و اللغوية لمن شمر عن ساقهلتفسير القرآن الكريم و أنها من الأمور الضرورية التي يجب أن يضطلع بها من يفسر كتاب الله، و كلما كان الاطلاع واسعاً في هذا الباب كانت الملكة قوية. و لقد تعلم الإصلاحي اللغة العربية و تفسير القرآن الكريم من شيخه الفراهي الذي برع في علم النحو و اللغة، حتى عُد من خصائصه خاصة و سمي إمام اللغة في الهند.

و لقد أفاد الإصلاحي من كتب النحو في مجال الإعراب و الصرف و تراكيب الجمل، كما أفاد من جهود اللغويين و النحاة في مجال الكشف عن المعنى القرآني من منظارهم الخاص.

الشيخ الإصلاحي ذو ملكة و دراية قوية في هذا الباب، فهو يقتبس و يستنبط و يناقش و يرجح و إن كان في بعض الأحيان يكتفي بإبراز الأقوال دون أن يعلق عليها.

و هذه أهم الكتب التي أفاد منها الشيخ الإصلاحي.

مفردات القرآن: للشيخ عبد الحميد الفراهي[1].

هذا الكتاب من أهم مصادر الإصلاحي من اللغة. كما ذكرنا قبل هذا أن الإصلاحي حينما يصرح بذكر مصدره فإنه يقصد بذلك أحد الأمرين:

١: إما الخروج من عهدة ذلك القول.

---

(١) قد مر ذكره في الفصل الثاني من الباب الأول. و كذلك أنظر في :"ياد رفتكان" لسيد سليمان الندوي ص ١١٠-١٣٢. مجلس نشريات اسلام. كراتشي. ١٩٨٣ء.

٢: و إما نصرة ذلك القول إذا كان قائله ممن يقتدي به.

و في بعض الأحيان يفسر الإصلاحي الآيات و الكلمات في تفسيره كما فسرها و شرحها أستاذه بدون أن يعزوها إليه:

١: كلمة "الكتاب" في قوله تعالى: "**ذلك الكتاب لا ريب فيه**"(٢).

قال الإصلاحي: إن "الكتاب" جاء في القرآن لخمسة معان. و ذكر هذه المعاني كما ذكرها الفراهي في كتابه: "مفردات القرآن" إلا أنه غير ترتيب الفراهي. و هي:

١: كلامه المنزل على رسوله.

٢: قضاء الله الذي قضى به لينفذه كما قال تعالى: "**و ما أهلكنا من قرية إلا و لها كتاب معلوم**"(٣). أي أجل قضاه الرب. و ذكر الإصلاحي هذه الآية: "**لو لا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم فيه من عذاب اليم**"(٤).

٣: ما كتب علينا من شرائع كما في قوله تعالى: "**و يعلمهم الكتب و الحكمة**"(٥).

---

(٢) سورة البقرة: الاية ٢.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤.

(٤) سورة الانفال: الاية ٦٨.

(٥) سورة الجمعة: الآية ٢.

٤: كتاب مشتمل لقضائه بالمعنى الثاني كما في قوله تعالى: "و لا رطب و لا يا بس إلا في كتب مبين"(٦). هذا مستدل الفراهي، و أما مستدل الإصلاحي فهو قوله تعالى: "و عندنا كتب حفيظ"(٧).

ولافرق بينهما لأن غرضهما و مقصودهما واحد.

٥: الرسالة كما قال تعالى في قصة سليمان مع ملكة "سبا": "إني ألقي إلي كتب كريم"(٨).

٢: "هدى": ذكر الشيخ الإصلاحي أربعة معان كما ذكرها الفراهي و لكن الإصلاحي لم يعزوها إليه. و هي : كما قال الفراهي:

"هو اسم الحدثان من هدى يهدي، و يأتي حسب أصل معلوم من إطلاق أسماء الحدثان على وجوه:

١: أنه النور و البصيرة في الفؤاد كما قال تعالى: "و الذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقوهم"(٩) (١٠).

---

(٦) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٧) سورة "ق": الآية ٤.

(٨) سورة النمل: الآية ٢٩.

(٩) سورة محمد: الآية ١٧.

(١٠) تدبر: ٨٦/١. و مفردات القرآن: ص ٦١.

٢: هو الدليل و البيّنة و ما تهتدي به كما قال تعالى { في قصة موسى عليه السلام عند رجوعه من مدين }: " **أو أجد على النار هدى**"(١١).

٣: هو الطريق الواضح الموصل كما قال تعالى: "**إنك لعلى هدى مستقيم**"(١٢). و منه للسُنة و الشريعة كما قال تعالى: "**فبهد هم اقتده**(١٣)". و "**إن الهدى هدى الله**"(١٤).

٤: التوفيق للهداية كما قالى تعالى: "ليس عليك هدهم و لكن الله يهدي من يشآء"(١٥) (١٦).

٣: { الغيب} ذكر الإصلاحي أربعة معان لها كما ذكرها شيخه -الفراهي- و لكنه لم يعزوها إليه . و هي:

١: الغيب يطلق على ما غاب عنك،و ضده الشهادة، كما قال تعالى: "**علم الغيب و الشهادة**"(١٧). أي ما هو غائب عنا و ما هو مشهود لنا.

---

(١١) سورة " طه ": الآية ١٠.

(١٢) سورة الحج: الآية ٦٧.

(١٣) سورة الأنعام: الآية ٩٠.

(١٤) سورة آل عمران: الآية ٧٣.

(١٥) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

(١٦) تدبر: ٨٨/١. و مفردات القرآن: ص ٧٢.

(١٧) سورة الحشر: الآية ٢٢.

٢: و يطلق على ما لا سبيل إلى علمه كما حكى الله عن النبي صلى الله عليه و سلم : "و لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير"[١٨].

٣: و على المكان الذي ليس بمشهد منك و الجانب الذي لا يتعين كما في قوله تعالى: "تلك من أنباء الغيب نوحيه إليك و ما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم"[١٩]. (فبيَّن معنى الغيب أي لم تكن بمشهد منهم)[٢٠].

٤: و يطلق على السِّر عموماً كما قال تعالى: "حفظت للغيب"[٢١]. و أيضاً : "فلا يظهر على غيبه أحدا"[٢٢] [٢٣].

و إستشهد الشيخ الفراهي بالشعر لتأييد بعض المعاني المذكورة[٢٤] وأما الإصلاحي فإنه اقتصر بالاستشهاد عليها بالقرآن .

٤: كلمة {ظن} في قوله تعالى: "الذين يظنون أنهم ملقوا ربهم"[٢٥]. فسَّر الإصلاحي كلمة "ظن" كما فسَّرها الفراهي حيث قال: "الظن ما يرى المرء من غير مشاهدة

---

[١٨] سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

[١٩] سورة "يوسف": الآية ١٠٢.

[٢٠] مفردات القرآن: ص ٥٩.

[٢١] سورة النساء: الآية ٣٤.

[٢٢] سورة الجن: الآية ٢٦.

[٢٣] تدبر: ١/٨٩-٩٠. و مفردات القرآن: ص ٥٨-٥٩.

[٢٤] مفردات القرآن/ ص ٥٨-٥٩.

[٢٥] سورة البقرة: الآية ٤٦.

و لكون غير المشهود، ربما لا يوقن به تضمن الظن معنى الشك و بهذا المعنى كثر في كلام العرب و القرآن كما قال طرفة:

و اعلم علماً ليس بالظن أنه إذا ذل مولى القوم فهو ذليل.

وكذلك في قوله تعالى: "إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين"(٢٦).

و لكن الرأي في غير المشهود ربما يكون يقيناً و يطلق الظن عليه بالمعنى الأعم من غير تضمنه الشك كما قال أوس بن حجر:

الا لمعى الذي يظن بك الظن كأن قد رأى و قد سمعا.

و قال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنوا بألفي مرجع سراتهم في الفارسي المسرد(٢٧).

وزاد الفراهي قول المؤمنين في القيامة: "إني ظننت أني ملق حسابية"(٢٨). (٢٩).

٥: {النصارى} اعتمد الإصلاحي في تحقيق كلمات عديدة مثل "اليهود" و "النصارى" على تحقيق الفراهي و نقلها في تفسيره بعزوها. حيث يقول في تفسير قوله تعالى:

---

(٢٦) سورة الجاثية: الآية ٣٢.

(٢٧) تدبر: ١٩٣/١. و مفردات القرآن: ص ٥٥.

(٢٨) سورة الحاقة: الآية ٢٠.

(٢٩) مفردات القرآن: ص ٥٥

"ان الذين امنوا و الذين هادوا و النصرى و الصابئين من أمن بالله..."(٣٠).

"النصارى": جمع نصران مثل "ندامى" جمع ندمان. و هذا الاسم كان لهم في الأول. و قدماؤهم لم ينكروه و لكن المتأخرين منهم ظنوه شتماً و انكروا هذا الاسم عناداً لأوائلهم. و بيان ذلك أن اتباع المسيح صاروا فرقتين. فرقة اتبعوا الخليفة بالحق "شمعون" و تسموا باسم النصارى و كلهم آمنوا بمحمد - صلى الله عليه و سلم - و هم الذين مدحهم القرآن حيث قال { و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصرى(٣١)} فصرح بأن المراد هم الذين تسموا بهذا الاسم. و فرقة اتبعوا "بولوس" المبتدع و هم الباقون الآن و هؤلاء قد زعموا أن النصارى كلمة تحقير لأنه ناصرة و هي قرية حقيرة عندهم كما جاء في { يوحنا: ١:٤٥.} "فيلبس وجد نثنائيل و قال له وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس و الأنبياء يسوع بن يوسف الذي من الناصرة. فقال له نثنائيل من الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح". و هذا من تكبر هذه الفرقة فإن الناصرة ان كانت مولد عيسى {عليه السلام} فأي حقارة في النسبة إليها. و قد زعموا أن الناصرة مولده كما جاء في اناجيلهم بل انه يدعى ناصرياً كما جاء في "متى"(٢:٢٤) "و اتى و سكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً". وزعم الطاعنون ان القرآن لم يعرف هذه التسمية و جعلها من النصرة لما جاء فيه { و إذ قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن انصار الله(٣٢)}

و هذا الطعن منشأه الجهل بمعنى الآية فإنها إنما ذكرت أمراً حقاً و لم تذكر وجه التسمية نعم فيها إشارة إلى أن المسمين بالنصارى يجب عليهم نصر الحق لما في اسمهم ذكر لذلك"(٣٣).

---

(٣٠) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٣١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٣٢) سورة الصف: الآية ١٤.

(٣٣) تدبر: ١/٢٢٩-٢٣٠. و مفردات القرآن: ص ٦٩-٧٠.

لقد ذكرنا هذا الاقتباس الطويل لبيان أن الشيخ الإصلاحي إلى أي مدى كان يعتمد على تحقيق شيخه -الفراهي - و هذا كثير في تفسير تدبر قرآن و إنما أردت المثال فقط.

أقرب الموارد في فصح العربية و الشوادر: لسعيد الخوري الشرتوني اللبناني.

١: عند قوله تعالى : "و لسليمن الريح غدوها شهر و رواحها شهر..."(٣٤).

قال الشيخ الإصلاحي : "وإن ذكر الريح في الآية و لكن المقصود منها ذهاب الجواز و ايابها كأن الإشارة إلى المعمول بذكر العامل...و جدير بالذكر أن كلمة "غدو" و "رواح" قد تأتي بمعنى الذهاب و الاياب مطلقاً. مثلاً قوله تعالى: "و إذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين للقتال "(٣٥). و كذا ذكر صاحب أقرب الموارد عند كلمة "رواح"(٣٦). وقد يستعمل بمعنى المضي و الذهاب" (٣٧) -

٢: قد يذكر الإصلاحي معنيين لكلمة بدون ترجيح لأحدهما و مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: "فاعرضوا فارسلنا عليهم سيلَ العرم"(٣٨). فقال في معنى "العرم" قال بعض

---

(٣٤) سورة سبا: الآية ١٢.

(٣٥) سورة آل عمران: الآية ١٢١.

(٣٦) تدبر: ٣٠١/٦.

(٣٧) أقرب الموارد: مادة: راح. يروح رواحاً. (٤٤٢/١).

(٣٨) سورة : سبا": الآية ١٦.

أهل اللغة : العرم المطر الشديد"[٣٩]. و بعضهم قالوا : عرم جمع: عرمة. و قال صاحب أقرب الموارد:"العرمة: سدّ يعترض به الوادي . جمع عرم مثل كلمة و كلم"[٤٠].

٣: و عند تفسير قوله تعالى: "فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا"[٤١]. فذكر الإصلاحي معنى {الضعف} كما ذكره صاحب أقرب الموارد حيث قال : "الضعف: واحد أضعاف و مثله في المقدار و (ضعفاه) مثلاه و جائز في كلام العرب أن يكون الضعف المثل الواحد و ما زاد عليه من الأمثال. يقال: "لك ضعفه" أي مثلاه و ثلاثة أمثاله لأنه في الأصل زيادة غير محصورة"[٤٢].

٣: لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري ابن منظور الافريقي ٦٣٠هـ-ت: ٧١١هـ[٤٣].

لسان العرب من أهم مصادر اللغة للشيخ الإصلاحي وقد ذكر في مقدمة تفسيره و هو بصدد بيان أدوات فهم القرآن فقال: "اللغة تحتاج إلى الذوق السليم. و من الكتب الذي استفدت كثيراً من معاجم اللغة هو "لسان العرب". و ذلك أن صاحبه يوضح معظم الألفاظ من جوانب شتى بالشواهد و النظائر و هذا أمر مفيد جداً و لهذا هو مهم عندي و ينبغي الرجوع إليه لهذا الغرض"[٤٤].

---

[٣٩] تدبر: ٣٠٨/٦. و ذكر صاحب لسان العرب: معاني "عرم" منها: السيل الذي لا يطاق. قيل: عرم: اسم الوادي. و قيل: المطر الشديد". لسان العرب: مادة: عرم. ط: ١٩٨٨.١. دار إحياء التراث العربي. (١٧٢/٩) و أقرب الموارد: مادة: عرم.

[٤٠] أقرب الموارد: مادة:عرم. و تدبر: ٣٠٨/٦.

[٤١] سورة سبا: الآية ٣٧.

[٤٢] أقرب الموارد: مادة: ض.ع.ف. و تدبر: ٣٣٨/٦.

[٤٣] أنظر ترجمته: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني. في مادة: (الميم).

[٤٤] مقدمة تدبر: ١٧/١.

وقد أن الشيخ الإصلاحي صرّح في مقدمته بأنه استفاد منه كثيراً، ولكنه لم يصرح بذكره إلا قليلاً.

مثلاً عند تفسير قوله تعالى: "ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون"(٤٥). فيفسر الإصلاحي كلمة "موت" في الآية فقال : "عبر القرآن عن حالة النوم بالموت، فيمكن أن يكون المراد الموت، و هناك إمكان للإغماء بالاستعارة وقد يطلق الموت استعارة على الإغماء كما قال صاحب لسان العرب:(٤٦) : مات الرجل و همد و هُوم إذا نام... الموت: السكون. و كل ما سكن فقد مات... و في حديث دعاء الانتباه: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور.(٤٧) سمي النوم موتاً لأنه يزول معه العقل و الحركة، تمثيلاً و تشبيهاً لا تحقيقاً. و قيل : الموت في كلام العرب يطلق على السكون يقال ماتت الريح أي سكنت... و منها المنام لقوله تعالى: "و التي لم تمت في منامها"(٤٨). و قد قيل: المنام الموت الخفيف، و الموت: النوم الثقيل... و الموتة جنس من الجنون و الصرع يعتري الإنسان فإذا أفاق عاد إليه عقله كالنائم. و الموتة: الغشي".(٤٩).

---

(٤٥) سورة البقرة: الآية ٥٦.

(٤٦) تدبر: ٢١٦/١.

(٤٧) و قد ذكره مسلم في صحيحه في كتاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار باب: ١٧. رقم الحديث: ٢٧١١-٢٠٨٣. و ابن ماجة في سننه في كتاب الدعاء باب ١٦. رقم الحديث : ٢٨٨٠.

(٤٨) سورة الزمر: الآية ٤٥.

(٤٩) لسان العرب: مادة: موت. (١٣-٢١٨-٢١٩){ لابن منظور الافريقي ٦٣٠-٧١١هـ}، ط: ١. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. و تدبر: ٢١٦/١.

المبحث الرابع

مصادر الإصلاحي من الكتب السماوية السابقة.

بيّن الشيخ الإصلاحي في مقدمة تفسيره موقفه من الكتب السماوية السابقة حيث قال: "في كثير من المواضع جاء ذكر الكتب السماوية السابقة التي أنزلت على الأنبياء السابقين و بُين القرآن الكريم في كثير من السور قصص الرسل السابقين و أقوالهم و ذم أهل الكتاب (اليهود و النصارى) على ما فعلوه من التحريف في كتبهم المنزلة من الله سبحانه و تعالى."

"و أورد المفسرون كثيراً من هذه الروايات التي تسمى "الإسرائيليات" غير أني لم أخرج عليها لأن أكثرها لم ينقل إلينا بسند صحيح. و إنما هي أحاديث و قصص موضوعة غير صالحة للاحتجاج فأعرضت عنها. و نظرت في التوراة و الإنجيل فاخترت منها الروايات التي تتوافق مع القرآن الكريم و قد وضحت بالدليل مواضع الخلاف بأن الحق هو ما يقوله القرآن الكريم."

"و من الجدير بالملاحظة أن التوراة و الإنجيل من الله تعالى مثل القرآن الكريم إلا أن أهلهما حرفوا فيهما إلى حد بحيث لا يمكننا الآن الوصول إلى أصل هذه الكتب. و رغم هذا التحريف، ما زالت هذه الكتب السماوية مخزن الحكمة -عند الشيخ الإصلاحي -

و أرى أن الرجوع إليها يساعدنا على فهم القرآن الكريم." (١)

أخذ الإصلاحي هذه الفكرة عن شيخه -الفراهي- و أن نظرة الأخيرة على تفسيره نظام القرآن - و كتبه الأخرى في علوم القرآن يتبيّن لنا اطلاعه الواسع على التوراة والإنجيل، فإنه قرأ بدقة و عمق و ترجمة العهد القديم و الجديد في اللغة العربية و كتب شرحاً للإنجيل و سماه : الإكليل في شرح الإنجيل".

(١) الف . مقدمة تدبر ص : ٨ -

و قد بيَّن الفراهي عن موقفه من الكتب المقدسة فقال: "إن القرآن أحد الكتب المنزلة و نبيُّنا واحد من الأنبياء و نحن المسلمون مع كثرة الرسل أمة واحدة لا بدَّ لنا أن ننظر فيما سبق لنعرف قدر القرآن الكريم و نشكر فضل الله تعالى و يظهر لنا تأويل تلميحات القرآن التي خفيت عن الخلف من المفسرين فلم يهتدوا لوجه الكلام من غير موضع. و يتبيَّن لنا إفحام أهل الكتاب و ما التفسير فمع أنهم أكثروا من الإسرائيليات تزكوا الكتب المقدسة إلا قليل من العلماء الذين أظهروا الحق على أهل الكتاب و أقاموا عليهم الحجة كابن تيمية فنعم ما فعلوا فكأني على أثرهم"[١].

و فيما يلي نذكر بعض الأمثلة:

قوله تعالى:

"الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة و مما رزقنهم ينفقون"[٢].

قال الشيخ الإصلاحي في تفسير الآية : "ذكر الله تعالى هاتين الحسنتين (الصلاة و الإنفاق) معاً لأنهما أساس كل حسنة. فإذا ذكر الأساس عرفت الأغصان بنفسها. و إنهما لجديران أن تمثلا هذه المكانة، لأن الصلوة تربط الإنسان بخالقه و الإنفاق يربطه بخلقه. فمن قام بهاتين الحسنتين معاً أدى حق الله تعالى و حق عباده. و هذا يكون سبباً في فتح باب حسنات كثيرة أخرى"[٣].

ثم ذكر الشيخ الإصلاحي في تأييد ما قاله في تفسير الآية من "متى" يقول فيه المسيح عليه السلام:

---

(١) مقدمة تفسير نظام القرآن: ص ٢٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣.

(٣) تدبر: ١: ٦١.

"فسأله واحد منهم من علماء الناموس مجرّباً له، يا معلم: ما أعظم الوصايا في الناموس؟ قاله يسوع أحب الرب إلهك بكل قلبك و كل نفسك و كل ذهنك هذه هي الوصية العظمى و الأولى. و الثانية التي تشبهها أحبب قريبك كنفسك. بهاتين الوصتين يتعلق الناموس كله و الأنبياء[٤]".

ثم قال الإصلاحي : "ظهر من هذا النص أن الدّين موقوف على هاتين الحسنتين و لم تظهر أساسيتهما من القرآن الكريم فحسب، و إنما دلت عليها التوراة و الإنجيل و صحف الأنبياء السابقين كذلك"[٥].

و قد يذكر الشيخ الإصلاحي نصوصاً من التوراة لتأييد مفهوم القرآن الكريم و مثال ذلك قوله تعالى:

١: "قالوا يموسى إن فيها قوماً جبارين"[٦].

و قال الإصلاحي في تفسير هذه الآية : "قوماً جبارين" و معنى " جبار" { طويل الجسد} و القوي و الشديد. و تستخدم هذه الكلمة في العربية للنخل أيضاً فنجد نفس المثال في التوراة ".

"و شنّعوا عند بني إسرائيل على الأرض التي تَجَسَّسُوها و قالوا الأرض التي مررنا فيها لِنَتَجَسَّسَهَا هي أرض تأكل أهلَها و جميعُ الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال

---

(٤) إنجيل متى: الفصل الثاني و العشرون الآية ٣٥-٤٠. (الكتاب المقدس العهد الجديد ص: ٤١-٤٢.)

(٥) تدبر: ٦١/١. ط: ٣. أغسطس ١٩٧٦ء.

(٦) سورة المائدة: الآية ٢٢.

القامات. و قد رأينا ثَمَّ من الجبابرة جبابرة بني عناق فصرنا في عيوننا كالجراد و كذلك كنا في عيونهم"(٧).

ثم علَّق عليه الإصلاحي حيث قال: "هذه الكلمات قالت لجنة التفتيش عن ناس فلسطين، و استخدمت فيها كلمة "بني عناق" و " جبار" فعلمنا أنها استخدمت لهم فنقلت منهم إلينا و استخدم هنا في القرآن الكريم أيضاً، لأن العربية و العبرية كلتاهما قريبتا المخارج و لهذا توجد ألفاظ مشتركة بينهما"(٨).

٢: و عند تفسير قوله تعالى: "**و إذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر...**"(٩).

فقال الإصلاحي: "علِم من هنا أن موسى عليه السلام استسقى في صحراء الصين حيث نجد في كتاب العدد، و هذا نصه:

"و وصل بنو إسرائيل ، الجماعة كلها، إلى بريَّة صين في الشهر الأول، فأقام الشعب بقادش، و ماتت هناك مريم و دفنت هناك. و لم يكن للجماعة ماء، فاجتمعوا على موسى و هارون. و خاصم الشعب موسى و قالوا: ياليت أرواحنا فاضت عند ما فاضت أرواح إخواننا أمام الرب. لماذا جئتُما بجماعة الرب إلى هذه البرية لنموت ههنا و ماشيتنا؟ و لماذا أصعدتمانا من مصر فجئتما بنا إلى هذا المكان المشئوم، مكان لا زرع فيه و لا تين و لا كرمة و لا رُمَّان و لا ماء للشرب؟"

---

(٧) سفر العدد: فصل ١٣: الآية ٣٣-٣٤. ص: ٢٥١.

(٨) تدبر: ٢/٢٦١.

(٩) سورة البقرة: الآية ٦٠.

"فأقبل موسى و هارون من أمام الجماعة على باب الخيمة الموعد. فسقطا على وجهيهما، فتجلى لهما مجد الرب، و كلم الرب موسى قائلاً: خذ العصا و أجمع الجماعة أنت و هارون أخوك، و مُرا الصخرة على عيونهم أن تعطي مياهها. و بعد أن تخرج لهم المياه من الصخرة، تستقى الجماعة و ماشيتهم".

"فأخذ موسى العصا أمام الرب، و جمع موسى و هارون الجماعة أمام الصخرة و قال لهم: "اسمعوا أيها المتمردون أنخرج لكم من هذه الصخرة مآء؟ و رفع موسى يده و ضرب الصخرة بعصاه مرة، فخرج مآء كثير، فشرب {شربت} منه الجماعة و ماشيتهم[١٠]"[١١].

٣: عند تفسير قوله تعالى: "قالوا يموسى إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون"[١٢].

قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "إن هذا كان جواب بني إسرائيل لموسى عليه السلام. و هو غير موجود في التوراة بهذه الكلمات و لكن ذكر فيها مفهوم هذا الجواب حيث قال:

"فرفع كل الجماعة أصواتهم و صرخوا و بكى الشعب في تلك الليلة، و تذمر على موسى و هارون جميع بني إسرائيل، و قال لهما كل الجماعة ياليتنا متنا في أرض مصر. ياليتنا متنا في هذه البرية، لماذا أتى الرب بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف و تصير نساؤنا و أطفالنا غنيمة أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر"[١٣].

---

(١٠) كتاب العدد: باب ٢٠. الآية: ١-١١. ص: ٣١٩.

(١١) تدبر: ٢٢٢/١.

(١٢) سورة المآئدة: الآية ٢٤.

(١٣) العهد القديم:

هذه عادة الشيخ حيث يذكر النصوص من التوراة و الإنجيل استشهاداً على مفهوم القرآن الكريم و يريد أن يبرز للقارئ أن هذه الكتب رغم وجود التحريف فيها هي مخزن الحكمة لأنها من عند الله تعالى و لذا نراه يكثر في الاقتباس منها في تفسيره.

هكذا جرى الشيخ الإصلاحي في تفسيره حيث يكثر استشهاد من الكتب السماوية دعماً و تأييداً لآرائه و أقواله ،

و من أمثلة ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى:

"أ تأمرون الناس بالبر و تنسون أنفسكم و أنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون"[١٤].

قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "إن فيها خطاباً لعلماء اليهود و رؤسائهم فقيل لهم: "إنكم تأمرون الناس بالبر و تأكلون أموالهم و تنسون أنفسكم حيث لا تؤدون ما فرض الله عليكم".

ثم أيد كلامه بنص من "إنجيل لوقا و فيه:

---

[١٤] سورة البقرة: الآية ٤٤.

"ويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تحملون الناس أحمالاً عشرة الحمل و أنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم"(١٥).

و كان بإمكانه أن يذكر بعض الأحاديث في تأييد ما ذكره ابن كثير في تفسيره من مسند الإمام أحمد بن حنبل:

"حدثنا وكيع قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد (هو ابن جدعان) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من النار. قال : قلت من هؤلاء؟ قالوا خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس بالبر و ينسون أنفسهم و هم يتلون الكتاب أفلا يعقلون"(١٦).

و ما لاحظنا على ما قاله الشيخ الإصلاحي باعتبار أغلب ما صنعه في تفسيره و هذا لا يعني عدم تعرضه للآثار بالمرة، و من أمثلة تعرضه لآثار الصحابة ما ذكره في تفسير قوله تعالى:

"و إذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمت فاتمهن قال إني جاعلك للناس إماما ، قال و من ذريتي، قال لا ينال عهد الظلمين"(١٧).

حيث قال: "عن ابن عباس قال: الكلمات - التي ابتلى بهن الله إبراهيم فأتمهن_ فراق قومه في الله حين أمر بمفارقتهم ، و محاجته النمرود في الله حين وفقه..... على ما وفقه عليه من حظر الأمر الذي فيه خلافه، و صبره على قذفه إياه في النار ليحرقوه في الله هول ذلك من أمرهم ،والهجرة بعد ذلك من وطنه و بلاده في الله حين أمره بالخروج عنهم،

---

(١٥) إنجيل لوقا: باب ١١ ص: ٤٢. تدبر: ١٨٨/١.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٨٦/١.

(١٧) سورة البقرة: الآية ١٢٤.

ما أمره من الضيافة و الصبر عليها بنفسه و ما له، و ما ابتلى به من ذبح إبنه حين أمره بذبحه فما مضى على ذلك من الله كله، و أخلص لعبادته و قال الله تعالى: **أسلم قال أسلمت لرب العلمين**"[١٨] على ما كان من خلاف على فراقهم"[١٩].

و على كل حال بعد أن ذكر الشيخ الابتلاءات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام فأتمها رواية عن ابن عباس نقلا عن تفسير ابن كثير تعرض لتفسير وعد الله إبراهيم بالإقامة أنه سوف يخرج من نسله أمماً عظيمة. وبالثاني أنه يجعله إماماً لتلك الأمم. و إنما اختار هذا الأسلوب في التفسير ليتسنّى له إيجاد الموافقة بين القرآن و بين نص من نصوص التوراة و هو :

"و نادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء ، و قال بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر و لم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة و أكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء و كالرمل الذي على شاطيء البحر و يرث نسلك باب أعدائه، و يتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت قولي"[٢٠].

ذكر الإصلاحي هذا النص بعد أن قال : رغم وجود التحريف في التوراة ما زال وعد الله إبراهيم موجود فيه حتى الآن بشيء من التغيير.

و قد ظهر من هذا المثال أن إغفال الحديث في التفسير أمر هيّن عند الشيخ الإصلاحي. و هذا لا يقتصر على الأحاديث المروية في عامة كتب الحديث و إنما يهوّن عليه أمر الحديث مهما كانت درجته من الصحة عند أهل العلم.

---

(١٨) سورة البقرة: الآية ١٣١.

(١٩) تفسير ابن كثير: ١٦٥/١.

(٢٠) العهد القديم: الإصحاح ٢٢، الآية ١٥-١٨. ص: ٢٣.

و فيما يلي نذكر مثالاً لإغفاله رواية البخاري و استفادته لرواية الكتب السابقة و هذا عند تفسير قوله تعالى:

"و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتب لتبيننّه للناس و لا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم و اشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون"(٢١).

قال الشيخ الإصلاحي في تفسير الآية: "هذا آخر تنبيه من الله لليهود حيث كتموه الأحكام و خالفوا الإسلام و نسوا الحق و هدي الله سبحانه و تعالى. و قد سبق أن أخذ منهم العهد و الميثاق على الوفاء بكل ما فرض الله عليهم"(٢٢).

ثم ذكر الشيخ الإصلاحي هذا العهد على لسان موسى عليه السلام من التوراة و نصه: "فضعوا كلماتي هذه على قلوبكم و نفوسكم و اربطوها علامة على أيديكم و لتكن عصائب بين عيونكم و علّموها أولادكم متكلمين بها حين تجلسون في بيوتكم و حين تمشون في الطريق، و حين تقومون . و اكتبها على قوائم أبواب بيتك و على أبوابك"(٢٣).

هذا النص الذي ذكره الشيخ الإصلاحي في تفسيره الآية و نجد فيه ذكر العهد الذي أخذ موسى من قومه و لكنهم نسوه و تركوه.

و بجانب آخر نجد أثر ابن عباس رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه في تفسير هذه الآية الذي يوضح مفهومها و يبيّن حقيقة مكر اليهود و غفلتهم و لكن الشيخ الإصلاحي اكتفى بذكر النص في التوراة و لم يذكر أثر ابن عباس رضي الله عنه. و هذا يدلنا بأن الأهمية عند الشيخ الإصلاحي للتوراة و ليس للحديث النبوي و لا لآثار الصحابة.

---

(٢١) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٢٢) تدبر: ٢٢٢/١: ط: ٢.

(٢٣) التثنية: الإصحاح ١١ الآية ١٨-٢١. ص ٢٩٧.

و ذكر البخاري الأثر في تفسير هذه الآية و فيه القصة التي تظهر عادة هؤلاء اليهو
حيث قال:

"إن مروان قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل لئن كان كل امرء فرح به
أوتي و أحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً ليعذبن أجمعون . فقال ابن عباس: و ما لكم هذه إنه
دعا النبي صلى الله عليه و سلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه و أخبروه بغيره فأرو
أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم و فرحوا بماأوتوا من كتمانهم ثم قرأ ا
عباس:

"و إذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتب... يفرحون بما أتوا و يحبون أن يحمدو
بما لم يفعلوا[٢٤] [٢٥].

و كذلك ذكر ابن كثير هذا الأثر ابن عباس عن البخاري و مسلم و الترمذي و النسا
و ابن خزيمة و الحاكم في مستدركه. ابن مرويه. و قال : "كلهم من حديث عبد الملك
جريج بنحوه"[٢٦].

و كذلك استعان الشيخ الإصلاحي في تفسير القرآن الكريم بالكتب السابقة و خاص
في باب إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم بما ورد في التوراة و الإنجيل،
أخبار المتقدمين من ذكر نبيّنا عليه السلام، و ذلك خاصة عند قوله تعالى :

"الذين يتبعون الرسول النبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنج
يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر"[٢٧-٨].

---

(٢٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٧-١٨٨.

(٢٥) صحيح البخاري: ٦٥٦/٢. باب : قوله تعالى : و لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا...".

(٢٦) تفسير ابن كثير: ٤٣٧/١.

(٢٧-٨) الاعراف: الآية ١٥٧ .

و لقد استطرد الإصلاحي عند هذه الآية، و خرج مألوفه من التلخيص و الاختصار حيث قال: "ذكرت التوراة و الإنجيل بعض الأحيان نبينا عليه السلام فنذكر منها":

١: "يقيم لك إلهك نبيك مثلي من وسطك، من إخوانك، فله تسمعون... فقال لي الرب: قد أحسنوا فيما قالوا فأقيم لهم نبيّاً من وسط إخوانهم مثلك، و أجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما أمره به. و أي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه"(٢٧).

قال الإصلاحي: "فعلم من هذا أن موسى عليه السلام أظهر هذه الحقيقة على بني إسرائيل أن النبي الآتي يكون من بني إسماعيل أي من الأميين لأن المراد من : وسطك من إخوانك...من وسط إخوانهم، ليس إلا أنه من بني إسماعيل"(٢٨).

٢: و من ذلك في التوراة: "أقبل الرب من سيناء و أشرق لهم من سعير و سطع من جبل فاران و أتى من وبوت قاديش من جند به إلى المخدرات إليهم"(٢٩).

و في الإنجيل "متى": قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتاب الحجر الذي رده البناؤن هو الذي صار رأس الزاوية من عند الرب كان ذلك و هو عجب في أعيننا، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سينزع منكم، و يعطي لأمة تثمر ثمرة، من وقع عليه هذا حجر حطّمه"(٣٠).

---

(٢٧) β-العهد القديم: السفر التثنية في الإصحاح: ١٨. ص٣٨٦. و تدبر: ٣/٣٧٣-٣٧٤.

(٢٨) تدبر: ٣/٣٧٤.

(٢٩) السفر التثنية في الإصحاح الثالث و الثلاثين: ص ٤١١. و تدبر: ٣/٣٧٤. و كذلك ذكر الإصلاحي هذا الاقتباس في تفسير سورة الفتح: الآية ٢٩. تدبر: ٧/٣٧٣.

(٣٠) إنجيل " متى " باب ٢١. آيات: ٤٢-٤٤. ص: ٩٦-٩٧. تدبر: ٣/٣٧٤-٣٧٥. وكذلك ذكر الإصلاحي هذا الاقتباس مرة أخرى في تفسير سورة الفتح الآية: ٢٩. تدبر: ٧/٤٧٥. وقد وقع الخطأ في ترقيم الآيات ولعل هذا من سهو الكاتب. وكذلك ذكر نفس النص في تدبر: ٧/٣٥٣.

٣: و من ذلك ما وقع في الإنجيل لوقا:

"و أنا سأسأل الرب فيهب لكم مؤيداً آخر يكون معكم للأبد...."(٣١).

"لن أطيل الكلام عليكم بعد ذلك أن سيِّد هذا العالم آت و ليس له يد عليَّ"(٣٢).

---

(٣١) إنجيل يوحنا: باب: ١٤، الأية: ١٦، ص ٣٣٧، و تدبر: ٣/٣٧٥، وتدبر: ٧/٣٥٣.

(٣٢) المصدر نفسه: باب: ١٤، الأية ٣٠، ص ٣٣٩، تدبر: ٣/ ٣٧٥، و تدبر: ٧/٣٥٣.

الفصل الثالث

تحقيق مادة التفسير والتأويل وبيان التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى.

فيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: كلمة حول مادة التفسير والتأويل و مدلولهما.

المبحث الثاني: كلمة حول التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي.

المبحث الثالث: جمع الشيخ الإصلاحي بين التفسير بالمأثور و الرأي.

المبحث الأول :

كلمة حول مادة التفسير و التأويل و مدلولهما.

التفسير لغة: التفسير مشتق من الفسر و هو البيان، فسر الشيء يفسره، بالكسر و يفسره، بالضم، فسراً و فسره: أبانه و التفسير مثله... التفسير: كشف المغطى و التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[١].

و روي عن ابن عباس رضي الله عنهما معنى قوله تعالى: "و أحسن تفسيراً"[٢] أي: تفصيلاً [٣]. و إختاره ابن فارس[٤]. فمفهوم التفسير من حيث اللغة هو مراد الألفاظ و وضوحه وتشريحه. فالتفسير و الاستفسار من أصل واحد، و إذا قيل استفسرته كذا فمعناه: سألته أن يفسّر لي[٥].

التفسير تفعيل من الفسر و هو البيان و الكشف... و هو مأخوذ من التفسرة و هي أي لما يعرف به الطبيب المرض[٦].

---

(١) لسان العرب: مادة فسر. ذكر الفيروز آبادي: التفسير: مأخوذ من الفسر: و هو الإبانة و الكشف المغطى كالتفسير و الفعل كضرب و نصر. القاموس: ١٤٤/٢. وذكر صاحب الخازن: التفسير فأصله في اللغة من الفسر و هو كشف ما غطى. و هو بيان معاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء فهو تفسير و قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ و غريبها تفسير الخازن: ١٤/١.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(٣) تفسير الطبري: ٨/١٩.

(٤) الصاحبي: ١٦٣.

(٥) التاج : فسّر . مختار الصحاح: فسّر . التفسير لغة :الإيضاح و التبيين. مناهل العرفان: ٤٧٠/١. و ابن فارس. و الصاحبي. ذكر مفهوم: الفسر "بالبيان" و أنسبه إلى خليل.

(٦) الاتقان: ٢٢١/٢. و قال صاحب لسان العرب: و قيل التفسرة البول الذي يستدل به على المرض و ينظر فيه الاطباء و يستدلون بلونه على علة العليل و هو اسم كالتهينة:. قال الزركشي: و هي القليل من الماء الذي ينظر فيه الاطباء". البرهان: ١٤٧/٢.

و قال ابن الأنباري[٧]: "قول العرب : فسرت الدابة فسرتها إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها، و هو يؤول إلى الكشف أيضاً"[٨].

و قال بعضهم : هو مقلوب من "سفر" و معناه أيضاً : الكشف، يقال : سفرت المرأة سفوراً : إذا ألقت خمارها عن وجهها، و هي سافرة، و أسفر الصبح: أضاء، و إنما بنوه على التفعيل، لأنه للتكثير، كقوله تعالى: "يذبحون أبناءكم"[٩]. و قوله تعالى: "و غلقت الأبواب"[١٠]. فكأنه يتبع سورة بعد سورة، و آية بعد أخرى"[١١].

و قال أبو حيان[١٢]: "التفسير في اللغة: الاستبانة والكشف... و ينطلق أيضاً التفسير على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول فسرت الفسر : عريته لينطلق في حصره و هو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده منه من الجري، التفسير هو الإيضاح و التبيين و من قوله تعالى: " و لا يأتونك بمثل إلا جئنك بالحق وأحسن تفسيراً"[١٣] [١٤].

التفسير اصطلاحاً :

---

(٧) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بشار الأنباري ولد في يوم لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى و سبعين و مائتين و توفي ليلة النحر من ذي الحجة من سنة ثمان و عشرون و ثلثمائة". تاريخ البغداد: للخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ٣/ ١٨١-١٨٦. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٨) البرهان : ١٤٧/٢.

(٩) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(١٠) سورة يوسف: الآية ٢٣.

(١١) البرهان: ١٤٧/٢.

(١٢) هو أثير الدين، أبو عبد الله بن محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحياني، الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ هـ- المتوفي سنة ٧٤٥ هـ". الدرر الكامنة: ٣٠٢/٤. بغية الوعاة: ١٢١. وفيات الأعيان: ٢٨٢/٢. غاية النهاية: ٢٨٥/٢.. شذرات الذهب: ١٤٥/٦. النجوم الزاهرة: ١١١/١٠. طبقات السبكي: ٣١/٦. الأعلام: ٨/ ٢٦.

(١٣) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(١٤) تفسير البحر المحيط: ٣١/١. دار الفكر، بيروت، لبنان.

أما التفسير اصطلاحاً فقد اختلفت أساليب العلماء في تعريفه، فمنهم من أطال في تعريفه كالزركشي فقال:

"هو علم نزول الآيات، و شئونها و أقاصيصها، و الأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها و مدنيها و بيان محكمها، و متشابهها، و ناسخها، ومنسوخها، و خاصها و عامها، ومطلقها و مقيدها ، و مجملها، و مفسرها، و حلالها و حرامها، و وعدها و وعيدها، و أمرها و نهيها، و عبرها، و أمثالها و نحو ذلك"(١٥).

و منهم من توسط - كأبي حيان - حيث قال في تعريفه: "هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، و مدلولها، و أحكامها الافرادية، و التركيبية، و معانيها التي تحمل عليها حالة التركيب و تتمات لذلك"(١٦).

و قال السيوطي في تعريف التفسير:

"التفسير: علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و بيان معانيه، و استخراج أحكامه، و حكمه، و استمداد ذلك من علم اللغة، و النحو، و التصريف و علم البيان و أصول الفقه و القراءات يحتاج لمعرفة أسباب النزول، و الناسخ و المنسوخ"(١٧). و هذا التعريف أوضح و أيسر من التعريفين السابقين.

و من العلماء من أوجز في التعريف، كالزرقاني فقال:

---

(١٥) البرهان: ١٤٨/٢. و قد نقل السيوطي هذا التعريف في الاتقان: ١٧٤/٢. السيوطي : هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن أبو بكر بن محمد، الشافعي، المحقق، صاحب مؤلفات الفائقة النافعة، ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ) و توفي في سحر ليلة الجمعة تاسع جمادي الأولى سنة ٩١١هـ . شذرات الذهب: ٥١٠٥٥/٨.

(١٦) البحر المحيط: ١٣/١.

(١٧) الاتقان: ١٧٤/٢.

"هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"(١٨).

التأويل لغة:

أصله في اللغة من الأول، و معنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلا م تؤول العاقبة في الأمر به؟ كما قال تعالى: "**يوم يأتي تأويله**"(١٩). أي تكشف عاقبته، و يقال آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، و قال تعالى: "**ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً**"(٢٠).(٢١).

قال الزركشي: "التأويل":

أصله من المآل، و هو العاقبة والمصير. و قد أوّلته فآل، أي صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

و قيل : أصله من الإيالة، و هي السياسة، فكأن المؤول للكلام يسوّي الكلام، و يضع المعنى فيه موضعه(٢٢).

---

(١٨) مناهل العرفان: ١/ ٤٧١.

(١٩) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

(٢٠) سورة الكهف: الآية ٨٢.

(٢١) المفردات في غريب القرآن: ص ٣١.

(٢٢) البرهان: ٢/ ١٤٨-١٤٩. و الاتقان: ٢/ ١٧٣.

قال ابن منظور في اللسان: "أول: الأول الرجوع.آل الشيء و مآلا: و أول إليه الشيء، رجعه. و آلت عن الشيء: ... ثم قال و أول الكلام و تأوله و دبره و قدره. و أوله و تأوله فسّره..."(٢٢).

التأويل في الاصطلاح:

قال الدكتور الذهبي: "التأويل عند السلف له معنيان:

"أحدهما: تفسير الكلام و بيان معناه، سواء أوافق ظاهره , أو خالفه، فيكون التأويل و التفسير على هذا مترادفين، و هذا هو ما عناه مجاهد من قوله : "إن العلماء يعلمون تأويله" يعني القرآن. و ما يعنيه ابن جرير الطبري بقوله في تفسيره: "القول في تأويل قوله تعالى كذا كذا" و "بقوله: اختلف أهل التأويل في هذه الآية" و نحو ذلك،....فإن مراده التفسير." (٢٣)ب-

ثانيهما: "هو نفس المراد بالكلام ، فإن كان الكلام مطلقا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، و إن كان خبراً، كان تأويله نفس الشيء المخبر به:. و ذكر الذهبي الفرق بين هذين المعنيين حيث قال :

"فالذي قبله يكون التأويل فيه من باب العلم و الكلام، كالتفسير، و الشرح، و الإيضاح، و يكون وجود التأويل في القلب، و اللسان، و له الوجود الذهني و اللفظي و الرسمي، و أصل هذا التأويل فيه نفس الأمور الموجودة في الخارج، سواء كانت ماضية أم مستقبلة...و هو

---

(٢٢) لسان العرب: ١١/٣٢-٣٣. و قال الزرقاني: التأويل مرادف للتفسير في أشهر معانيه اللغوية. قال صاحي القاموس: "أول الكلام تأويلا و تأوله: دبّره و قدره و فسره. و منه قوله تعالى: **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ... و ما يعلم تأويله إلا الله**". سورة آل عمران: الآية ٧. و كذلك جاءت آيات كثيرة في لفظ التأويل، و معناه في جميعها البيان و الكشف و الإيضاح. مناهل العرفان: ١/٤٧٢.

(٢٣)ب- التفسير و المفسرون للذهبي ١/١٧.

في نظر ابن تيمية هو لغة القرآن التي نزل بها و على هذا فيمكن إرجاع كل ما جاء في القرآن من لفظ التأويل إلى هذا المعنى الثاني"[٢٤].

٢: التأويل عند المتأخرين من المتفقهة و المتكلمة و المتصوفة.

التأويل عند هؤلاء جميعاً: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح بدليل يقترن به، و هذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه و مسائل الخلاف"[٢٥].

و قال الجرجاني: "التأويل في الشرع:

"صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب و السنة، مثل قوله تعالى:

"يخرج الحي من الميّت"[٢٦]. إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، و إن أراد به إخراج المؤمن من الكافر، أو العالم من الجاهل، كان تأويلا"[٢٧].

الفرق بين التفسير و التأويل:

---

(٢٤) التفسير و المفسرون: ١٧/١.

(٢٥) المصدر نفسه: ١٨/١.

(٢٦) سورة الروم: الآية ١٩.

(٢٧) كتاب التعريفات للجرجاني، ص ٧٢. (علي محمد بن علي ٧٤٠-٨١٦هـ) ت: إبراهيم الإبياري. دار الكتب العربي، ط: ١. بيروت، لبنان. ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

قال الزركشي: "التفسير و التأويل واحد بحسب عرف الاستعمال ، و الصحيح تغايرهما. و قيل التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، و التأويل: ردُّ أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر"(٢٨).

قال الراغب: "التفسير أعم من التأويل، و أكثر استعماله في الألفاظ و مفرداتها، و أكثر استعمال التأويل في المعاني و الجمل (كتأويل الرؤيا) و أكثرما يستعمل في الكتب الإلهية، و التفسير يستعمل فيها و في غيرها"(٢٩).

قال السيوطي: "التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً، و التأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الدلالة"(٣٠)

و قال الماتريدي: "التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا و الشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا فإن قام دليل مقطوع به فصحيح و إلا فتفسير بالرأي و هو المنهي عنه. و التأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع و الشهادة على الله"(٣١).

قال أبو إسحاق الثعلبي:(٣٢) "التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازاً. كتفسير الصراط بالطريق و الصيب بالمطر. و التأويل: تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول و هو الرجوع لعاقبة الأمر"(٣٣).

---

(٢٨) البرهان: ١٤٩/٢. و القاموس: ١١٤/٢. و مناهل العرفان: ٥/٢.

(٢٩) الإتقان: ١٧٣/٢. و البرهان: ١٤٩/٢. و روح المعاني: ٤/١-٥.

(٣٠) الاتقان: ٢٢١/٢.

(٣١) الاتقان: ١٧٣/٢. و قد ذكر السيوطي أكثر من عشرة فروق بين التفسير و التأويل.

(٣٢) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري أبو اسحاق الثعلبي المفسر المتوفى ٢١ محرم سنة ٤٣٧ هـ كشف الظنون :٥/٧٠. و معجم المؤلفين: ٦٠/٢. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٢٣٠/٣. يقال له : الثعلبي و الثعابي. و هو لقب و ليس نسب قاله بعض العلماء". عبد الحي ابن العماد الحنبلي المتوفي سنة ١٠٨٩هـ . دار الآفاق الجديدة. بيروت لبنان. (بدون سنة الطبع).

(٣٣) الاتقان: ١٧٣/٢.

و قال الأصفهاني في التفسير : اعلم أن التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآن و بيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل أو غيره أو بحسب المعنى الظاهر و غيره. و التأويل أكثر في الجمل"[٣٤].

قال بعضهم: التفسير يتعلق بالرواية و التأويل يتعلق بالدراية"[٣٥].

و قال أبو نصر القشيري:[٣٦] "التفسير مقصور على الاتباع و السماع، و إنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل"[٣٧].

و قال أبوالقاسم بن حبيب النيسابوري [٣٨] و الكواشي[٣٩]: "التأويل صرف الآية إلى المعنى الموافق لما قبلها و مابعدها تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب و السنّة من طريق الاستنباط"[٤٠].

قال بعض العلماء إن التفسير مرادف للتأويل منهم الفيروزآبادي [٤١]. و يشيع هذا المعنى عند المتقدمين و منه قول مجاهد: إن العلماء يعلمون تأويله أي القرآن [٤٢].

---

(٣٤) الاتقان: ٢/١٧٣. و البرهان: ٢/١٤٩.

(٣٥) المصدر نفسه: ٢/١٧٣. و البرهان: ٢:١٤٩.

(٣٦) هو عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، الشافعي، (أبو نصر) فقيه، أصولي، أديب، مالشر، ناظم، (ت: ٢٨جمادي الأخرة ٥١٤ هـ-١١٢٠ء . معجم المؤلفين: ٥/٢٠٧.

(٣٧) الاتقان: ٢/١٧٣. و البرهان: ٢/١٥٠.

(٣٨) هو أبو القاسم حسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، مفسر، و إمام في القراءات . (ت: ٤٠٦هـ) بغية الوعاة: ص ٢٢٧.

(٣٩) هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلي (الشيباني) {ت: ٦٨٠هـ} كشف الظنون: ١/٤٥٧-و ١/٣٣٩.

(٤٠) البرهان: ٢/١٥٠. و الاتقان: ٢/١٧٣.

(٤١) القاموس المحيط: ٢/١١٤.

(٤٢) الاتقان: ٢/٢٢١.

قال بعض العلماء: "التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة و التأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة و قد استشهر هذا عند المتأخرين"(٤٣).

قال العلامة الآلوسي بعد استعراضه للآراء في هذا الموضوع ما نصه:

"و عندي أنه إن كان المراد الفرق بينهما بحسب العرف فكل الأقوال فيه ما سمعتها و ما لم تسمعها مخالفة للعرف اليوم إذ قد تعارف من غير نكير أن التأويل إشارة قدسية و معارف سبحانية تنكشف من سحب العبارات للسالكين و تنهل من سحب الغيب على قلوب العارفين و التفسير ذلك"(٤٤).

---

(٤٣) المصدر نفسه: ٢/٢٢١.

(٤٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: ١٤/١. (أبو الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي).

المبحث الثاني:

كلمة حول التفسير بالمأثور و التفسير بالرأى.

قال الشيخ الزرقاني: التفسير بالمأثور: "هو ما جاء في القرآن أو السنّة أو كلام الصحابة بياناً لمراد الله تعالى من كتابه"(٤٥).

و قال الزرقاني بعد هذا: إن كلا من هذين القسمين لا شك في قبوله. أما الأول فلأن الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره، و أصدق الحديث كتاب الله تعالى.

و أما الثاني فلأن خير الهدى هدي سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و وظيفته البيان و الشرح، مع أنا نقطع بعصمته و توفقه (٤٦) ، قال تعالى: " **و أنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم**"(٤٧).

و أما القسم الثالث: و هو بيان القرآن بما صح وروده عن الصحابة". قال الحاكم: إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحى و التنزيل له حكم المرفوع"(٤٨).

قال الشيخ الذهبي في التفسير بالمأثور: "إنه يشتمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان و التفصيل لبعض آياته و ما نقل عن الرسول صلى الله عليه و سلم و ما نقل عن

---

(٤٥) مناهل العرفان: ١/ ٤٨٠.

(٤٦) المصدر نفسه: ١/ ١٨١.

(٤٧) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٤٨) مناهل العرفان: ٢/ ٢٨١.

الصحابة رضوان الله عنهم ، و ما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان و توضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم"[٤٩].

التفسير بالرأى:

معنى التفسير بالرأي : يطلق الرأي على الإعتقاد. و على الاجتهاد. و على القياس. و منه أصحاب الرأي، أي أصحاب القياس.

و التفسير بالرأي فهو نوعان:

و المراد بالرأي هنا الاجتهاد فإن كان الإجتهاد موافقاً أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه بعيداً عن الجهالة و الضلالة. فالتفسير به محمود و إلا فمذموم. و الأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير ذكرها الزركشي في البرهان: "فقال ما ملخصه: للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

١: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع التحرز من الضعيف و الموضوع.

٢: الأخذ بقول الصحابي.

٣: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات عن ما تعرفها كلام العرب.

٤: الأخذ بما يقتضيه الكلام و يدل عليه قانون الشرع. هذا النوع الرابع هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه و سلم لابن عباس قوله: "اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل"[٥٠].

---

[٤٩] التفسير و المفسرون: ١٥٢/٢.

[٥٠] البرهان: ١٥٦/٢-١٦١.

قال الشيخ الزرقاني بعد أن ذكر المآخذ المذكورة لتفسير القرآن:

وعند هذه المآخذ معتمداً عليها في ما ذكرته من معالم كتاب الله كان تفسيره

"فمن فسّر القرآن برأيه أي باجتهاده ملتزماً الوقوف سائغاً جائزاً خليقاً بأن يسمّى التفسير الجائز أو التفسير بالمحمود. و من حاد عن هذه الأصول و فسّر القرآن غير معتمد عليها، كان تفسيره ساقطاً مرذولاً خليقاً بأن يسمّى التفسير غير الجائز أو التفسير المذموم"(٥١).

و ذكر الإمام الغزالي في الإحياء معرفاً التفسير بالرأي المذموم حيث قال:

و هو التفسير بالهوى، أن يكون له -للمفسر- في الشيء رأي وإليه ميل من طبعه و هواه فيتأول القرآن على وفق رأيه و هواه و يحتج على تصحيح غرضه و لو لم يكن له ذلك الرأي و الهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى"(٥٢).

و قلما نجد كتاباً في التفسير بالمأثور بين أيدينا اليوم خالياً من التفسير بالرأي، فكتاب ابن جرير مثلاً- و هو أشهر تفسير بالمأثور في ساحة التفسير إلى جانب تفسير ابن كثير - يتضح لكل من ينظر فيهما، و خاصة أبي جرير هو كتاب قد جمع إلى جانب التفسير بالرواية و الأثر التفسير القائم على الاجتهاد و النظر، ويلاحظ ذلك من خلال اختيار صاحبه لبعض الأقوال، و ترجيحها، و الاستشهاد لها بلغة العرب من شعر، و من نقل كلام النحويين من خلال ردّ بعض الأقوال و تفسيرها بالأسلوب نفسه.

و كذلك الأمر بالنسبة لتفسير ابن كثير، إلا أن العناية بنقد الأسانيد و تتبع المتون أكثر من العناية بأقوال النحاة وإيراد الشواهد العربية"(٥٣).

---

(٥١) مناهل العرفان: ٥١٨/١.

(٥٢) إحياء علوم الدين: ٣٤٣/١. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ت: ٥٠٥ هـ. دار الفكر. ط: ١. بيروت، لبنان.

(٥٣) أنظر مثلاً تفسيراً لقوله تعالى من سورة البقرة الآية (١٠٢) و اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن...". تفسير ابن كثير: ١٣٤/١.و ما بعد، و سيأتي ذكرها في فصل :الإسرائيليات و موقف الإصلاحي منها إن شاء الله تعالى.

فلما غلب على الكتابين الاهتمام بالروايات منها صنّفاً هذه التفاسير على أنها تفاسير بالمأثور، و يكاد يكون تفسير السيوطي "الدر المنثور" أكثر التصاقاً بهذه التسمية من التفاسير الآنفة الذكر، لأنه تجرد عن غير الرواية لو لا أنه حشاه بالكثير من الأحاديث الضعيفة بل الموضوعة التي لم يسلم من بعضها تفسير الطبري وغيره [٥٤].

و إذا نظرنا إلى التفسير بالمأثور من جانب آخر نظرة موضوعية، فسنجد أن الكثير من تفاسير الصحابة و التابعين هي من قبيل التفسير بالرأى، و هي موضوعة على قائلها ليس لها حكم الرفع في بعض الأحيان إلا في حالات مخصوصة مثل أسباب النزول و غيره.

و أكبر دليل على ذلك هو اختلاف أقوال الصحابة فيما بينهم ، هذا الخلاف و إن كان أكثره من قبيل اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد[٥٥] إلا أنه موجود على أية حال و إذا تجاوزنا طبقة الصحابة إلى طبقة التابعين، نجد أن الاختلاف بينهم في التفسير يتسع ثم يزداد اتساعاً إذا تجاوزنا هذه الطبقة إلى طبقة أتباع التابعين.

هكذا كان كل جيل يرى في الآيات و يؤتي من الفهم في القرآن ما لم يره و ما لم يؤته الجيل الذي سبقه، لأن القرآن رسالة كل الأحيان، و معجزة الإسلام الخالدة على مر العصور.

---

(٥٤) الموضوعات في كتب التفسير بصفة عامة ترد أكثر ما ترون في تفسير القرآن، و أسباب النزول و فضائل السور حيث تختلط في هذه الجوانب التفسيرية الروايات الصحيحة بالضعيفة و الموضوعة و الراسخون في العلم هم الذين يميّزون هذا من ذلك.

(٥٥) مقدمة في أصول التفسير: لابن تيمية ص ١١.

المبحث الثالث:

جمع الشيخ الإصلاحي بين التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي.

إن الذي ينظر في تفسير تدبر قرآن يلاحظ أن مؤلفه قد جمع بين التفسير بالمأثور و التفسير بالرأي حسبما تقتضيه - في نظره - قواعد اللغة و النحو و سائر أدوات العلوم الإسلامية و إن كان يغلب على تفسيره جانب الاجتهاد الشخصي على جانب الرواية و الأثر الذي يلمسه القارئ بين الحين و الآخر في ثنايا تفسيره.

إن المؤلف يفسر الآيات أولاً بالرأي ثم يورد الآثار و الأحاديث.

و الشيخ أمين أحسن الإصلاحي من أولئك المفسرين الذين يجيزون التفسير بالرأي لمن تتوفر لديه أدوات ذلك و تفسيره -تدبر قرآن -خير دليل على الذي قلناه.

و نتحدث عن التفسير بالمأثور/الباب/ منهج الشيخ الإصلاحي عن التفسير بالمأثور و ما يتعلق به. و هذا المبحث عبارة عن تمهيد و توطئة لذلك الباب.

و بعض الأحيان يفسر الإصلاحي الآية و يعقب أقوال المفسرين و يرجح من بينها ما يوافق رأيه و مثال ذلك قوله تعالى:

"و إذ قلنا للملئكة اسجدوا لأدم فسجدوا إلا إبليس أبى و استكبر و كان من الكفرين"(٥٦).

---

(٥٦) سورة البقرة: الآية ٣٤.

بعد أن فسّر الإصلاحي الآية فقال: "لو قيل إن الأمر بالسجدة كان للملائكة لا للجن، فلم طرد إبليس من رحمة الله على عدم امتثال أمر السجدة لآدم. و إبليس ليس من الملائكة بل هو من الجن"(٥٧).

فأجاب بعد ذلك بقوله: "إنه ليس هناك فرق بين الجن و الملائكة من حيث الخلقة لأن الملائكة خلقت من النور بينما خلق الجن من النار. و إنما الفرق بينهما هو من حيث الخصائص و الصفات، فعلم من هذا أن الجن أيضاً كان داخلاً في حكم السجدة مع الملائكة على سبيل التغليب و لكنه أنكر السجد ، و هذا رأي بعض المفسرين المتقدمين و هو قوي عندي"(٥٨).

مثال آخر: تفسيره لقوله تعالى: "و قلنا يآدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغداً حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين"(٥٩).

فقال الإصحلاحي في تفسير الآية المذكورة : "علم من دخول أداة التعريف على "الشجرة" بأن آدم و حواء قد أخبرا عن الشجرة بالتعيين و التخصيص، و لكن بقي السوأل هنا من أي نوع كانت هذه الشجرة ؟ و ليس في القرآن و لا في السنّة جواب لهذا السوأل و لا

---

(٥٧) و يقول الإصلاحي : إن "إبليس" في الحقيقة لقب للجنّي الذي أنكر السجدة لآدم و صرّح القرآن أن إبليس كان من الجن كما ذكر في قوله تعالى: " كان من الجن ففسق عن أمر ربه". سورة الكهف: الآية ٥٠.

فعلم من كلام الإصلاحي أنه قائل إن إبليس من الجن و كذلك ليس عنده فرق كبير بين الملائكة و الجن. و في هذا الأمر خلاف بين العلماء. أنظر التفسير الكبير للرازي الذي بسط الكلام فيه. ١٩٥/٢-١٩٦. وكذلك تفسير مواهب الرحمن عبد الكريم محمد مدرس. ط: ٢. ١/ ١٣٠-١٣٢. و ١٣٨-١٣٩.

(٥٨) و هذا هو رأي البيضاوي حيث قال: "و الجن أيضاً كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فإنه إذا علم أن الأكابر مأمورون بالتنلل لأحد والتوسل به علم أن الأصاغر أيضاً مأمورون به. والضمير في "فسجدوا" راجع إلى القبيلتين". أنظر أنوار التنزيل و أسرار التأويل: ٥٨/١. لناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٧٩١ هـ) ط: ٢. ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م. مطبعة مصطفى البابي الحلبي. بمصر.

(٥٩) سورة البقرة: الآية ٣٥.

داعي للبحث عنه أيضاً. والمسلك المختار عندنا في هذا هو[٦٠] ما قاله ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال :

"فالصواب في ذلك أن يقال إن الله تعالى جل ثناؤه نهى آدم و زوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله تعالى و لا علم عندنا بأي شجرة كانت على التعيين لأن الله تعالى لم يضع لعباده دليلاً على ذلك في القرآن و لا في السنّة الصحيحة"[٦١].

المثال الثالث: تفسيره لقوله تعالى: **و إذ قلنا ادخلوا هذه القرية وكلوا من حيث شئتم رغداً و ادخلوا الباب سجّداً**"[٦٢].

فقال الإصلاحي في تفسير الباب: المراد بالباب عند البعض باب القرية. و عند البعض المراد منه باب قبة العبادة. و الرأي الثاني راجح عندي"[٦٣].

---

(٦٠) تدبر: ١٦٦/١.

(٦١) تفسير الطبري: ١٨٥/١. و ذكر ابن كثير تسعة أقوال في "الشجرة" و قال في آخره: "و جائز أن تكون واحدة منها وذلك علم إذا علم لم ينفع العالم به و إن جهل جاهل لم يضره جهله. و الله أعلم. و كذلك قال الإمام الرازي في تفسيره و غيره و هو الصواب . أنظر تفسير ابن كثير: ٨٣/١. و التفسير الكبير: ٦/٣.

(٦٢) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٦٣) تدبر: ٢٢٠/١. و ذكر في هامش تدبر أنظر تفسير أبي السعود. فأبو السعود ذكر قولين:

١: أي باب القرية.

٢: أو باب القبة التي يصلون إليها". تفسير أبي السعود: ١٠٤/١.

يظهر من هنا أن الشيخ الإصلاحي أخذ هذا القول من تفسير أبي السعود.

الباب الثالث:

منهج الشيخ الإصلاحي في التفسير بالمأثور:

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور.

الفصل الثاني: الإسرائيليات و موقف الإصلاحي منها.

الفصل الثالث: موقف الشيخ الإصلاحي من أسباب النزول و النسخ.

الفصل الأول:

منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: مفهوم التفسير بالمأثور وبيان أقدميته.

المبحث الثاني: تفسير الإصلاحي للقرآن بالقرآن.

المبحث الثالث: منهج في التفسير بالحديث النبوي.

المبحث الرابع: تفسير الصحابة و التابعين في تفسير تدبر قرآن.

المبحث الأول

مفهوم التفسير بالمأثور و بيان أقدميته.

المراد بالتفسير المأثور الذي سأتناوله بالبحث هنا ما يلي:

١: تفسير القرآن بالقرآن.

٢: تفسير القرآن بالحديث النبوي.

٣: تفسير القرآن بأقوال الصحابة و التابعين.

و كل هذه المباحث التي سأتناولها كموضوع تعيننا على فهم منهج الإصلاحي من خلالها. فحين أتحدث مثلاً عن تفسير القرآن بالقرآن في تفسير تدبر قرآن لا أتحدث عنه كموضوع و إنما أتحدث عنه بقدر الذي يتضح منه منهج الإصلاحي، و كذلك في سائر المباحث.

أهمية التفسير بالمأثور و أقدميته:

و يجدر بنا قبل أن نذكر منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور - تدبر قرآن - أن نبين أهمية هذا اللون من التفسير و أقدميته فنقول:

إن الطرق الأربعة المشار إليها أعلاه هي أحسن طرق التفسير عند السلف قال ابن كثير[١] في مقدمة تفسيره :

" فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير فالجواب أن أصح الطرق في ذلك:

"أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر"[٢] و ما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"[٣].

ثم قال ابن تيمية[٤] و تابعه ابن كثير: "فإن أعياك ذلك فعليك بالسنّة فإنها شارحة للقرآن، و موضحة له،

قال تعالى: " و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه و هدى و رحمة لقوم يؤمنون"[٥].

---

[١] ابن كثير: هو الإمام الجليل، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي، الفقيه الشافعي. سمع من الأمدي، و ابن عساكر، و لازم المزي و قرأ عليه تهذيب الكمال، و صاهر على ابنته، و أخذ عن ابن تيمية. قال الداودي في طبقات المفسرين: كان قدوة العلماء و الحفاظ، و عمدة أهل المعاني، ولي مشيخة أم الصالح بعد موت الذهبي، و بعد موت السبكي مشيخة الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أخذت عنه. (طبقات المفسرين للداودي: ص ٣٢٧.) قد ولد سنة ٧٠٠هـ-و توفي سنة ٧٧٤هـ. شذرات الذهب: ٦/ ٢٣١.

[٢] ابن تيمية: هو محمد بن أبي القاسم الخضر بن علي بن عبد الله الإمام فخر الدين أبو عبد الله بن تيمية الحراني. الفقيه الحنبلي، الواعظ، المفسر، شيخ حران و عالمها. ولد في شعبان سنة اثنتين و أربعين و خمسمائة. مات في الحادي عشر في شهر صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة. وتيمية : أم جده محمد. كانت واعظة فنسب إليها و عرف بها. (طبقات المفسرين للسيوطي {٩١١هـ} ت: علي محمد عمر. مكتبة وهبة. القاهرة. مصر). و شذرات الذهب: ٥/ ١٠٢. والنجوم الزاهرة: ٦/ ٢٦٢.

[٣] مقدمة تفسير ابن كثير: ١/ ٣.

[٤] مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ص ٢٩. وقد ذكر نفس الكلام السيوطي في الاتقان: ٢/ ٢٢٥. و كذلك ذكر الزركشي في البرهان: ٢/ ١٧٥-١٧٦. تحت عنوان: مسألة في أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن...".

[٥] سورة النحل: الآية ٦٤.

و قال تعالى: "و أنزلنا إليك الذكر لتبيِّن للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون"[٦].

قال تعالى: "إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله"[٧].

و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه [٨]. يعني السنَّة فهذا هو الطريق الثاني من طرق التفسير بالمأثور.

ثم قال أيضاً: "و إذا لم نجد التفسير في القرآن و لا في السنَّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن، و الأحوال التي اختصوا بها، و لما لهم من الفهم التام، و العلم الصحيح، و العمل الصالح، لا سيما علماؤهم و كبراؤهم"[٩].

هذا و قد قال الحاكم في المستدرك: "إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل له حكم المرفوع" [١٠].

---

[٦] سورة النحل: الآية ٤٤.

[٧] سورة النساء: الآية ١٠٥.

[٨] أخرجه أبو داود في سننه في باب لزوم السنة بالسند الآتي: حدثنا عبد الوهاب بن نجدة قال حدثنا أبو عمرو بن كثير بن دينار، عن جرير بن عثمان، عبد الحمن بن أبي عوف عن مقدام ابن معديكرب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنه قال:(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)، مطولاً وسكت عليه. سنن أبو داود: ٥٠٥/٢. ط: ١. الحلبي.

و قد ذكر الحاكم-هو محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري الحافظ إمام أهل الحديث في عصره العارف به حق معرفته، له تاريخ نيسابور، و المدخل إلى علم الصحيح و غير ذلك، ت: ٤٠٥هـ (تذكرة الحفاظ: ١٠٣٩/٣.)-في المستدرك من حديث مقدام بسند آخر دون ذكر{ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه} في أوله. وقال في آخره: إن ما حرم الرسول صلى الله عليه وسلم كما حرم الله". مستدرك: ١٠٩/١. وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (ت: ٢٠٤هـ): "كل ما حكم به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بما فيه من القرآن". (مقدمة في أصول التفسير لإبن تيمية: ص ٢٩-٣٠). وفي الاتقان: "فهو فهمه من القرآن". ٢٢٥/٢.

[٩] مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٠. ومقدمة تفسير ابن كثير: ٣/١.

[١٠] المستدرك على الصحيحين مع التلخيص كتاب التفسير: ٢٥٨/٢. و ذكر السيوطي اختلاف العلماء في قول الصحابي هل هو من قبيل المسند أو الموقوف حيث قال: وقد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى المسند؟ كما قال لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله، أو يجري مجرى التفسير فيه الذي ليس بمسند؟ فالبخاري

إلا أنه عاد فقصر هذا العموم في المستدرك و في كتابه علوم الحديث حيث قال:"إن الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا و كذا فإنه حديث مسند"(١١).

و كذلك قيّده بعضهم ما كان في بيان أسباب النزول و نحوه مما لا مجال للرأي فيه و إلا فهو موقوف. و وجهة نظر الحاكم و من وافقه(١٢) أن الصحابة رضوان الله عليهم قد شاهدوا الوحي و التنزيل، و عرفوا و عاينوا من أسباب النزول ما يكشف لهم النكات من معاني الكتاب و لهم من سلامة فطرتهم، و صفاء نفوسهم، و علو كعبهم في الفصاحة و البيان ما يمكنهم من الفهم الصحيح لكلام الله و ما يجعلهم يوقفون لمراد الله من تنزيله وهداه"(١٣). وهذا هو الطريق الثالث من طرق التفسير بالمأثور.

أما الطريق الرابع: فهو تفسير القرآن بأقوال التابعين و تابعيهم. ففيه خلاف بين العلماء من حيث الاحتجاج به منهم من اعتبره من المأثور لأنهم تلقوه من الصحابة غالباً، و يراه صالحاً للاحتجاج به. و منهم من قال : إنه من التفسير بالرأي. و لم يأخذ به و لم يعتبره حجة. و إذا أورده في التفسير فللاستئناس به و الاستشهاد، لا للاحتجاج.

و ذكر ابن تيمية الخلاف بقوله :

يدخله في المسند وغيره لا يدخله فيه. وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره، بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم يدخلون مثل هذا في المسند". الاتقان: ١/٤١-٤٢.

(١١) كتاب معرفة علوم الحديث: ص ٣٢. ١٩٨٩م.

(١٢) مناهل العرفان: ٢/١٣.

(١٣) التفسير و المفسرون: ١/١٥٢.

"إذا لم تجد التفسير في القرآن، و لا في السنّة، و لا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر[١٤] و سعيد بن جبير[١٥]، و عكرمة[١٦] مولى ابن عباس[١٧]. و عطاء بن أبي رباح[١٨]، و الحسن البصري [١٩]، و سعيد بن المسيّب[٢٠]، و مسروق بن الأجدع[٢١] و غيرهم من التابعين، و تابعيهم، و من بعد هم"[٢٢].

---

[١٤] مجاهد: هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي، المقرئ، المفسر، الإمام، روى عن جمع من الصحابة وقرأ على ابن عباس القرآن ثلاث عرضات يوقفه عند كل آية يسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت. قرأ عليه ابن كثير، وأبو عمرو من القراء السبعة. قال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، وقال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث و مائة و هو ساجد. و كان مولده سنة ٢١ في خلافة عمر. و له ثلاث و ثمانون سنة. تذكرة الحفاظ للذهبي: ٩٢/١. وميزان الاعتدال: ٤٣٩/٣. وتهذيب التهذيب: ٤٢/١٠-٤٤. طبقات المفسرين للداودي: ٣٠٥/٢-٣٠٨.

[١٥] سعيد بن جبير: هو أبو محمد، أو أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسوي، كان حبشي الأصل. كان من كبار التابعين. ومقتديهم في التفسير والحديث والفقه. أخذ القراءة عن ابن عباس عرضا، و سمع منه التفسير. و أكثر روايته عنه. وفيات الأعيان: ٣٧١/٢-٣٧٤. وذكر ابن حبان في الثقات وقال: كان عبدا فاضلا ورعا. وهو مجمع عليه من أصحاب الكتب الستّة. وقد قتل في شعبان سنة ٩٥هـ. وفيات الأعيان: ٣٧٤/٢. وطبقات المفسرين للداودي: ١٨٨/١. وتذكرة الحفاظ: ٧٦/١.

[١٦] عكرمة: هو مولى ابن عباس أبو عبد الله البربري، كان أعلم تلامذة ابن عباس بالتفسير، روى عن عائشة رضي الله عنها وأبي هريرة رضي الله عنه وغيرهما. (ت: ١٠٧هـ) تهذيب التهذيب: ٢١٣/٧. وتذكرة الحفاظ: ٨٩/١. والتقريب التهذيب: ٣٠/٢. وطبقات المفسرين للداودي: ٣٨٦/١.

[١٧] ابن عباس: هو عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم (ت: ٦٨هـ)، سيّد المفسرين دعا له الرسول عليه السلام فمسح على ناصيته وقال: اللهم علمه الحكمة و تأويل الكتاب". يقال له الحبر و البحر لكثر علمه. روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وعن الخلفاء الأربعة وعن أبيه وأمه وأخيه وغيرهم من الصحابة التهذيب: ٢٧٨/٥. وأسد الغابة: ١٩٣/٣. والإصابة: ٣٢١/٢.

[١٨] هو عطاء بن أبي رباح المكي ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث لكنه كثير الإرسال. (ت: ١١٤هـ) على المشهور. تهذيب التهذيب: ١٩٩/٧. والتقريب: ٢٢/٢.

[١٩] الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن بن اليسار البصري أبو سعيد، إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه و بالمدينة ٢١هـ ورأى عليّا وطلحة وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، ثقة، فقيه، فاضل مشهور. (ت: ١١٠هـ) وقد قارب التسعين. التهذيب: ٢٦٢/٢. والتقريب: ١٦٥/١. ووفيات الأعيان: ٢٩/٢-٧٢.

[٢٠] سعيد بن المسيّب: هو سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن القرشي المخزومي. أحد العلماء الأثبا الفقهاء الكبار. اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل. وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علما منه. م بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. التقريب التهذيب: ٣٠٦/١. ووفيات الأعيان: ٣٧٥/٢-٣٧٨.

[٢١] أما مسروق: فهو ابن الأجدع بن مالك الهمداني الوداعي أبو عائشة الكوفي، ثقة، فقيه، عابد، مات سنة إثنتين و ثلاث وستين(٦٢ أو ٦٣) التقريب التهذيب: ٢٤٢/٢.

[٢٢] مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٤.

فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً و ليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره و منهم من ينص على الشيء بعينه و الكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن.

و قال شعبة [٢٣] بن الحجاج و غيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم [٢٤]. ثم يصوب كل واحد من ابن تيمية ، وابن كثير، رأي شعبة فيقولان و هذا صحيح.

ثم يستثنيان حالة إجماعهم على شيء فإنه حجة حيث قالا : "و أما إذا اجتمعوا على شيء فلا ريب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض و لا على من بعدهم و يرجع في ذلك إلى لغة القرآن، و السنّة، و عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة"[٢٥].

و يميل الزركشي إلى هذا الرأي، فلا يذكر التابعين كطريق رابع من طرق التفسير بل يجعل المرتبة الرابعة في السلّم التفسيري هي الرجوع إلى النظر و الاستنباط الذي يدخل فيه دخولاً أولياً معرفة تراكيب اللغة و مفرداتها .. و فيما يلي نص الزركشي حيث قال:

"فإن لم يوجد-التفسير-في السنّة يرجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن، و لما أعطوا من الفهم العجيب، فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر و الاستنباط بالشرط السابق"[٢٦].

---

(٢٣) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري ثقة، حافظ متقن، قال ابن سعد: كان ثقة مأمونا ثبتا حجة صاحب الحديث. و كان الثوري يقول: شعبة أمير المؤمنين في الحديث. وهو أول من تكلم بالعراق عن الرجال وذب عن السنّة. وكان عابداً. ولد سنة ٨٢هـ ومات سنة ١٦٠ هـ بالبصرة. تهذيب التهذيب: ٣٣٨/٤-٣٤٥، ووفيات الأعيان: ٣٦٩/٢-٣٧٠.

(٢٤) مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٤-٣٥. ومقدمة تفسير ابن كثير ملخصاً ١٤/١.

(٢٥) مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٥. ومقدمة ابن كثير: ٥/١. وهو في الحقيقة كلام ابن تيمية، ولكن ابن كثير لم إليه، وأظن ابن كثير يعتنق بهذا الرأي أيضاً .

(٢٦) البرهان: ١٧٥/٢-١٧٦. لكنه في موضع آخر {١٥٨/٢} ذكر الخلاف في تفسير التابعين فقال: "وفي الرجوع إلى التابعي روايتان عن أحمد، واختار ابن عقيل المنع، وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه (إلى أن "فهذه تفاسير القدماء المشهورين، وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة ولعل اختلاف الرواية عن أحمد إنما هو كان من أقوالهم وآرائهم.

أما الشرط الذي أشار إليه فربما
بذلك ما قاله في فصل (ما يجب على المفسر البداءة به) قال: "والنظر هو بحسب إفراد الألفاظ والتراكيب". بشرح معنى ذلك. البرهان: ١٧٣/٢.

المبحث الثاني:

منهج الإصلاحي في تفسير القرآن بالقرآن.

لا شك في أن تفسير القرآن بالقرآن من القواعد المسلمة لدى جميع المفسرين التي لا يخالف فيها أحد. و هو أحسن طرق التفسير كما قال ابن تيمية و تلميذه ابن كثير حيث قال : "فما أجمل في مكان فإنه قد فسّر في موضع آخر و ما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر"(٢٧).

معنى ذلك أن القرآن هو المصدر الأول من مصادر التفسير.

و الشيخ الإصلاحي قسّم وسائل فهم القرآن في مقدمة تفسيره-تدبر قرآن- إلى قسمين:

١: الوسائل الداخلية.
٢: الوسائل الخارجية.

و ربما يسمّى القسم الأول بالأصول القطعية و الثاني بالمأخذ الظنيّة.

و قد ذكر في القسم الأول ثلاثة أشياء:

١: لغة القرآن. ٢: نظم القرآن. ٣: تفسير القرآن بالقرآن"(٢٨).

---

(٢٧) مقدمة في أصول التفسير: ص ٣٩.

(٢٨) مقدمة تفسير تدبر قرآن: ١/٢٧-٢٨.

فنحن نرى هنا أن الإصلاحي قد وضع هذا النوع من التفسير ـ أي تفسير القرآن بالقرآن ـ من بين الوسائل المذكورة لفهم القرآن. والدليل على ذلك كلام الإصلاحي التالي:

و قال الإصلاحي في كتابه "مبادئ تدبر قرآن" حول تفسير القرآن بالقرآن: "التركيز على نفسه هو الأصل في فهم القرآن و تدبره، و من هنا يجب على كل من يهمه فهم القرآن أن يهتدي بالقرآن الكريم وحده في حل مشاكله. و مذهب السلف من غير اختلاف بينهم أن القرآن يفسر بعضه بعضاً"(٢٩). و قد وصف القرآن نفسه بكونه كتاباً متشابهاً(٣٠). و ذكر في بعض المواضع منه أن الله تعالى كما أنزل القرآن على عبده كذلك تكفل بشرحه و بيانه(٣١). وقد وافق على هذا جميع المفسرين وأهل التأويل من حيث المبدأ، و لكن ما حقيقة هذا البيان الذي تكفل الله به؟ هذا هو الأمر الذي لم ينكشف على الناس تماماً فكانت النتيجة أن معظم المفسرين استصعبوا هذا الطريق و دخلوا في وديان أبعدتهم عن فهم القرآن مع أن القرآن هو نفسه مفتاح لفهم القرآن، و يفصل بنفسه جميع مجملاته، و لا يحتاج إلى شيء في تعيين معانيه و توضح مقاصده و لا في شرح نكاته و حقائقه، هو يحتوي على رصيد كبير من الأمثلة و الأشباه و النظائر التي يستعان بها في حل مشكلات ألفاظه و دقيق أسلوبه. و إن هذا لمن إعجاز بلاغة القرآن. و من ميزاته التي لا يشارك فيها كتاب سواه"(٣٢).

و قد ظهر مما ذكر مبلغ اعتنائه بالقرآن الكريم في التفسير و لا شك في أنه كثير الاهتمام بهذا الجانب في التفسير بالمأثور. و قد استطاع أن يصل إلى دقائق نفيسة في

---

(٢٩) وقد أشار الشيخ الإصلاحي إلى التفسير بالمأثور الذي عرفه العلماء: هو ما جاء في القرآن، نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته...وقال الذهبي: "...وبهذا قد فسّر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله. وهذه المرحلة لا يجوز لأحد مهما كان أن يعرض عنها، ويتخطاها إلى مرحلة أخرى، لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره". التفسير والمفسرين: ٢٧/١.

(٣٠) أشار الإصلاحي إلى قوله تعالى: " الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني". سورة الزمر: الآية ٢٣.

(٣١) أشار الشيخ الإصلاحس إلى قوله تعالى: "ثم إن علينا بيانه". سورة القيامة: الآية ١٩.

(٣٢) مبادي تدبر قرآن: ص ٥٢-٥٣.

نذكر هنا بعض الأمثلة لتوضيح منهج الشيخ الإصلاحي في هذا اللون من التفسير.

١: منهج الشيخ الإصلاحي تفسير الآية القرآنية بنظيرها فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى من سورة الفاتحة: "صراط الذين أنعمت عليهم"(٣٣).
قال في تفسير هذه الآية: "ههذا بيان على وجه الإجمال حيث لم تشر إلى نوعية المنعم عليهم و لكن بيّنتها الآية الأخرى (٣٤) و هي قوله تعالى:
"فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين و الصديقين و الشهداء و الصلحين و حسن أولئك رفيقاً"(٣٥).

٢: و ربما يعيّن معنى الآية و يستدل من الآية الأخرى فمن ذلك قوله تعالى: "المغضوب عليهم"(٣٦). حيث قال الإصلاحي في تفسيرها : "اليهود هم المصداق الحقيقي لهذه الآية. و ذكرهم الله تعالى بصراحة في مقام آخر(٣٧) حيث قال : "

---

(٣٣) سورة الفاتحة: الآية ٦.

(٣٤) تدبر: ١/ ٦٠.

(٣٥) سورة النساء: الآية ٦٩. وذكر صاحب أضواء البيان حيث قال: "لم يبيّن هنا من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم و بيّن ذلك في موضع آخر فذكر آية النساء". أضواء البيان: ١/ ٩٠٤.

(٣٦) سورة الفاتحة: الآية ٧. تدبر: ١/ ٦٠. و كذلك ذكر صاحب تفسير الخازن في تفسير هذه الآية: ١/ ٢٣. وكذلك ذكر بهامش تفسير الخازن في تفسير "البغوي" ١/ ٢٣. وكذلك ذكر أبو حيّان في تفسيره "البحر المحيط" عن ابن عباس: ١/ ٤٨. قال أبو جعفر الطبري في تفسيره هذا الآية : " وقوله صراط الذين أنعمت عليهم إبانة عن الصرط المستقيم أي الصراط إن كان كل طريق من طرق الحق صراطاً مستقيماً فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اهدنا يارينا الصرط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكة وأنبياتك والصديقين والشهداء و الصلحين وذلك نظير ما قال ربنا جل ثناؤه في تنزيله: "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم"... والصالحين. (النساء: ٦٩) تفسير الطبري: ١/ ٥٨. وكذلك ذكر ابن كثير في تفسيره: ١/ ٤٨. وروح المعاني: ١/ ٩٤.

(٣٧) تدبر: ١/ ٦٠.

١: "من لعنه الله و غضب عليه و جعل منهم القردة و الخنازير"(٣٨).

ب: و قوله تعالى: "و ضربت عليهم الذلة و المسكنة وبآءوا بغضب من الله "(٣٩).

٣: و فسَّر قوله تعالى: "الضالين"(٤٠). حيث قال: "إن المراد بها الذين أفرطوا في الدين و تجاوزوا عن حدود الله تعالى التي حددها الله تعالى و مثال ذلك في الأمم السابقة هم النصارى. و لذلك عدَّهم الله من الضالين و قال في مقام آخر(٤١):

"قل يأهل الكتب لا تغلوا في دينكم غير الحق و لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل و أضلوا كثيراً و ضلوا عن سواء السبيل(٤٢)".(٤٣).

٤: و ربما يفسر الآية التي تتعلق بمسألة فقهية مستدلا بالآيات القرآنية . مثال ذلك قوله تعالى : و يقيمون الصلوة"(٤٤). و ذكر فيها ستَّة شروط لإقامة الصلوة حيث قال:

أولاً مفهوم إقامة الصلوة :

---

(٣٨) سورة المآئدة: الآية ٦٠.

(٣٩) سورة البقرة: الآية ٦١. تدبر: ١/ ٦٠. وذكر أبو جعفر الطبري في تفسيره أربعة عشرة رواية كلهن اتفقت على أن المراد بالمغضوب عليهم "هم اليهود". ١/ ٦١-٦٢.

(٤٠) سورة الفاتحة: الآية ٧.

(٤١) تدبر: ١/ ٦١.

(٤٢) سورة المآئدة: الآية ٧٧.

(٤٣) تدبر: ١/ ٦١. و معارف القرآن: ١/ ٩٢.

(٤٤) سورة البقرة: الآية ٣.

"الإقامة": هو قيام الشيئ سويا و تسويتها بحيث لا يبقى فيها عوج و لا ميل ". و قال الله تعالى "يقيمون الصلوة " و لم يقل "يصلون" و أشار القرآن الكريم بإقامة الصلوة إلى حقائق مختلفة وهي:

١: أولاً لا بد من الإخلاص فيها، و أن تكون ابتغاء وجه الله فقط دون غيره : و ذكر الله تعالى هذه الحقيقة في مقام آخر حيث قال:"و **أقيموا وجوهكم عند كل مسجد و ادعوه مخلصين له الدين**"(٤٥). و من هنا نقول لا بد أن يكون وجه المصلي إلى القبلة، لأنها مركز التوحيد و الإخلاص".

٢: الشيء الثاني هو الخشوع و الخضوع في الصلاة حيث قال الله تعالى: "**و أقم الصلوة لذكري**"(٤٦). و قال في مقام آخر: "**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**"(٤٧).

٣: أن يؤديها كما حقها حيث قال الله تعالى :" **فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون**"(٤٨).

٤: لا بد أن يؤديها في وقتها حيث قال تعالى: "**أقم الصلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر**"(٤٩). و قوله تعالى : "**حافظوا على الصلوات**"(٥٠).

---

(٤٥) سورة الأعراف: الآية ٢٩.

(٤٦) سورة "طه": الآية ١٤.

(٤٧) سورة المؤمنون: الآية ١-٢.

(٤٨) سورة البقرة: الآية ٢٣٩.

(٤٩) سورة بني اسرائيل: الآية ٧٨.

(٥٠) سورة البقرة:الآية ٢٣٨.

٥: و لا بد أن يكون أدائها على وجه الدوام و المواظبة حيث قال الله تعالى : "الذين هم على صلاتهم دائمون"(٥١).

٦: الاهتمام بالجماعة حيث قال الله تعالى: "الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلوة (٥٢)"(٥٣)

٥: و ربما يعيّن مفهوم الآية و يذكر آيات أخرى استشهاداً عليه حيث قال في تفسير قول الله تعالى:

"يبني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم و أوفوا بعهدي أوف بعهدكم و إياي فارهبون"(٥٤).

"اذكروا": قال : "إن فيها دعوة لبني إسرائيل بأسلوب اللوم أي أذكروا لأنكم نسيتم النعمة التي أنعمت عليكم و ظننتم أنكم حصلتم عليها باستحقاقكم و بوراثتكم. فقال في تفسير "النعمة" إن المراد بها "الفضيلة".

و النعمة التي ذكرها الله تعالى في الآيات الأخرى التي توضح هذا الإجمال منها قوله تعالى:

---

(٥١) سورة المعارج: الآية ٢٣.

(٥٢) سورة الحج: الآية ٤١.

(٥٣) تدبر: ١/٩١-٩٢.

(٥٤) سورة البقرة: الآية ٤٠.

١: "يبني اسرائيل أذكروا نعمتي التي انعمت عليكم و أني فضلتكم على العلمين"[٥٥]. و أشار بها إلى النعمة التي أعطاها في صورة السيادة و الإمامة".

٢: "و اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا[٥٦]". وأشار بها إلى نعمة الشريعة التي كانت بينهم وبين الله بمنزلة الميثاق. ولذا أخذ الله منهم و وعدهم به الفوز في الدنيا و الآخرة.

٣: "و إذ قال موسى لقومه يقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً واتكم ما لم يؤت أحداً من العلمين"[٥٧]. ثم قال: "إن هذا يوضح الإجمال السابق [٥٨].

٦: و منها تفسيره لقوله تعالى: "تلك يوم مجموع له الناس و تلك يوم مشهود[٥٩]". فقال: "أي يجمع كل الناس في هذا اليوم و الذين جاءوا من قبل و من بعد من الأنبياء و أممهم و الذين يدعون الناس إلى البر و كذلك إلى المعصية، و كذلك الحاكم و المحكوم، و الشاهد و المشهود لتجزى كل نفس بما كسبت. و من عمل صالحاً فلنفسه و من أساء فعليها وذلك يوم مشهود. و حض جميع الناس ليحكموا بينهم بالعدل. وذكرت هذه الحقيقة في الآيات الأخرى ونشير إلى بعضها لكي تتضح الصوزة الصحيحة في الذهن.[٦٠] منها:

---

(٥٥) سورة البقرة: الآية ٤٧.

(٥٦) سورة المآئدة: الآية ٧.

(٥٧) سورة المآئدة: الآية ٢٠.

(٥٨) تدبر: ٢/ ٤٨٦ـ٤٨٧ـ

(٥٩) سورة هود: الآية ١٠٣.

(٦٠) تدبر: ٣/٣١٨-٣١٩.

١: قوله تعالى: "والسمآء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود".[٦١]

٢: ومنها قوله تعالى: "إنا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"[٦٢].

٣: و منها قوله تعالى: "و يوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم[٦٣]".

٤: و منها قوله تعالى: "يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون[٦٤]".

٧: لقد كان من منهج الشيخ الإصلاحي في تفسير القرآن أن يحمل المجمل على المبين يفسربه فمن ذلك تفسيره لقوله تعالى: "فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه[٦٥]". فقال :إن لفظة "كلمات" في الآية مجملة و جاء تفسيرها في مقام آخر، و هو قوله تعالى : "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفرلنا و ترحمنا لنكونن من الخسرين"[٦٦]. و قال بعد هذا: فعلم من "تلقى" أن كلمات التوبة أنزلت من قبل الله تعالى[٦٧].

٨: و منها قوله تعالى: "أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم"[٦٨].

---

(٦١) سورة البروج: الآية ١-٣.

(٦٢) سورة المؤمن: الآية ٥١.

(٦٣) سورة النحل: الآية ٨٩.

(٦٤) سورة النور: الآية ٢٤.

(٦٥) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٦٦) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

(٦٧) تدبر: ١٦٩/١.

(٦٨) سورة المآئدة: الآية ١.

فقال الإصلاحي :في "قوله تعالى :إلا ما يتلى عليكم" إشارة إلى الآية التالية من السورة نفسها في بيان الحرمة وهي قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير...[٦٩]." كأن الآية الأولى مبهمة و الثانية مفسرة لها[٧٠].

٩: كذلك فسر الشيخ الإصلاحي قوله تعالى: **"قال هذا صراط عليّ مستقيم"**[٧١]. حيث قال: "إن هذا طريق التوحيد الذي تريد (يا إبليس) إغواء بني آدم فهو ليس طريق معوج بل هو صراط مستقيم لعبادي الذين يريدون الوصول إليّ إن اختاروه فهو بنفسه يوصلهم إليّ بدون خوف الضلال و الاعوجاج. و وقوع كلمة "عليّ" في قوله تعالى(عليّ مستقيم) بعد كلمة "صراط" موافق لأسلوب خاص في اللغة العربية. و قال بعد هذا نكتفي بذكر بعض النظائر من الآيات القرآنية:

١: منها قوله تعالى: "إني توكلت على الله ربي و ربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها. إن ربي على صراط مستقيم".[٧٢]

٢: و قوله تعالى: **"و على الله قصد السبيل و منها جائر و لو شاء لهدكم أجمعين"**[٧٣].

و قد يتفرد الشيخ الإصلاحي بتعيين مفهوم آية و يستدل لتأييد رأيه و ينكر الاحتمالات الأخرى. و مثال ذلك قوله تعالى:

---

[٦٩] سورة المائدة: الآية ٣.

[٧٠] تدبر: ٤٥٢/٢-٤٥٩.

[٧١] سورة الحجر: الآية ٤١.

[٧٢] سورة هود: الآية ٥٦.

[٧٣] سورة النحل: الآية ٩؛ و تدبر: ٣٥٩/٤-٣٦٠.

"و يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً"[٧٤]." حيث قال في تفسيره: "إن المراد ب{الروح} في هذه الآية هو الوحي السماوي. و في تعبير الروح عن الوحي الإلهي إشارة إلى أن حياة الروح و العقل و القلب هي بالوحي الإلهي....و قد وردت الروح في القرآن الكريم بهذا المعنى في مواضع متعددة. منها:

١: قوله تعالى: "ينزل الملئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده"[٧٥].

٢: و قوله تعالى: "يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده و ينذر يوم التلاق"[٧٦].

٣: و قوله تعالى: "و كذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا"[٧٧].

و يقول الإصلاحي :"إن الغرض من سؤال الكفار لم يكن التحقيق عن الأمر، بل كان غرضهم الاعتراض و الاستهزاء فقط. و لذا قيل في جوابهم "قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" حيث لا تستطيعون أن تطلعوا على جميع أسرار الله تعالى و إن شئتم فهذا زعمكم الباطل الذي لا أصل له"[٧٨].

فنرى أن الشيخ الإصلاحي هنا عيّن معنى الروح وهو وحي الله،وقال: "إن الذين اعتبروا الروح في الآية روح بني آدم أخطأوا فيها. وقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه سبب نزول هذه الآية مرة في باب العلم ومرة في كتاب التفسير [٧٩] باختلاف الألفاظ و قد

---

[٧٤] سورة الإسراء: الآية ٨٥.

[٧٥] سورة النحل: الآية ٢.

[٧٦] سورة الغافر: الآية ١٥.

[٧٧] سورة الشورى: الآية ٥٢.

[٧٨] تدبر: ٥٣٩/٤-٥٤٠.

[٧٩] صحيح البخاري، كتاب التفسير ٦٨٦/٢.

ذكر الشيخ المحدث أحمد علي السهارنفوري خمسة أقوال في شرح الآية المذكورة التي ذكرها البخاري + هي:

"قوله "الروح": الأكثر أنه الروح الذي في الحيوان. سألوا عن حقيقته فأخبر عنه أنه من أمر الله أي مما استأثر الله بعلمه"

٢: و قيل هو خلق عظيم روحاني أعظم من الملك.

٣: و قيل هو خلق كهيئة الناس.

٤: و قيل (هو) جبريل.

٥: و قيل (هو) القرآن.

و معنى من أمر ربي من وحيه و ليس من كلام البشر"(٨٠).

قال العلامة العيني في شرح هذا الحديث في عمدة القاري (شرح صحيح البخاري) : و سؤالهم عن الروح بقولهم ما الروح؟ مشكل إذ لا يعلم مرادهم لأن الروح جاءت في القرآن على معان... فلو عيّنوا سؤالهم لأمكن أن يجيبهم. و قال بعد هذا : فقال القائل يمكن أن يكون سؤالهم عن روح بني آدم. لأنه مذكور في التوراة أنه لا يعلمه إلا الله. قالت اليهود :إن فسّر الروح فليس نبيّاً فلذلك لم يجبهم"(٨١). و ذكر بعد هذا خمسة أقوال التي ذكرناها.

و ذكر الإمام ابن كثير اختلاف المفسرين في تفسيره لتعيين الروح. فقال:

الأول: المراد (به) أرواح بني آدم. قال العوفي عن ابن عباس في قوله : (و يسئلونك عن الروح) و ذلك أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم أخبرنا عن الروح كيف تعذب التي في الجسد، و إنما الروح من الله؟ و لم يكن نزل عليه فيه شيء فلم يرد عليهم شيأ

---

(٨٠) صحيح البخاري، باب قوله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا". ١/٢٤. +

(٨١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: لبدر الدين العيني ٢/٢٠٠-٢٠١.

+ رواية البخاري : عن علقمة عن عبد الله قال بينما انا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث وهو متكئ على عسيب اذ مر اليهود فقال لبعضهم لسلوه عن الروح - فقال ما رابكم إليه ! وقال لبعضهم لا - ليستقبلكم بشيء تكرهونه - فقالوا سلوه - فسألوه عن الروح - فامسك صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيئاً - فعلمت أنه يوحى إليه - فقمت فلما نزل الوحي قال : ويسئلونك عن الروح --- إلا قليلا. صحيح البخاري كتاب العلم - وكتاب التفسير ٢/٦٨٦

فأتاه جبريل فقال : قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلاً. فأخبرهم النبي صلى الله عليه و سلم بذلك. فقالوامن جاء بهذا؟ قال جاءني به جبريل من عند الله. فقالوا له و الله ما قاله لك إلا عدواناً فأنزل الله تعالى: "قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزّله على قلبك..."(٨٢).

القول الثاني: المراد بالروح هنا "جبريل". قاله قتادة. و رواية عن ابن عباس يقول "الروح"الملك (٨٣). و سرد ابن كثير بقية الأقوال التي ذكرناهاسابقاً.

و من هذا العرض و المقارنة يتضح تفرد الإصلاحي برأيه في الروح حيث لم يوافقه في ذلك أحد على ذهب إليه من حصر الروح في الوحي الإلهي.

إن الرؤية الواضحة و العقيدة الصحيحة تجعل المفسر لا تشتبه عليه الآيات بل يرد كل فرع إلى أصله، و كل مشتبه إلى محكمه، و مثل هذا في إزالة توهم الإشكال عن آيات القرآن بآيات قرآنية أخرى. و مثال ذلك ما قاله الشيخ الإصلاحي عن قوله تعالى: "فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس و لا جان"(٨٤). حيث قال : "إن هناك أنواع مختلفة للسؤال، فالسؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار و طلب التعريف إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم(٨٥). و بيّن الله تعالى السبب عدم السؤال عنهم حيث قال: "حتى إذا جاؤها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يكسبون(٨٦)".

و أما السؤال على وجه الحساب والتوبيخ (٨٧) والملامة والاستهزاء فلا نفي له هنا. و كذلك الأسئلة المذكورة في القرآن الكريم فلذا لا تعارض بين النفي و الإثبات"(٨٨).

---

(٨٢) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٨٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٦٠. وقد ذكر صاحب قاموس القرآن-الدامغاني-ستة أوجه لكلمة" الروح" وهي: الرحمة. الملك. جبريل. الوحي. عيسى. الحياة. و استشهد بكل من هذه المعاني بالآيات القرآنية. (قاموس القرآن للدامغاني: ٢١٢).

(٨٤) سورة الرحمن: الآية ٣٩.

(٨٥) كما قال تعالى : يعرف المجرمون بسيمهم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام". سورة الرحمن: الآية ٤١.

(٨٦) سورة حم السجدة: الآية ٢٠.

(٨٧) مثل قوله تعالى: "فوربك لنسئلنهم أجمعين". سورة الحجر: الآية ٩٢ .

(٨٨) تدبر: ١٤٢/٨.

المبحث الثالث:

منهج الإصلاحي في التفسير بالحديث النبوي.

ذكر الإصلاحي في مقدمة تفسيره. وهو بصدد توضيح أدواته الخاصة التي سمّاها الأدوات الخارجية لفهم القرآن. الأحاديث المتواترة والمشهورة وكذلك ذكر أخبار الآحاد مع ذكر أقوال الصحابة ولكنه خالف ما ذكره وإن كان اعتماده على الأول دون الثاني. فأولاً نذكر موقفه من السنّة المتواترة والمشهورة وبعد ذلك نذكر الأمثلة من تفسيره على ذلك وبالله التوفيق.

موقف الإصلاحي من السنّة لمتواترة والمشهورة.

يبين الإصلاحي موقفه من السنة المتواترة قائلاً إنه قد ثبت بالسنّة المتواترة بعض المصطلحات الدينية مثل الصلاة و الزكاة ، والصوم والحج ونحو ذلك. وقرر بأن للرسول-صلى الله عليه و سلم-فقط حقاً تفسير هذه المصطلحات. وقد فسّرها فعلاً بقوله وعمله ، وقد تواتر هذا العمل لدى المسلمين عبر القرون فهم مجمعون على تفسير هذه المصطلحات رغم وجود الخلاف في بعض تفاصيلها الفرعية مثل الخلاف في رفع اليدين وعدم رفعها في الصلاة. وهذا ... لايؤثر في إجماعهم على المفاهيم الأصلية حيث تواتر عملهم على أن الصلاة المكتوبة هي خمس صلوات في اليوم والليلة. وقد عرف عدد ركعات هذه الصلوات بالتواتر العملي. وكذلك صيام رمضان وحج بيت الله الحرام وغيرهما[٨٩-ا]. و من هنا يمكن لنا أن نعرف مدى اهتمام الشيخ الإصلاحي بسنّة الرسول-صلى الله عليه و سلم حيث لا يقيم الوزن إلا للمتواتر منها. و يعني بالتواتر ما انعقد عليه الإجماع العملي عليه لدى المسلمين. و أما التواتر اللفظي فلم يبيّن لنا الإصلاحي هل هو يوافق على ثبوت هذا التواتر أم هو شيء فرضي عنده؟ و لا وجود له في الخارج و ظاهر صنيعه يدل على أنه لا يرى ثبوت التواتر اللفظي الذي ادعى ابن حجر كثرة وجوده في شرح نخبة الفكر.

و ذكر الشيخ الإصلاحي: "أن منكري الحديث أولوا مصطلحات الدين حسب هواهم مثلاً الصلاة، والصوم والحج والعمرة وغير ذلك على خلاف في الشكل الذي نُقل إلينا بتواتر أجيال الأمة. وهذا التأويل مرادف لإنكار القرآن، لأن التواتر الذي حفظ القرآن لنا فهو الذي عرّفنا الصورة العملية لهذه المصطلحات . و إن لم يعترف بها فلم يبق لهم وجه اعتراف بالقرآن و لا يصح الاعتماد على اللغة فقط بالنسبة لهذه المصطلحات . و مهما يكن مفهومها اللغوي لكن العبرة تكون للمفهوم الذي بيّن الشارع عليه السلام"[٨٩-ب].

(٨٩-ا) مقدمة تدبر ص ٤١ .
(٨٩-ب) تدبر ١/ ٢٩ .

و قد ذكر الشيخ الإصلاحي موقف شيخه الفراهي الذي تبعه من المصطلحات حيث قال: "أما المصطلحات الدينية التي أجملها القرآن الكريم ولم يذكر تفاصيلها (يقصد بها الصلاة والصوم والزكاة ونحوها) فالأولى والأجدر في مثل هذه المواقف عند الحد الذي اتفقت عليه الأمة. ويجب أن لا يتصرُّوا على أخبار الآحادكثيراً. وإلا يأخذكم الشك و تصبحون تخطئون أعمال غيركم ولن تجدوا شيئاً يحكم بينكم ويقطع النزاع"(٩٠).

وقال بعد هذا: "إن هذا المسلك هو الصحيح عندي بالنسبة لمصطلحات الدين و هو ما اخترته. و حاولت أن أوضح أسرارها في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة"(٩١).

هذا هو موقف الإصلاحي من الأحاديث المتواترة و المشهورة بقوله.

وترك الشيخ الإصلاحي الأحاديث الصحيحة وإجماع الأمة في هذه المسألة واخترع تفسير القرآن الكريم من عنده في ضوء اللغة فقط الذي لم يقل به غيره من المفسرين المتقدمين ولا المتأخرين.

نماذج من تفسير تدبر قرآن:

١: قد يذكر الإصلاحي حديثاً مع ذكر مصدره كما فعل في تفسير قوله تعالى: "و لتكبروا الله على ما هدكم"(٩٢). حيث قال: إن المراد بالتكبير هو حالة الصائم التي تعتري عليه بعظمة الله و جلاله ونتيجة لها يترك شهوته ابتغاءً لوجه الله و يشير إلى هذه الحقيقة حديث مسلم الذي قيل فيه : "كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى

---

(٩٠) مقدمة تدبر: ١/ ٣٠.

(٩١) المصدر نفسه: ١/ ٣٠.

(٩٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

سبع مائة ضعف، قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي و أنا أجزي به، يدع شهوته و طعامه من أجلي"(٩٣).(٩٤).

٢: في بعض الأحيان يذكر الإصلاحي جزاءً من الحديث من غير أن يعزوه إلى مصدره و مثاله في تفسير قوله تعالى: "و ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً..."(٩٥). فقال الإصلاحي: "الوحي طريقة من طرق كلام الله لعباده، و المراد بالوحي هو إلقاء القول في القلب الذي قيل في الأحاديث: إلقاء في الروع أو نفث في الروع"(٩٦).

٣: و عند تفسير قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير"(٩٧). فقال: "و الذي يريد أن ينظر الله تعالى لا يستطيع/ و لكن/ينظر الإنسان و في الحديث: "و/أن تعبد /الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"(٩٨).

---

(٩٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ٨/ ٣١ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله عليه و سلم كل عمل ابن آدم ... من أجلي و فيه للصائم فرحتان فرحة عند لقاء ربه و لخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك. و في رواية عنه...كل عمل ابن آدم له الصيام فإنه لي و أنا أجزي به... و في رواية البخاري عنه...يترك طعامه و شرابه و شهوته من أجلي الصيام لي و أنا أجزي به و الحسنة بعشر أمثالها". صحيح البخاري: كتاب الصوم، باب فضل الصوم. (الكتب الستة ١-٢/٢٢٦)

(٩٤) تدبر: ١/٤٥٢.

(٩٥) سورة الشورى: الآية ٥١.

(٩٦) تدبر: ٧/ ١٩١. و قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عزوجل و هو أنه تبارك و تعالى تارة يقذف في روع النبي-صلى الله عليه و سلم-شيأ لا يتمارى في أنه من الله عزوجل كما جاء في صحيح ابن حبّان عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: "إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها و أجلها فاتقوا الله و أجملوا في الطلب". تفسير ابن كثير: ٤/ ١٣١.

(٩٧) سورة الأنعام: الآية ١٠٤.

(٩٨) تدبر: ٣/١٣٢. واللفظ للبخاري ... عن أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه و سلم بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟ قال أن تؤمن بالله و ملائكته و بلقائه و رسله و تؤمن بالبعث . قال ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله و لا تشرك به و تقيم الصلاة و تؤدي الزكاة المفروضة و تصوم رمضان. قال ما الإحسان؟ قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال متى الساعة؟ قال ما المسئول بأعلم من السائل وسأخبرك عن إشطراطها إذا ولدت الأمة ربها و إذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهم إلا الله ثم تلا النبي صلى الل عليه و سلم إن الله عنده علم الساعة ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيأ فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم". البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل ١/ ٣ـ و مسلم في كتاب الإيمان: ١/١٥٧-١٦٠. و النسائي في باب صفة الإيمان: ٥/١٠١-١٠٣.

و في بعض الأحيان يشير الإصلاحي إلى الرواية فقط بدون ذكر مصدرها و مثال ذلك قوله تعالى: "**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً**"(٩٩). بعد أن فرغ الإصلاحي من تفسير هذه الآية فقال : "جاء في الروايات عن الآية المذكورة من سورة النساء أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لعبد الله بن مسعود اقرأ عليّ فقرأ سورة النساء حتى إذا وصل إلى الآية المذكورة فبكى الرسول من شدة تأثره، فيظهر من أنها تشير إلى مسئولية عظيمة للرسول مع شرفه العظيم"(١٠٠).

و من عادة الشيخ الإصلاحي أنه في بعض الأحيان يأخذ جزاً من الحديث النبوي الشريف بينما يترك الجزء الآخر منه. و مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: "**و إذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً**"(١٠١). فالشيخ الإصلاحي يفسر هذه الآية دون أن يذكر اسم الفتى بينما ذكر اسمه في الحديث الصحيح. و لكن عند ما يأتي الشيخ الإصلاحي إلى تفسير قوله تعالى: "**فوجدا عبداً من عبادنا اتينه رحمة من عندنا و علمنه من لدنا علماً**"(١٠٢). فيصرح بأن المراد بالعبد في هذه الآية هو: "خضر" لأنه ورد اسمه في الحديث الصحيح و لذا لا نستطيع أن نرده"(١٠٣).

رأينا أن الشيخ الإصلاحي يصرّح باسم "خضر" لأنه ورد في صحيح البخاري و أنا لا أدري كيف يأخذ جزءاً من الحديث الذي جاء فيه اسم "خضر" و ينكر بقية الحديث حيث

---

(٩٩) سورة النساء: الآية ٤١.

(١٠٠) تدبر: ٣٠٢/٢. رواه البخاري عن عبد الله قال يحيى بعض الحديث عن عمرو بن مرة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم إقرأ عليّ قلت أقرأ عليك و عليك أنزل قال إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت "**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيداً**" قال امسك فاذا عيناه تذرفان". صحيح البخاري: كتاب التفسير . سورة النساء. (الكتب الستة ٢- ٥/ ١٨٠) و أخرج مسلم في صحيحه. كتاب صلاة المسافرين و باب فضل استماع القرآن رقم ٨٠٠. أخرجه أحمد في مسنده رقم ٣٥٥١. و من طريق وكيع و يحيى كلاهما عن سفيان عن سليمان الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود به (المسند رقم : ٣٦٠٦ و ٤١١٨. و ذكره ابن كثير في التفسير : ٢٦٩/٢.

(١٠١) سورة الكهف: الآية ٦٠.

(١٠٢) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(١٠٣) تدبر: ٥/ ٦٠٠-٦٠٦.

يقول: "إن هذه الرحلة التدريبية كانت لموسى عليه السلام باقتضاء حكمة الله تعالى ليكون راسخاً في الصبر حتى يكون ثابتاً في الأهوال. و هذا هو غرض رحلة موسى عليه السلام و لا أدري من أين أخذ المفسرون هذه القصة بأنه قال: هو أعلم الناس فعتب الله عليه".

فنذكر هنا حديث البخاري الذي ذكرت/فيه هذه القصة و اسم الخضر الذي يعترف به الشيخ الإصلاحي بأنه في حديث صحيح و هذا هو الحديث:

عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس أن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله، حدثني أبو كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون حتى إذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما و اضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سرباً... قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوباً فسلّم عليه موسى فقال الخضر و أنى بارضك السلام قال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم..."[١٠٤]. ثم ساق البخاري بقية الحديث.

هذا هو موقف الشيخ الإصلاحي في تفسيره من الحديث النبوي الشريف حيث لا يذكره إلا قليلاً و عند ما يذكره لا يعزوه إلى مصدره و في بعض الأحيان يذكر جزءاً منه و يترك جزء الآخر منه.

---

[١٠٤] صحيح البخاري بحاشية السندي: ١٥٢/٣-١٥٣. (دار المعرفة . بيروت لبنان). و ذكر البخاري نفس الرواية في كتاب أحاديث الأنبياء تحت باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام. أنظر فتح الباري ١٨١/١٣-١٨٢. و تلخيص صحيح مسلم: ١٠٤٠/٢-١٠٤٢. ومسند أحمد: ١١٨/٥. والسيوطي في الدر المنثور: ٤٠٩/٥-٤١٠.

المبحث الرابع:

تفسير الصحابة و التابعين في تفسير تدبر قرآن.

قد سبقت الإشارة في بداية هذا الفصل إلى أهمية تفسير الصحابي، و الخلاف فيه، هل يكون من قبيل المرفوع، أو الموقوف؟

و في كتب الأصول مباحث مستفيضة حول قول الصحابي، وهو يشمل التفسير وغيره[١]. وكذلك كتب علم مصطلح الحديث تعنى به، وتفصل القول فيه[٢]. والذي يعنينا من ذلك كله هنا أن نرى إلى أي مدى اعتمد الإصلاحي على تفسير الصحابي والتابعين، وما منهجه في ذلك، وما موقفه من أقوال الصحابة و التابعين المختلفة في تفسير بعض الآيات، أو المعاني المقصودة منها، وهذا ما ستبيِّنه الصفحات التالية بإذن الله تعالى.

لنبدأ ما ذكره الإصلاحي في مقدمة تفسيره من أخبار الآحاد وآثار الصحابة.

موقف الإصلاحي من تفسير الصحابة و التابعين :

بيَّن الإصلاحي موقفه من تفسير الصحابة حيث قال: "أن الأحاديث (أخبار الآحاد) والآثار من أشرف المآخذ وأزكاها من المآخذ الظنية للتفسير. وكانت أهميتها مثل أهمية السنَّة المتواترة بشرط الاطمئنان إلى صحتها. و لكن مادام لم يكن هناك الاطمئنان بصحتها نكتفي بالاستفادة عند الحد الذي يتفق مع الأصول القطعية." ثم قال بعد هذا:

---

(١) هذا البحث موجود في كتب الأصول التالية و غيرها: المستصفى للإمام الغزالي: (٤٤٥-٥-٥هـ) ١/ ٢٦٠-٢٧٠ وهو يرى أن قول الصحابي ليس بحجة. وإرشاد الفحول للشوكاني: (ت: ١٢٥٥هـ) ص: ٢٤٣.

(٢) أنظر على سبيل المثال : النكت على ابن صلاح للحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ) ت: و دراسة. د: بسيح بن هادي عميره، ط:١. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المجلس العلمي إحياء التراث الإسلامي ٢/ ٥١٥. و ما بعد. و تدريب الراوي: ١/ ١٨٨-١٩٣. ط:٢. ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

"إن الذين يعطونها الأهمية أكثر من المطلوب حيث يحكمونها على القرآن الكريم فهم ما عرفوا حق القرآن و لا حق السنّة. و على العكس الذين لا يعتبرون الأحاديث و آثار الصحابة حجة من الأصل فهم حرّموا أنفسهم من الضوء الغالي بعد القرآن الكريم. و أما عندي فالأحاديث كلها مستنبطة من القرآن الكريم فلذا لم اكتف بالاستفادة بالقدر الذي ورد في تفسير القرآن الكريم صريحاً بل استفدت من جميع الأحاديث بقدر الإمكان لاسيما المساعدة في مسائل حكمة القرآن الكريم التي استفدت من الحديث بما استفدت من غيره. و إذا وجدت الحديث المعارض للقرآن فتوقفت عندها وقفة طويلة فإذا انكشف عليّ بأن العمل على هذا الحديث إما يلازم خلاف القرآن الكريم أو يخالف أصول الدين فتركتها. و لم يحدث عدم الموافقة الحديث الصحيح بالقرآن و إذا حدث فرجحت القرآن الكريم و ذكرت وجوه الترجيح مفصلاً".

أول ما يلحظ على الإصلاحي في هذا المجال هو إيراده لأقوال الصحابة و التابعين رضوان الله عليهم أجمعين -دون أن يعزو تلك الأقوال إلى الكتب المصنّفة أو يسوقها بإسناده المتصل إليهم ، لكن هذه الأقوال موجودة على أي حال في كتب التفاسير الأخرى، و لا شك أن صنيعه هذا من أجل الاختصار، و عليه جرى أغلب المفسرين المتأخرين.

جاءت أقوال الصحابة في تفسير الإصلاحي لتوضيح المعنى، أو لإزالة إبهام، أو تفسير لفظ، ولهذا فإننا نجد هذه الأقوال أحياناً في مجال التفسير المحض لبعض الكلمات أو الآيات القرآنية أو لتأييد رأيه الذي رآه مناسباً في تفسير الآية.

و الإصلاحي من المفسرين الذين اهتموا بروايات ابن عباس، و أعطوا لها الأولويّة، لذلك نجد اسم ابن عباس يتردد في تفسير الإصلاحي، و لا غرابة فهو حبر الأمة، و ترجمان القرآن، ويليه في التردد عكرمة رضي الله عنه، ولا غرابة أيضاً لأنه مولى ابن عباس وتلميذه في التفسير.

تتردد عبارة ابن عباس وآراؤه في تفسير الإصلاحي مع الترجيح، ولقد كان صاحب مدرسة مستقلة من مدارس الفقه الإسلامي، كما كان في نفس الوقت ذا مدرسة متميزة من مدارس التفسير لكتاب الله العزيز.

و هذه نماذج مما ورد في تفسير تدبر قرآن من ذكر رأي ابن عباس رضي الله عنهما:

١: فعند قوله تعالى من سورة البقرة في آية : "قلنا اهبطوا منها جميعاً...[٣]". فقال الإصلاحي : الخطاب في كلمة "اهبطوا" لآدم و حوا و إبليس عند ابن عباس و عند ابن زيد الخطاب لآدم، و حوا ولذريتهما. و تأويل ابن عباس راجح عندنا"[٤].

و عند قوله تعالى من سورة البقرة: "و اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى"[٥]. فقال الإصلاحي: "ما المراد بمقام إبراهيم؟ فيه قولان:

القول الأول: المراد به الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام أثناء بناء بيت الله الحرام.

القول الثاني: المراد منه الحرم كله. و هذا التأويل راجح عندي". و في هامش تفسير الإصلاحي : "أن ابن عباس و مجاهد و عطاء من أصحاب القول الثاني"[٦].

---

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٨.

(٤) تدبر: ١٦٧/١ و ذكر ابن جرير الطبري عدة أقوال فيها. منها: قول ابن عباس و فيه زيادة "الحية". الطبري: ١٩١/١.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٦) تدبر: ٣٢٩/١.

و عند قوله تعالى من سورة البقرة في قصة موسى و قومه: "و إذ قلنا ادخلوا هذه القرية"(٧). فقال الإصلاحي :" يمكن أن يكون المراد من القرية بلدة من أرض فلسطين و يمكن أن يكون المراد منها " أريحا : أو "يريحو". و هذا رأي ابن عباس و ابن زيد"(٨).

و عند تفسير قوله تعالى من سورة فاطر: "إليه يصعد الكلم الطيِّب و العمل الصالح يرفعه"(٩). فقال الإصلاحي : " المراد بالكلم الطيِّب هنا هو "كلمة الإيمان" عند ابن عباس. و ذكر بعد ذلك السبب حيث قال : "و الإتيان ب{العمل الصالح} بعد {الكلم الطيِّب} مباشرة خير دليل على أن المراد بها كلمة الإيمان"(١٠).

و عند تفسيره لقوله تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه"(١١). فقال الإصلاحي: "المراد من قولهٔ تعالى: "منهم ظالم لنفسه" هم أصحاب المشأمة. و هذا ما اختارهٔ ابن عباس في تفسير الآية"(١٢).

و هنا نلاحظ أن الإصلاحي يرجِّح آراء ابن عباس على غيره من المفسرين لأنه أحوط و أقطع النزاع.

و عند قوله تعالى من سورة الأعراف: "و على الأعراف رجال يعرفونهم بسيماهم"(١٣). فذكر الإصلاحي أربعة أقوال التي ذكرها الطبري. منها القول الثاني:

---

(٧) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٨) تدبر: ٢١٩/١. و كذا في "القاموس القرآني. ص:٢٠٧. حسن محمد موسى. مطبعة خليل إبراهيم بالاسكندرية. بالقاهرة، مصر.

(٩) سورة الفاطر: الآية ١٠.

(١٠) تدبر: ٣٦٣/٦.

(١١) سورة الفاطر: الآية ٣٢.

(١٢) تدبر: ٣٨٤/٦. و ذكر الطبري روايتين عن ابن عباس قال: هم أصحاب المشأمة. الطبري: ١٣٥/٢٢-١٣٦.

(١٣) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

إن المراد بأصحاب الأعراف هم : قوم صالحون فقهاء علماء". و هذا قول ابن عباس"[١٤].

قيمة تفسير التابعين:

خلاصة القول في تفسير التابعين و تابعيهم بإحسان لآيات القرآن الكريم أنها مما يستأنس و يستشهد لها، و لا تعتبر حجة لا يجوز العدول عنها إلا في حالة واحدة هو حالة إجماعهم على تفسير بعينه، مما لا مجال للرأي و النظر فيه، و يشترط أن لا يكون مما تسرب إليهم من الإسرائيليات عن طريق مسلمي أهل الكتاب[١٥].

و قد ذكرت أقوال التابعين في التفسير لأمور منها:

* أنهم سعدوا برؤية الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، الذين شهدوا نزول القرآن، و عاصروا أحداثه، و كانوا أول طبق من هذه الأمة لأحكامه و الذي سمعوا الكثير من تفسير النبي صلى الله عليه و سلم لآياته، و توضيحه لمقاصده، و رأوا الكثير من تطبيقاته صلى الله عليه و سلم لتعليمه و تشريعاته. فاحتمال أن تكون تفاسير التابعين مستقاة من ذلك المنبع المحمدي لاسيما و قد تتلمذوا على الصحابة، و قرأوا عليهم القرآن الكريم و أخذوا عنهم ، و استفادوا من مجالسهم استفادات متنوعة.

* أنهم كانوا من ناحية الفصاحة والبلاغة في الذروة بعد رسول الله-صلى الله عليه و سلم-و صحابته الكرام، و كانت سليقتهم لا تزال سليمة، و كان اللحن في عصرهم لم يتفتش بعد كظاهرة شائعة حتى أن أقوالهم، و أقوال الشعراء في عصرهم تعتبر حجة

---

(١٤) تدبر: ٢٦٨/٣. والطبري: ١٩٣/٨.

(١٥) البرهان: ١٥٨/٢.ومقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ص٤٤-٤٦. والاتقان: ١٨٨/٢-١٨٩.

في اللغة. و لذلك نرى اللغويين و الأدباء يرجعون إلى أقوالهم في كثير من المفردات، و بيان كثير من الأساليب.

* إضافة إلى ما تقدم فقد أتوا من الفهم في كتاب الله تعالى، و من العلم بأحكامه و أهدافه و مراميه، ماجعل الأمة تضعهم في مكانهم الرفيع اللائق بهم، و تقدرهم حق التقدير لأن تفسيراتهم احتوت على المأثور. و ضمنت إلى جانبه التفسير بما آتاهم الله من الفصاحة و الفهم في كتاب الله العزيز. و عليه فقد عنى معظم المفسرين بأقوال التابعين منذ بداية التدوين، و إلى يومنا هذا.

منهج الإصلاحي في إيراد تفاسير التابعين:

في تفسير (تدبر قرآن) كغيره من التفاسير، يوجد أقوال لعلماء التابعين و مفسريهم بصفة نادرة. يذكر الإصلاحي من هذه الأقوال لتأييد رأيه و يعزوها إلى أصحابها. ووجدت هذه الأقوال في التفاسير المختلفة، وخاصة تفسير الطبري، وابن كثير منسوبة إلى التابعين أو إلى أتباع التابعين و بعضها منسوب إلى الصحابة. و الغالب لا ينسب إلا إلى ابن عباس مصرح بذكر اسمه في تفسير تدبر قرآن.

هذه بعض النماذج من تفسير التابعين في تفسير تدبر قرآن لتوضيح منهج الإصلاحي الذي اختاره في تفسيره.

عكرمة مولى ابن عباس: (ت:١٠٤هـ)[١٦].

عبدالله بن عباس

نشأ عكرمة في حجر الحبر، الذي أتاه الله الحكمة، و فقهه في الدين، و علمه التأويل. يقول عكرمة: "كان ابن عباس يجعل في رجلي الحبل، ويعلمني القرآن والسنن[١٧]. ونجد في تفسير "تدبر قرآن" بعض المنقولات عن عكرمة منها:

١: ما ذكره في تفسير قوله تعالى: "و إن من أهل الكتاب إلآ ليؤمنن به قبل موته..."[١٨]. فقال الإصلاحي: "يرجع ضمير "ه" في "ليؤمنن به" و في "موته" إلى الرسول صلى الله عليه و سلم. و بعض الناس لم يعطوا أهمية لقول عكرمة بسبب بُعد مرجع الضمير، و لكن هذا البعد لا يضر"[١٩].

٢: و عند قوله تعالى: "يوم يكشف عن ساق و يدعون إلى السجود و هم سالمون"[٢٠]. فقال الإصلاحي: "المراد بكشف الساق هو شدة الأمر، و هذا قول عكرمة و ابن عباس. حيث قالا: هو يوم القيامة يوم كرب و شدة. و كذا قاله إمام التفسير مجاهد"[٢١].

---

(١٦) قد مرّ ذكره في بداية الفصل من هذا الباب. وتهذيب:٢١٣/٧. وتذكرة الحفاظ: ٨٩/١. والتقريب: ٣٠/٢.

(١٧) هو ثقة. ثبت، عالم بالتفسير، وهو تابعي و قال أبو عبد الله ليس أحد من أصحاب إلا احتج بعكرمة. التاريخ الكبير: للإمام البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ٤/٧: ٤٩:١.و تاريخ الثقات: ص ٣٣٩. للأحمد بن عبد الله العجلي (ت:١٨٢-٢٦١هـ) ترتيب نور الدين الهيثمي (ت:٨٠٧هـ) ت: د: أبو المعطي قلعجي. ط: ١. ١٤٠٥هـ ١٩٨٤. بيروت، لبنان.

(١٨) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(١٩) تدبر: ٤٢٣/٢. و ذكر الطبري في تفسير الآية قال: قال عكرمة: لا يموت النصراني و اليهودي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه و سلم ٢١/٦.

(٢٠) سورة القلم: الآية ٤٢.

(٢١) تدبر: ٥٢٩/٨. روى الطبري عن مجاهد في تفسير الآية المذكورة قال: شدة الأمر وجدته، وعن عكرمة...هو يوم كرب وشدة. وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرأ لك... يوم تكشف القيامة عن شدة شديدة، والعرب تقول: كشف هذا الأمر عن ساق إذا صار إلى شدة. الطبري: ٣٩/٢٩-٤٢.

سعيد بن جبير: (٤٤-٩٥هـ)

وهومن سادة التابعين، وفضلائهم، ومن أنبل تلاميذ الحبر ابن عباس رضي الله عنهما. وصفه قتادة بأنه : أعلم التابعين بالتفسير"[٢٢].

و نجد في تفسير الإصلاحي -تدبر قرآن_ نقولات يسيرة عنه. منها ما ذكره الإصلاحي نسبة إليه عند تفسير قوله تعالى: "و من قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم"[٢٣] حيث قال : "إنني أرى في ضوء ألفاظ القرآن أن مذهب سعيد بن جبير قوي حيث لا يقول بالكفارة على الناسي"[٢٤].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "الذي عليه الجمهور أن العامد و الناسي سواء في وجوب الجزاء عليه. و قال الزهري: دل الكتاب على العامد و جرت السنّة على الناسي. و معنى هذا أن القرآن دل على وجوب الجزاء على المتعمد و على ناسيه بقوله: "ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه". وجاءت السنّة من أحكام النبي صلى الله عليه و سلم و أحكام أصحابه بوجوب الجزاء في الخطأ كما دل الكتاب عليه في العمد"[٢٥].

وقد قال الطبري في تفسير الآية المذكورة: "عفا الله عما سلف" معني هذا: عفا الله عما سلف منكم في ذلك في الجاهلية، ومن عاد في الاسلام فينتقم الله بالزامه الكفارة، قاله سعيد بن جبير وعطاء"[٢٦]. فظهر من هنا أن نسبة الإصلاحي هذا القول إلى سعيد بن جبير لا يصح في ضوء ما قلناه آنفاً.

---

[٢٢] أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ٤/١١-١٤.

[٢٣] سورة المائدة: الآية ٩٥.

[٢٤] تدبر: ٢/٥٩٦.

[٢٥] مختصر ابن كثير: ١/٥٤٩.

[٢٦] الطبري: ٧/٥٩-٦٠.

الفصل الثاني

الإسرائيليات وموقف الإصلاحي منها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مدلول الإسرائيليات و بيان تسربها إلى كتب التفسير.

المبحث الثاني: الإسرائيليات و موقف الإصلاحي منها.

المبحث الأول:

مدلول الإسرائيليات وبيان تسربها إلى كتب التفسير.

الإسرائيليات:

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، و إسرائيل هو: يعقوب عليه السلام أي عبد الله، و بنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، و من تناسل منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبيُّنا صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الله تعالى من خطابهم ببني إسرائيل في القرآن الكريم تذكيراً لهم بأبوة النبي الصالح لكي يتخلقوا بأخلاقه. ويتركوا ما كانوا عليه من نكران نعم الله عليهم وعلى آبائهم وما كانوا يتصفون به من الجحود، والغدر، والخيانة. وكذلك ذكرهم الله في غير آية - منها:

١: قوله تعالى: وقالت اليهود والنصرى نحن أبنؤا الله وأحبآؤه"[١].

٢: وقوله تعالى : وقالت اليهود يد الله مغلولة"[٢](أ).

لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلا أنا نريد به ما هو أوسع من ذلك، وهو ما يعم اللون اليهودي والنصراني للتفسير وما تأثر به التفسير من هاتين الثقافتين.

"وإنما أطلق المفسرون على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات، من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، لأن الكثرة الكاثرة من الإسرائيليات دخلت عن طريق اليهود لشدة اختلاطهم بالمسلمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواته على كثير من بلاد العالم"[٢](ب).

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.

(٢)(أ) سورة المائدة: الآية ٦٤. وسورة البقرة: الآية ١١٣-١٢٠.

(٢)ب: التفسير والمفسرون للذهبي ١/١٧٥ وما بعدها (بتصرف) -

كانت ثقافة اليهود تعتمد على التوراة. وكثيراً ما يستعمل المسلمون واليهود أنفسهم لفظ التوراة ويطلقونه على كل الكتب المقدسة عند اليهود فيشمل الزبور وغيره من الأسفار الموسوية وتسمّى التوراة: "العهد القديم".

وثقافة النصارى كانت تعتمد في الغالب على الإنجيل ويسمّونه: "العهد الجديد".

وإذا نحن أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنها قد اشتملا على كثير مما اشتمل عليه القرآن، وبخاصة ما كان من علاقة بقصص الأنبياء عليهم السلام. وذلك على اختلاف في الإجمال والتفصيل. فالقرآن إذا عرض القصة من قصص الأنبياء فنراه يقتصر على مواضع العظة وما يتعلق بموضع العبرة. ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل.

و أما التوراة فتذكر القصة بالتفصيل لجزئيات المسائل مثل ذكر تاريخ الوقائع، وأسماء البلدان والأشخاص الذين جرت على أيديهم بعض الحوادث.

فمثلاً قصة آدم عليه السلام وردت في القرآن الكريم في أكثر من موضع، أطولها في سورتي البقرة والأعراف. نجد أن القرآن لم يتعرض لكثير من الأشياء مثل مكان الجنة، ونوع الشجرة التي نهى آدم وزوجته عن أكلها، والحيوان الذي دخل الجنة ليُزلّ آدم وزوجته... إلى آخر ما تتعلق بهذه القصة من تفصيل وتوضيح.

وأما التوراة فتتعرض لكل ذلك مثلاً تقول التوراة:

"إن الجنة في عدن شرقاً، وأن الشجرة التي نهي عنها آدم وزوجته كانت في وسط الجنة، وأنها شجرة الحياة، وأنها شجرة معرفة الخير والشر. وأن الذي خاطب حواء هو الحيّة... إلى آخر ما ذكر فيها(٣)أ".

كذلك ذكر القرآن الكريم قصة عيسى ومريم، ومعجزات عيسى عليه السلام، كل ذلك بأسلوب موجز وما تعرض لجزئيات القصة وتفاصيلها(٣)ب.

---

(٣)أ: العهد القديم: سفر التكوين ص ٤-٥.

(٣)ب: التفسير والمفسرون ١/ ١٧٥-(بتصرف).

ولكن لو نظرنا في الإنجيل لوجدنا أنه قد تعرض لنسب عيسى، ولكيفيـة ولادة مريم له، والشخص الذي قذفت به مريم [٤]. و نوع الطعام الذي نزلت به مائدة من السماء[٥]، وللحوادث الجزئية من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى[٦]. ولكثير من مثل هذا التفصيل الذي لم يعرض له القرآن الكريم.

مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير:

نستطيع أن نقول إن دخول الإسرائيليات في التفسير يرجع إلى عهد الصحابة-رضي الله عنهم-وذلك نظراً إلى اتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل في ذكر بعض القصص بفارق الإيجاز في القرآن و الإطناب في التوراة والإنجيل.

وكان أهل الكتاب مصدراً من مصادر التفسير عند الصحابة. فكان الصحابي إذا مر على قصة من قصص القرآن يجد من نفسه ميلاً إلى أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن منها ولم يتعرض له، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوى أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام، وحملوا معهم من ثقافة دينيـة.

غير أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة وبياناً لما أجمله القرآن منها. مع توقفهم فيما يلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب مادام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه و سلم:

"لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبو هم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"[٧].

---

[٤] العهد الجديد: "متى" الإصحاح الأول ص ١.

[٥] المصدر نفسه: "إنجيل مرقص. الإصحاح الثاني ص ٤٧.

[٦] المصدر نفسه: إنجيل متى ص ٨-١٠. و ٤٠.

[٧] فتح الباري :٨/ ١٢٠. الصحيح البخاري . كتاب الشهادات باب (١٩) لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة. ١: ١٦٣/٣.

وفي رواية "... ما حدثكم أهل الكتاب فلاتصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا با ورسله، فإن كان باطلاً فلاتصدقوه وإن كان حقاً فلا تكذبوه"[٨]. كذلك لم يسألوا عن شي يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام. لأنهم لا يعدلون عما ثبت عن الرسول عليه الصلا والسلام، كما كانوا لا يسألون عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهـ والعبث، كالسوأل عن لون كلب أهل الكهف والبعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، و طول السفينة ونوع خشبها وغير ذلك. ولهذا قال الشيخ ولي الله الدهلوي بعد أن بيّن أن السؤا في مثل هذا تكلف ما لا يعني:"وكانت الصحابة رضي الله عنهم يعدّون مثل ذلك قبيحاً مـ قبيل تضييع الأوقات"[٩].

"أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، فكثرت على عهدهم الروايا الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية، فظهرت في هذ العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدّوا هذه الثغرات القائمة في التفسير بما هو موجو عند اليهود والنصارى، فحشوا التفسير بكثير من القصص المتناقض، ومن هؤلاء:مقاتل بـ سليمان[١٠] الذي نسبه أبو حاتم إلى أنه استقى علومه بالقرآن من اليهود/وجعلها والنصارى موافقـ لما في كتبهم"[١١] ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروم لهم وإن كان لا يتصوره العقل!!. واشتهر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، نجد من المفسرين

---

(٨) سنن أبي داود (١٠) ٣/٥٩-٦٠، ومسند أحمد بن حنبل: (٢٢) ٤/١٣٦.

(٩) الفوز الكبير: ص ٣٥.

(١٠) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء الخراساني المروزي. أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة. وكان مشهوراً بتفسير كتاب الله العزيز، وله التفسير المشهور. واختلف العلماء في أمرهم، فمنهـ من وثقه في الرواية، ومنهم من نسبه إلى الكذب. قال أبو عبد الرحمن النسائي: الكذابون المعروفون بوضـ على الرسول أربعة، ومنهم مقاتل بن سليمان... قاله البخاري مقاتل بن سليمان سكتوا عنه. وقال في موضـ آخر: لا شيء ألبتة. قال يحيى بن معين: مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشيء. وتوفي سنة خمسين ومائـ بالبصرة. وفيات الأعيان: ٥/٢٥٥-٢٥٧.

(١١) وفيات الأعيان: ٢/٥٦٨.

من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها"(١٢).

رأي ابن خلدون في تسرب الإسرائيليات في كتب التفسير:

و خير ما قاله العلماء في تسرب الإسرائيليات في كتب التفسير هو رأي ابن خلدون الذي ذكره في مقدمته وهذا نص عباراته:

"...وقد جمع المتقدمون في ذلك _يعني التفسير النقلي -وأوعوا إلا أن كتبهم و منقولاتهم تشتمل على الغث والثمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم. وإنما غلبت عليهم البداوة والأميّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكوّنات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير، الذين أخذوا بدين اليهودية، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة، وما يرجع إلى الحدثان والملاحم، وأمثال ذلك وهؤلاء مثل: كعب الأحبار، و وهب ابن منبه، وعبد الله ابن سلام، وأمثالهم، فأمتلأت التفاسير من المنقولات عنهم، وفي أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل، وتساهل المفسرون في مثل ذلك، وملئوا الكتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم، وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة،فتلقت بالقبول من يومئذ..."(١٢)ب.

---

(١١) التفسير والمفسرون: ١/١٧٦-١٧٧.

(١٢) ب: مقدمة ابن خلدون ١/ ٤٣٩ - ٤٤٠.

ويقول الشيخ الذهبي تعليقاً على رأي ابن خلدون في تسرب الإسرائيليات:

"ومن هذا يتضح لنا أن ابن خلدون ارجع الامر إلى اعتبارات اجتماعية وأخرى دينية، فعد من الاعتبارات الاجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية، من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، وهم إنما يسألون في ذلك أهل الكتاب قبلهم"(١٣).

"وعدّ من الاعتبارات الدينية التي سوغت لهم المرويات في تساهل وعدم تحري للصحة، أن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب لها العمل، سواء أكانت هذه هي كل الأسباب أم كانت هناك أسباب أخرى، فإن كثيراً من كتب التفسير ملئت من ذكر الإسرائيليات، حتى أصبح ما فيها مزيجاً متنوعاً من مخلفات الأديان المختلفة"(١٤).

---

(١٣) مقدمة ابن خلدون: (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) عبد الرحمن ابن خلدون المغربي. ط: ٤. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م. ١/٤٣٩-٤٤٠.

(١٤) التفسير والمفسرون: ١/١٧٨.

المبحث الثاني:

الإسرائيليات وموقف الإصلاحي منها.

تنقسم الأخبار الإسرائيلياية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يعلم صحته بأن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم نقلاً صحيحاً. وذلك كتعيين اسم صاحب موسى عليه السلام بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله عليه و سلم كما عند البخاري[١٥] أو كان/شاهد من الشرع يؤيده. وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني: ما يعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نكذبه و تجوز حكايته. لما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل..."[١٦].

موقف الشيخ الإصلاحي من قصة هاروت وماروت:

١: ومن الإسرائيليات التي رواها المفسرون في تفسير قوله تعالى: "واتبعوا ما تتلوا الشيطين على ملك سليمان... (١٧)

---

[١٥] فتح الباري: باب التفسير ٨/٢٩٧.

[١٦] فتح الباري: ٨/ ١٢٠. كتاب الشهادات. باب: لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها. وقد رواه أبو داود في سننه باختلاف يسير. ٤/٥٩-٦٠. وكذلك في مسند أحمد بن حنبل: (٢٢)٤/١٣٦.

[١٧] سورة البقرة: الآية ١٠٢.

روى السيوطي في تفسير الآية المذكورة روايات كثيرة و قصصاً عجيبة عن ابن عمر، وابن مسعود، وعلي، وابن عباس، ومجاهد، وكعب، والربيع، والسدي. كما رواها ابن جرير الطبري في تفسيره وغيره من المفسرين في تفاسيرهم وكتبهم [١٨].

---

[١٨] الدر المنثور: ١/٩٥-١٠٣ وتفسير ابن جرير: ١/٤٤٥-٤٦٦. وخلاصتها: أنه لما وقع الناس من بني آدم فيما وقعوا فيه من المعاصي و الكفر بالله، قالت الملائكة في السماء: أي رب، هذا العالم إنما خلقتهم لعبادتك، وطاعتك، , قدارتكبوا الكفر، وقتل النفس الحرام. وأكل المال الحرام، والسرقة، والزنا، وشرب الخمر، فجعلوا يدعون عليهم، ولايعذرونهم فقيل لهم: أنهم في غيب، فلم يعذروهم. و في الروايات: أن الله قال لهم: لو كنتم مكانهم لعملتم مثل أعمالهم، قالوا سبحانك، ما كان ينبغي لنا، وفي رواية أخرى: قالوا: لا. فقيل لهم: اختاروا منكم ملكين، آمرهما بأمري، وأنهيهما عن معصيتي. فاختاروا هاروت وماروت. فأهبطا إلى الأرض، وركبت فيهما الشهوة، وأمرا أن يعبدا الله، ولا يشركا به شيئا، ونهيا عن قتل النفس الحرام، وأكل المال الحرام والسرقة، والزنا وشرب الخمر، فلبثا على ذلك في الأرض زماناً، يحكمان بين الناس بالحق، وكان في ذلك الزمان امرأة حسنها في سائر الناس كحسن الزهرة سائر الكواكب. وأنهما أراداهما على نفسها، فأبت إلا أن يكونا على أمرها دينها، وأنهما سألاها عن دينها، فأخبرت لهما صنماً فقالا: لا حاجة لنا في عبادة هذا، فذهبا فصبرا ما شاء الله، ثم أتيا عليها، فخضعا لها بالقبول، و أراداها على نفسها. فأبت إلا أن يكونا على دينها، وأن يعبدا الصنم الذي تعبده، فأبيا، فلما رأت أنهما قد أبيا أن يعبدا الصنم، قالت لهما: لختارا إحدى الخلال الثلاث: إما أن تعبدا هذا الصنم، أو تقتلا النفس، أو تشربا هذا الخمر، فقالا: هذا لا ينبغي، وأهون الثلاثة شرب الخمر وسقتها الخمر، حتى إذا أخذت الخمر فيهما وقعا (أي فعلا بها الفاحشة) فمربهما إنسان، وهما في ذلك، فخشيا أن يفشي عليهما، فقتلاه، فلما أن ذهب عنهما السكر، عرفا ما قد وقعا فيه من الخطيئة، وأرادا أن يصعدا إلى السماء، فلم يستطيعا، وكشف الغطاء فيما بينهما، وبين أهل السماء ،فنظرت الملائكة إلى ما قد وقعا فيه من الذنوب، وعرفوا من كان في غيب فهو أقل خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فلما وقعا فيما وقعا فيه من الخطيئة: قيل لهما: اختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فقالا: أما عذاب الدنيا فينقطع، ويذهب وأما عذاب الآخرة فلا انقطاع له، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلا ببابل فهما بها يعذبان معلقين بأرجلهما، وفي بعض الروايات: أنهما علماها الكلمة التي يصعدان بها إلى السماء فصعدت، فمسخها الله، فهي هذا الكواكب المعروف بالزهرة، (و هي بضم الزاي و فتح الهاء. نجم السماء كما هو في القاموس)

وقد ذكر السيوطي أيضاً في كتابه ما رواه ابن جرير و غيرهما عن عائشة. أنها قدمت عليها امرأة من دومة الجندل. وأنها أخبرتها أنها جيئ لها بكلبين أسودين فركبت كلباً، وركبت امرأة أخرى الكلب الآخر ولم يمض غير قليل، حتى وقفتا ببابل، فإذاهما برجلين معلقين بأرجلهما، وهما هاروت وماروت، واسترسلت امرأة التي قدمت على عائشة في ذكر قصة عجيبة غريبة.

وكذلك ذكر أن ابن منذر أخرج من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رباب، قال: دخلت على عبد الملك إبن مروان وعنده رجل قد ثنيت له وسادة، وهو متكئ عليها، فقالوا: هذا قد لقي هاروت وماروت ، قالوا له: حدثنا رحمك الله: فأنشأ الرجل يحدث بقصة عجيبة غريبة. (الدر المنثور: ١/١٠١. وتفسير الطبري: ١/٤٦٠.

وكل هذا من خرافات بني إسرائيل و أكاذيبهم، ولم يقف بعض رواة هذه القصص الخرافي عند رواته عن بعض الصحابة والتابعين، بل في بعض الأحيان الصقوا هذا الزور بالنبي صلى الله عليه وسلم ورفعوه إليه.

فقد قال السيوطي: أخرج سعيد وابن جرير، والخطيب في تاريخه، قال: سافرت مع ابن عمر. فلما كان من آخر الليل. قال : يانافع: أنظر. هل طلعت الحمراء؟ قلت: لا. مرتين أو ثلاثا، ثم قلت: قد

وقد فسَّر الإصلاحي هذه الآية مثل ما فسَّرها ابن جرير الطبري إلا أن الإصلاحي اختصر الكلام ولم يذكر الروايات التي ذكرها الطبري مطولاً ولفظ الطبري:

"إن ذلك توبيخ من الله تعالى لأحبار اليهود وعلمائها الذين وصفهم الله بأنهم نبذوا كتابه الذي أنزل على موسى وراء ظهورهم، تجاهلاً منهم وكفروا بما هم به عاملون، كأنهم لا يعلمون، فأخبر عنهم أنهم رفضوا كتابه الذي يعلمون أنه منزل من عنده على نبيه صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهده الذي أخذه عليهم في العلم بما فيه، وآثروا السحر الذي تتلوه الشياطين في ملك سليمان بن داود فاتبعوه..."[١٩]. وقال الطبري بعد هذا : اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: "واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان" فقال بعضهم: عنى الله بذلك اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم:

طلعت، قال : لا مرحباً بها، ولا أهلاً . قلت: سبحان الله!! نعم، سامع، مطيع، قال ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وإن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال: فاختاروا ملكين منكم. فلم يألوا جهداً أن يختاروا هاروت وماروت، فنزلا، فألقى الله عليهم الشبق، قلت: وما الشبق؟ قال: الشهوة، فجاءت امرأة يقالها الزهرة فوقعت في قلبيهما، فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه، ثم قال أحدهما للآخر : هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم. فطلباها لأنفسهما، فقالت: لا أمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء، و تهبطان، فأبيا، ثم سألاها أيضاً، فأبت، ففعلا، فلما استيطرت طمسها الله كوكبا . وقطع أجنحتها، ثم سألا التوبة من ربهما، فخيرهما بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة. فأوحى الله إليهما: ان أتيا"بابل" (بلد من بلاد العراق) فانطلقا إلى بابل، فخسف بهما، فهما منكوسان بين السماء والأرض، معذبان إلى يوم القيامة، ثم ذكر أيضا رواية أخرى، مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرج في معناها عما ذكرنا. الدر المنثور: ١/ ٩٧/١. والطبري: ٤٦٤/١.

لا شك في أن هذا موضوع على النبي صلى الله عليه وسلم مهما بلغت أسانيده من الثبوت فما بالك إذا كانت أسانيدها واهية، ساقطة، وقد نص على وضعه أئمة الحديث، وقد حكم بوضع هذه القصة الإمام أبو الفرج الجوزي في كتابه: "اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" ٨٢/١. وقال العلامة الآلوسي: "وما روت أنهما ملكان يعذبان على خطيئتهما فهو كافر بالله العظيم". (روح المعاني: ٣٤/١). وكذلك حكم بوضع المرفوع من هذه القصة: ابن كثير و أما ما ليس مرفوعا : فبيِّن أن منشأه روايات إسرائيلية. أخذت عن كعب وغيره الصقتها زنادقة أهل الكتاب بالإسلام. قال في تفسيره: بعد أن تكلم على الأحاديث الواردة في هاروت وماروت، وأن روايات الرفع غريبة جدا . وأقرب ما يكون في ذلك أنه من رواية عبد الله بن عمر، عن كعب الأحبار، كما قال عبد الرزاق في تفسيره، عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر، عن كعب، ورفع مثل هذه الإسرائيليات إلى النبي كذب واختلاق الصقه زنادقة أهل الكتاب، زورا وبهتانا . وذكر مثل ذلك في البداية والنهاية: ٣٧,/١ هذا الذي قاله العلامة ابن كثير هو الحق الذي لا ينبغي أن يقال غيره.

[١٩] الطبري: ٤٤٤/١.

لأنهم خاصموا رسول الله عليه وسلم بالتوراة، فوجدوا التوراة للقرآن موافقة، تأمر/من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وتصديقه بمثل الذي يأمر به القرآن"[٢٠].

وذكر الطبري بعد هذا القصة[٢١] ولم يذكر الإصلاحي القصة كاملة بل اكتفى بذكر مفهومها حيث قال: "إن الشياطين من الجن والإنس كانوا يتعلمون و يعلمون السحر حتى اكتتب الناس السحر في الكتب ولعل بعضهم نسبوه إلى سليمان وقالوا إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين بهذا السحر حتى في يومنا هذا فالذين لهم علاقة بهذه الخرافات أيضاً ينسبونها إلى سليمان، فيظهر من هنا أن هذه الخرافات انتقلت إلينا بواسطة اليهود[٢٢] و هي من براقش السيئات التي كتبها الأشرار من الجن والإنس في عهد ملك سليمان"[٢٣].

---

[٢٠] المصدر نفسه: ١:٤٤٤.

[٢١] قال الطبري: "كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع فيستمعون من كلام الملائكة فيما يكون في الأرض موت أو غيث أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم، فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا، حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم، فأطلعوا فيه غيره فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في كتبهم وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب فبعث سليمان في الناس، فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق، ثم دفنها تحت كرسيّه، ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنو من الكرسي إلا احترق، وقال: لا أسمع أحداً يذكر أن الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه، فلما مات سليمان، وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وجاءت بعد ذلك خلفه، تمثل الشيطان في صورة الإنسان، ثم أتى نفراً من بني إسرائيل، فقال هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي، وذهب معهم فأراهم المكان، فقام ناحية، فقالوا: فإذن، قال : لا ولكنني هاهنا في أيديكم، فإن لم تجدوه فاقتلوني، فاحفروا فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الناس و الشياطين والطير بهذا السحر ثم طار فذهب، وفشا في الناس أن سليمان كان ساحراً واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم خاصموا بها فذلك حين يقول : "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ". الطبري: ١/٤٤-٤٤٥.

[٢٢] تنبر: ١/٢٨٢-٢٨٣.
ونقل ابن كثيرحيث قال : حدثنا الحسن بن أحمد قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار الواسطي قال حدثني سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن: "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان "(سورة البقرة: الآية ١٢٠) وتبعه اليهود على ملكه وكان السحر قبل ذلك في الأرض لم ينزل بها ولكنه إنما اتبع على ملك سليمان...". ثم قال : وقول الحسن البصري : وكان السحر قبل زمان سليمان بن داود وبعده كما قال تعالى: ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى".(سورة البقرة:الآية ٢٤٦) ثم ذكر القصة بعدها و فيها: وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك و الحكمة". (سورة البقرة: الآية ٢٥١) وقال قوم صالح وهم قبل إبراهيم الخليل عليه السلام نبيهم صالح إنما : "أنت من المسحرين". (سورة الشعراء: الآية ١٥٣) تفسير ابن كثير: ١/١٤١؛

[٢٣] تنبر: ١/٢٨٥.

وأما بالنسبة إلى "هاروت وماروت" فقال الإصلاحي فيهما: "والصحيح عندنا أنهما ملكين[٢٨] كما قال القرآن أنزلا من السماء بصفة الملكوت إلى الدنيا ومكثا فيها بنفس الصفة. وأما ما رواه المفسرون من قصة عجيبة فيهما فلا ينبغي لنا أن نلتفت إليها"[٢٩].

هذا هو موقف الشيخ الإصلاحي من القصص و الإسرائيليات حيث لم يذكر شيئاً منها مثل بعض المحققين الذين مهروا في معرفة الدين، وأبت عقولهم أن تقبل هذه الخرافات كالإمام الرازي، وأبي حيان، وأبي السعود والآلوسي.

٢ ـ ومن الإسرائيليات التي التبس فيها الحق بالباطل ما ذكره معظم المفسّرين في تفاسيرهم في قصة طالوت، وتنصيبه ملكاً على بني إسرائيل، واعترض بنو إسرائيل عليه، وإخبار نبيّهم لهم بالآية الدالة على ملكه، و هي التابوت، وذلك عند قوله تعالى: "وقال لهم نبيُّهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملئكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين"[٣٠].

فقد ذكر ابن جرير، والقرطبي، وابن كثير والسيوطي وغيرهم في تفاسيرهم كثيراً من الأخبار عن الصحابة و التابعين ومن مسلمي أهل الكتاب في وصف التابوت، وكيف جاءت السكينة وكيف صفتها؟

قال القرطبي: "والتابوت كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام، فكان عنده حتى وصل إلى يعقوب عليه السلام، فكان في بني إسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت غلبهم عليه العمالقة: جالوت وأصحابه في قول السدي،

---

[٢٨] قال ابن كثير: ذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء وأنهما أنزلا إلى الأرض فكان من أمرهما ما كان. تفسير ابن كثير: ١٤٢/١.

[٢٩] تدبر: ٢٨٥/١.

[٣٠] سورة البقرة: الآية ٢٤٨.

وسلبوه منهم"[٣١] . وقيل كانوا يضعونه في مأزق الحرب فلا تزال تغلب حتى عصوا فغلبوا وأخذ منهم التابوت وذل أمرهم"[٣٢].

وقال الإصلاحي: "التابوت بمعنى الصندوق. والمراد به صندوق بني إسرائيل الذي عبّرت التوراة "تابوت الرب"، أو تابوت عهد الرب"[٣٣]. وكان عند بني إسرائيل من خروجهم مصر إلى تعمير (بناء) بيت المقدس بمنزلة القبلة وكانوا يتوجهون إليها بدعائهم وعباداتهم. وكان يحفظ فيه موسى عليه السلام التوراة مع بعض ذكريات حياة الصحرائية، وبعد موسى عليه السلام كان فيه مما ترك آل موسى وهرون"[٣٤].

ونرى هنا أن الإصلاحي اكتفى بذكر بقية ما ترك آل موسى وآل هرون كما ذكر القرآن إجمالاً بدون الخوض في تفصيل البقية كما ذكره المفسرون مثل ابن جرير والقرطبي وابن كثير والسيوطي[٣٥].

وكذلك أكثروا من النقل في السكينة فروي عن علي: "هي ريح هفافة "[٣٦]. لها وجه كوجه الإنسان. وروي عنه أنه قال: "هي ريح خجوج[٣٧] لها رأسان". وغير ذلك من الأقوال. وقال ابن عطية: والصحيح أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى"[٣٨].

---

(٣١) القرطبي: ٢٤٧/٣.

(٣٢) المصدر نفسه: ٢٤٨/٣.

(٣٣) العهد القديم: سفر صموئيل الأول الآية ٣-٥.ص ٥٣٠.

(٣٤) تدبر: ٥٧١/١.

(٣٥) الدر المنثور: ٣١٧/١. والقرطبي: ٢٥٠/٣. وابن كثير: ٣٠٩/١.

(٣٦) هفافة: سريعة المرور في هبوبها.

(٣٧) ريح خجوج: شديدة المرور/غير استواء.

(٣٨) القرطبي: ٢٤٩/٣.

وقال الإصلاحي في ذكر: "السكينة" إن معناها الإطمئنان والسكون والوقار. وخاصة الطمانينة التي تقوي عزم الإنسان في أخطر الظروف والأحوال مثل الحرب"(٣٩). واستشهد بالآيات من القرآن الكريم لتأييد رأيه مثل قوله تعالى: "هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا"(٤٠). وقوله تعالى: "فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً"(٤١).

وقال بعد ذلك تحت عنوان: "رجوع التابوت إلى بني إسرائيل.

"عند ما أخذ التابوت من بني إسرائيل.. تأسف بعضهم على وتكلموا في أمرهم حتى اجتمع ملأهم وقالوا لنبيهم: ابعث لنا ملكاً. فلما قال لهم: ملككم طالوت راجعوه فيه كما أخبر الله عنهم، فلما قطعهم بالحجة سألوه البيّنة على ذلك. "وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم...تحمله الملئكة..."(٤٢). وقال ذكرت هذه القصة في العهد القديم حيث تقول التوراة:

"والآن فاصنعوا مركبة جديدة، وخذوا بقرتين مرضعين لم يعلهما نير، وشدوا البقرتين إلى المركبة، وردوا عجلهما من ورائهما إلى البيت. وخذوا تابوت الرب واجعلوه على المركبة. وأدوات الذهب التي تؤدونها له ذبيحة إثم، اجعلوها في صندوق بجانبه، واطلقوه فيذهب، وانظروا... ففعل القوم كذلك، وأخذوا بقرتين مرضعين...فتوجهت البقرتان رأساً على طريق بيت شمس، وكانتا تسيران على الطريق نفسه، وهما تخوران في مسيرهما، ولم تحيدا يمنة ولا يسرة...وكان أهل بيت شمس يحصدون الحنطة في السهل، فرفعوا عيونهم، وأبصروا التابوت ففرحوا لرؤيته"(٤٣).

---

(٣٩) تدبر: ٢٧٢/١.

(٤٠) سورة الفتح: الآية ٤.

(٤١) سورة الفتح: الآية ١٨.

(٤٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٨. تدبر ٢٧٢/١ - النص السادس.

(٤٣) تدبر: ٥٧٢/١. والعهد القديم./باب صموئيل./الآية ٧-١٣. ص:٥٣٢-٥٣٣.

قال الإصلاحي بعد ذكر هذا الإقتباس من التوراة: "إن هناك فرق كبير بين قصة رجوع التابوت في القرآن الكريم و في التوراة. فثبت بآية القرآن أن هذه الحادثة - أي رجوع التابوت - حدث عندما عيَّن الله طالوت ملكاً. وهذه الحادثة كانت آية على أن تعيين طالوت من قبل الله وهذا يكون سبب الخير والبركة لبني إسرائيل[٤٤]. وهذا بخلاف ما ذكرت في التوراة الذي مر ذكره. ويظهر منه أن التابوت[٤٥] قد أصبح مصيبة للفلسطينيين ولذا هم أخرجوه من أرضهم ليتخلصوا من مصائبه.

وذكر عدة وجوه بعد أن قارن بين قصة التوراة وقصة القرآن الكريم وبيَّن أن ما ذكره القرآن هو الصحيح. وهذا أيضاً من فقه القرآن الكريم حيث ذكر القصة الصحيحة و إلا فأهل التوراة ذكروا عدة روايات حتى خلط الأمر عليهم ولا يستطيعون التفريق بين الحق والباطل"[٤٦].

٣: ومن الروايات التي لا تصح، ومرجعها إلى الإسرائيليات: ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

هوالذي خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين. فلما آتاها صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون"[٤٧].

هذه الآية تعتبر من أشكل آيات القرآن الكريم، أن ظاهرها يدل على نسبة الشرك لآدم وحواء. وذلك على ما ذهب إليه بعض المفسرين، من أن المراد بالنفس الواحدة: نفس آدم عليه السلام -وبقوله: "وخلق منها زوجها" حواء -رضي الله عنها -وقد أوَّل العلماء المحققون الآية تأويلاً يتفق مع عصمة الأنبياء في عدم جواز إسناد الشرك إليهم عليهم السلام.

---

(٤٤) تدبر: ٥٧٣/١.

(٤٥) القرطبي: ٢٤٨/٣. وابن كثير: ٣٠٩/١.

(٤٦) تدبر: ٥٧٥/١.

(٤٧) سورة الأعراف: الآية ١٨٩-١٩٠.

وقد زاد الطين بلّة : ما ورد من الحديث المرفوع، وبعض الآثار عن الصحابة والتابعين في تفسير قوله تعالى: "وجعلا له شركاء فيما آتاهما فتعلى الله عما يشركون". وقد اغتر بهذه الروايات كثير من المفسرين والمحدثين، كابن جرير، والثعلبي، والبغوي، والقرطبي والسيوطي. وقد ذكرها الإمام أحمد والترمذي والحاكم[٤٨].

---

(٤٨) قال الإمام أحمد في مسنده: "حدثنا عبد الصمد (هو ابن عبد الوارث) حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال سمّيه عبد الحارث فإنه يعيش فسمّته -في المسند (فسموه) والتصويب من الترمذي وابن كثير عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان، وأمره. (٥/١١) رقم الحديث: ٤٣٠.

ورواه الترمذي في تفسير الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد ...وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه. تحفة الأحوذي بشرح الترمذي: ٨/٤٥٩-٤٦٠.

ورواه الحاكم في المستدرك (٢/٥٤٥) بنحوه وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ولفظ الحاكم يطابق مع لفظ ابن جرير: "كانت حواء لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث، فعاش لها ولد فسمته عبد الحارث وإنما كان ذلك من وحي الشيطان" وكلا اللفظين أيضاً يؤكد حقيقتين:

١: الأولى: أن حواء كان لا يعيش لها ولد.
٢: الثانية: أنها سمته عبد الحارث.

غير أن لفظ الإمام أحمد والترمذي يفيد أن إبليس طاف بها حين الولادة، وطلب منها التسمية ولفظ ابن جرير والحاكم يفيد أنها نذرت أن تسميه عبد الحارث، وكلا اللفظين أيضاً يؤكد أن هذه التسمية كان منشأها من وحي الشيطان. غير أن هناك روايات عن ابن عباس وبعض تلاميذه فيها زيادات وتفصيلات. وفي بعضها أنها كانت أول ولادة لحواء وكانت متخوفة منها ولا تدري من أين سيخرج ما في بطنها ...". وهي تعارض الرواية المرفوعة. أنظر الطبري: ٩/١٤٦.
وقد تبنى الطبري هذا الرأي ورجحه بسبب إجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك حسب قوله بالرغم من أنه أورد القول الأول وهو أن الذي أشرك هم ذرية آدم لا آدم.

نقد ابن كثير هذه الرواية وناقشها كالتالي:
الحديث معلول من ثلاثة وجوه:

١: عمر بن إبراهيم الذي روى الحديث عن قتادة هو البصري، وقد وثقه ابن معين، ولكن قال أبو حاتم الرازي: لا يحتج به ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً فالله أعلم.

٢: أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً.

٣: أن الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه.

ونقل ابن كثير ثلاث روايات عن ابن جرير وكلها يفسّر فيها الحسن الآية على غير ما رواه مرفوعاً. أعني أنه يفسّر (جعلا له شركاء فيما آتاهما) بأنه كان في بعض الملل وأعني بها ذرية آدم. ثم يقول ابن كثير

موقف الإصلاحي من هذه الآية:

قال الإصلاحي : "كلمة "لما" تأتي بمعنى "كلما" و "إذا" في بعض الأحيان لبيان تصوير الحال . وكذا هنا "لما" ليس بيان لشخص معيّن ولا واقعة معيّنة، بل هو بيان لكيفية عامة الناس. وبعض الناس فهموا واقعة معيّنة بسبب كلمة "لما" بمعنى "إذا" ونتيجة لذلك اضطروا أن ينسبوها إلى شخص معيّن فنسبوها إلى آدم عليه السلام نبي الله تعالى ويكفي للرد عليهم أنه بيان بضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في

: "وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رحمه الله أنه فسّر الآية بذلك وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية...إلى أن قال : "فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه عن بعض أهل الكتاب منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما"....إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع وقال في تفسيره للآية: وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله :"فتعلى الله عما يشركون".

وهناك تفسير آخر للآية عن عكرمة أشار إليه ابن جرير، ولم يذكره.
وذكره صاحب مختصر البغوي واستحسنه قال: وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله"خلقكم" أي خلق كل واحد من أبيه "وجعل منها زوجها" أي جعل من جنسها زوجها، هذا قول حسن لو لا قول السلف...".

وقال ابن المنير في حاشية الكشاف تعليقاً على الزمخشري: {يمكن} "أن يكون المراد جنس الذكر والأنثى لا يقصد فيه إلى معين، وكأن المعنى والله خلقكم جنسا واحدا . جعل أزواجكم منكم أيضا لتسكنوا إليهن فلما تغشى الجنس الذي هو الذكر جنساً الآخر الذي هو الأنثى جرى من هذين الجنسين كيت كيت وإنما نسب هذه المقالة إلى الجنس وإن كان منهم الموحدون لأن المشركين منهم.
كما قال : "ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا".(مريم: الآية ٦٦) "وقتل الإنسان ما أكفره".(عبس: الآية ١٧) و"إن الإنسان لفي خسر".(العصر: الآية ٢) السراج المنير على حاشية الكشاف: ١٨٦/٢.

وقال بعد أن ذكر: "إن الرواية التي نسب الشرك فيها إلى آدم وزوجته هي ضعيف الحديث في الترمذي وغيره. وفي الإسرئيليات كثير ليس لها ثبات، ولا يعوّل عليها من له قلب...". وذكر القول الثاني فقال : "إن المراد بهذا جنس الآدميين فإن حالهم في الحمل وخفته وثقله إلى صفة واحدة وإذا خف عليهم الحمل استمروا به فإذا ثقل عليهم نذروا كل نذر فيه فإذا ولد لهم ذلك الولد جعلوا فيه لغير الله شركاء في تسميته وعمله حتى إن منهم من ينسبه إلى الأصنام ويجعله لغير الله وعلى غير دين الإسلام وهذا أشبه بالحق وأقرب إلى الصدق وهوظاهر الآية وعمومها الذي يشتمل جميع متناولتها ويسلم فيه الأنبياء عن النقص الذي لا يليق بجهال البشر فكيف بسادتهم وأنبيائهم ". انظر احكام القرآن لابن العربي: ٨٢٠/٢. واستحسن القرطبي أيضا هذا التأويل. ٣٣٩/٤. وانظر تفنيد الرازي لهذه القصة من جهة النقل والعقل. التفسير الكبير :٣٣٢/٣-٣٣٣. وقال فيه: "التأويل الأول ما ذكره القفال فقال،إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم وقولهم بالشرك وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك فلما آتاهما الله ولدا صالحا سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما لأنهماتارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين وتارة إلى الأصنام والأوثان كماهو قول عبدة الأصنام ثم قال تعالى: فتعالى الله عما يشركون أي تنزه الله عن ذلك الشرك. ويقول الرازي بعد نقل هذا التأويل: "وهذا جواب في غاية الصحة و السداد". التفسير الكبير: ٣٣/٣.

جهلهم وقولهم بالشرك. فهو لا يليق بجهال البشر فكيف بأبي البشر آدم عليه السلام"[٤٩].

فنرى أن موقف الإصلاحي في تنزيه آدم وحواء عليهما السلام من الشرك هو نفس الموقف الذي اختاره عكرمة واستحسنه البغوي. وذكر ابن العربي في أحكام القرآن و القرطبي واستحسنه. وكذلك ذكره الرازي عن القفال وقال في آخره: "إنه في غاية الصحة والسداد". وكذلك يظهر من هنا موقف الإصلاحي وهو الإعراض عن الإسرائيليات إعراضاً تاماً.

٤ ـــ ومن الإسرائيليات المكذوبة التي لا توافق عقلاً ولا نقلاً ما ذكره الجرير [٥٠]

---

[٤٩] تدبر: ٤٠٧/٣.

[٥٠] فقد روى الطبري في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن هم يوسف عليه السلام ما بلغ؟ قال: "حل الهميان -يعني السراويل- وجلس منها مجلس الخائن، فصيح به: يا يوسف: لا تكن كالطير له ريش، فإذا زنى قعد ليس له ريش، ورووا مثل هذا عن علي رضي الله عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير. أنظر الطبري: ١٨٣/١٢-١٨٨. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٦٥/٩-١٧٠. وتفسير ابن كثير: ٤٩٢/٢.

وكذلك رووا في "البرهان" الذي رآه، ولولاه لوقع في الفاحشة بأنه نودي: أنت مكتوب في الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء. وقيل: رأى صورة أبيه يعقوب في الحائط. وقيل في السقف الحجرة وأنه رآه عاضاً على إبهامه، وأنه لم يتعظ بالنداء، حتى رأى أباه على هذه الحالة بل أسرف واضعو هذه الإسرائيليات الباطلة. فزعموا: أنه لما لم يرعو من رؤية صورة أبيه عاضاً على أصابعه، ضربه أبوه يعقوب. فخرجت شهوته من أنامله إلى غيرها من الخرافات. أنظر الطبري: ١٨٦/١٢-١٩٠. وتفسير القرطبي: ١٦٩/٩-١٧٠. وابن كثير: ٤٩٢/٢. وتفسير البغوي: ٤٢٠/٢-٤١٨. وقال الإمام أبو حيان في تفسير "البحر المحيط" ما نصه: "طوّل المفسرون في هذين الهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لأحد الفساق، والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه "هم" بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد فارقت لو لا أن عصمك الله، ولا تقول: إن جواب "لولا" تقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على إمتناع ذلك، بل صريح أدوات الشرط العاملة مختلف في جواز تقديم أجوبتها عليها، وقد ذهب إلى ذلك الكوفيون، ومن أعلام البصريين أبو زيد الأنصاري وأبو العباس المبرد، بل تقول: إن جواب "لو لا" محذوف لدلالة ما قبله عليه، كما يقول جمهور البصريين في قول العرب: أنت ظالم إن فعلت، أنت ظالم - ولا يدل قولك

هنا التقدير: لو لا أن رأى برهان ربه لهم بها، فكان ليوجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان. لكنه وجد رؤية البرهان: "فانتفى الهم". ثم قال: "وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضاً مع كونها قادحة في فساق المسلمين

والقرطبي والسيوطي وغيرهم من المفسرين في قصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: "ولقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه"(٥١). فقد ذكروا في "هم" يوسف عليه السلام ما ينافي عصمة الأنبياء وما يخجل القلم من تسطيره.

والشيخ الإصلاحي سكت عن بيان معنى "الهم" في الآية المذكورة وبيّن مفهوم "البرهان" في قوله تعالى: "لو لا أن رأى برهان ربه"(٥٢) حيث قال: "المراد "ببرهان الرب" هو نور رباني أودعه الله تعالى في فطرة كل إنسان، وبه يعرف الخير من الشر ويحث الإنسان على الخير ويمنعه عن الشر. فيعطى الله تعالى هذا النور لكل إنسان ولكن سنّة الله تعالى في هذا الباب/ان الذين يحفظونه يقويه/فيهم حتى يتجنب الإنسان فتن الشيطان في أصعب الأحوال وأخطر الظروف، وأما الذين لا يحفظونه فهو يضعف بالتدريج حتى ينتهي في وقت ما"(٥٣). ويقول القرآن عن مثل هؤلاء "كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون"(٥٤) وكان يوسف من الذين حفظوا هذا النور حتى عصمه الله من وقوع فتنة النفس والشيطان في الظروف التي ذكرت في الآية المذكورة وقال الله تعالى: "وكذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"(٥٥).

فرأينا هنا أن الشيخ الإصلاحي أعرض عن هذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون و وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء الذين أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين،

فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة". البحر المحيط: ٥/٢٩٤-٢٩٥.

(٥١) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٥٢) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٥٣) تدبر: ٤/٢٠٦.

(٥٤) سورة المطففين: الآية ١٤.

(٥٥) سورة يوسف: الآية ٢٤.

٥- ومن قصص الماضين التي أكثر فيها المفسرون من ذكر الإسرائيليات قصة أصحا
الكهف، فقد ذكر ابن جرير وغيره الكثير من أخبارهم التي لا يدل عليها كتاب الله تعالى، و
يتوقف فهم القرآن وتدبره عليها.

فمن ذلك ما ذكره ابن جرير في تفسيره عن هويتهم، ومن كانوا؟ وفي أي مكا
وزمان وجدوا؟ وأسمائهم واسم كلبهم؟ أقطمير هو أم غيره؟ وعن لونه؟ أ أصفر هو أ
أحمر؟[٥٦].

موقف الإصلاحي من قصة أصحاب الكهف:

نجد في هذه القصة عدة أشياء وهي:

١: الكهف. ٢: الرقيم. ٣: عدد أصحاب الكهف.

٤: أسماءهم. ٥: مدة لبثهم في الكهف.

أولاً: الكهف: يقول الإصلاحي: "إن الكهف هو الغار في الجبل الذي لجأ إليه الفتية [٥٧]
(أصحاب الكهف) وهذا قول الضحاك حيث قال: "الكهف فهو غا
الوادي"[٥٨].

ثانياً: الرقيم: قال الإصلاحي: إنها قرية كما قال ابن عباس[٥٩].

ثالثاً: عدد أصحاب الكهف: فقد ذكر القرآن ثلاثة أقوال في قوله تعالى: "سيقولون
ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم"[٦٠]. قال الإصلاحي: "قال بعض المفسرين إن القول

---

[٥٦] الطبري: ١٥/١٩٧-٢٠٥. والدر المنثور: ٤/٢١١-٢١٨.

[٥٧] تدبر: ٤/٥٦٧.

[٥٨] ابن كثير: ٣/٧٧.

[٥٩] ذكر ابن كثير قول ابن عباس حيث قال: "حدثنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري عن سماك عن عكرمة عن
ابن عباس في قوله "الرقيم" كان يزعم كعب أنها "قرية". وفي رواية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
"الرقيم" الكهف. وقال سعيد بن جبير: "الرقيم" لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ث
وضعوه على باب الكهف". ابن كثير: ٣/٧٧. والطبري: ١٥/١٨٩-١٩٩.

[٦٠] سورة الكهف: الآية ٢٢.

الثالث أقرب إلى الصواب"[٦١]. وقال بعد أن نقل هذه الأقوال: "هذا استنباط قرين بالصواب ولكن قولنا في عددهم كما قال القرآن بعد ذكر هذه الأقوال: "قل ربي أعلم بعدتهم"[٦٢].[٦٣]

فعلمنا من هذا أن الشيخ الإصلاحي يفوض علم عددهم إلى علم الله تعالى.

رابعاً وخامساً: يرى أن الإصلاحي لم يتعرض لبيان في أسمائهم و مدة لبثهم ورجّح السكوت على الكلام وفوّض علمهما إلى الله تعالى.

قصة أصحاب الكهف

نرى أن موقف الإصلاحي من/ هو تفويض علمها التفصيلي إلى الله تعالى وعدم التعرض لبيان لما أبهم الله منها، و ذلك لأنه معرفة معنى آيات تلك

قصة أصحاب الكهف غير موقوف على معرفة/النكات السالفة الذكر مفصلة، لأنه لو كان الأمر كذلك لبيّنها الله تعالى بالتفصيل و عندما اكتفى بالإجمال فهو خير دليل على أن الغرض قد حصل بهذا، إذاً فلاينبغي لنا الخوض فيها وإلا كان رجماً بالغيب.

٦ـــ ومن الإسرائيليات التي طفحت بها بعض كتب المفسرين ما يذكرونه في تفاسيرهم عند قوله تعالى: "ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً. فأتبع سبباً"[٦٤].

---

(٦١) تدبر: ٥٦٧/٤. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول الله تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدد أصحاب الكهف فحكى ثلاثة أقوال فدل على أنه لا قائل برابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله: "رجماً بالغيب" أي قولاً بلا علم كمن يرى إلى مكان لا يعرفه فإنه لا يكاد يصيب وإن أصاب فبلا قصد. ثم حكى الثالث وسكت عليه أو قرره بقوله: وثامنهم كلبهم" فدل على صحته وأنه هو الواقع في نفس الأمر". ابن كثير: ٨٢/٣.

(٦٢) سورة الكهف: الآية ٢٢. ويقول ابن كثير: "هذا إرشاد إلى الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم". ابن كثير: ٨٢/٣.

(٦٣) تدبر: ٥٦٧/٤.

(٦٤) سورة الكهف: الآية ٨٣-٨٤.

وقد ذكر ابن جرير في تفسيره بسنده عن وهب بن منبه اليماني، وكان له علم بالأحاديث الأولى. أنه كان يقول : "ذو القرنين: رجل من الروم، ابن عجوز من عجائزهم، ليس له ولد غيره. وكان اسمه الإسكندر، وإنما سمي ذالقرنين: أن (لأن) صفحتي رأسه كانتا من نحاس، فلما بلغ وكان عبداً صالحاً، قال الله له : يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض ، وهي أمم مختلفة ألسنتهم، وهم جميع أهل الأرض، ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله، ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله، وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس، ويأجوج ومأجوج..."[٦٥]. ثم استرسل في ذكر أوصافه، وما وهبه الله من العلم والحكمة، وأوصاف الأقوام الذين لقيهم، وما قال لهم، وما قالوا له، وفي أثناء ذلك يذكر ما لا يشهد له عقل ولا نقل وقد سوِّد بهذه الأخبار نحو أربعة صفحات من كتابه. وكذلك ذكر روايات أخرى في تسميته بذي القرنين. وقد ذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور[٦٦].

قال ابن كثير رداً على هذه الروايات: "وقد يذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاً، عجيباً في سير ذي القرنين، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له وفيه طول، وغرابة ونكارة، في أشكالهم، وصفاتهم، وطولهم، وقصرهم، وآذانهم. وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة، لا تصح أسانيدها، والله أعلم"[٦٧]. حتى لو صح الإسناد إليها، فلا شك في أنها من الإسرائيليات، أنه لا تنافي بين الأمرين، فهي صحيحة إلى من رويت عنه، لكنها في نفسها من قصص بني إسرائيل الباطلة، وأخبارهم الكاذبة.

---

[٦٥] الطبري: ١٦/١٨-٢٠.

[٦٦] الدر المنثور: ٤/٢٤٠-٢٤١.

[٦٧] ابن كثير: ٣/١٠٩.

ولو أن هذه الإسرائيليات وقفت بها منابعها، أو من حملها عند الصحابة والتابعين، لكان الأمر محتملاً ولكن الإثم، وكبر الكذب أن تنسب هذه الأخبار إلى النبي صلى الله عليه وسلم(٦٨).

قد كشف لنا الإمام ابن كثير عن حقيقة هذه الرواية في تفسيره، وأنحى/على من رواها، فقال: "وقد أورد ابن جرير ههنا، والأموي في مغازيه، حديثاً أسنده، وهو ضعيف، عن عقبة بن عامر: أن نفراً من اليهود جاءوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين، فأخبرهم بما جاءوا له ابتداءً، فكان فيما أخبرهم به: أنه كان من الروم، وأنه بنى الاسكندرية، وأنه علا به ملك في السماء وذهب به إلى السد، ورأى أقواماً وجوههم مثل وجوه الكلاب، وفيه نكارة، ورفعه لا يصح وأكثر ما فيه. أنه من أخبار بني إسرائيل. والعجب أن أبا زرعة الرازي (٦٩) مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتاب "دلائل النبوة" وذلك غريب منه، فيه من النكارة أنه من الروم، وإنما الذي من الروم: الاسكندر الثاني، وهو ابن فيلس

---

(٦٨) وروى ابن جرير وغيره عند تفسير قوله تعالى: "ويسئلونك عن ذي القرنين...". حديثاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: حدثنا به أبو كريب قال حدثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة، قال حدثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن شيخين من تجيب قال أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدث . قالا: فأتيا فقالا: جئنا لتحدثنا . فقال: "كنت يوماً أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. فخرجت من عنده، فلقيني قوم من أهل الكتاب، فقالوا نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لنا عليه، فدخلت عليه، فأخبرته، فقال مالي و مالهم علم إلا ما علمني الله، ثم قال: اسكب لي ماء، فتوضأ ثم صلى، قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه، ثم قال: أدخلهم علي ، ومن رأيت من أصحابي فدخلوا فقاموا بين يديه، فقال: إن شئتم سألتم فأخبركم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا ، وإن شئتم أخبرتكم، قالوا بلى أخبرنا، قال: جئتم تسألوني عن ذي القرنين، وما تجدونه في كتابكم: كان شابا من الروم. فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية، فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء، فقال له ما ترى، قال: أرى مدينتي ومدائن. ثم علا به، فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي، ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض. قال: فهذا اليم محيط بالدنيا، إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل، وتثبت العالم، فأتى به السد. وهو جبلان لبنان يزلق لمنهما كل شيء. ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج، ثم مضى به إلى أمة أخرى: وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج. ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى. يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب. ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم".ابن جرير الطبري: ٨/١٥.

(٦٩) هو: الإمام عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروج القرشي مولاهم الرازي. حدث عنه شيوخه حرملة وأبو حفص الفلاس ومسلم وابن خالته الحافظ أبو حاتم والترمذي وابن ماجة والنسائي وابن أبي داود. توفي سنة اربع وستين ومائتين. تذكرة الحفاظ: للإمام أبو عبد الله الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ-١٣٤٧م. ط: ١. دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان. ٥٥٨/٢.

المقدوني، الذي تؤرخ به الروم... وكان وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف المشهور. والله أعلم(٧٠).

موقف الإصلاحي من قصة ذي القرنين:

والشيخ الإصلاحي أيضاً ذكر موقفه من ذي القرنين حيث قال : "اختلف المفسرون فيه قال بعضهم إنه اسكندر الرومي. وقال الآخر: إنه ملك حميري. والثالث : إن المراد به "كيخسرو" ملك إيران. وبعد ذلك رد على القولين الأولين و رجح القول الثالث مثل ما قال ابن كثير وابن عساكر-كما مر قولهما-بأنه ملك، مؤمن عادل إلى غير ذلك وأنه من محسني اليهود حيث بنى لهم بيت المقدس و هيكل سليماني و لذا أخبر عنه أنبياء اليهود في كتبهم (٧١).

ويقتبس الإصلاحي من التوراة حيث يقول :

" شهادة التوراة لذي القرنين: "هكذا قال الرب لمسيحه: لقورش الذي أخذت بيمينه لأخضع الأمم بين يديه وأحل أحقاء الملوك" (٧٢). ويقول الإصلاحي: "إن كلمة "قورش" في الآية المذكورة معناها بالأردية"خورس" حيث غيّر من "سائرس" الذي هو نطقه باليونانية " لكيخسرو". وذكر بعد هذا قول "دانيال" في نفس الموضوع ـ

هذا نص التوراة:

"رفعت طرفي ورأيت: فإذا بكبش واقف عند الباب، وبه قرنان والقرنان عاليان، والواحد أعلى من الآخر، والأعلى طلع أخيراً. ورأيت الكبش ينطح نحو

---

(٧٠) ابن كثير: ١٠٦/٣. و البداية والنهاية: ١٠٢/٢-١٠٩. وتهذيب تاريخ دمشق الكبير: ٥/ ٢٥٤-٢٦٣."(وقال ابن عساكر: إنه توفي في صفر سنة ثان وعشرين وأربعمائة) للإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بإبن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ. تهذيب: عبد القادر بدران المتوفى سة: ١٣٤٦هـ. ط: ٢. ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م. دار الميسرة، بيروت، لبنان.

(٧١) تدبر: ٦١٢/٤-٦١٣.

(٧٢) سفر أشعيا:باب ٤٥. الآية ١. ص: ١٦٠٠.

الغرب والشمال والجنوب ، فلم يقف أمامه حيوان، ولم يكن منقذ من يده"(٧٣). (٧٤)

وبهذا يثبت الإصلاحي بأن المراد بذي القرنين هذا هو الشخص الذي أخبرت عنه التوراة وأن اسمه الحقيقي هو "قورش" وذالقرنين لقب له.

٧ — ومن الإسرائيليات التي بالغ بروايتها المفسرون واشتغل بها القصاصون ما ورد في قصة داود عليه السلام. ما ذكره بعض المفسرين فيها عند تفسير قوله تعالى: "وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب... فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب"(٧٥).

فقد ذكر ابن جرير و السيوطي عن ابن عباس وغيره من الأخبار ما تقشعر منه الأبدان، ولا يوافق عقلاً، ولا نقلاً (٧٦). لم يقف الأمر عند هذه الروايات الموقوفة عن الصحابة، بل جاء بعضها مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم (٧٧).

---

(٧٣) سفر دانيال: ٨/٣-٤. ص: ١٨٧٦.

(٧٤) تدبر: ٤/٦١٦.

(٧٥) سورة "ص": الآية ٢١-٢٥.

(٧٦) ملخص ما ذكره السيوطي موقوفاً على ابن عباس: أن داود عليه السلام حدث نفسه، إن ابتلي أن يعتصم فقيل له: إنك ستبتلي وستعلم اليوم الذي تبتلي فيه، فخذ حذرك، فقيل له هذا اليوم الذي تبتلى فيه فأخذ الزبور، ودخل المحراب، وأغلق بابه وأقعد خادمه على الباب، وقال: لاتأذن لأحد اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائر مذهب يدرج بين يديه، فدنا منه، فأمكن أن يأخذه، فطار فوقع على كوة المحراب فدنا منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه لينظر أين وقع، فإذا هو بامرأة عند بركتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظله نفضت شعرها، فغطت جسدها به، وكان زوجها غازياً في سبيل الله، فكتب داود إلى رأس الغزاة أن اجعله في حملة التابوت، وكان حملة التابوت إما أن يفتح عليهم ، وإما أن يقتلوا، فقدمه في حملة التابوت، فقتل، وفي بعض الروايات الباطلة: أنه فعل ذلك ثلاث مرات، حتى قتل في الثالثة، فلما انقضت عدتها ، خطبها داود عليه السلام فتسور عليه الملكان، وكان ما كان، مما حكاه الله تعالى". الدر المنثور: ٥/٣٠٠-٣٠٢. وروى ابن جرير في تفسيره هذه القصة بأسانيده، وفيها زيادات واختلاف في اللفظ و المؤدى ولحد عن السدي، والحسن، وعن محمد بن إسحق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه وعن مجاهد...ووجود وهب بن منبه دليل واضح على كونها من الإسرائيليات . والقصة موجودة بصورة مطولة، وباتهام أخطر لنبي الله داود عليه السلام في الإصحاح الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني من العهد القديم. ص : ٥٩٢-٥٩٣.

(٧٧) فقد روى ابن جرير: ٢٣/ ١٥٠-١٥١. بسنده إلى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة فأهم قطع (على) بني إسرائيل فأوصى صاحب البعث فقال إذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به، من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان

موقف الإصلاحي من قصة داود عليه السلام:

فسَّر الإصلاحي هذه الآية دون أن يذكر ما ذكره المفسرون من القصص والخرافات التي لا تليق برجل فاسق فضلاً عن نبي معصوم من انبياء الله تعالى عن ارتكاب المعاصي فيقول الشيخ الإصلاحي: "إن داود عليه السلام في يوم من الأيام كان مشتغلاً بعبادة ربه في محرابه أو كان مستريحاً، إذ دخل عليه خصمان تسورا عليه من السور، ولم يدخلا من المدخل المعتاد، فارتاع داود عليه السلام منهما، وفزع فزعاً، وظن بهما ظناً سوءاً، وأنهما جاءا

على داود يقصان عليه قصة فخطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه...". ولعل هذا الحديث هو الذي عناه ابن كثير بقوله حين افتتح الكلام على الآيات المتعلقة بداود عليه السلام من سورة "ص" حيث قال:

"وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذة من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن ابن أبي حاتم ذكر حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، ويزيد وإن كان من الصالحين ولكنه ضعيف عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عزوجل، فإن القرآن حق ماتضمن فهو أحق أيضاً". ابن كثير: ٥١/٧. وقد أورد الحديث نفسه البغوي في معالم التنزيل: ٥٥/٤ بسند فيه يزيد الرقاشي نفسه. فمدار الرواية عليه وهو رجل زاهد مولع بالقصص حتى لقب بالقاص. وقد صرح ابن حجر في التقريب بضعفه: تقريب التهذيب: ٣٨١. وقال: "إن يزيد كثير الرواية عن أنس بما فيه نظر... وقال النسائي والحاكم متروك الحديث... ليس بثقة، وكان قاصاً".تهذيب التهذيب: ٣٠٩/١١.

ذكر بعض المفسرين هذه القصة بلا تعقيب بل بتأييد عند البعض ابن جرير والبغوي كما مر وقبله الثعلبي وبعد القرطبي والثعالبي و السيوطي ٣٠٠/٥-٣٠١. وهناك من ذكرها وردعليها كالزمخشري، والفخر الرازي، والبيضاوي، و النسفي، وأبي حيان والخازن وغيرهم. ويقول الرازي: "والذي أدين الله به، وأذهب إليه أن ذلك باطل ويدل عليه وجوه. وذكر ثلاثة وجوه:

١: إن هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الخلق، وأشدهم فجوراً لاستنكف منها.

٢: إن حاصل القصة يرجع إلى أمرين: السعي في قتل رجل مسلم بغير حق. وإلى الطمع في زوجته. وكلاهما منكر عظيم، وأن أوريا لم يسلم من داود على زعمهم لا في روحه ولا في منكوحه.

٣: إن الله وصف داود عليه السلام قبل هذه القصة بالصفات ...ووصفه أيضاً بصفات كثيرة بعد ذكر القصة، ومثل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح".التفسير الكبير: ١٦٥/٢٦.

ويقول أبو حيان : إن الآية على ظاهرها و أعرض عن كلام القصاص وجعل استغفار داود بسبب ظن ظنه يقول: "ويعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك لبطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم فما حكى الله تعالى في كتابه يمر على ما أراده تعالى، وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه". البحر المحيط: ٣٩٣/٧.

ليقتلاه، أو يبغيا به شراً، ولكن تبيَّن له: أن الأمر خلاف ما ظنَّ، وأنهما خصمان جاءا يحتكمان إليه، فلما قضى بينهما- بقوله: "لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه". -وتبيَّن له أنهما بريئان مما ظنه بهما"(٧٨).

وأما استغفاره: فهو إشارة إلى وصفه الخاص وهو أنه أواب وأناب، أي رغم أنه كان ملكاً وتقياً من الله تعالى ولم يكن مستكبراً مثل ملوك الدنيا، واحتسب نفسه في ضوء هذه القصة. وظن داود أنما فتنه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب"(٧٩).

ويرى الإصلاحي أن الرجلين خصمان حقيقةً، وليسا ملكين كما ظن المفسرون والنعاج على حقيقتها. وقال بعد هذا: "وأما القصص المزخرفة التي نقلها المفسرون في كتبهم فنحن ندعو الله أن يعفو عنهم"(٨٠).

الإسرئيليات في قصة سليمان عليه السلام وموقف الإصلاحي منها:

٨ ـــ ومن الإسرئيليات التي ذكرها بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: "ولقد فتنا سليمن و ألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب"(٨١).

قال السيوطي: أخرج النسائي وابن جرير وغيرهما بسند قوي عن ابن عباس قال: "أراد سليمان -عليه السلام -أن يدخل الخلاء، فأعطى الجرادة خاتمه، وكانت جرادة امرأته، وكانت أحب نسائه إليه، فجاء الشيطان في صورة سليمان، فقال لها: هاتي خاتمي، فأعطته، فلما لبسه، دانت له الجن، والإنس، والشياطين، فلما خرج سليمان -عليه السلام -من الخلاء،

---

(٧٨) تبر: ٤/٥٢٤-٥٢٦.

(٧٩) المصدر نفسه: ٤:٥٢٦.

(٨٠) المصدر نفسه: ٤/٥٢٦.

(٨١) سورة "ص": الآية ٣٤.

فقال لها: هاتي خاتمي، فقالت: قد أعطيته سليمان، قال: أنا سليمان، قالت: كذبت، لست سليمان، فجعل لا يأتي أحداً يقول له: أنا سليمان إلا كذبه، حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة، فلما رأى ذلك: عرف أنه من أمر الله-عزوجل-وقام الشيطان يحكم بين الناس، فلما أراد الله تعالى أن يرد على سليمان-عليه السلام-سلطانه ألقى الله في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، فأرسلوا إلى نساء سليمان-عليه السلام-فقالوا لهن: أيكون من سليمان شيء؟ قلن: نعم، إنه يأتينا ونحن حيَّض، وما كان يأتينا قبل ذلك! فلما رأي الشيطان أنه قد فطن له: ظن أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتباً فيها سحر، ومكر، فدفنوها تحت كرسي سليمان،، ثم أثاروها، وقرأوها على الناس، قالوا: بهذا كان يظهر سليمان على الناس، ويغلبهم، فأكفر الناس سليمان، فلم يزالوا يكفرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم، فطرحه في البحر، فتلقته سمكة، فأخذته، وكان سليمان -عليه السلام -يعمل على شط البحر بالأجر، فجاء رجل، فاشترى سمكاً، فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان -عليه السلام -فقال له: تجعل لي هذا السمك، ثم انطلق إلى منزله، فلما انتهى الرجل إلى باب داره أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فأخذها سليمان -عليه السلام -، فشق بطنها، فإذا الخاتم في جوفها، فأخذه، فلبسه، فلما لبسه دانت له الإنس، والجن، والشياطين، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان -عليه السلام -في طلبه، وكان شيطاناً مريداً يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوماً نائماً، فجاؤا فبنوا عليه بنياناً من رصاص، فاستيقظ، فوثب، فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا أزهراد معه الرصاص، فأخذوه، وأوثقوه: وجاؤا به إلى سليمان -عليه السلام -فأمر به، فنقب له في رخام، ثم أدخل في جوفه، ثم سدَّ بالنحاس، ثم أمربه، فطرح في البحر، فذلك قوله: "ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً...". يعني الشيطان الذي كان تسلط عليه.

وفي رواية عن ابن عباس وقتادة في أن هذا الشيطان كان يسمى صخراً، وروى عن مجاهد: أن اسمه آصف، وأن سليمان سأله: كيف تفتنون الناس؟ فقال الشيطان: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه نبذه آصف في البحر، فساح سليمان ، وذهب ملكه، وقعد آصف على كرسيه، حتى كان ما كان من أمر السمكة، والعثور على الخاتم، ورجوع ملك سليمان إليه.

غير أن في رواية قتادة، ومجاهد: أن الشيطان لم يسلط على نساء سليمان، ومنعهن الله عنه، فلم يقربهن ، ولم يقربنه"(٨٢).

قال بعضهم : إن سليمان كانت له امرأة يحبها، وكان أبوها ملكاً كافراً قد قتله سليمان فسألته أن يضع لها صورة أبيها، فأطاعها في ذلك فكانت تسجد للصورة ويسجد معها جواريها، وصار صنماً معبوداً في دار سليما ن وسليمان لا يعلم حتى مضت أربعون يوماً فلما علم به كسره. فالفتنة على هذا عمل الصورة والجسد هو الصورة(٨٣).

قال بعضهم: إن سليمان كان له ولد وكان يحبه حباً شديداً، فقالت الجن: إن عاش هذا الولد ورث ملك أبيه فبقينا في السخرة أبداً، فلم يشعر إلا ولده ميت على كرسيه، فالفتنة على هذا حبه الولد، والجسد هو الولد لما مات سمى جسداً لأنه جسد بلا روح" (٨٤).

التفسير الصحيح للفتنة المذكورة في قوله تعالى: "ولقد فتنا سليمان و ألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب"(٨٥).

والتفسير الصحيح المتعين في تفسير قصة سليمان عليه السلام هو ما أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل

---

(٨٢) الدر المنثور: ٥/ ٣١٠-٣١١.

(٨٣) ذكره البغوي عن محمد بن إسحق عن وهب بن منبه، وهو دليل على مصدرها الإسرائيلي غير أنها رواية مطولة جداً، وأن عبادة الأصنام في بيت نبي الله سليمان عليه السلام على هذه الرواية هي سبب لابتلاء الله لنبيه سليمان بسلب ملكه. تفسير البغوي: ٤/ ٦١-٦٤. وذكر الزمخشري في الكشاف: "أن المرأة واسمها جرادة كانت سبب الفتنة وأن الجسد ليس هو الصنم، وإنما هو الشيطان". الكشاف: ٣/٣٧٣.

(٨٤) ويقول السيوطي: أخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعاً" عن النبي صلى الله عليه وسلم... فيه أن سليمان حاول أن يبعده عن الموت بشتى طرق". الدر المنثور: ٥/ ٣١١. و في القرطبي : وقيل إن الجسد ولد سليمان، وأنه لما ولد اجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة، فتعالوا نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان بذلك فأمر الريح حتى حملته إلى السحاب ... فعاقبه الله بخوفه من الشياطين، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتاً . قال معناه الشعبي: فهو الجسد الذي قال الله تعالى: "وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب". الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/ ٢٠١. قال الزمخشري في تفسيره بعد أن ساق هذه الرواية دون عزو، فتنبه على خطئه في أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب إليه". الكشاف: ٤/ ٣٨٤.

(٨٥) سورة "ص": الآية ٣٤.

ولم تحمل شيئاً إلا واحدة ساقطاً أحد شقيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله". قال البخاري بعد هذا:"قال شعيب وابن أبي الزناد تسعين وهو أصح"(٨٦).

موقف الإصلاحي من هذه القصة:

نحن ذكرنا قصتين في تفسير هذه الآية. الأولى التي ذكرها المفسرون كالطبري والسيوطي وغيرهما-كما مر ذكرها- والثانية التي ذكرها البخاري مرفوعاً. والشيخ الإصلاحي اختار مسلكاً جديداً حيث لم يختر من هاتين القصتين بل فهم فهماً جديداً لها وهي تشبه ما ذكره الرازي(٨٧) في بيان الوجوه التي ذكرها أهل التحقيق في هذا الباب. ويقول الإصلاحي:"إن المفسرين قد غيَّروا صورة القصة ولذا نذكرها هنا: "قد علم أن سليمان عليه السلام قد ابتلي بأن أعداءه اغتصبوا مناطقه واستولوا عليها ونشروا النزاعات في مناطقه الأخرى، يكاد يتعطل نظم حكومته فبقي مركزه فقط الذي حوصر فيه،

---

(٨٦) صحيح البخاري بحاشية السندي: ٢/٢٥١. وفي رواية عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون". صحيح البخاري: ٢/١٤١. وقد حكى القرطبي تفسير الجسد الذي القي على كرسي سليمان بأنه نصف إنسان، فهو كان الجسد الملقى على كرسيه، جاءت به القابلة فألقته هناك". واستدل له بهذا الحديث المخرج في الصحيحين. الجامع لأحكام القرآن: ١٥/٢٠١. و صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الاستثناء في اليمين : ١١/١١٨-١٢٢.

يقول أبو حيان: نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها يوقف عليها في كتبهم وهي مما لا يحل نقلها، وهي إما من وضع اليهود أو الزنادقة لم يبين الله الفتنة ما هي ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه إن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث..."،وذكر حديث الشيخين. والجسد الملقى هو المولود شق رجل... إلى أن قال: ويستحيل عقلاً وجود بعض ما ذكروه كمثل الشيطان بصورة نبي حتى يلتبس أمره عند الناس، ويعتقدون أن ذلك المتصور هو النبي ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبي وإنما هذه مقالة مسترقة (وربما يريد مسروقة) من زنادقة السوفسطائية نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها". البحر المحيط: ٧/٣٩٧. وقال الألوسي بعد ذكر الأقوال الواردة في تفسير الآية: والحق ما ذكره أولاً في الحديث المرفوع". روح المعاني: ٨/١٩٤. وكذلك أنظر المناقشة الرازي لهذه الإسرائيليات في التفسير الكبير له: ٢٦/١٨١-١٨٢.

ترجيحات

(٨٧) ذكر الرازي بعد مناقشة لهذه الإسرائيليات/ أربعة لأهل التحقيق. حيث قال في بيان الوجه الرابع: أقول لا يبعد أيضاً أن يقال إنه ابتلاه الله تعالى بتسليط خوف أو توقع بلاء من بعض الجهات عليه، وصار بسبب قوة لذلك الخوف كالجسد الملقى على ذلك الكرسي، ثم إنه أزال الله عنه ذلك الخوف، وعاد إلى ما كان عليه من القوة وطيب القلب". التفسير الكبير: ٢٦/١٨٢.

وهذا كان ابتلاء من الله تعالى، لكنّ سليمان عليهُ السلام كان ملكاً تقياً فظن أن الله تعالى عاقبه بخطأه فزاد غمه بهذا الشعور. ونتيجة لذلك وقع على كرسيه كجسد بلا روح، فتضرع داعياً إلى الله تعالى: { **قال رب اغفرلي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب**") [٨٨]، [٨٩].

وهذا منهج الشيخ الإصلاحي ودرايته للقصص القرآني حيث برئ مما وقع فيه غيره من المفسرين السابقين عليه.

---

[٨٨] سورة "ص" الآية ٣٥.

[٨٩] تدبر: ٥٣٣/٦.

الفصل الثالث:

وفيه مبحثان

المبحث الأول: منهج الإصلاحي في أسباب النزول.

المبحث الثاني: موقف الإصلاحي من النسخ في القرآن الكريم.

المبحث الأول:

منهج الإصلاحي في أسباب النزول.

ويشتل هذا المبحث على النكات التالية:

* معنى سبب النزول.
* فوائد معرفة سبب النزول وأهميته.
* طرق معرفة سبب النزول.
* نماذج من تفسير تدبر قرآن.

المبحث الأول:

منهج الإصلاحي في أسباب النزول

تمهيد:

معرفة سبب النزول أمر مهم جداً لمن أراد تفسير القرآن الكريم وقد اعتنى به المفسرون في كتبهم وأفردوا فيه التصانيف حيث قال السيوطي: " أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري(١)، ومن أشهرها كتاب الواحدي(٢) على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري(٣) فحذف أسانيده ولم يزد عليه شيئاً(٤).

والشيخ الإصلاحي أيضاً ذكر سبب النزول في مقدمة تفسيره ضمن الأدوات الخارجية(٥) لفهم القرآن الكريم. وقد اتبع فيه مسلك شيخه الفراهي.

أولاً: معنى سبب النزول:

يراد بسبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبيِّنة لحكمه أيام وقوعه. والمعنى أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. أو سؤال وجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من اللّه تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو جواب هذا السؤال... سواء كانت تلك الحادثة خطأ فاحشاً ارتكب(٦) أو كانت تلك الحادثة تمنياً من التمنيات، ورغبة

---

(١) هو علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم، أبو الحسن ابن المديني البصري المتوفى سنة ٢٣٤هـ. تقريب التهذيب: ابن حجر العسقلاني ٢/٣٩-٤٠.

(٢) هو: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، مفسر، نحوي، فقيه، شاعر. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. ١/٦٩.

(٣) هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم خليل الجعبري الشافعي، ويقاله ابن سراج واشتهر بالجعبر(٦٤٠-٧٣٢هـ) معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/١٠٨. دار إحياء التراث العربي، بيروت. لبنان. ط:١، ١٩٥٧م.

(٤) الاتقان: ١/٣٨. وقد ذكر السيوطي فيه: بأن ابن حجر ألف كتاباً فيه مات عنه مسودة فلم نقف عليه كاملا. وقد ألفت فيه كتابا حافلاً لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته: "لباب النقول في أسباب النزول". الاتقان: ١/٣٨.

(٥) الأدوات التي نأخذها من خارج القرآن لفهمه مثل أسباب النزول. في رأي الإصلاحي. والحديث النبوي والتاريخ ونحوهم.

(٦) ذكر ابن كثير: عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبدالرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموا فلانا قال فقرأ: " قل يايها الكفرون ما اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله: " يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون...". (سورة النساء: الآية٤٣). تفسير القرآن العظيم:(ت:٧٧٤هـ) ١/٥٠٠. وكذا ذكر الترمذي:٢/١٣٤. أبواب التفسير. وفي رواية الطبري: "فقدموا علياً يصلي بهم المغرب فقرأ: قل يايها الكفرون اعبد ما تعبدون...". وفي رواية: " وهذا كان قبل أن ينزل تحريم الخمر. الطبري:٤/٦١.

من الرغبات كموافقات عمر رضي عنه[٧] أو كان سؤالاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٨].

ثانياً: فوائد معرفة سبب النزول وأهميته:

ذكر الزركشي: "فوائد معرفة سبب النزول حيث قال: "وأخطأ من زعم أنه لا طائل تحته، بجريان مجرى التاريخ وليس كذلك، بل له فوائد: منها:

١: معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم[٩].

٢: الاستعانة على فهم الآية ورفع الإشكال عنها. حتى قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[١٠]. وقال ابن

---

(٧) ذكر البخاري عن أنس قال: قال عمر وافقت الله في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث. قلت يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله: اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.{سورة البقرة: الآية ١٢٥} وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأنزل الله آية الحجاب. وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيراً منكن حتى اتيت إحدى نسائه قالت يا عمر أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نسائه حتى تعظهن أنت فأنزل الله: "عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمت...".{سورة التحريم: الآية ٥.} صحيح البخاري: ٦٤٤/٢. وذكر ابن كثير أيضا سبب نزول الآيات ١٦٩/٤-١٧٠.

(٨) مناهل العرفان: ١٠٦/١-١٠٨.

(٩) البرهان: ٢٢/١.

(١٠) مناهل العرفان: ١٠٢/١. وقد ذكر السيوطي من فوائدها:
١: تخصيص الحكم عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
٢: أن اللفظ قد يكون عاما ويقوم الدليل على تخصيصه". الاتقان: ٣٨/١.

تيمية: " معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(١١).

قال الشيخ أبو الفتح القشيري(١٢) بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا"(١٣).

٣: معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشبه بغيره فيتهم البرئ ويبرأ المريب، ولهذا ردت عائشة على مروان حين اتهم أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر بأنه الذي نزلت فيه آية: " والذي قال لو الديه أف لكما"(١٤). وقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري"(١٥).

٤: وقال الزرقاني: " تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي، في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها، وذلك لأن ربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالاشخاص والأزمنة والأمكنة، كل أولئك من دواعي تقرر الأشياء، وانتقاشها في الذهن، وسهولة استذكارها عند استذكار مقارنتها في الفكر، وذلك هو قانون تداعي المعاني المقرر في علم النفس"(١٦).

١١- مقدمة في أصول التفسير: ص٩.

١٢- هو : عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة النيسابوري القشيري الشافعي، صوفي، مفسر، فقيه. ومن تصانيفه: التيسير في التفسير، ورسالة القشيرية في التصوف. معجم المؤلفين:٦/٦.

١٣- مناهل العرفان:١/٢٢. ذكر السيوطي هذا القول ولكن لم ينسبه إلى أحد حيث قال: قال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتف بالقضايا. الاتقان:١:١٤.

١٤- سورة الاحقاف: الآية١٧.

١٥- ذكر البخاري هذه القصة في تفسير سورة الاحقاف مفصلاً.٢/٧١٥. كذلك ذكر ابن كثير في تفسيره:٤/١٥٩.

١٦- مناهل العرفان:١/١١٣-١١٤.

ثالثاً: طريق معرفة سبب النزول:

أما كيف السبيل إلى معرفة سبب النزول فإنه بالسماع والرواية ولا شيء غير ذلك لأنه لا يجوز الخوض في أسباب النزول بالاجتهاد والرأي. قال الواحدي: " لا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها"(١٧).

وقال السيوطي : " إن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع كما حكى الاجماع عليه القاضي أبو بكر في التقريب"(١٨).

فمعرفة سبب النزول هو السماع والرواية لا العقل والاجتهاد ولكن كما قلنا قبل هذا إن الشيخ الإصلاحي اتبع في سبب النزول مسلك شيخه الفراهي حيث قال في مقدمة تفسيره. "أنا اتبعت طريقة الفراهي في سبب النزول"(١٩).

وذكر الفراهي موقفه من سبب النزول حيث قال: "ليس شأن النزول كما قيل تسامحاً سبب نزول آية أو سورة بل هو شأن الناس وأمرهم الذي كان محلاً للكلام فما في سورة إلا ولها أمراً أو أموراً جعلتها نصب العين وذلك تحت عمود السورة فلك أن تلتمس شأن النزول من نفس السورة فإن الكلام لا بد أن يكون مطابقاً لموضعه. كما أن الطبيب مثلاً يتوسم من

---

(١٧) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي محمد الزبيري. ٤١٣/١. ومناهل العرفان: ١٤٤/١.

(١٨) الاتقان: ٣٨/١. إلقاضي أبوبكر: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني البصري. متكلم على مذهب الأشعري. ولد بالبصرة. وسكن بغداد، وتوفي ببغداد وسبع بقين من ذي القعدة ٤٠٣ أنظر: النجوم الزاهرة لابن تغري ٢٣٤/٤. وشذرات الذهب لابن العماد ١٦٨/٣ - ١٧٠.

(١٩) مقدمة تدبر قرآن: ص: ٣٤.

نسخة الدواء داء من قد كتبت له تلك النسخة فإذا كان سوق الكلام لموضع يناسب هذا الكلام والموضوع كتناسب اللباس والجسم بل كتناسب الجلود والأبدان"[٢٠].

فنرى اختلافاً بين موقف الفراهي من سبب النزول وبين موقف المفسيرين الآخرين حيث قال الفراهي لابد من معرفة سبب النزول من نفس السورة وهذا لا يكون إلا بالاجتهاد واستخدام العقل وبينما ذكرنا أن طريق معرفة سبب النزول هو السماع والرواية. وذكر القاضي أبو بكر الإجماع على إخراجه (سبب النزول) بالاجتهاد ممنوع. والشيخ الإصلاحي لا يعتمد على الروايات ولو كانت صحيحة في سبب النزول إلا نادراً.

وقال الفراهي بعد هذا: "وهذا الذي نجد في الروايات ان هذه الآية نزلت في حادثة كذا وكذا فمعنى ذلك أن هذه المسائل أو الحوادث كانت موجودة وقت نزول هذه الآية أو السورة"[٢١]. وقد ذكر الفراهي اقتباساً من "الاتقان" لتأييد رأيه وما نقله الفراهي هو ليس للسيوطي وإنما نقله السيوطي عن الزركشي حيث قال في البرهان: "قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها ... فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية لا من جنس النقل لما وقع[٢٢] قلت - السيوطي- والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الاية أيام وقوعه"[٢٣].

---

(٢٠) مقدمة تفسير نظام القرآن: ص ٨. وذكر هذا الكلام الإصلاحي في مقدمة تدبر قرآن : ١/ ٣١. تحت عنوان: "سبب النزول".

(٢١) المصدر نفسه: ١/ ٣١.

(٢٢) البرهان : ١/ ٣١-٣٢.

(٢٣) مقدمة تدبر: ١/ ٤٢. والاتقان: ١/ ٣٨.

وإضافة إلى هذا يرجح الشيخ الفراهي جانب الربط في بيان سبب النزول حيث قال: "إن أنتم بصدد الطمانينة واليقين فلا تتركوا سلسة الربط من أيديكم في طلب سبب النزول وإلا يكون مثل المسافر في الضحراء وبلغ في الظلام على نقطة أو مكان ولا يدري أين يذهب بعد ذلك"(٢٤).

ونفهم من هذا أن منهج الشيخ الإصلاحي في سبب النزول أنه يأخذ من داخل القرآن الكريم حيث يؤدي إليه اجتهاده.

وهذا هو موقف الشيخ الفراهي من سبب النزول الذي اتخذه الإصلاحي في تفسيره. وهذا الموقف الذي ذكرناه من سبب لبنزول عن الشيخ الفراهي واختاره الشيخ الإصلاحي في تفسيره وهو نفس الموقف الذي اختاره الشيخ ولي الله الدهلوي في كتابه: "الفوز الكبير". وإليك نص ما قاله الدهلوي فيه: "تجت عنوان: فصل في بيان الآثار المروية في الكتب التفسيرية لأصل الحديث وما يتعلق بها من جملة الآثار المروية في كتب التفسير ببيان سبب النزول. وهو على قسمين:

القسم الأول: أن تقع حادثة يظهر فيها إيمان المؤمنين ونفاق المنافقين كما وقع في أحد والأحزاب. أنزل الله تعالى مدح هؤلاء وذم أولئك ليكون فيصلاً بين الفريقين، وربما يقع في مثل هذا من التعرض لخصوصيات الحادثة ما يبلغ حد الكثرة فيجب أن يذكر شرح الحادثة بكلام مختصر ليتضح سوق الكلام على القارئ".

---

(٢٤) المصدر نفسه: ١/٣٢.

القسم الثاني: أن يتم معنى الآية بعمومها من غير احتياج إلى العلة بالحادثة التي هي سبب النزول والحكم لعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(٢٥).

وقد ذكر قدماء المفسرين تلك الحادثة بقصد الإحاطة بالآثار المناسبة للآية أو بقصد بيان ما صدق عليه العموم، وليس ذكر هذا القسم من الضروريات.

وقال الشيخ الدهلوي بعد هذا: "وقد تحقق عند الفقير أن الصحابة والتابعين كثيراً ما كانوا يقولون نزلت الآية في كذا وكذا وكان غرضهم تصوير ما صدقت عليه الآية وذكر بعض الحوادث التي تشتمل الآية بعمومها سواء تقدمت القصة أو تأخرت، إسرائيلياً كان أو جاهلياً أو إسلامياً استوعبت جميع قيود الآية أو بعضها والله أعلم، فعلم من هذا التحقيق أن للإجتهاد في هذا القسم مدخلاً، وللقصص المتعددة هنالك سعة، فمن استحضر هذه النكتة يتمكن من حل ما اختلف من سبب النزول بأدنى غاية"(٢٦).

فعلم من هذا أن موقف الشيخ الدهلوي من سبب النزول هو نفس موقف الفراهي الذي اختاره الشيخ الإصلاحي في تفسيره. وذكرنا قبل هذا موقف العلماء في سبب النزول حيث قالوا: "لا يحل القول في أسباب الكتاب إلا بالرواية والسماع..."(٢٧).

رابعاً: نماذج من تفسير تدبر قرآن لسبب النزول:

١: ذكر الشيخ الإصلاحي سبب النزول لقوله تعالى: **"وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا، إن الكفرين كانوا لكم عدواً مبيناً"**(٢٨). حيث قال: "إن هذه الآية نزلت بعد نزول الحكم في قوله تعالى: "خذوا

---

(٢٥) الفوز الكبير: (للشخ ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم المتوفى سنة ١١٧٦هـ) ص: ٧٠-٧١.

(٢٦) المصدر نفسه:ص ٧٠-٧١.

(٢٧) مناهل العرفان: ١/١١٤. وما بعد.

(٢٨) سورة النساء: الآية ١٠١.

حذركم"[٢٩] عند ما نزل الحكم بحمل السلاح والاستعداد لمقابلة الكفار بدأ السؤال بنفسه وهو : كيف يكون تطبيق بين حكم حمل السلاح في حالة الصلاة؟ لأنه لا يمكن أداء الصلوة بمراعاة شروطها في هذه الحالة. فأنزلت هذه الآية التي فيها بيان الحكم بقصر الصلاة وهي قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض...عدواً مبيناً". أي نزل حكم قصر الصلاة في هذه الآية. وفي الآية التالية حكم صلاة الجماعة/ المريض، في وقت المطر وحكم صلاة فصورة القصر ثبتت عن الرسول وعن الصحابة بتواتر عملي. ويكون القصر فقط في صلاة الرباعيه ولا يكون في صلاة الفجر والمغرب"[٣٠].

٢: وكذلك ذكر سبب نزول قوله تعالى: "إن الذين جاءو بالإفك عصبة منكم ..."[٣١]. حيث قال: "نزلت هذه الآية في براءة عائشة رضي الله عنها. ومن هنا إشارة إلى الفتنة التي وقعت بسبب إفك المنافقين. حيث افتروا على عائشة واتهموها. وأشار القرآن إليها بكلمة "إفك" وأعرض عنها. والمراد بعدم الذكر الإشارة إلى كراهتها بأن هذا القول لا يليق بالذكر".

فعلم من هنا أن أذكياء من المسلمين لا يشكون في كذب هذه الواقعة ولا يترددون في اتهامها ولكن إذا شاع خبر ولو كان كاذباً فالجاهلون يحكونه بدون شعور"[٣٢]. فنزلت هذه الآيات من سورة النور لبيان الحقيقة وبراءة عائشة رضي الله عنها. وذكر القصة التي ذكرها المفسرون الآخرون مثل ابن كثير[٣٣]. والمحدثون مثل البخاري[٣٤].

---

(٢٩) سورة النساء: الآية١٠١ .

(٣٠) تدبر: ٢/ ١٤١.

(٣١) سورة النور: الآية ١١.

(٣٢) تدبر: ٣/ ٥١٤.

(٣٣) ابن كثير: ٣/ ٢٦٩.

(٣٤) صحيح البخاري: كتاب التفسير. باب قوله تعالى: إن الذين بالإفك ...". ٢/ ٦٩٨.

٣: وذكر الإصلاحي سبب نزول قوله تعالى من سورة الحجرات: "**يايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم**"(٣٥).

حيث قال: "نزلت هذه الآية والتي بعدها في المسلمين الذين كانوا يسكنون في ضواحي من القبائل البدوية. وأسلموا نظراً إلى شوكة الإسلام وقوته. ولم يدخل الإيمان في قلوبهم . وهذا كان لوجوه:

١: ولم يؤمن هؤلاء اعتقاداً بل آمنوا خوفاً.

٢: لم يتخلقوا بأخلاق الإسلام لأنهم كانوا يسكنون بعيداً عن المدينة. ولذا زعموا أنهم أحسنوا إلى الإسلام بقبوله دون حرب. وكان من أثر ذلك أن يأتي قادتهم المدينة ويتكلمون مع الرسول عليه السلام كأنهم أحسنوا ويمنُّون عليه بإسلامهم ويقدمون إليه أرائهم بدون سوأل الرسول عنهم. ويريدون أن يتوجه إليهم الرسول عليه السلام وقت حضورهم وإن تأخر ينادون من وراء الحجرات مثل نداء بعضهم لبعض".

٣: كانت حروب بينهم من زمن الجاهلية. ولذا كانوا يريدون مساعدة الرسول عليه السلام بموقفهم..وبدأ سوء الظن لبعض الذي لا يليق بالمسلمين المخلصين ففي مثل هذه الظروف نزلت هذه السورة"(٣٦).

وذكر هذا بالأسلوب الذي لا يليق بالمسلم أن يستخدمه مع عامة المسلمين لا سيما مع صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذكر الإمام البخاري أيضاً سبب نزول هذه الآيات في صحيحه في كتاب التفسير، ولكن رواية البخاري تختلف عما ذكره الشيخ الإصلاحي في سبب نزول هذه الآيات. ولا أدري كيف خفيت هذه الرواية على الشيخ الإصلاحي حيث اخترع سبب نزولها من عنده. وذكر البخاري في باب قوله تعالى: " **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون**"(٣٧). عن عبد الله بن زبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى الله

---

(٣٥) سورة الحجرات: الآية ١.

(٣٦) تدبر: ٤٨٦/٧.

(٣٧) سورة الحجرات: الآية ٤.

عليه وسلم فقال أبو بكر: أمِّر " القعقاع بن معبد" وقال عمر: بل " أمِّر الأقرع بن حابس". فقال أبو بكر ما أردت إلى أو إلا خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزل في ذلك: " يايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله. حتى انقضت الآية"(٣٨).

ونرى الاختلاف بين ما ذكره الشيخ الإصلاحي وبين ما رواه البخاري، وإن اتفقت في رفع الصوت عند الرسول صلى الله عليه وسلم. ولعل هذا الاختلاف بسبب أن الإصلاحي عد الحديث ضمن الوسائل الظنية ولذا لم يذكره ولو ثبت في الصحيح أو في غيره.

نلاحظ على الشيخ أنه في ذكر أسباب النزول في الأمثلة السابقة لم يأخذ بالروايات الصحيحة الثابتة مثل رواية البخاري في سبب النزول في الآية المذكورة.

ولم يذكر الإصلاحي سبب نزول قوله تعالى: " يايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على فعلتم ندمين"(٤٠). واكتفى بذكر قاعدة عامة تعليقاً على ما قبلها. ولا شك في استنباط قاعدة أصولية منها ولكن لها سبب نزول خاص الذي ذكره المفسرون مثل الطبري حيث قال: " عن ابن عباس قوله تعالى: " يايها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبا....". قال: "كان رسول الله بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط ثم أحد بني عمرو بن أمية ثم أحد بني معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات. وأنه.

---

(٣٨) صحيح البخاري: ٢/٧١٨.

(٣٩) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٤٠) سورة الحجرات: الآية ٦.

لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول رسول الله صلى عليه وسلم وأنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله فقال يا رسول الله: إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة فغضب الرسول غضباً شديداً فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق. وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك بغضب غضبته علينا. وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله عذرهم في الكتاب فقال: "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم ..."(٤١). و سرد الطبري بعد هذه الرواية أقوال المفسرين مثل قتادة ومجاهد حيث صرحوا أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط. ولكن مع هذا الوضوح لم يذكر الإصلاحي سبب نزولها. وكذلك ذكره الرازي في تفسيره رواية عن مسند الإمام أحمد وحسنها حيث قال: "إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه على صدقات بني المصطلق.

وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق(٤٢).

وذكر المؤلف سبب نزول سورة التحريم- دون ذكر أسماء أزواج النبي عليه السلام- الذي ذكره الإمام البخاري في صحيحه في باب: "تبتغي مرضات أزواجك... حيث قال: "... عن عائشة قالت كان رسول الله يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها. فواطئت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير أني أجد منك ريح مغافير. فقال: لا. ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش فلن أعود له. وقد حلفت لا تخبري بذلك أحد"(٤٣).

وذكر البخاري نفس الرواية في كتاب الأيمان والنذر. وفيها زيادة بعد قوله فلن أعود له" فنزلت "يايها النبي لم تحرم ما أحل الله لك.."(٤٥). وذكر الطبري(٤٦) والرازي(٤٧) سبب النزول هذا في تفسيريهما.

ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة من تفسير تدبر قرآن في إيضاح منهجه في الأخذ بأسباب النزول.

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

---

(٤١) الطبري: ١١/٧٨. (٢٤-٢٦-٢٧).

(٤٢) ابن كثير/١٤/٢٠٧. التفسير الكبير٢٨/١١٩، لإمام فخر الدين الرازي.

(٤٣) صحيح البخاري:٢/٧٢٩.

(٤٤) سورة التحريم: الآية١.

(٤٥) صحيح البخاري:٢/٩٩٠. باب: إذا حرم طعاماً. وقوله تعالى: يايها النبي لم تحرم. وقوله تعالى: ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم.

(٤٦) الطبري: ١٢/١٠٠. وما بعدها.

(٤٧) التفسير الكبير: ٨/١٦٤. والكشاف:٤/٥٦٢-٥٦٣.

المبحث الثاني :
موقف الإصلاحي من النسخ في القرآن الكريم

يشتمل هذا المبحث على العناوين التالية:

* النسخ و أهميته.
* ضرورة النسخ.
* تعريف النسخ لغةً.
* النسخ في الاصطلاح.
* أركان النسخ.
* شروط النسخ.
* النسخ بين المثبتين و المنكرين.
* موقف أهل الأديان من النسخ.
* الفرق بين النسخ و التخصيص.
* أنواع النسخ في القرآن الكريم.

النسخ و أهميته:

في الحقيقة موضوع "النسخ" في الشريعة الإسلامية من الموضوعات التي شتغلت الباحثين - قديماً و حديثاً - من علماء اصول الفقه و التفسير و غيرهم لماله من أهمية عظمى للأسباب الآتية:

أولاً: أنه موضوع طويل، كثير التفاريع متشعب المسالك.

ثانياً: أنه تناول مسائل دقيقة، كانت مثاراً لخلاف الباحثين من المفسرين و الأصوليين. فلقد اختلف فيه المسلمون مع غيرهم من جهة، كما اختلف فيه المسلمون فيمابينهم من جهة أخرى، فهاهم المسلمون قد اختلفوا فيه قديماً و حديثاً، فمن منكر لوقوعه في القرآن الكريم [1] أو السنّة النبوية .

ثالثاً: أن أعداء الإسلام من ملاحدة و مستشرقين قد اتخذوا من موضوع النسخ في الشريعة الإسلامية ذريعة، ليطعنوا به في الإسلام، و ينالوا من قدسية القرآن الكريم و السنّة النبوية الشريفة و لكن غرضهم هذا مردود عليهم، لأن الله تعالى قد تولى بنفسه حفظ هذه الشريعة الغرّاء من كل تبديل أو تغيير قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر و انا له لحفظون"[2].

---

(1) الشيخ عبد المتعال الجبري كتب كتابين حول موضوع النسخ :
(١) النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه.
(٢) لا-نسخ في القرآن لماذا-؟ وهو من منكري النسخ في القرآن والسنّة. والكتاب الثاني مطبوع.مكتبة وهبة ١٤ شارع الجمهورية.عابدين.القاهرة. مصر.الطبعة الأولى ١٩٨٠م-١٤٠٠هـ.

(2) سورة الحجر:الآية ٩.

و قوله تعالى: "واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته و لن تجد من دونه ملتحدا"[3].

و قوله تعالى:"يريدون أن يطفؤوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون[4].

كما أن الله قد قيّض لهذه الشريعة الغراء من يدافع عنها في كل زمان و مكان ضد كيد الكائدين، يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم:" إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[5].

رابعاً: إن الإلمام بالناسخ و المنسوخ، يكشف النقاب عن سير التشريع الإسلامي، و يطلع الإنسان على حكمة الله في تربيته للخلق و سياسته للبشر، و ابتلائه للناس، مما يدل دلالة واضحة على أن نفس محمد صلى الله عليه و سلم لا يمكن أن تكون المصدر لمثل هذا القرآن الكريم، إنما هو تنزيل من حكيم حميد.

خامساً: أن معرفة الناسخ و المنسوخ ركن عظيم في فهم الإسلام و في معارضة لا يندفع التناقض بينها إلا بمعرفة سابقها من لاحقها و ناسخها من منسوخها.

من أجل هذا كان الصحابة رضي الله عنهم يتشددون في اشتراط العلم بالناسخ و المنسوخ في كل من ينصب نفسه للفتوى أو الوعظ. و قد قال علي - كرم الله وجهه- لقاص:

---

(3) سورة الكهف: الآية ٢٧.

(4) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(5) الفتح الكبير للسيوطي ٣٥٣/١.

" أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: الله أعلم، قال: هلكت و أهلكت[6]. (يريد أنه عرض نفسه و عرض الناس للهلاك، مادام أنه لا يعرف الناسخ و المنسوخ).

و نظراً إلى أهمية النسخ في القرآن الكريم قال الأئمة :" لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ و المنسوخ، لأنه إذا جهل ذلك أحلّ الحرام، و أباح المحظور و حظر المباح، و جعل المنسوخ ناسخاً و الناسخ منسوخاً "[7].(ا.ن)

ضرورة النسخ:

يقول الشيخ الإصلاحي في صدد بيان ضرورة النسخ:إن النسخ جاء على طريقة تدرج الأحكام من الحسن إلى الأحسن و بمعنى آخر أنه تكميل لوعد الله تعالى الذي وعده موسى و عيسى عليهما السلام أنه سيرسل النبي الخاتم الذي يكمل شريعة الله تعالى و يحل لهم الطيّبات و يحرم عليهم الخبائث و يرفع القيود عن الناس التي كانت في ذلك الوقت. مما يدخل تحت هذا المعنى أي تدرج الأحكام حسب الظروف و مراعاة الفطرة البشرية معاً:

أ: "أن شريعة الله تعالى وصلت إلى قمة الكمال بعد مرورها بالمراحل التي نراها الآن في القرآن الكريم، و الشيء الذي اقتضاه هذا الارتقاء التدريجي هو مراعاة الفطرة البشرية، لأن الله تعالى خلق الإنسان مجبولاً على الميل إلى التدرج حتى يصبح أهلاً لحمل الدين كاملاً.

"و مما هو معلوم أن الدين واحد منذ أرسل الله الرسل و هو الإسلام، و لكن العقل الإنساني لا شك يزداد تنوراً و يتّسع أفقاً و يتعقّل المسائل التي

---

(6) البرهان ٢٩/٢.و مناهل العرفان ٦٩/٢-٧١.

(7) ا.ن. البرهان ٢٩/٢.

تعرض عليه و من هنا كان النسخ-وقل التدرج في إنزال الدين وأحكامه-مراعاة لهذا العقل و ما وصل إليه مع كل مرحلة من مراحل الزمن أمراً طبعياً حسب ضرورته تمشياً مع كونه من عند الله تعالى الذي يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير." (٨)الف.

ب: "فتشهد بعض أحكام التوراة على أنها كانت مؤقتة وقت نزولها. و كان الانتظار لاكتمالها في وقت مناسب. و قد اكتمل هذا الأمر بظهور الإسلام. فمثلاً كان الخمر حراماً عندهم على القائمين في المعابد فقط دون عامة الناس. فكانت المرحلة الأولى من الإسلام أنه حرمه بالتدريج، فبدأ بتحريمه في أوقات الصلاة[8] إلى آخر الحكم. فنعلم من الروايات و الإشارات أن العقلاء من المسلمين الواقفين على روح الإسلام عرفوا الحكم بمجرد الخطوة الأولى فاجتنبوا شرب الخمر. و أيضاً الأشياء التي تسكر. فلو فكرنا فيها من حيث الحل و الحرمة عرفنا أنها حرمت إما تمشياً مع طبيعة بني إسرائيل أو جزاء لأسئلتهم المتكلفة مثل ما حدث منهم تكلفاً في حرمة شحم الإبل أو شحم بعض أجزاء الذبيحة، فحرمة هذه كانت مؤقتة و غير نهائية. و سيأتي اليوم الذي ترفع فيه حرمة هذه الأشياء رجوعاً إلى الفطرة الإنسانية. فراعى الإسلام هذه الفطرة بقوله: " **اليوم أحل لكم الطيبت**[9] و نسخ ما كا من القيود." (٩)ب.

و مما أشار موسى عليه السلام أن النسخ أمر طبيعي لقوله عليه السلام في التوراة:" يقيم الرب إليك من نسلك من إخوتك مثلي له تسمعون. حسب كل ما

---

(٨) الف. تدبر ١/ ٢٦٥.

(8) ب: هذا ما ذكره الإصلاحي في تفسيره، و المعروف أن تحريم الخمر كان على ثلاث مراحل: أولها ما ورد في سورة البقرة:" و إثمهما أكبر من نفعهما" (الآية:٢١٨)- أي الخمر و الميسر-. و ثانيها ما ذكر الإصلاحي هنا: قوله تعالى:" يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة و أنتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون..."(سورة النساء الآية:٤٣). و ثالثها ما ورد في قوله تعالى من النص القاطع بالتحريم حيث قال تعالى:"يأيها الذين آمنوا إنما الخمر....الخ. "سورة المائدة الآية: ٩٠)

(٩) الف: سورة المائدة: الآية ٥.

(٩) ب: تدبر ١/ ٢٦٥.

طلبت من الرب إلهك في حورب في يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي/ ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت. قال لي الرب قد أحسنوا فيما تكلموا. و أقيم لهم نبيًا الذي من وسط إخوانهم مثلك و اجعل كلامي في فمه فيتكلم بكل ما أوصيه و يكون أي الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه. و أيّ النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوجه أن يتكلم به أو الذي يتكلمه باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي[10].

نجد من النص وعد الله تعالى على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ صريحة مما يعتبر إشارة إلى أن إكمال الدين سيكون به و اعترف بنو إسرائيل في "حورب" أنهم لا يستطيعون أن يحملوا هذه الشريعة فمدحهم الله تعالى على اعترافهم و صدقهم و وعد بأن يرسل من إخوة موسى عليه السلام نبيًا آخر و يكمل دينه به.

و قد أظهر عيسى عليه السلام أيضاً هذه الحقيقة بأسلوب واضح حيث قال في إنجيل يوحنا: "و أما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني و ليس أحدكم يسألني أين تمضي؟ و لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. و لكن إن ذهبت أرسله إليكم و متى جاء ذلك يبكّت العالم على خطيئة و على بر و على دينونة. أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي. و أما بر فلأني ذاهب إلى ربي و لا ترونني أيضاً. و أما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين".

"إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم و لكن لاتستطيعون أن تحملوا الآن. و أما جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به و يخبركم بأمور آتية. ذلك يمجّدني لأنه يأخذ مما لي و يخبركم."[11].

---

(10) توراة: باب تثنية (١٨) ١٥-٢٠.

(11) إنجيل يوحنا: (١٦) الآية : ٥-١٤،ص:١٨٨.

فنجد في كلمات مثل :"المعزي" و "روح الحق" فمن يكون مصداقاً إن لم يكن النبي صلى الله عليه و سلم؟ فيصدق على النبي عليه السلام أنه يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به و ذكر القرآن الكريم تزكية للسان الرسول عليه السلام حيث قال:

"ما ينطق عن الهوى • إن هو إلا وحي يوحى"[12]. و أشار القرآن الكريم أيضاً إلى أخبار التوراة و الإنجيل في سورة الأعراف حيث قال:

"قال عذابي أصيب به من أشاء و رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكوة و الذين هم بايتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينههم عن المنكر و يحل لهم الطيّبت و يحرّم عليهم الخبئث و يضع عنهم إصرهم والأغلل التي كانت عليهم فالذين آمنوا به و عزروه و نصروه و اتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون"[13].

و هناك جانب آخر و هو أن وقوع النسخ كان على مقتضى التجديد و الإحياء للدين. و التفصيل لهذا الإجمال كما يلي:

"و الشريعة التي أعطيت لبني إسرائيل نسوا بعضاً منها كما صرح بذلك القرآن الكريم. فمن الأجزاء المنسية التي رآها مناسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فنجدها في القرآن الكريم ليحفظ ما ضاع من خزائن الدين بسبب غفلة المسئولين عنها.

---

(12) سورة النجم: الآية: ٣-٤.

(13) سورة الأعراف: الآية: ١٥٦-١٥٧.

فكلمة" فأنساه"[14]. استخدمت في معناها الأصلي. فنسب الله تعالى في هذه الآية الفعل إلى نفسه فهذا مثل ما قال في مقام آخر:"فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"[15].

فيظهر من هذا الأسلوب هذه الحقيقة بأن الله تعالى/عامل بهم بمقتضى قانون الحكمة و ذلك بأنهم أهملوا شريعة الله تعالى. فشريعة الله تعالى كانت وراثة مشتركة لجميع البشرية. و لذا فأكمل الله تعالى الأحكام المؤقتة بأحكام دائمة و أحسن منها فكذلك جدد الأحكام المرضية التي ارتضاها بأن أنزلت في القرآن الكريم. فضرورة النسخ كانت بغرضين: (١) تكميل الدين. (٢) و تجديد الدين.

فهي في غاية الوضوح حيث لا سبيل لليهود و لا للنصارى لإنكارها. و لم يكتف القرآن الكريم ببيان جهتي هذا النسخ فقط بل بيَّن ضرورته من جهة ثالثة أيضاً و هو جانب تطهير الدين و الشريعة يعني يريد الله بأن يطهِّر دينه من البدع و الخرافات التي اخترعها أهل الهوى فمضى ذكره في سورة الحج في قوله تعالى:" فينسخ الله ما يلقي الشيطن ثم يحكم الله آيته"[16].

وإذا فكرنا في هذه الناحية عرفنا أن النسخ من أقوى الأدلة لرد البدع حيث نرى أن المفسدين اخترعوا البدع من عندهم في دين الله تعالى. فنقَّى الأنبياء عليهم السلام الدين من هذه الخرافات و أحيوا أحكام الدين و أقاموها من جديد.

---

(14) كما في قوله تعالى:"يحرفون الكلم عن مواضعه و نسوا حظا مما ذكِّروا به".(سورة المائدة: الآية ١٣).

(15) سورة الصف: الآية ٥.

(16) سورة الحج: الآية ٥٣.

فمعظم الأنبياء عليهم السلام الذين جاءوا قبل نبيّنا عليه السلام لم ياتوا بشريعة جديدة بل كان هدفهم أن يطهّروا الدين الحنيف من البدع و الخرافات و يردوه إلى صفائه. ففوّضت هذه المسئولية من قبل الله تعالى و رسوله إلى علماء هذه الأمة [17].

فبعض الأشياء التي أضيفت إلى الأديان السابقة و نسخها الإسلام و أظهرها بثوبه القشيب. نذكر منها بعض الأمثلة لكي تتضح ضرورة النسخ و أهميته:

١: فمن أمثلة تحريف اليهود و النصارى و الزيادة في الدين في باب العقائد كما قال القرآن الكريم في بيان عقيدة النصارى "إن الله تعالى ثالث ثلثة" [18].

وقال في بيان عقيدة اليهود و النصارى "نحن أبنؤا الله و أحباؤه" [19]. أو أن الله تعالى من خلق السموت و الأرض و لذا استراح يوم السبت [20]. أو أن الله أخذ منهم الميثاق بأن لايؤمنوا بنبيٍّ حتى تأكل نار قربانهم السماء أو أن مرضاتهم كان في يد موسى عليه السلام. فرد القرآن الكريم على جميع هذه الأشياء و أوضح حقائقها الأصلية [21].

٢: و كذلك أدرج اليهود في صحفهم الروايات غير الصحيحة التي تصور حياة الأنبياء بما يجرح أخلاقهم. و قد برأهم القرآن الكريم من جميع هذه الاتهامات و قدم اللون الأصلي الصحيح لحياتهم.

---

(17) تدبر: ٣١٢/١.

(18) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(19) سورة المائدة: الآية ١٨.

(20) العهد القديم: سفر التكوين: باب(٢) آية: ٢.

(21) كما في قوله تعالى:" يايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا...الخ:سورة الأحزاب: الآية: ٦٩.

٣: و من أمثلة على تحريفهم في باب الأعمال مثلاً: أسلوبهم بأساري و طريقتهم في الربا. و تحليلهم أكل الخنزير و الحيوان الموقوذة.

٤: و كذلك غيّر بعض الناس الوقائع التاريخية و قدموها حسب أهوائهم. فمثلاً: مسخوا معظم الأجزاء التاريخية التي تحدثت عن تاريخ إبراهيم و عمر المسجد الحرام -بيت الله- لكي تخفى علامة الله بإبراهيم. فلذا قالت طائفة من الناس أن الأحكام التي قيل عنها أنها نسخت فهي في الحقيقة ليست منسوخة بل هي على حالتها مخصوصة قائمة.

(نظرية النسخ)

و تقول هذه الطائفة/لتأييد رأيها أن ارتقاء الشريعة الإسلامية كان بالتدريج من السهولة إلى الصعوبة و اقتضت الظروف الرجوع من الصعوبة إلى السهولة فهذا الرجوع يكون على مقتضى الشريعة الإسلامية.

و قال الشيخ الإصلاحي إننا نرى أن في هذا الرأي أخطاء عديدة منها:

(عدم وقوع النسخ)

مثلاً أن هذه الدعوى/بدون أساس بأن الشريعة الإسلامية كانت سهلة في البداية و صعبت بعدها. لأننا لونظرنا في القرآن الكريم فعلمنا أن هذه القاعدة إن أجريت في بعض الأحكام (أي تطور أحكام الشريعة من السهولة إلى الصعوبة) مثل حرمة الخمر و حكم الصيام[22] و غيرهما. و في بعض آخر كان الأمر عكس ذلك تماماً مثل صلاة الليل [23].

---

(22) سورة البقرة: الأية: ١٨٥.

(23) سورة المزمّل: الأية: ٢-٣.

و عدد المقاتلين عند لقاء العدو [24]. (في ميدان الجهاد) و لذا فوضع القاعدة المذكورة من النسخ و أخذ أية نتيجة منها لا تخلو عن الخطأ [25].

و قد ذكر الإصلاحي بعض الأمثلة في بيان ضرورة النسخ أنه كان وفق اقتضاء بعض ظروف المجتمع الإسلامي وقت نزول القرآن الكريم و الفطرة الإنسانية كذلك، منها:

١: ربما كان اقتضاء بعض الظروف أن يصدر الحكم المؤقت نظراً إلى الظروف البدائية و المجتمع. و عند ما بلغ المجتمع إلى مستوى مطلوب فغير الله تعالى هذا الحكم بحكم آخر [26]. مثال ذلك: حكم الوصية للوالدين و الأقربين بقوله تعالى:" كتب عليكم إذا حضر أحد كم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين، حقاً على المتقين"- (٢) -

وبعد أن استقامت الأمور نسخ الحكم المذكور بحكم المواريث [28] بقوله تعالى: " يوصيكم الله في أولادكم ... الأية [29]. و كذلك حكم الزنا [30] الذي نسخ الحكم المؤقت و هو حكم التعزير[31].

---

[24] سورة الأنفال: الأية ٦٥-٦٦.

[25] تدبر: ٣١٤/١.

[26] تدبر: ٢٧٢/١.

[27] سورة البقرة: الأية ١٨٠.

[28] تدبر: ٣٩٥/١-٣٩٦.

[29] سورة النساء: الأية ١١.

[30] سورة النور: الأية ٢.

[31] سورة النساء: الأية ١٥-١٦.

٢: و كان الاقتضاء في بعض الظروف من قبل الفطرة الإنسانية أن يبلغ الحكم على مستوى الكمال مرحلة بعد مرحلة[32] مثل حرمة شرب الخمر [33] و التخيير بين الصوم و الإفطار مع الإطعام"[34].

و اتضحت الحقيقة من هذا التفصيل أن شريعة الله قد بلغت مستوى الكمال بالتدريج و لم يبق فيها شيء للنسخ. و بينت الرخص في الظروف الخاصة و مراعاة جميع أحكام الإسلام. و لم يبق أيضاً أي جواز لنسخ الأحكام بتغيير الظروف مهما كانت.

تعريف النسخ لغةً:

يطلق النسخ لغةً على معنيين:

المعنى الأول: الإبطال و الإزالة.

و منه نسخت الشمس الظل إذا أذهبته و حلت محله. يقول الجرجاني: "النسخ في اللغة عبارة عن الإزالة، يقال: "نسخت الشمس الظل أزالته"[35].

---

(32) تدبر: ٢/٢٧٢.

(33) سورة المائدة: الآية: ٩١.

(34) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(35) التعريفات للجرجاني: ص: ١٦٣.

يقول ابن منظور في اللسان: "والنسخ إبطال الشيء و إقامة آخر مقامه و في التنزيل:" **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها**"[36]. والعرب تقول:" نسخت الشمس الظل و انسخته، أزالته، و المعنى أذهبت الظل و حل محله"[37].

و يقول صاحب المصباح المنير:" قال ابن فارس: خلف شيئا فقد انتسخه، فيقال: انتسخت الشمس الظل، و الشيب الشباب أزاله"[38].

المعنى الثاني: النقل و التحويل:

و هو ضربان: [39].

الضرب الأول: نقل الشيء و تحويله من مكان إلى مكان مع بقاء الأول [40]. تقول: نسخت الكتاب: أي نقلت ما فيه إلى كتاب آخر، و نسخت النحل العسل: أي حولته: نقلته من خلية إلى خلية أخرى.

يقول ابن منظور في اللسان: "قال ابن الأعرابي: و النسخ نقل الشيء من مكان إلى مكان و هو هو، و يقول نقلاً عن التهذيب: "النسخ اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف" [41].

---

(36) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(37) لسان العرب : مادة: ن.س.خ.

(38) المصباح المنير: ٨٢٧/٢.

(39) شرح الكوكب المنير ٢٥٤/١. المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه. تاليف: العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفيومي الحنبلي المعروف بابن النجّار (ت: ٩٧٢هـ).

(40) المصدر نفسه: ٢٥٤/١.

(41) لسان العرب: مادة:ن.س.خ.

و يقول الزمخشري: "نسخت كتابي عن كتاب فلان و انسخته و استنسخته بمعنى"[42].

و يقول السجستاني من أهل اللغة:" النسخ أن تحول ما في الخلية من النحل و العسل إلى أخرى و منه تناسخ المواريث بانتقالها من قوم إلى قوم .... و منه نسخ الكتاب بما فيه من مشابهة النقل، و إليه الإشارة بقوله تعالى:" **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**"[43]. و المراد به نقل الأعمال إلى الصحف، أو من الصحف إلى غيرها" [44].

الضرب الثاني:" نقل الشيء و تحويله من حالة إلى حالة أخرى مع عدم بقاء الأول.
يقول صاحب المصباح المنير:"و فيه تناسخ الورثة، لأن الميراث لا يقسم على حكم الميت الأول، بل على الحكم الثاني"[45].

و يقول ابن منظور: "والتناسخ في الفرائض و الميراث أن تموت ورثة بعد ورثة، و أصل الميراث قائم لا يقسم، وكذا تناسخ الأزمنة و القرن بعد القرن"[46].

يقول الجرجاني:" النسخ في اللغة عبارة عن التبديل، و الرفع، و الإزالة [47].

---

(42) أساس البلاغة: ص ٩٥٢. لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ).

(43) سورة الجاثية: الآية:٢٩.

(44) الإحكام في أصول الأحكام: ٩٥/٣ لسيف الدين أبي الحسن علي بن أبي علي بن محمد الآمدي، دار الحديث خلف الجامع الأزهر، مصر.

(45) المصباح المنير: ٨٢٨/٢.

(46) لسان العرب:٤٤٠٧/٦.

(47) التعريفات للجرجاني:ص ١٦٣.

و قد ذكره الآمدي حيث قال:"النسخ فهو في اللغة قد يطلق بمعنى الإزالة، و منه يقال نسخت الشمس الظل، أي أزالته، و نسخت الريح أثر المشي، أي أزالته، و نسخ الشيب الشباب، إذا أزاله. و منه تناسخ القرون و الأزمنة"[48].

و جاء في المستصفى للغزالي أن "النسخ:" عبارة عن الرفع و الإزالة في وضع اللسان، يقال نسخت الشمس الظل و نسخت الريح الآثار إذا أزالتها، و قد يطلق لإرادة نسخ الكتاب فهو مشترك، و مقصودنا:" النسخ الذي هو بمعنى الرفع و الإزالة"[49].

و جاء في تفسير ابن كثير أن حقيقة النسخ لغةً: الإزالة و الرفع"[50].

تعريف النسخ اصطلاحاً:

لقد عرف العلماء النسخ في الاصطلاح بتعاريف كثيرة مختلفة، منها:

(عبيد الله بن مسعود)

١: عرف صدر الشريعة/النسخ بقوله:" هو أن يرد دليل شرعيٌ متراخيا عن دليل شرعيٌ مقتضيا خلاف حكمه"[51]. أي حكم الدليل الشرعي المتقدم"[52].

٢: وعرفه بعضهم بأنه:" الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم، على وجه لولاه لكان ثابتاً، مع تراخيه عنه" [53].

---

(48) الإحكام للآمدي ١٤٦/٢. والبرهان للإمام الجويني :١٢٩٣/٢. ومناهل العرفان: ٧١/٢.

(49) المستصفى: ١٠٧/١. ط:٢. دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

(50) تفسير ابن كثير: ٢٤١/٣.

(51) التلويح على التوضيح:٣١/٢. و التعريفات للجرجاني ص:١٦٣.

(52) التلويح على التوضيح: ٣١/٢.

(53) المستصفى: ١٠٧/١. و البدخشي في مناهج العقول:٢٢٦/٢.

٣: و ذهب بعض العلماء إلى أن النسخ يطلق على فعل الشارع، و بناء على ذلك قد عرفه بعضهم بأنه:" رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر" [54]. وهذا التعريف للنسخ عند المتأخرين.

٤: و عرفه الآخرون بأنه:" بيان انتهاء حكم شرعي بطريق شرعي متراخ عنه"[55].

٥: يقول الأسنوي:" و ان خطاب الله تعالى تعلق بالفعل بحيث لولا طريان الناسخ لكان باقياً لكن الناسخ رفعه" [56].

النسخ في اصطلاح المتقدمين:

(الصحابة والتابعين)

قد ذكر الشيخ ولي الله الدهلوي تعريف النسخ عند المتقدمين/ حيث قال إن النسخ :

"هو إزالة بعض الأوصاف من الآية بآية أخرى، إما بانتهاء مدة العمل أو بصرف الكلام عن المعنى المتبادر إلى غير المتبادر أو بيان كون قيد من القيود اتفاقياً أو تخصيص عام، أو بيان الفارق بين النصوص، و ماقيس عليه ظاهراً، أو إزالة عادة جاهلية أو شرعية سابقة، فاتسع باب النسخ عندهم و كثر جولان العمل هناك، و اتسعت دائرة الاختلاف، و لذا بلغ عدد الآيات المنسوخة خمسمائة"[57].

---

(54) مناهل العرفان: ٧٢/٢. وشرح الكوكب المنير: ٢٥٤/١.

(55) و هو اختيار البيضاوي في منهاج الأصول واختيار الأسنوي والبدخشي أيضاً.(شرح البدخشي وشرح الأسنوي نهاية السول للإمام جمال عبد الرحيم الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢هـ) ٢٢٤/٢-٢٢٥.

(56) نهاية السول للأسنوي ٥٤٨/٢-٥٤٩. أما البدخشي فذكر أن الذي نسب هذا التعريف للقاضي هو الإمام ثم قال: "و قال -- الإمام -- في موضع آخر :إن الذي ذكره القاضي: ارتفاء حجة الإسلام هو : الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه". مناهج العقول: ٢٢٦/٢.

(57) الفوز الكبير في أصول التفسير للشيخ ولي الله الدهلوي :ص ٣٨.

أركان النسخ: للنسخ أربعة أركان.

الركن الأول: المنسوخ و هو الحكم الذي انقطع تعلقه بأفعال المكلفين فيما يستقبل من الزمان.

الركن الثاني: المنسوخ به و هو الدليل المتأخر المتعارض مع الدليل السابق.

الركن الثالث: المنسوخ عنه و هو المكلف الذي رفع عنه التكليف بالحكم المنسوخ.

الركن الرابع: الناسخ و هو الشارع سبحانه و تعالى من غير خلاف وذلك/هو حقه الذي لا يشاركه فيه أحد غيره.

يقول الغزالي-و هو بصدد بيان أركان النسخ-:" و اعلم أن أركان النسخ أربعة: النسخ، و الناسخ، المنسوخ، و المنسوخ عنه. فإذا كان النسخ حقيقة رفع الحكم فالناسخ و هو الله، فإنه الرافع للحكم، و المنسوخ هو الحكم المرفوع، و المنسوخ عنه هو المتعبد المكلف. و النسخ قوله الدال على رفع الحكم الثابت".

ثم قال:" و قد يسمى الدليل ناسخاً على سبيل المجاز، فيقال: هذه الآية ناسخة لتلك، و قد يسمى الحكم ناسخاً مجازاً. فيقال: صوم رمضان ناسخ لصوم عاشوراء، و الحقيقة هو الأول، لأن النسخ هو الرفع، و الله تعالى هو الرافع، بنصب الدليل على الارتفاع، و بقوله الدال عليه" [58].

شروط النسخ:

ذكر علماء أصول الفقه للنسخ شروطاً. فنكتفي بذكر الشروط المتفق عليها:

---

[58] المستصفى: ١/ ١٢١.

الشرط الأول: أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً لا عقلياً أصلياً كالبراءة الأصلية التي ارتفعت بإيجاب العبادات.

الشرط الثاني: أن يكون النسخ بخطاب، فارتفاع الحكم بموت المكلف ليس نسخاً.

الشرط الثالث: أن لا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيداً بوقت يقتضي دخول زوال الحكم كقوله تعالى:" **ثم أتموا الصيام إلى الليل**"[59].

الشرط الرابع: أن يكون الخطاب الناسخ متراخياً [60].

و قال بعض :" لابد أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً عملياً، لأن الأحكام العملية التي ترد عليها النسخ، فلا يجوز نسخ الأخبار المحضة، و لا نسخ آيات الوعد و الوعيد، لأنها لا تتضمن أحكاماً عملية من أحكام العبادات أو المعاملات، أو الحدود... و كذلك لا يجوز نسخ الأحكام الشرعية الاعتقادية، لأنها لا تتصور فيها توارد الأمر و النهي على مسألة واحدة، إذ هي ثابتة في جميع الشرائع الإلهية، و سبب النسخ لا يعقل فيها، سواء أكان هو التدرج في التشريع، أم كان هو اختلاف المصالح و اقتضاءها أحكاماً جديدة" [61].

وهذا هو موقف الإصلاحي من النسخ حيث يقول:"**إن النسخ يتعلق بالأحكام و القوانين** فقط و لا يتعلق بالعقائد و الأخلاق و العبادات أو الوقائع و الحقائق، لأن هذه الأشياء لا تقبل التغيير، و أما الأحكام فإذا أراد الله تعالى أن يصلح فيها شيئاً فهذا لا يضر مقصود القانون بل يقويه" [62].

---

(59) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(60) المستصفى: ١/١٢١-١٢٢.

(61) النسخ في القرآن الكريم: ١/١٨١.

(62) تدبر: ١/٣١٥-٣١٦.

و يؤيد رأي الشيخ الإصلاحي ما قاله السيد محمد صديق خان في حصول المأصول و الزرقاني و اللفظ للأول حيث قال:" تحت عنوان شروط النسخ:

"منها أن يكون مما يجوز نسخه فلا يدخل النسخ في أصل التوحيد لأن الله تعالى بأسمائه و صفاته لم يزل و لا يزال و مثل ذلك ما علم بالنص" [63].

النسخ بين المثبتين و المنكرين:

اتفق جمهور علماء الأمم على جواز النسخ عقلاً و شرعاً[64]. ويدل على جوازه عقلاً أمران:

الأول: أن المنطق السليم يقرر جواز النسخ عقلاً، لأنه لا يترتب على فرض وقوعه محال، و الجواز العقلي يكفيه هذا.

الثاني: أن التكليف لا يخلوا أن يكون موقوفاً على مشيئة المُكَلِّفِ أو على مصلحة المُكلَّفِ، فإن كان الأول فلا يمتنع أن يريد تكليف للعباد عبادة في مدة معلومة ثم يرفعها و يأمر بغيرها. و إن كان الثاني فجائز أن تكون مصلحة للعباد في فعل عبادة زمان دون زمان و يوضح هذا أنه قد جاز في الفعل تكليف عبادة متناهية كصوم يوم، و هذا تكليف انقضى بانقضاء زمان، ثم قد ثبت أن الله تعالى ينقل من الفقر إلى الغني و من الصحة إلى السقم ثم رتب الحر و البرد و الليل و النهار و هو أعلم بالمصالح و له الحكم [65].

---

(63) حصول المأصول: ص ١٢٤.

(64) نواسخ القرآن للعلامة ابن الجوزي ص: ٧٨. ت: محمد أشرف. وقال الشوكاني:" النسخ جائز عقلا واقع سمعاً بلا خلاف بين المسلمين " إرشاد الفحول:ص ١٨٥. وقال الزركشي:" والصحيح جواز النسخ و وقوعه سمعاً و عقلاً". البرهان: ٢/ ٣٠.

(65) نواسخ القرآن: ص ٨٠.

و أما جواز النسخ شرعاً: فإن الواقع التاريخي يؤكد وقوع النسخ سمعاً، فقد شهدت أمثلة كثيرة كما سيأتي ذكرها بعد قليل، و ليس أصدق من التاريخ شاهد حين يقرر الواقع.

و من هنا قال المسلمون بجواز النسخ و وقوعه، فقد قرر القرآن الكريم أنه كتاب الله و دعوته إلى الناس جميعاً، وأن على كل إنسان أن يؤمن به، و يتبع ما جاء فيه، و هذا هو النسخ بمعناه العام: نسخ شريعة لشريعة سابقة.

و سجل تاريخ الشريعة الإسلامية أحكاماً نسخت أحكاماً سابقة عليها، فأضاف إلى النسخ بمعناه العام: ذلك النوع الآخر من النسخ، و نعني به نسخ حكم لحكم في الشريعة الواحدة. و هذا هو موضوع كلامنا.

و مضى المسلمون منذ عهد النبوة على هذا، فلم يشك أي منهم في أن الإسلام هو دين بني الإنسان، منذ دعا إليه محمد صلى الله عليه و سلم، وحتى يرث الله الأرض و من عليها، و هذا هو الذي يتفق بقوله تعالى: "**و من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخسرين**" [67].

---

[67] سورة آل عمران: الآية ٨٥.

كذلك لم يشك مسلم في أن بعض الأحكام الجزئية العملية التي شرعها الإسلام، قد نسختها أحكام أخرى في موضوعها، و كان كل من الحكمين المنسوخ ثم الناسخ هو الحق في زمانه، و بشرعه نيطت مصلحة أو مصالح تحققت بالفعل به، طالما كان قائماً.

و لذلك فإن المتتبع لأقوال الصحابة و التابعين و غيرهم من علماء الأصول يجد أن مسألة النسخ هذه كانت واقعاً مستقراً في التفكير الإسلامي، و أن الجو الفكري المتبادل بين المختلفين في المواد المنسوخة و الناسخة، إنما ينهض شاهداً على أن موضوع النسخ من الموضوعات التي سلم بوجودها المسلمون من أول الأمر في الشريعة الإسلامية.

و أن أية محاولة طارئة ترمي إلى القول بعدم وجود النسخ في الشريعة الإسلامية، إنما هي محاولة مفتعلة على ذلك الوضع المستقر، لفكرة النسخ عند علماء المسلمين مهما اصطنع لها صاحبها من المبررات، و مهما تهيأ لهم من محاولات الاستدلال.

فقد عبّر القرآن الكريم صراحة عن جواز النسخ في ثلاث آياته حيث قال:"

"ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخيرٍ منها أو مثلها"[68].

و قوله تعالى:" **يمحوا الله ما يشآء و يثبت و عنده أم الكتاب**"[69]

و قوله تعالى:" **و إذا بدلنا آية مكان آية و الله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون**".[70]

---

(68) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(69) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(70) سورة النحل: الآية ١٠١.

فقد صرّح القرآن الكريم في الآية الأولى بالنسخ، و عبّر عنه في الثانية بالمحو و الإثبات، و في الثالثة بالتبديل، وهو يستلزم إزالة البدل و إحلال البدل مكانه ضرورة أنهما لا يجتمعان، و هو يوصي بأن النسخ مثلهما في إفادة معنى الإزالة، التي هي معنى النسخ حقيقة.

و إذا كان بعض العلماء المسلمين كأبي مسلم الأصفهاني [71] قد اشتهر عنه إنكار النسخ إلا أن إنكاره صوري يتأول بما جعل خلافه لجمهرة المسلمين خلافاً شبيهاً بالخلاف اللفظي إن لم يكنه.

و من ذلك فإن علماء الأصول و التفسير و غيرهم من المسلمين حين يتعرضون لمنكري النسخ لا يضعون في اعتبارهم غير اليهود و النصارى.

أما بالنسبة إلى منكر ذلك من اليهود فيدل عليه ما أورد في التوراة:

١: أن الله تعالى أمر آدم عليه السلام أن يزوج بناته من بنيه و ورد أنه كان يُولد له في كل بطن من البطون ذكر و أنثى، فكان يزوّج توأمة هذا للآخر. و يزوج توأمة الآخر بهذا. و هكذا، إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء و الأمهات و الأنساب، ثم حرّم الله تعالى ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين و اليهود و النصارى [72].

---

(71) هو محمد بن بحر الأصفهاني، كان كاتباً مسترسلاً بليغاً، ومتكلماً جدلاً، ومعتزلياً عالماً بالتفسير وبغيره من العلوم، ولد في عام ٢٥٤ هـ.وتوفي في عام ٣٢٢هـ، وكانت كنيته التي عرف بها: أبو مسلم. صنّف تفسيراً كبيراً في أربعة عشر مجلداً، و سمّاه:"جامع التأويل لمحكم التنزيل"، وكتابا في النحو، و كتاب الناسخ و المنسوخ". (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ٥٩/١. ط: ١. طبع بمطبع عيسى البابي و الحلبي و شركاؤه، بالقاهرة، مصر، ١٣٨٤ هـ-١٩٦٤م). ومعجم الأدباء: ٣٥/١٨-٣٨. لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الروحي البغدادي، شهاب الدين،ت:٦٢٦ هـ. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (بدون سنة الطبع).

(72) مناهل العرفان: ٨٧/٢. والإحكام للآمدي: ١٠٨/٣.

٢: إن الله تعالى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل ثم أمرهم برفع السيف عنهم(٧٣).

٣: إن الله أمر إبراهيم بذبح ولده - عليهما السلام- ثم قال الله تعالى له: لا تذبح، وقد اعترف منكرو النسخ بذلك(٧٤).

موقف أهل الأديان من النسخ:

موقف أهل الأديان السماوية من موضوع النسخ ما يأتي:

أولاً: عند المسلمين:

فإن النسخ جائز عقلاً بإجماع المسلمين سواء أكان بين الشرائع السابقة وبين الشريعة الإسلامية، أم بين الشريعة الواحدة بالنسبة لبعضها البعض، وخاصة في الشريعة الإسلامية.

ثانياً: عند اليهود:

فإنهم جميعاً يتفقون على شيء واحد، وهو أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ شريعتهم ولكنهم يفترقون فيما عدا ذلك إلى ثلاث فرق، لكل منها موقفها الخاص من النسخ.

الفرقة الأولى: الشمعونية(٧٥). وهي ترى أن النسخ لا يجوز عقلاً، ولم يقع شرعاً(٧٦). وزعموا أن النسخ هو عين البداء(٧٧).

الفرقة الثانية: العنانية(٧٨). وهي ترى أنه يجوز عقلاً، ولكنه لم يقع شرعاً(٧٩).

٧٣- المصدر نفسه: ٢/٨٧.

٧٤- المصدر نفسه: ٢/٨٧.

٧٥- نسبة إلى شمعون بن يعقوب: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٧٨.

٧٦- مناهل العرفان: ٢/٨٢. ونواسخ القرآن: ٧٨.

٧٧- قال الفيومي في المصباح المنير: ١/٥٥(وبدا له في الأمر، أي ظهر له ما لم يظهر أولاً والاسم البداء) وقد جاء في القرآن كلمة البداء على معنيين:

أولاً: الظهور بعد الخفاء، كقوله تعالى: " وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون". (سورة الزمر الآية:٤٨).

ثانياً: نشأة رأي جديد لم يكن، كقوله تعالى: " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين". (سورة يوسف الآية: ٣٥) والله تعالى منزه عن أن يتصف بالبداء، بكلا المعنيين.

(أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠هـ) ط:٧. با المطبعة الأميرية، با القاهرة، ١٩٢٨م.

٧٨- نسبة إلى عنان بن داؤد، رأس الجالوت يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء، والسمك، والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه وإشاداته، ويقولون إنه لم يخالف التوراة البتة، بل قررها، ودعا الناس إليها، وهو من بني إسرائيل المتعبدين بالتوراة والمستجيبين لموسى عليه السلام إلا أنهم لا يقولون بنبوته، ولا رسالته" الملل والنحل للشهرستاني:١/٢١٥.

٧٩- مناهل العرفان: ٢/٨٣. ونواسخ القرآن:٧٩.

الفرقة الثالثة: العيسوية.[80] و هي ترى أن النسخ جائز عقلاً، و واقع شرعاً [81].

الفرق بين النسخ و التخصيص:

لقد اهتم الكثير من الأصوليين ببيان الفرق بين النسخ و بين غيره مما قد يشتبه به إذا كان أول ما اهتموا به هو بيان الفرق بين النسخ و التخصيص. و حتى يتضح لنا بجلاء الفرق بينهما، فلا بد من بيان و تعريف كل منهما حتى يمكننا الوقوف على حقيقة الفرق بينهما.

أما النسخ فقد سبق تعريفه بأنه:" رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر" [82].

و أما التخصيص فإنه:" قصر العام على بعض أفراده" [83].

فيشتركان في أن كلاً منهما قد يوجب تخصيص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ/ إلا أن التخصيص رفع الحكم عن بعض أفراده، و النسخ تخصيص الحكم ببعض الأزمان" [84].

---

(80) العيسوية: نسبة إلى أبي عيسى، إسحق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل اسمه عويفيل الوهيم أي عابد لله و هو يدعي بأن عيسى نبي وأفضل ولد آدم وأعلى من منزلة الأنبياء الماضين، وخالفوا اليهود في كثير من أحكام الشريعة".الملل والنحل: ٢/٥٥-٥٦.

(81) مناهل العرفان:٢/٨٢. و نواسخ القرآن ص: ٧٩. و تجد آراء الفرق اليهودية الثلاثة من النسخ في معظم كتب الأصول، أنظر مثلا : الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٣/١٠٦. و شرح الأسنوي:٣/٥٥٤-٥٥٥.

(82) مناهل العرفان: ٢/٧٢. و إرشاد الفحول:ص:١٨٤.

(83) عرفه البيضاوي : "إخراج ما يتناوله اللفظ".نهاية السول في شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول:٢/٢٧٤. و ذكر الشوكاني عن ابن الحاجب:" التخصيص قصر العام على بعض مسمياته". إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني: ص: ١٤٢. لمحمد علي بن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ. ط: ١. مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر، ١٣٥٦ هـ. ١٩٣٧م.

(84) الأحكام للآمدي: ٢/٢٤٣.

و مثال ذلك لفظ المشركين في قوله تعالى:

" فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث و جدتموهم و خذوهم و لحصروهم ... ذلك بأنهم قوم لا يعلمون"[85].

فإن لفظ المشركين في قوله تعالى:"فاقتلوا المشركين" عام يشمل كل مشرك، و لكن خص منه الذين تابوا و أقاموا الصلوة و آتوا الزكوة بحكم يخالف ذلك ألا و هو عدم التعرض لهم باخلاء سبيلهم، كما خص منه أيضاً المشرك الذي استأمنك، فإنه لا يجوز قتله، فهو مستثنى من لفظ المشركين، فقد قصر العام على بعض أفراده، حيث أمر بقتل المشركين، و هو أمر عام، ثم خص منه التائب و المستجير بالقرآن الكريم.

أما السنّة فقد خصّت أيضاً لفظ المشركين زيادة على ما تقدم بعدم قتل الأطفال و النساء و المريض و العسيف (أي الأجير) و المنعزل في صومعته إذا لم يشارك واحد منهم في القتال و لو بالرأي كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة" [86].

يقول الشوكاني:" و اعلم أنه لما كان التخصيص شديد الشبه بالنسخ لاشتراكهما في اختصاص الحكم ببعض ما يتناوله اللفظ احتاج أئمة الأصول إلى بيان الفرق بينهما [87].

أما الفروق بين النسخ و التخصيص فكثيرة، و أهمها ما يأتي:

أولاً: أن التخصيص لا يرد إلا على العام، فلا يرد على الأمربأمر واحد مثل: تصدق على زيد. و النسخ يرد على العام و على غيره [88].

---

(85) سورة التوبة الآية: ٥-٦.

(86) شرح معاني الآثار للطحاوي: ٣/ ٢٢٠-٢٢٥. و تفسير القرطبي: ٣٤٨/٢. و تفسير ابن كثير: ٣٣٧/٢.

(87) إرشاد الفحول ص:١٤٢

(88) النسخ و أحكامه في الشريعة الإسلامية :ص ٥٣. و يقول الشوكاني:"إن التخصيص لا يدخل في الأمر بمأمور واحد و النسخ يدخل فيه": إرشاد الفحول:ص:١٤٣.

ثانياً: الناسخ لا يكون إلا متراخياً عن المنسوخ، بخلاف التخصيص فإنه قد يكون بالسابق أو باللاحق أو بالمقارن"[89].

ثالثاً: إن التخصيص تقليل و النسخ تبديل"[90].

رابعاً: يجوز تأخير النسخ عن العمل بالمنسوخ و لا يجوز تأخير التخصيص عن وقت العمل بالمخصوص"[91].

خامساً: التخصيص بيان ما أريد بالعموم و النسخ بيان ما لم يرد بالمنسوخ"[92].

سادساً: أن التخصيص لا يكون إلا لبعض الأفراد بخلاف النسخ فإنه يكون لكل الأفراد"[93].

سابعاً: أن التخصيص يجوز أن يكون في الأخبار و الأحكام و النسخ يختص بأحكام الشرع"[94].

أنواع النسخ في القرآن الكريم.

---

(89) المصدر نفسه:ص ٥٣.

(90) إرشاد الفحول:ص ١٤٣.

(91) المصدر نفسه:ص ١٤٣.

(92) المصدر نفسه:ص ١٤٣.

(93) منهاج الوصول إلى علم الأصول:٢/١١٩. و إرشاد الفحول:ص ١٤٣.

(94) منهاج الوصول :٢/ ١٢٠-١٢١. و إرشاد الفحول:ص ١٤٣. و مناهل العرفان:٨٢.

اتفق العلماء على أن نسخ جميع القرآن غير جائز، و قد ذكر صاحب نهاية السول و صاحب تيسير و صاحب شرح الكوكب المنير و غيرهم الإجماع على ذلك.

يقول صاحب نهاية السول:" نسخ جميع القرآن ممتنع إجماعاً، لأن فيه الأخبار و القصص و الأحكام التي لا تقبل حسنها أو قبحها السقوط"[95].

أما صاحب تيسير التحرير فيقول:"نسخ جميع القرآن غير جائز بالإجماع، قال الإمام الرازي و غيره لأنه معجزة مستمرة على التأبيد، و نسخ بعضه جائز"(٩٦).

يتضح من هذه النصوص أن النسخ في القرآن الكريم لا ينصب إلا على بعضه فقط و هو محل الخلاف بين العلماء.

لقد قسم العلماء النسخ في القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع:

الأول: نسخ الحكم و التلاوة معاً.

الثاني: نسخ الحكم مع بقاء التلاوة.

الثالث. نسخ التلاوة مع بقاء الحكم.

القسم الأول: نسخ الحكم و التلاوة معاً.

---

[95] نهاية السول في شرح منهاج الأصول:٢/٥٧٣. و مسلم الثبوت:٢/٤٧.

[96] تيسير التحرير:٣/٢٠٤.

لا خلاف بين العلماء القائلين بجواز النسخ في القرآن الكريم على جواز النسخ الحكم و التلاوة معاً عقلاً و شرعاً.

يقول الآمدي:" اتفق العلماء على جواز نسخ التلاوة دون الحكم و العكس، و نسخهما معاً، و خلافاً لطائفة شاذة من المعتزلة، و يدل على ذلك العقل و النقل [97].

و يقول الغزالي: "إن الآية إذا تضمنت حكماً يجوز نسخ تلاوتها دون حكمها، و نسخ حكمها دون تلاوتها، و نسخهما جميعاً، و ظن قوم استحالة ذلك"[98].

و يقول الزركشي:" النسخ في القرآن الكريم على ثلاثة أضرب":

الأول: ما نسخ تلاوته و بقي حكمه.

الثاني: ما نسخ حكمه و بقي تلاوته.

الثالث: نسخهما جميعاً. فلا يجوز قراءته و لا العمل به... و حكى القاضي أبو بكر في " الانتصار" : عن قوم إنكار هذا القسم، لأن الأخبار، فيه أخبار آحاد، و لايجوز القطع على إنزال القرآن و نسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها"[99].

قال أبو بكر الرازي:" نسخ الرسم و التلاوة إنما يكون بأن ينسيهم الله

---

(97) الإحكام للآمدي: ٣/٢٠١.

(98) المستصفى: ١/١٢٣.

(99) البرهان: ٢/٣٥-٣٩.

إياه ويرفعه من أوهامهم، ويأمرهم بالإعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف، فيندرس على الأيام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في قوله تعالى:

" إن هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى"(١٠٠)

" ولا يعرف اليوم منها شيء، ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا توفي لا يكون متلواً في القرآن؛ أو يموت وهو متلو موجود في الرسم، ثم ينسيه الله ويرفعه من أذهانهم، وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم"(١٠١).

النوع الثاني: نسخ الحكم مع بقاء التلاوة:

اختلف العلماء في نسخ الحكم مع بقاء التلاوة على مذهبين:(١٠٢)

المذهب الأول: ذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين، إلى جوازه عقلاً و وقوعه سمعاً.

المذهب الثاني: ذهبت طائفة من المعتزلة إلى عدم جوازه عقلاً وأطلق عليهم البزدوي و الآمدي(١٠٣) لفرقة شاذة من المعتزلة، وهؤلاء ينكرون الجواز العقلي و بالتالي الوقوع.

واختار الشيخ الإصلاحي في هذا النوع من النسخ مسلك الجمهور حيث قال: " لو نسخ حكم القرآن فيكون نسخه من القرآن نفسه أي الناسخ والمنسوخ كلاهما موجودان في القرآن ولا ينسخ حكم القرآن غيره"(١٠٤).

أما الدليل العقلي: فهو أن نسخ الحكم مع بقاء التلاوة لا يترتب على فرض وقوعه محال عقلاً، وكل ما كان كذلك كان جائزاً، فنسخ الحكم دون التلاوة جائز.

وأما الأدلة النقلية: التي تدل على صحة نسخ الحكم مع بقاء التلاوة تتوافر في القرآن الكريم والوجود خير دليل على الجواز. من ذلك:

١: نسخ التخيير بين الصوم، والفدية للمقيم القادر، الثابت(١٠٥) بقوله تعالى:

١٠٠- سورة الأعلى الآية: ١٨-١٩.

١٠١- البرهان: ٢/ ٤٠.

١٠٢- الأحكام للآمدي:٣/ ٢٠٣. والمستصفى:١/ ١٢٣. ونهاية السول للأسنوي:٢/ ٥٧٣. وشرح الكوكب المنير:٢/ ٢٦٢. وإرشاد الفحول: ص١٨٩. وأصول السرخسي:٢/ ٨٠. وشرح البدخشي:٢/ ٢٤٣.

١٠٣- الأحكام للآمدي:١/ ٢٧١.

١٠٤- تدبر: ١/ ٢٧١.

١٠٥- تدبر: ١/ ٣٠٧.

" و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين"[106]. بوجوب الصوم على المقيم القادر، الثابت بقوله تعالى:" فمن شهد منكم الشهر فليصمه"[107]. مع وجود هذه الآية.

٢: نسخ حكم الوصية للوالدين و الأقربين [108] الثابت بقوله تعالى:
" كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف حقاً على المتقين"[109] بآية المواريث بقوله تعالى :
"يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"[110].

٣: نسخ كل من الإيذا باللسان للزانين الثابت بقوله تعالى:

"واللذان يأتيانها منكم فآذوهما"[111]. و إمساك الزانيات في البيوت الثابت بقوله تعالى:"

"وَالّتِي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً"[112].
فقد نسخ ذلك كله بحد الزنا[113] بقوله تعالى:

---

(106) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(107) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(108) تدبر: ١/ ٣٩٥-٣٩٦.

(109) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(110) سورة النساء: الآية ١١.

(111) سورة النساء: الآية ١٦.

(112) سورة النساء: الآية ١٥.

(113) تدبر: ١/٢٧٢.

"الزانية و الزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة و لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر"[114].

٤: و كذلك نسخ التربص للمتوفى عنها زوجها حولاً كاملاً [115] الثابت بقوله تعالى:" و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج"[116] بأربعة أشهر و عشراً بقوله تعالى:" و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجاً يتربصون بأنفسهن أربعة أشهر و عشراً"[117].

هذا الترتيب الناسخ و المنسوخ في الآيات المذكورة. و أما عند الشيخ الإصلاحي هذا الحكم - أي الوضية للمتوفى عنها زوجها بحول كامل - كان قبل نزول حكم الميراث. فعند ما نزل حكم الميراث، فأخذت المتوفى عنها زوجها حظّها مثل بقيّة الورثة. فنسخت آية الوصيّة[118] للمتوفى عنها زوجها بآية الميراث[119] مثل ما نسخت آية الوصيّة[120] للوالدين و الأقربين[121] أي نسخ الأمر بالوصيّة لها بما فرض لها من ميراثه.

---

(114) سورة النور: الآية ٢.

(115) تدبر: ٥١٢/١.

(116) سورة التوبة: الآية ٢٤٠.

(117) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.

(118) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.

(119) سورة النساء: الآية ١٠.

(120) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(121) تدبر: ٥١١/١-٥١٢.

و كذا روى ابن الجوزي قول ابن عباس حيث قال:" فكان للمتوفى عنها زوجها نفقتها و سكناها في الدار سنة فنسختها آية الميراث فجعل لهن الربع و الثمن مما ترك الزوج"[122].

٥: و كذلك قوله تعالى:" **إن يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين**"[123]. نسخ بقوله تعالى:" **الآن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفاً**"[124].

٦: و كذلك نسخ وجوب تقديم الصدقة بين يدي مناجاة النبي صلى الله عليه و سلم [125] الثابت بقوله تعالى:" **يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم فقدموا بين يدي نجوكم صدقة...** [126] بقوله تعالى:" **أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة...**[127].

إلى غير ذلك من الوقائع الشرعية التي تدل على جواز نسخ الحكم دون التلاوة.

حكمة نسخ الحكم دون التلاوة:

إن هذا النوع من النسخ فيه رحمة الله الخالق حيث قضى لكل زمان بما يناسبه، فبقاء النص ماثلا بين أعيننا مسلوب الحكم بعد ما كان معمولاً به، لأكبر دليل على أنه سبحانه و تعالى تولى تربية الأمم، و تدرج بهم إلى الكمال الذي أعده لهم- جلّ شأنه-

---

(122) نواسخ القرآن: ص: ٢١٥.

(123) سورة الأنفال: الآية ٦٥.

(124) سورة الأنفال: الآية ٦٦.

(125) تدبر: ٨/٢٦٥-٢٦٧.

(126) سورة المجادلة: الآية ١٢.

(127) سورة المجادلة: الآية ١٣.

بتنفيذ الحكم الذي كان يناسب علة متأصلة في الأمة إلى حكم كان مناسباً للدوام و الاستقرار.

و بذلك يزداد شكرنا و يقوى امتثالنا للحكم، و اقتناعنا برحمته. يقول الزركشي:" هنا سؤال: و هو أن يسأل: ما الحكمة في رفع الحكم و بقاء التلاوة؟

و الجواب من وجهين:

أحدهما: أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه و العمل به، فيتلى لكونه كلام الله تعالى فيثاب عليه.

ثانيهما: أن النسخ غالباً يكون للتخفيف، فأبقيت التلاوة تذكيراً بالنعمة و الرفع المشـ
و أما حكمه النسخ قبل العمل، كما اصدقة نجوى فيثاب على الإيمان به و على نية طاعة الأمر" (128).

نسخ التلاوة مع بقاء الحكم:

اختلف العلماء في هذا النوع من النسخ على مذهبين:

المذهب الأول: وهو مذهب جمهور الفقهاء و المتكلمين و أكثر المعتزلة و الشيعة و الظاهرية[129]. و هؤلاء يقولون بجواز هذا النوع من النسخ عقلاً و بوقوعه شرعاً[130].

---

(128) البرهان في علوم القرآن: ٢/٣٩.

(129) النسخ و أحكامه في الشريعة الإسلامية:ص: ٣٠٩.

(130) الإحكام للأمدي: ٣/٢٠٢. وأصول السرخسي: ٢/٨٠-٨١. وإرشاد الفحول: ص ١٨٩. وشرح البدخشي: ٢/٢٤٤. ونهاية السول: ٢/٢٤٦.

المذهب الثاني: وهو مذهب فرقة شاذة من المعتزلة، و أبي مسلم الأصفهاني و بعض المحدثين[131]. و هؤلاء يقولون بعدم الجواز عقلاً و شرعاً[132].

ويؤيد الشيخ الإصلاحي القائلين بعدم جواز هذا النوع من النسخ.

و استدل القائلون على جوازه بالعقل و النقل.

أما العقل: قالوا إن نسخ التلاوة دون حكمها لا يترتب على فرض وقوعه محال، و كل ما كان كذلك كان جائزاً، فنسخ التلاوة دون الحكم جائز عقلاً.

أما النقل: فاستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة نذكر أهمها:

أن الرجم كان مشروعاً بكتاب الله تعالى ثم نسخت تلاوته و بقي حكمه، لما رواه البخاري و مسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- أنه خطب فقال:" إن الله بعث محمداً بالحق، و أنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم[133]، فقرأناها و وعيناها و عقلناها، رجم رسول الله -صلى الله عليه و سلم- و رجمنا بعده، فأخشى أن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، و الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال و النساء إذا قامت البيّنة أو كان الحبل، أو الاعتراف"[134].

---

(131) النسخ و أحكامه في الشريعة الإسلامية: ص ٩٠٣.

(132) الإحكام للآمدي: ٢٠٢/٣.

(133) قال النووي في شرح مسلم: أراد بآية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة": وهو مما نسخ لفظه وبقي حكمه. صحيح مسلم بشرح النووي: ١٩١/١١.

(134) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٩١/١١. و فتح الباري، ٢٩٤/٢٥-٢٩٥. و أوجز المسالك إلى مؤطا إمام مالك، ٢٢٦/١٣-٢٢٩.

و في رواية مؤطاالإمام مالك عن سعيد بن المسيّب لمّا صدر عمر بن الخطاب من "منى" أناخ بالأبطح...و خطب الناس فقال : قد رجم رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجمنا و الذي نفسي بيده لو لا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها:" الشيخ و الشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فإنا قد قرأنا،... قال مالك:" قوله الشيخ و الشيخة، يعني الثيب و الثيبة فارجموهما البتة"(135).

و وجه الاستدلال : أن هذه الآية كانت من القرآن الكريم كما ثبت ذلك عن عمر بن الخطاب، و لكنها غير موجودة الآن فيما يتلى من القرآن، فتكون منسوخة التلاوة، و لكن الحكم الذي دلت عليه و هو الرجم المحصن و المحصنة إذا زنيا ثابت، و لايزال باقياً معمولاً به.

و أما الشيخ الإصلاحي فهو مع مانعي النسخ بهذا النوع كما قلنا. لأن قاعدة النسخ عنده هي :" إن الناسخ و المنسوخ لا بدّ أن يكون كل واحد منهما موجوداً في القرآن الكريم".

أما جواب الإصلاحي عن الآية -التي استدل بها الفقهاء- فقال:

*أولاً: لو فكرنا في الرواية المذكورة لظهرلنا أنها من اختراع المنافق و المقصود منها الاشتباه بحفاظة القرآن و الوسوسة في قلوب الناس أن هناك بعض الآيات قد أخرجت من القرآن الكريم".

* ثانياً: أمابالنسبة إلى لغة هذه الرواية لغة ركيكة،وسلامة الطبع تأبى أن يقول قالها الرسول فضلاً أن تكون آية من القرآن الكريم".

---

(135) تدبر قرآن: ١/ ٢٧١.

ثالثاً: على سبيل الافتراض أنها كانت الآية من القرآن الكريم، فمن أخرجها؟ مع أن حكمها باقٍ فيه. فما معنى إخراج الآية من القرآن مع بقاء الحكم فيه؟[136].

و بالجملة فأن الشيخ الإصلاحي ينكر وجود هذا النوع من النسخ في القرآن الكريم إنكاراً شديداً و لايعترف به أبداً. أما مسئلة الرجم ففصلنا الكلام فيها في المبحث الفقهي.

و يقول الزركشي:" و بالجملة فهذه الملازمة مشكلة، و لعله (عمر) كان يعتقد أنه خبر واحد، و القرآن لا يثبت به، و إن ثبت الحكم، و من هنا أنكر ابن ظفر في " الينبوع[137]" عد هذا مما نسخ تلاوته"[138].

نسخ القرآن بالقرآن:

قال الشيخ الإصلاحي بجواز هذا النوع من النسخ بقوله:" و لا ينسخ القرآن إلا القرآن و يكون كل واحد من الناسخ و المنسوخ موجود فيه"[139].

---

(136) تدبر: ٤/٥٠٢-٥٠٣.

(137) كتاب الينبوع في التفسير لأبي عبد الله بن ظفر محمد بن محمد الصقلي المتوفى سنة: ٥٦٨ هـ. والبرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٦.

(138) البرهان: ٢/٣٦.

(139) تدبر: ١/ ١٧١.

و قد ذكر الشيخ الزرقاني إجماع المسلمين على ذلك حيث قال:" و قد أجمع القائلون بالنسخ من المسلمين على جوازه و وقوعه. أما جوازه فلأن آيات القرآن متساوية في العلم بها و في وجوب العمل بمقتضاها"[140].

و أما وقوعه فكما بيّناه من نسخ الوصيّة للوالدين و الأقربين"[141] بالمواريث[142]. و نسخ وجوب ثبوت الواحد للعشرة[143] بقوله تعالى:"الآن خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفاً"[144]. و نسخ تقديم الصدقة بين يدي مناجاة الرسول [145] بقوله تعالى:"أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة"[146].

نسخ القرآن الكريم بالسنة:

السنّة قسمان: أحدهما: المتواتر، و الآخر: الآحاد.

و قد اختلف العلماء في نسخ القرآن بالسنّة سواء أكانت متواتر أم أحاداً.
و أما اختلافهم في نسخ القرآن بالسنّة المتواترة فعلى مذهبين:

---

(140) مناهل العرفان: ٢٣٦/٢.

(141) سورة البقرة الآية: ١٨٠. وتدبر: ٣٩٥/١-٣٩٦.

(142) سورة النساء: الآية ١١.

(143) سورة الانفال: الآية ٦٥. و تدبر: ٩٦/٣-٩٧.

(144) سورة الأنفال: الآية ٦٦.

(145) سورة المجادلة: الآية ٢١.

(146) سورة المجادلة: الآية ٣١. وتدبر: ٢٦٥/٨-٢٦٧.

مذهب أبي حنيفة [152]. و عامة المتكلمين و ذهب الشافعي في عامة كتبه كما قال ابن السمعاني إلى أنه لا يجوز نسخ القرآن بالسنّة بحال [153] و إن كانت المتواترة و به جزم الصيرفي و قد استنكر جماعة من العلماء ما ذهب إليه الشافعي من المنع حتى قال الكيا الهراسي هفوات الكبار على أقدارهم و من عند خطأ أعظم قدره. قال و كان عبد الجبار كثيراً ما ينظر إلى مذهب الشافعي في الأصول و الفروع فلما وصل إلى هذا الموضوع قال: هذا رجل كبير و لكن الحق أكبر منه. قال و لم نعلم أحداً منع من جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد عقلاً فضلاً عن المتواتر[154].

و قد طوّل الكلام الشيخ الزرقاني و ذكر أدلة المانعين مع النقد لها و قال أخيراً :" هذا العرض يلخص لنا أن نسخ القرآن بالسنّة لا مانع يمنعه عقلاً و شرعاً غاية الأمر أنه لم يقع لعدم سلامة الأدلة [155].

نسخ السنّة بالقرآن الكريم:

اختلف العلماء في ذلك على مذهبين:

---

(152) أبو حنيفة: هو الإمام الأعظم النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب المعروف باسمه، فقيه، مجتهد، ولد سنة ٧٠ هـ. في الكوفة و نشأ بها وكان قوي الحجّة من أحسن الناس منطقاً. قال الإمام الشافعي: " الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة". توفى سنة ١٥٠ هـ. التهذيب: ٤٤٩/١٠-٤٥٢. وتاريخ بغداد: ٣٢٣/١٣-٤٢٣. ووفيات الأعيان: ١٦٣/٢.

(153) قال الإمام الشافعي: "أبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنّة لا ناسخة للكتاب، وإنما هي تبع للكتاب يمثل ما نزل نصّاً، ومفسِّرة معنى ما أنزل الله منه جملاً ". الرسالة: محمّد بن ادريس الشافعي :ص: ١٠٦. ت:و شرح: أحمد محمّد شاكر. دارالفكر. ١٣٠٩ .

(154) حصول المأمول من علم الأصول: ص ١٢٧. محمّد صديق حسن خان. مطبعة مصطفى محمّد صاحب المكتبة التجاريّة، بشارع محمّد علي بمصر. ١٣٥٧هـ.

(155) مناهل العرفان: ٤٤/٢.

المذهب الأول: "جواز نسخ القرآن بالسنّة المتواترة. و إليه ذهب جمهور الفقهاء و المتكلمين من الأشاعرة و المعتزلة و وافقهم المحققون من أصحاب الشافعي و الإمامية[147]".

المذهب الثاني: منع نسخ الكتاب بالسنّة المتواترة، و إليه ذهب الشافعي،[148] و أكثر أصحابه، و أكثر أهل الظاهر، و هو مذهب أهل الحديث، و إليه ذهب أيضاً الإمام أحمد بن حنبل [149] في إحدى الروايتين عنه[150].

و أما الشيخ الإصلاحي فقد اختار مذهب الشافعي في هذا النوع من النسخ -أي نسخ القرآن بالسنّة- حيث قال:" قال بعض الفقهاء إن الحديث أيضاً ناسخ للقرآن و لكن هذا المسلك لا يصح عندنا و لا داعي للرد عليه لوضوح ضعفه [151].

و قال نواب صديق حسن خان :" يجوز نسخ القرآن بالسنّة المتواترة عند الجمهور. و هو

---

(147) النسخ وأحكامه في الشريعة الإسلامية: ص ٣٢٧.

(148) الشافعي: هو الإمام الكبير المجتهد النحرير صاحب المذهب المعروف باسمه محمّد بن ادريس القرشي المكي أبو عبد الله نزيل مصر، ولد في سنة ١٥٠ ه. يوم وفاة أبي حنيفة الكوفي. وهو أول من تكلم في النسخ ضمن مؤلفاته. و توفي سنة ٢٠٤ ه. التهذيب: ٩/٢٥-٣١. طبقات الشافعية ١/١٧٥.

(149) الإمام أحمد: هو الإمام أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني، إمام المذهب الحنبلي. أصله من مرو. وكان والده والي سرخس، ولد ببغداد سنة ١٦٣ هـ. وصنّف المسند الذي يحتوي على ثلاثين ألف حديث، وله مؤلفات قيمة منها الناسخ و المنسوخ. و توفي سنة ٢٤١ ه. التهذيب ١/٧٢-٧٦. ووفيات الأعيان ١/٨٧. والبداية النهاية : ١/٣٢.

(150) الإحكام للآمدي: ٣/٢١٢. وإشاد الفحول: ص ١٩٠. وأصول السرخسي: ٢/٦٧. ونهاية السول للأسنوي ٢/٢٤٨. وشرح البدخشي: ٢/٢٥١. والمستصفى: ١/١٢٤. ومناهل العرفان: ٢/٣٧.

(151) تدبر: ١/١٧٢.

المذهب الأول: لجمهور الأشاعرة و الفقهاء منهم محققو الشافعية و بعض المعتزلة. هؤلاء يقولون بالجواز العقلي و الوقوع الشرعي (156).

المذهب الثاني: للشافعي- رحمه الله- في أحد قوليه.

دليل الجمهور: استدل الجمهور على جواز نسخ السنّة بالقرآن بالعقل و الوقوع الشرعي.

أما الدليل العقلي: فهو أن الكتاب و السنّة وحي من الله تعالى على ما قاله تعالى:" و ما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى" (157).غير أن الكتاب متلو، و السنّة غير متلوة، ونسخ أحد الوجهين بالآخر غير ممتنع عقلاً. و لهذا فإنا لو فرضنا خطاب الشارع يجعل القرآن ناسخاً للسنّة لما لزم عنه لذاته محال عقلاً"(158).

أما وقوع الشرعي فيدل عليه: "أن التوجه إلى بيت الله الحرام لم يعرف إلا من السنّة (159)". و قد نسخ بقوله تعالى: "فول وجهك شطر المسجد الحرام"(160).

يقول الشيخ الإصلاحي في تحويل القبلة:" كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعمل بشريعة سابقة[عدم نزول الحكم في أمر من الأمور الدينية فكذلك فعل الرسول في أمر القبلة

---

(156) الإحكام للآمدي: ٢١٢/٣. ومناهل العرفان: ١٨٠/٢.

(157) سورة النجم: الآيتان ٣-٤.

(158) الإحكام للآمدي: ٢١٢/٣.

(159) الإحكام للآمدي: ٢١٣/٣.

(160) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

إلا أنه بعد نزول الآية السابقة التي أمر فيها الرسول بتحويل القبلة ترك الرسول العمل بالصلاة إلى بيت المقدس [161]".

فعلم من هذا النص أن الشيخ الإصلاحي مع جمهور الأشاعرة في نسخ السنّة بالقرآن الكريم".

هذا هوَ منهج الشيخ الإصلاحي في إيضاح موضوع النسخ و رأيه الذي اختاره من بين العلماء مؤيّداً بالأمثلة في تفسيره.

---

[161] تدبر: ٣٢٢/١.

الباب الرابع

فكرة النظم والترتيب في القرآن الكريم عند الشيخ الإصلاحي.

فيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: تعريف عام موضوع النظم في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: موضوع المجموعات، و"الزمر" في سور القرآن الكريم.

الفصل الثالث: موضوع "العمود" عند الإصلاحي.

الفصل الأول:

تعريف عام بفكرة النظم في القرآن الكريم.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: اعتناء العلماء بنظم القرآن الكريم.

المبحث الثاني: موضوع النظم في القرآن الكريم عند الشيخ الإصلاحي.

المبحث الأول

اعتناء العلماء بنظم القرآن الكريم.

إن الله سبحانه وتعالى أودع في القرآن الكريم أسرار حكمته وآيات قدرته وجعله معجزة خالدة إلى الأبد وهو بمثابة مائدة فيها ما يروي الغليل ويشفي العليل و يهدي السقيم. ولقد شغف به المسلمون عبر العصور ووجد كل منهم لاختلاف أذواقهم وتنوع ثقافتهم، فيه ما كفى لهم،وجاء القرآن الكريم هداية للناس ولم يكن تاليفاً موضوعه قصص التاريخ أو بيان أحوال الملل السالفة ولا تقديم نماذج عليا من الأسلوب اللغوي إلا أن عجائبه لاتنفد، ولقد هزأ أسلوبه أذواق الأدباء وشغف بديع بيانه الأسماع فألمَّ به العلماء المسلمون بالبحث والدراسة في أبعاده وأعوازه بحثاً عن الإعجاز الذي أودعه فبعضهم اهتم بمحاسنه النحوية والصرفية وآخرون أقبلوا عليه في صنائعه وبدائعه الفني وليس هذا إلا دليلاً على شغف المسلمين بهذه المعجزة الخالدة، ومن سمات إعجازه الربط والمناسبة بين السور والآيات وهو موضوع جليل القدر توجه إليه القدامى والمحدثون ولهم فيه محاولات جادة،وفيما يلي شيء من تفصيلها.

لاشك في أن القرآن يفسر بعضه بعضاً[1] وأن أفضل طرق لمعرفة القرآن هو القرآن نفسه، وذلك أن القرآن ميزان[2].

ولقد استفاد المفسرون إلى حد ما يفسر القرآن بالقرآن، ولكن استفادتهم كانت تتم عادة دون التوجه إلى ارتباط الآيات وموضوع السور، فكانوا يفسرون كل سورة أو أي جزء منها بصورة منفصلة عن مجموع السور. ولهذا السبب كان الناس يستفيدون من بحر القرآن، استفادة محدودة، أو أنهم كانوا ينحرفون عن مقاصد وأهداف القرآن فيفسرون القرآن حسب رأيهم.

---

[1] الدر المنثور: ٦/٢.

[2] سورة الشورى: الآية ١٧.

وللأسف فإن بعض المفسرين [٣] معظمهم المستشرقون زعموا أن القرآن عبارة عن آيات متفرقة جمعت بعضها مع بعض عن طريق الصدفة، ولكن من لديه إلمام بتاريخ نزول القرآن وجمعه يعرف أنه رغم نزول أجزائه على الرسول صلى الله عليه وسلم خلال فترة أكثر من عشرين سنة، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعيِّن مكان كل منها"[٤].

كما أن الصحابة حفظوا ودرسوا القرآن وفق نفس الترتيب الذي عيَّنه الرسول صلى الله عليه وسلم[٥]. فالمناسبة بين الآيات والسور (أو ما يسمى بنظم القرآن) وهو على الرأي الصحيح من وجوه إعجاز القرآن وإحكام آياته مما يصل إلى درجة البلاغة العظمى"[٦].

ويقول السيوطي: "إن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام"[٧].

وقبل أن أتعرض لاعتناء العلماء بنظم القرآن وموقف الإصلاحي منه

أودُّ أن أبيِّن معنى الربط والنظم. وبعد ذلك أذكر نبذة عن اعتناء العلماء بنظم القرآن حتى يتضح للقارئ أن الشيخ الإصلاحي وشيخه الفراهي لم يكونا بدعا في هذا الفن.

---

[٣] معظم المفسرين عند تعرضهم لآية من الآيات يركزون كثيرا على الكلمات والروايات إلى درجة أن الارتباط القائم بين الآيات كان يبدو معدوماً أو ضعيفا.

[٤] مثلا في سنن أبي داود عن ابن عباس: "عندما كان ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو كُتّاب الوحي ويقول لهم: "ضعوا هذه الآيات إلى جانب الآية الفلانية من سورة الفلانية". (ص: ٣١. الملخص)

[٥] الاتقان: ٩٩/١. والبرهان: ٣٣٨/١.

[٦] المصدر نفسه: ١٨/٤.

[٧] المصدر نفسه: ١٢/٤.

معنى النظم

النظم في اللغة: هو جمع اللؤلؤ في السلك.

ويقول صاحب اللسان:

النظم: التأليف، نظمه ينظمه ونظاماً ونظمه فانتظم وتنظم وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض، فقد نظمته"[٨].

نظم القرآن عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغةً ولغةً[٩].

معنى النظم اصطلاحاً:

تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل[١٠].

وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العدد[١١].

معنى الربط:

الربط: ربط الشيء يرتبطه ويربطه ربطاً. أوثقه وشدّه[١٢].

وقيل: الربط (في الفلسفة) احداث علاقة بين المدركين لاقترانها في الذهن بسبب ما.

الربط: العلاقة والوصلة بين الشيئين[١٣].

---

[٨] لسان العرب: مادة: نظم. (٥٧٨/٢)

[٩] المعجم الوسيط: مادة: نظم. (٩٣٣/٢).

[١٠] التعريفات للجرجاني: ص ٢١٦. والتعريفات لسيّد شريف: ص ١٦٣.

[١١] محيط المحيط: بطرس البستاني: مادة: نظم. ص ٩٠٢. مكتبة لبنان.بيروت. سنة الطبع: ١٩٨٨م.

[١٢] المصدر نفسه: مادة: ربط. (ص: ٤٢٠)

[١٣] المعجم الوسيط: مادة: ربط. (ص:٣٢٣).

معنى المناسبة لغة واصطلاحاً:

المناسبة في اللغة: المشاركة والمقابلة. يقال فلان يناسب فلاناً أي يقرب منه ويشاركه ومنه المناسبة في العلة في باب القياس[١٤].

المناسبة في الاصطلاح: هو وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة أو بين السورة والسورة"[١٥].

وأما علم المناسبة بين السور، فمعلوم أن ترتيب السور له مظهران:

أولهما: الترتيب التنزيلي. **وثانيهما:** الترتيب المصحفي.

فمن معرفة التناسب فيهما علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته كما يقول السيوطي[١٦] كما أنه من المعلوم أيضاً أن الترتيب على هذين الوجهين إنما يقوم على التوقيف فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سور كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة"[١٧].

فائدة علم الربط والمناسبة:

وفائدة علم الربط جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيتقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال بناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[١٨]. ولمعرفة المناسبة فائدتها في إدراك اتساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغي وإحكام بيانه، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه.

---

(١٤) الصحاح للجوهري: ١/٢٢٤. وتاج العروس/ ١/٢٦٥. والاتقان: ٢/١٠٨.

(١٥) مباحث في علوم القرآن: ص ٩٧.

(١٦) الاتقان: ٢/١٣٨.

(١٧) المصدر نفسه: ٢/١٣٨.

(١٨) البرهان: ١/٣٦.

وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يربط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعاً، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم"[١٩].

ويقول الشيخ مناع القطان: "إن معرفة المناسبات والربط بين الآيات ليست أمراً توقيفياً، ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية وأوجه بيانه الفريدة، فإذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع أصول اللغة في علوم العربية، كانت مقبولة لطيفة"[٢٠].

ويقول الشيخ عنايت الله سبحاني[٢١] في فوائد النظم والربط في القرآن:

١: النظم يرشد إلى فحوى الكلام وملابسته، والذي يغفل عن نظم الآيات يتعذر عليه العثور على ما ترمى إليه تلك الآيات.

٢: النظم هو دليل إلى صحيح التأويل إذا اشتبهت الوجوه وكثرت الاحتمالات.

٣: النظم مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه، كما أنه سر من أسرار إعجازه. فإنه هو الذي جعل القرآن بحراً لا يسبر غوره ولا ينفذ كنزه.

٤: النظم يجلي الأمور في أكمل صورها. ويكشف عن قدرها وأهميتها. وإذا لم ننتبه لنظم الآيات، فكثير من الأمور لا ندركها، ونظل غافلين عن قدرها وأهميتها.

٥: النظم يفتح العيون على وجوه البلاغة في القرآن، ولكن الذي لا يهتم به يتعذر عليه أن يتذوق بلاغة القرآن، أو يدرك ميزته التي أعجزت فرسان الكلام.

٦: رعاية النظم تفتح على الدارس ما تقربه عينه ويستنير به قلبه، وتورثه برد اليقين الذي لا يتزلزل ولا يتزعزع.

---

[١٩] المصدر نفسه: ٣٦/١.

[٢٠] مباحث في علوم القرآن: ص ٩٧-٩٨.

[٢١] هو خريج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. وأستاذ التفسير في "مدرسة الإصلاح" في سرائ مير، أعظم جره، بالهند.

٧: رعاية النظم تمكن من فهم أسباب النزول، والذي يغفل عنه يتحير في فهمه، ويضعه في غير موضعه، ثم يتحير في تأويل الآيات وتفسيرها[٢٢].

تاريخ النظم .

مما لاشك فيه أن القرآن الكريم كلام الله والدليل على كونه منزل من الله تعالى أنه كلام معجز لا يستطيع أحد من البشر الإتيان بمثله. وقد اتفق علماء المسلمين على إعجازه ولكن اختلفوا في المعنى المراد بالإعجاز. وهل تعنى كلمة ما فيه من النظم والربط بين الآيات والسور؟ ومن ثم ظهرت فكرة النظم القرآني أول الأمر وبدأت الأبحاث حولها وحتى اليوم هي موضوع النقاش والبحث لدى العلماء.

إن العلماء الذين ذهبوا إلى إثبات النظم في القرآن الكريم قد أُجمعوا على تعظيم شأنه وتضخيم قدره وأنه القطب الذي عليه المدار والعمود الذي به الاستقلال وما كان بهذا المحل من الشرف ينبغي لنا أن نذكر نبذة عن فكرة النظم والمؤلفات في هذا الموضوع.

أبو عبيدة معمر ابن المثنى[٢٣] (المتوفى سنة ٢٠٩هـ).

والذين تعرضوا لهذا الموضوع من المتقدمين منهم أبو عبيدة مؤلف "مجاز القرآن" حيث قال حنفي محمد شريف عنه أنه أول كتاب الذي فتح باب الأدب والبيان في فن التفسير بينما ذكر ابن النديم أن الشيخ قطرب (الاصمعي)[٢٤] متقدم على أبي عبيدة حيث كتب في هذا الموضوع ولكنه لا يبعد أن يكون توفيقاً بين بعض الآيات القرآنية التي تبدو متعارضة ومتناقضة"[٢٥].

---

[٢٢] إمعان النظر في نظام الآي والسور: ص ١١٩-١٢٠. و البرهان في نظام القرآن: كلاهما للشيخ عنايت الله سبحاني: ص ٢٣-٢٤.

[٢٣] هو من قريش ولد في سنة أربع عشرة ومائة. وذكر ابن النديم أربعة أقوال في سنة وفاته منها: ٢١٠ أو ٢١١ أو ٢٠٨ أو ٢٠٩هـ. وله عدة كتب: كتاب مجاز القرآن، غريب القرآن، معاني القرآن وغيرها. الفهرست :ص ٧٩-٨٠.

[٢٤] هو: أبو علي محمد بن المستنير ويقال: أحمد بن محمد. أخذ عن سيبويه وعن جماعة علماء البصريين. ثقة. توفى سنة ست ومائتين. وله من الكتب المصنفة: كتاب معاني القرآن، كتاب القوافي، كتاب النوادر، كتاب الفرق، كتاب الأصوات، كتاب غريب الآثار، كتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن، كتاب إعراب القرآن الفهرست: ص ٧٨ -٧٩ .

[٢٥] الفهرست لابن النديم: ص ٥٦.

أبو بكر الفراء الديلمي:[٢٦] (المتوفى سنة ٣٠٧هـ).

وفي العصر نفسه ألف أبو بكر الفراء الديلمي كتابه: "معاني القرآن". وبيَّن فيه وجوه نظم القرآن[٢٧]. وكذلك يرجع الفضل إليه أنه هو الذي كتب تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم"[٢٨].

وعلى هذا أرى أن ما قاله فضيلة الشيخ مناع القطان : "أن الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) أول من تكلم عن بعض المباحث المتعلقة بالإعجاز ملائم للحقيقة، حيث قال: "إن الجاحظ أول من تكلم عن بعض مباحث المتعلقة بالإعجاز في كتابه: "نظم القرآن".

"ولم يصلنا هذا الكتاب، ولكن للجاحظ نفسه إشارات إلى هذا...في كتابه: "الحيوان"[٢٩] إذ يقول: "ولي كتاب جمعت فيه آيا من القرآن، لتعرف بها ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة"[٣٠].

وقد ذكر محمد بن إسحاق النديم في الفهرست عدة . كتب حول موضوع "نظم القرآن" منها: "نظم القرآن" لابن الإخشيد، وكتاب "نظم القرآن" لابن علي الحسن بن علي بن نصر[٣١] .

محمد بن يزيد الواسطي: (المتوفى سنة ٣٠٧هـ).

وفي بداية القرن الرابع كتب محمد بن يزيد الواسطي[٣٢] حول موضوع الإعجاز كتاباً مستقلاً وسماه: "إعجاز القرآن" الذي يقول عنه مناع القطان: "ولا يبعد أن يكون

---

[٢٦] هو: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. ولد بالكوفة في طريق مكة سنة سبع ومائتين. وله من الكتب: كتاب معاني القرآن. الفهرست: ص ٩٩-١٠٠.

[٢٧] المصدر نفسه: ص ٥٦.

[٢٨] ضحى الإسلام: أحمد أمين. ٢/١٤٠-١٤١. ط: ٥. مكتبة النهضة المصرية، بالقاهرة: ١٩٥٦م.

[٢٩] مباحث في علوم القرآن: ص ٣١٢.

[٣٠] كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: ٨٦/٣. عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي. ط: ٣. ١٣٨٨هـ=١٩٦٦م.

[٣١] الفهرست: ص ٥٧.

[٣٢] المصدر نفسه: ص ٥٧.

محمد بن يزيد الواسطي قد استفاد من كتاب الجاحظ وبنى عليه حين صنّف كتابه: "إعجاز القرآن" الذي لم يصل إلينا"[٣٣].

وبعد هذا اتسعت هذه الفكرة أن القرآن كما هو معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه كذلك هو معجز بترتيبه ونظم آياته.

أبو بكر النيسابوري: (المتوفى سنة ٣٢٦هـ).

نرى في الربع الثاني من القرن الرابع الهجري الشيخ أبا بكر النيسابوري الذي تكلم حول علم المناسبة.ويقول عنه الزركشي عن أبي الحسن الشهراباني: أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو أبو بكر النيسابوري"[٣٤].

أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: (المتوفى سنة ٣٧٤ أو ٣٨٤هـ).

ثم جاء بعد النيسابوري الشيخ أبو الحسن علي الرماني وألف كتاباً وسماه: "النكت في إعجاز القرآن". الذي قال عنه الشيخ مناع القطان: "ولم يصدر فيه عن رأي مبتكر، والاستئناف أدق لأسلوب القرآن"[٣٥].

أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي:[٣٦].

هو أول من توسع في معنى النظم وفسّره بإعجاز القرآن وذهب إلى أن إعجاز القرآن من جهة البلاغة وألف في هذا الموضوع كتاباً وسماه: "البيان في إعجاز القرآن". وقال فيه: اعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأصح الألفاظ في أحسن نظوم

---

[٣٣] مباحث في علوم القرآن: ص ٣١٣.

[٣٤] البرهان: ٣٨/١. هو أبو عبد الله بن فرزيار الفقيه الشافعي. (م ٣٢٤ هـ) بشذرات الذهب ٣٠٢/٢.

[٣٥] مباحث في علوم القرآن: ص ٣١٤.

[٣٦] هو: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. كان فقيها، أديبا، محدثا له التصانيف. ت: ٣٨٨هـ. والخطابي هذه النسبة إلى جده الخطاب المذكور. وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب رضي الله عنه فنسب إليه. وفيات الأعيان: ٢١٤/٢-٢١٥.

التأليف متضمناً أصح المعاني من توحيد له جل شأنه وتنزيه له في صفاته"[٣٧].

الخطابي

وإن البلاغة لا تكون عند/ إلا باجتماع الأمور الثلاثة وهي:

لفظ حامل، معنى به قائم، ورباط لها ناظم[٣٨].

وقد اعتبر الخطابيُ النظم أهم الأمور الثلاثة حيث قال: "إن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبديل المعنى الذي يكون منه فساداً للكلام وإما ذهاباً للرونق الذي معه سقوط البلاغة"[٣٩].

ولكن ماالمراد بالنظم عندالخطابي؟ لقدأورد عدة أمثلة من القرآن الكريم لتوضيح هذه الكلمة ويستنتج من ذلك الباحث أنه لا يريد بالنظم إلا ما يسمى بترتيب الكلمات من الأسماء والأفعال والحروف وإن أقل تغيير في الترتيب قد يؤدي إلى إفساد المعنى المراد وذلك لأن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني ولكن لكل لفظة منها خاصة يتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها. وإن كانتا قد تشتركان في بعضها. وقد ذكر الفرق بين كلمتين "علم" و "عرف" مع أنهما متقاربتان بالمعنى[٤٠].

يتضح من هذا كله أن الخطابي يهتم بالنظم ويعتبره جزأ مستقلاً عن بقية أجزاء البلاغة.

أبو الفرح أحمد بن مقري الهمداني: (المتوفى سنة ٤٠٠هـ).

ثم في نهاية القرن الرابع جاء الشيخ أبو الفرح أحمدالهمداني، وألف كتاباً حول نظم القرآن الكريم وسماه: "علم المناسبة"[٤١].

---

[٣٧] البيان في إعجاز القرآن للخطابي: ص ٧.

[٣٨] المصدر نفسه: ص ٧.

[٣٩] المصدر نفسه: ص ٩.

[٤٠] المصدر نفسه: ص ١٠.

[٤١] تاريخ التفسير: عبد الصمد صارم. ص ١٣٣.

أبو بكر الباقلاني البغدادي[٤٢]:

وفي القرن الخامس جاء الشيخ أبو بكر الباقلاني وألف كتاباً سماه: "إعجاز القرآن" الذي جمع فيه كثيراً من المباحث البلاغية القرآنية بكنه لا يصور إلا فكرة سائدة عن الإعجاز عن عصره، ممزوجة بالمسائل الكلامية الكثيرة التي تفقد الكتاب سماته في استقصاء الجمال الفني في القرآن الكريم[٤٣].

الجرجاني[٤٤]:

ثم في نهاية القرن الخامس كتب الإمام عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز". وأثبت فيه أن المرجع الأصل لبلاغة الكلام من خصائص نظم القرآن.

ويقول الجرجاني وهو في بيان صدد معنى النظم: "اعلم أن النظم ليس إلا أن تضع كلامك الموضوع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله"[٤٥].

وقال: "فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده، أو وصف مزية وفضل فيه، إلا وأنت تجد تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل بباب من أبوابه"[٤٦].

يظهر من هذا أن الجرجاني لا يريد من النحو ضبط أواخر الكلمات،

وإنما أراد به التركيب النحوي الذي يكون فيه أهم شيء ترتيب الكلمات في الجملة من حيث التعريف والتنكير والتقديم والتأخير وغير ذلك من الأمر والنهي سماها: "معاني النحو". وقد اهتم الجرجاني بمعاني النحو وجعلها من أهم أسباب النظم.

---

(٤٢) هو: محمد بن الطيب محمد بن جعفري بن القاسم البصري ثم البغدادي المعروف بأبي بكر الباقلاني. ولد بالبصرة وسكن ببغداد المتوفى سنة ٤٠٤هـ-١٠١٣م. معجم المؤلفين: ١٠٩/١-١١٠.

(٤٣) مباحث في علوم القرآن: ص ٣١٤.

(٤٤) هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. المتوفى سنة ٤٧١هـ. واضع أصول البلاغة. أشهر كتبه: دلائل الإعجاز. وأسرار البلاغة. انباه الرواة: ١٨٢/٢.

(٤٥) دلائل الإعجاز للجرجاني: ص ٤٦.

(٤٦) المصدر نفسه: ص ٤٧.

جارالله الزمخشري[٤٧]:

وفي القرن السادس الهجري جاء الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري. واعتنى بالنظم اعتناء بالغاً في تفسيره. وقال: "إن مناسبات الآيات آية من البلاغة القرآنية." واكتشف الجوانب الخفية في تفسير الكشاف"[٤٨]. وقال في مقدمة تفسيره: "الحمد لله الذي أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً ونزله حسب المصالح منجماً"[٤٩].

ويظهر من هذا أن نظم القرآن أهم شيء عند الزمخشري حيث افتتح الكلام بذكره وأن إعجاز القرآن عنده عبارة عن نظمه كما أن تصور النظم لا يختلف عن سابقيه في هذا المجال.

الإمام الرازي[٥٠]:(المتوفى سنة ٦٠٦هـ).

والرازي اعتقد" أن أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٥١].

ونرى في مجال مناسبات القرآن ونظمه أن تفسيره- مفاتيح الغيب -وصل إلى قمة الشهرة حيث لم يشترك فيها غيره من التفاسير.

ولقد نقد الرازي بعض تفاسير الآيات على أساس أنها تخالف نظم القرآن"[٥٢].

وقد يذكر الرازي أكثر من مناسبة بين الآيات. وقد يحس القارئ أن الرازي يتصنع في بيان النظم بين الآيات. ويستخدم الرازي عباراتٍ مختلفة مرادفة للنظم أحياناً يقول "وجه المناسبة هو" وأحياناً يقول "وجه النظم" وغير ذلك من التعبيرات.

---

[٤٧] هو: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٧هـ. طبقات المفسرين/ ص١٠٤ ١٠٥. وقد مر ذكره في مصادر الإصلاحي في الفصل الثاني من الباب الثاني.

[٤٨] البلاغة وتطوره: شوقي. ص ٢٢٠.

[٤٩] الكشاف: ٢/١.

[٥٠] قد مر ذكره في الفصل الثاني من الباب الثاني في مصادر الإصلاحي.

[٥١] البرهان: ٣٧/١-٣٨.

[٥٢] التفسير الكبير: ١٨٩/٩.

لا نجد الاهتمام عند الشربيني في بداية الأمر ولكنه اتجه إلى ذلك فيما بعد وصار النظم عنده أصلاً محكماً في منتصف القرآن.

وتكلم الشيخ ولي الله الدهلوي أيضاً تكلم عن مناسبات القرآن ونظمه في كتابه "الفوز الكبير". حيث قال بعد أن ذكر العلوم الخمسة الأساسية التي اشتمل عليها القرآن الكريم[٥٦]. وقد جاءت هذه العلوم في القرآن الكريم على طريقة العرب الأولين، لا على منهج العلماء المتأخرين فلم يلتزم في آيات الأحكام منه طريق الإيجاز والاختصار كمؤلفي المتون الفقهية ولا على طريق تنقيح الحدود والقيود كما يفعله الأصوليون...ولم يراع في الانتقال من مقصد إلى آخر ومن موضوع إلى موضوع آخر تلك المناسبة التي يراعيها الأدباء المتأخرون، بل ألقى على عباده ما رأه مهماً، سواء كان مقدماً أو مؤخراً"[٥٧].

ويقول بعد هذا: "لو أثار أحد السؤال: لما ذا لم يراع الترتيب في بيان مباحث القرآن العظيم ولماذا نثرت نثراً؟ فنقول: "إن قدرة الله تعالى وإن كانت محيطة بجميع الممكنات ولكن القول الفصل في هذا الباب إنما هو للحكمة-إذ إنه كتاب حكيم من لدن حكيم خبير والحكمة هي موافقة المبعوث إليهم في اللسان وأسلوب البيان"[٥٨].

القائلون بالنظم من العلماء المتأخرين:

لا يزال موضوع نظم القرآن الكريم محلاً للبحث والنقاش لدى العلماء.

والذين تعرضوا لبيانه من المتأخرين منهم:

الشيخ عبد العزيز الدهلوي (ت:١٢٣٩هـ) والآلوسي (١٢١٧-١٢٧٠هـ) ومحمد عبده (ت: ١٣٢٣هـ).

---

[٥٦] هذا مصطلح عنده ويقول: إن المعاني التي يشتمل عليها القرآن لا تخرج عن خمسة علوم وهي: ١: علم الأحكام كالواجب والمندوب وغيرها. ٢: علم الجدل وهي المحاجة مع الفرق الباطلة اليهود والنصارى. ٣ علم التذكير بآلاء الله كبيان خلق السموت والأرض...".٤: علم التذكير بأيام الله وهو بيان الوقائع مثل الإنعام على المطيعين ونكالا للمجرمين. ٥: علم التذكير بالموت وما بعدها كالحشر والنشر والحساب.(الفوز الكبير:ص ١٩).

[٥٧] الفوز الكبير: ص ٢٠.

[٥٨] المصدر نفسه: ص ٩٩.

أبو جعفر(ت:٧٠٨هـ)، والمهائمي(ت:٧٧٦هـ) والبقاعي[٥٣](ت:٨٨٥هـ).

وكذلك أفرد بالتأليف موضوع مناسبة القرآن ونظمه الشيخ أبو جعفر ابن الزبير شيخ أبي حيان في كتاب سماه: "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن".

وفي العصر نفسه نجد في شبه القارة الهندية العلامة علاؤ الدين المهائمي الذي ألف تفسير القرآن مراعيا ذكر مناسبة القرآن ونظمه وسماه: "تبصير الرحمٰن وتيسير المنان".

وأهم كتاب صُنف في هذا الموضوع هو: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" للإمام برهان الدين بن عمر البقاعي.

وهو كتاب لم يسبقه إليه أحد، جمع فيه من أسرار القرآن ماتتحير العقول. وذكر في آخره أنه فرغ منه في سابع شعبان ٨٧٥هـ. وكان ابتدأه في شعبان ٨٦١هـ، فتلك أربع عشرة سنة"[٥٤].

السيوطي(ت:٩١١هـ) والشربيني(ت:٩٧٧هـ) والدهلوي(ت:١١٧٦هـ).

وفي القرن العاشر الهجري توجه إلى هذا العلم الشيخ عبد الرحمن السيوطي وألف كتابين حول مناسبة آيات القرآن ونظمه. ويقول في كتابه "الاتقان": وكتابي الذي صنفته في "أسرار التنزيل" كافل بذلك، جامع لمناسبات السور والآيات مع ماتضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة. وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة في جزء لطيف سميته: "تناسق الدرر في تناسب السور"[٥٥]. وكذلك ذكر السيوطي نكات مفيدة حول نظم القرآن ومناسبته في الاتقان.

وفي العصر نفسه نجد عالمين مشهورين أحدهما الشيخ شمس الدين محمد بن الشربيني مؤلف تفسير "السراج المنير". والثاني الشيخ أبو السعود الحنفي (ت: ٩٨٢هـ) قام كل واحد منهما برعاية نظم القرآن وارتباط الآيات في تفسيريهما.

---

[٥٣] هو: الإمام برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي.(ت:٨٨٥هـ). كشف الظنون: ١٩٦١/٢.

[٥٤] كشف الظنون: ١٩٦١/٢.

[٥٥] الاتقان: ١٣٨/٢.

ألف الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي تفسير القرآن بالفارسية مراعياً لربط الآيات والسور وسماه: "تفسير عزيزي"(٥٩).

وكذلك في القرن الثالث عشر صنف الشيخ محمود آفندي الآلوسي البغدادي تفسيراً للقرآن الكريم وسماه. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". وذكر فيه وجه المناسبات بين السور كما بيّنها بين الآيات. وذكر أنه استفاد من علماء عصره، واقتطف من أزهارهم، واقتبس من أنوارهم، وأفنى في كتابة فوائدهم حبره. وهو يفوق على غيره من العلماء القائلين بالنظم حيث يذكر مقارنة مفصلة بين مضامين السورتين كأنه يتبع في هذا للرازي.

الشيخ محمد عبده كثيراً ما يعني في تفسيره بحقائق غريبة من تناسب الآيات وتعلق نظم القرآن بعضه ببعض.

محمد مصطفى المراغي(ت:١٣٣٥هـ) و محمد رشيد رضا(ت:١٣٥٤هـ) ومصطفى الرافعي:

يذكر الشيخ محمد مصطفى المراغي أيضاً الربط والنظم في تفسيره المسمى: "بتفسير المراغي".

والشيخ محمد رشيد رضا صاحب "المنار". له لمحات موفقة في فهم القرآن ومثل ذلك لأستاذه الشيخ محمد عبده. ويذكر في تفسيره المنار.

وكذلك مصطفى صادق الرافعي كلمات رائعة في هذا المجال في الجزء الثاني من كتابه: "تاريخ آداب العرب". وقد خصه بالقرآن والبلاغة النبوية.

الشيخ سيد قطب، والشيخ أشرف علي التهانوي (ت:١٣٦٢هـ) (٦٠) والشيخ مفتي محمد شفيع{ت:١٩٧٦م} (٦١) والشيخ محمد ادريس الكاندهلوي{١٩٧٤م}(٦٢):

---

(٥٩) قد مر ذكره في مقدمة البحث.

(٦٠) قد مر ذكر تفسيره في مقدمة البحث.

(٦١) له تفسير باسم "معارف القرآن". وقد ذكرناه في مقدمة البحث.

(٦٢) اسم تفسيره أيضا "معارف القرآن" وقد مر ذكره في مقدمة البحث.

ولسيد قطب بعد هذا في كتابه: "التصوير الفني في القرآن" تخريجات ذكية، واستنباطات سديدة، وأفكار ناضجة.

وكذلك اهتم الشيخ أشرف علي التهانوي اهتماماً بالغاً بروابط الآيات ونظمها في تفسيره المسمى "ببيان القرآن". وألف كتابين حول موضوع نظم القرآن الكريم. أحدهما باللغة الأردية وسماه: "سبيل النجاح". وثانيهما باللغة العربية وسماه: "سبق الغايات في نسق الآيات".

وكذلك الشيخ المفتي محمد شفيع والشيخ محمد ادريس في تفسيريهما-معارف القرآن اهتما بذكر المناسبات والربط- وأضاف كل منهما توجيهات نفيسة ونكات مفيدة.

الشيخ عبيد الله السندي(ت:١٣٦٥هـ)، والشيخ حسين علي والشيخ محمد طاهر:

الشيخ عبيد الله السندي أحد العلماء البارزين في شبه القارة الهندية. تَوَفَّكَرَ في نظم القرآن الكريم أكثر من أربعين سنة. وعيَّن لكل سورة عموداً خاصاً. وبهذا حاول أن يبين الربط في سور القرآن الكريم. وقام تلميذه الرشيد الشيخ موسى جار الله بجمع وترتيب فوائده التفسيرية للقرآن الكريم. ونشرت في جزء يشتمل على الفاتحة والبقرة. وسماه: "إلهام الرحمن في تفسير القرآن".

وكذلك ألف الشيخ موسى جار الله كتاباً في نظم القرآن وسماه: "ترتيب السور الكريمة في النزول والمصاحف".

ثم جاء الشيخ حسين علي أحد أبناء شبه القارة الهندية وألف كتاباً في ربط الآيات والسور وسماه: "بلغة الحيران في ربط آيات الفرقان".

وكذلك جدير بالذكر الشيخ محمد طاهر. فقد ألف كتاباً حول موضوع نظم القرآن الكريم وسماه: "سمط الدرر في ربط الآيات والسور"[٦٣]. وخلاصته المختصر لمن أراد أن يتذكر أو يتدبر".

الشيخ عبد الحميد الفراهي[٦٤]:

---

[٦٣] وكذلك ألف كتابا باسم: نيل السائرين في طبقات المفسرين". وهو مطبوع ومتداول بين أيدي الناس.

[٦٤] قد مر ذكره في الفصل الثاني من الباب الأول في مشايخ الإصلاحي.

ومن الذين عرفوا بالعلم في شبه القارة الهندية الشيخ عبد الحميد الفراهي أستاذ الشيخ أمين أحسن الإصلاحي اختار لنفسه طريقة مبتكرة في التفسير. وارتكز نظره على القرآن الكريم وصرف عمره كله في خدمة القرآن الكريم باحثاً عن حكمه، وألف كتباً كثيرة منها: "دلائل النظام" حول موضوع نظم القرآن وربطه.

هذه كانت نبذة عن اعتناء العلماء بنظم القرآن الكريم عبر العصور.

وجهة نظر المخالفين لنظم القرآن القرآن الكريم:

لقد اتفق علماء البلاغة واللغة العربية على أن الربط والمناسبة من أهم خصائص القرآن الكريم. وجملة خصائصه وجماله موجود في نظم القرآن الكريم وربطه، لأن الكلام الذي لا يكون فيه نظم ولا ربط يفقد حسنه وجماله وتبقى اللغة والأساليب المتنوعة دون المعنى يؤدي الهدف المطلوب.

ولا شك في أن نظم القرآن ليس أمراً سهلاً بل هو صعب جداً ولا يستطيع كل واحد أن يخوض فيه يقول الشيخ مناع القطان مشيراً إلى هذه الصعوبة:

"ولا يعني هذا أن يلتمس المفسر لكل آية مناسبة، فالقرآن نزل منجماً حسب الوقائع والأحداث، وقد يدرك المفسر ارتباط آياته وقد لا يدركه، فلا ينبغي أن يعتسف المناسبة اعتسافاً، وإلا لكانت تكلفاً ممقوتاً"[٦٥].

وقد سبق الشيخ عزالدين بن عبد السلام[٦٦] إلى هذا الرأي حيث ينكر هذا في القرآن الكريم، وقد نقل عنه الزركشي في البرهان قوله:

"المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيها ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن

---

[٦٥] مباحث في علوم القرآن: ص ٩٨.

[٦٦] هو: أبو محمد عزالدين بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن الدمشقي المصري الشافعي الملقب بسلطان العلماء المتوفى سنة ٧٧٥هـ. طبقات المفسرين للداودي: ١/٥١٣.

أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض"(٦٧).

ويرد الشيخ ولي الدين الملوي على منكري الربط والمناسب كما نقل عنه السيوطي في الاتقان حيث يقول:

"قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له"(٦٨).

ويقول الرازي: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبهاعلم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار"(٦٩).

ومن منكري نظم القرآن وربطه الشيخ محمد بن علي الشوكاني(٧٠) حيث خالف جمهرة المفسرين الذين جعلوا من نظم للقرآن و ربطه وجهاً متيناً في إعجاز القرآن وجزءا أساسياً في فهم معناه وادراك مقاصده.

---

(٦٧) البرهان: ٣٧/١. وقد نقل هذا الكلام السيوطي في الاتقان: ٢/ ١٣٨.

(٦٨) الاتقان: ١٣٨/٢.

(٦٩) المصدر نفسه: ١٣٨/٢.

(٧٠) هو: محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني. فقيه، مجتهد من كبائر علماء اليمن من اهل صنعاء. له عدة مؤلفات منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار".وفتح القدير في التفسير وغيرها. (ت: ١٢٥٠هـ). الأعلام: ص ٩٨.

وجهة نظر الشوكاني في نظم القرآن وربطه:

يرى الشيخ الشوكاني أن نظم القرآن وعلم المناسبة بين آياته وسوره شيء متكلف لا جدوى له يقول في تفسير قوله تعالى: "**يـبني إسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وإياي فارهبون**"(٧١).

"اعلم أن كثيراً من المفسرين جاءوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يكلفوا، ..."واستغرقوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله تعالى، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلاً عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بتصنيف وجعلوه المقصد الأهم من التأليف كما فعله البقاعي في تفسيره.

وإن هذا لمن أعجب ما يسمعه من يعرف أن هذا القرآن ما زال ينزل مفرقاً على حسب الحوادث المقتضية لنزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله عزوجل إليه. وكل عاقل فضلاً عن العالم لا يشك أن هذه الحوادث المقتضية لنزول القرآن باعتبار نفسها بل قد تكون متناقضة، كتحريم أمر كان حلالاً وتحليل أمر كان حراماً ولإثبات أمر لشخص أو أشخاص يناقض ما كان قد ثبت لهم قبله، وتارة بكون الكلام مع المسلمين، وتارة مع الكافرين، وتارة مع من مضى وتارة مع من حضر، وحيناً في عبادة، وحيناً في معاملة، ووقتاً في ترغيب، ووقتاً في ترهيب، وآونة في بشارة، وآونة في إنذار، وطوراً في أمر الدنيا وطوراً في أمر الآخرة، ومرة في تكاليف آتية ومرة في أقاصيص ماضية.

وإذا كان أسباب النزول مختلفة هذا الاختلاف، ومتباينة هذا التباين الذي لا يتيسر معه الإئتلاف، فالقرآن النازل فيها فهو باعتبار نفسه مختلف كاختلافها فكيف يطلب

---

(٧١) سورة البقرة: الآية ٤٠.

العاقل المناسبة بين الضب[٧٢]، والنون[٧٣] والماء والنار والملاح والحادي، وهل هذا إلا من فتح أبواب الشك وتوسيع دائرة الريب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرد الجهل والقصور، فأنه إذا وجد أهل العلم يتكلمون في التناسب بين جميع آي القرآن ويفردون ذلك بالتصنيف تقرر عنده أن هذا أمر لا بد منه، وأنه لا يكون القرآن بليغاً معجزاً إلا إذا ظهر الوجه المقتدى للمناسبة وتبيّن الأمر الموجب للارتباط، فإن وجد الاختلاف بين الآيات رجع إلى ما قاله المتكلمون في ذلك فوجده تكلفاً محضاً وتعسفاً بيناً ،وانقدح في قلبه ما كان عنه في عافية وسلامة.

هذا على فرض أن نزول القرآن كان مترتباً على هذا الترتيب الكائن في المصحف، فكيف وكل من له أدنى علم بالكتاب وأيسر حظ من معرفته ،يعلم علماً يقيناً أنه لم يكن كذلك، ومن شك في هذا وإن لم يكن مما يشك فيه أهل العلم، رجع إلى كلام أهل العلم العارفين بأسباب النزول المطلعين على حوادث النبوة فإنه ينثلج صدره ويزول عنه الريب بالنظر في سورة من السور المتوسطة فضلاً عن المطولة فإنه لا محالة يجدها مشتملة على آيات نزلت في حوادث مختلفة، وأوقات متباينة، لا مطابقة بين أسبابها وما نزل فيها في الترتيب بل يكفي المقصر أن يعلم أن أول ما نزل إقرأ باسم ربك الذي خلق[٧٤]. وبعده يايهاالمدثر[٧٥]. يايها المزمل[٧٦]. وينظر أين موضع سورة الآيات والسور في ترتيب المصحف.

---

[٧٢] الضب: بفتح الضاد، حيوان بري معروف. يشبه الورل والعرب تقول: قاضي الطير والبهائم يعيش ويول في كل أربعين يوما فطرتا .تاج العروس:٢٢٧/٣. وكتاب العين: ١٤/٧.

[٧٣] النون: هو حوت. وجمعه نينان وانوان كما قالوا حوت وحيتان. كتاب العين: ٣٩٦/٨.

[٧٤] سورة العلق: الآية ١.

[٧٥] سورة المدثر: الآية ١.

[٧٦] سورة المزمل: الآية ١.

ويقول بعد هذا: وإذا كان الأمر هكذا فأي معنى لطلب المناسبة بين آيات نعلم قطعاً أنه قد تقدم في ترتيب المصحف ما أنزله الله متأخراً وتأخر ما أنزله الله متقدماً، فإن هذا عمل لا يرجع إلى ترتيب نزول القرآن، بل إلى ما وقع من الترتيب عند جمعه ممن تصدى لذلك من الصحابة، وما أقل نفع مثل هذا وأندر ثمرته وأحقر فائدته، بل هو عند من يفهم ما يقول وما يقال له من تضييع الأوقات وانفاق الساعات في أمر لا يعود ينفع على فاعله و لا على من يقف عليه من الناس. و أنت تعلم أنه لو تصدى رجل من أهل العلم للمناسبة بين ما قاله رجل من البلغاء من خطبه ورسائله وإنشاآته، أو إلى ما قاله شاعر من الشعراء من القصائد التي تكون تارة مدحاً وأخرى هجاء وحيناً نسيباً وحيناً رثاء، وغير ذلك من الأنواع المتخالفة، فعمد هذا المتصدي إلى ذلك المجموع فناسب بين فقره ومقاطعة، ثم تكلف تكلفاً آخر فناسب بين الخطبة التي خطبها في الجهاد والخطبة التي خطبها في الحج والخطبة التي خطبها في النكاح ونحو ذلك وناسب بين الإنشاء الكائن في العزاء والإنشاء الكائن في الهناء وما يشابه ذلك لعد هذا المتصدى لمثل هذا مصاباً في عقله متلاعباً بأوقاته عابثاً بعمره الذي هو رأس ماله.

وإذا كان مثل هذا بهذه المنزلة وهو ركوب الأحموقة في كلام البشر فكيف تراه يكون في كلام الله تعالى الذي أعجزت بلاغته بلغاء العرب، وأبكمت فصاحته فصحا عدنان وقحطان، وقد علم كل مقصر وكامل أن الله سبحانه وتعالى وصف هذا القرآن بأنه عربي وأنزله بلغة العرب وسلك فيهم مسالكهم في الكلام، وجرى فيه مجاريهم في الخطاب وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون مختلفة وطرائق متباينة فضلاً عن المقامين فضلاً عن المقالات فضلاً عن جميع ما قاله ما دام حياً وكذلك شاعرهم.

ولنكتف بهذا التنبيه على هذه المفسدة التي تعثر في ساحاتها كثير من المحققين، وإنما ذكرنا هذا البحث في هذا الموطن لأن الكلام هنا قد انتقل مع بني إسرائيل بعد

أن كان قبله مع أبي البشر آدم عليه السلام فإذا قال متكلف كيف مناسب هذا ما قبله قلنا لا كيف[٧٧].

موقف الشيخ صديق حسن خان[٧٨] في المناسبة والربط:

وهو أيضاً يسلك مسلك الشوكاني في إنكار نظم القرآن وربطه فيه. ويرى أنه يؤدي إلى الطعن من أعداء الإسلام في إعجاز القرآن الذي اشتمل على كتاب الله تعالى. وأن فيه ضياع وتكلفات. وأنه من المنهي عنه في الأمور المتعلقة بالكتاب. ويستدل على ما قاله من تفسير فتح القدير للشوكاني كما ذكرنا آنفاً.

ولكن مع كله نرى الشيخ الشوكاني قد يتعرض في تفسيره لبعض المناسبات بين السور والآيات مثلاً عند تفسيره سورة "قريش" يقول: "هذه سورة متصلة بسورة الفيل لأنه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة، قال لإيلاف قريش أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش، وذلك أن قريشاً كانت تخرج في تجارتها فلا يغار عليها في الجاهلية، يقولون هم أهل بيت الله عزوجل حتى جاء أهل الفيل لهدم الكعبة وأخذ حجارته ليبني بها بيتاً في اليمن يحج الناس إليه فأهلكهم الله عزوجل فذكر نعمته، أي فعل ذلك لإيلاف قريش أي ليألفوا الخروج ولا يجترئ عليهم أحد"[٧٩].

الرد على الشوكاني:

يقول الشيخ علي محمد الزبيري: إن الشوكاني قد يذكر في تفسيره بعض المناسبات مثلاً عند تفسير قوله تعالى: "يايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم..."[٨٠] يقول: "لما فرغ سبحانه وتعالى من ذكر المؤمنين والكافرين والمنافقين أقبل عليهم بالخطاب التفاتاً للنكتة السابقة في الفاتحة". وقال في تفسير سورة الفاتحة "اياك نعبد واياك

---

[٧٧] فتح القدير: (التفسير) ١/٧٢.

[٧٨] هو: الشيخ صديق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي.(ت:١٣٠٨هـ). وقد مر ذكره في مقدمة البحث.

[٧٩] تفسير فتح البيان: ١/٣٩٧.

[٨٠] سورة البقرة: الآية ٢١.

نستعين"[٨١] "... وعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع وأكثر ايقاظاً له كما تقرر في علم المعاني"[٨٢].

أقول: وهل يعبر عن المناسبات بين الآيات إلا بمثل هذه التعبيرات فما باله ينقد شيئاً قد قال به هو وتبناه؟

إن كل ما استدل به الشوكاني في نفي تلمس المناسبات بين السور والآيات هو اختلاف أوقات النزول، وتعددها. وهذا كان دليل عز الدين بن عبد السلام لكن هذا ينهدم إذا لاحظنا ما يلي:

١: الإجماع على أن ترتيب الآيات توقيفي، وبالتالي فإن الآيات القرآنية الكريمة في السورة الواحدة وإن كانت حسب الوقائع تنزيلاً فإنها حسب حكمة الإلهية ترتيباً[٨٣].

٢: ليس كل القرآن نزل بأسباب وحسب وقائع معيّنة بل هناك الكثير من الآيات التي نزلت ابتداءً بعقيدة الإيمان وشرائع الإسلام[٨٤] بل هناك بعض السور الطوال نزلت كاملة دون سبب نزول، أو نزلت ما عدا بعض آيات منها نزلت متأخرة أو متقدمة عنها[٨٥].

٣: ولماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ضعوا هذه الآية في موضع كذا وكذا". ثم أين هو من وصف الله تعالى لكتابه العزيز: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير"[٨٦].

٤: ولهذا لا يمكن الاتفاق مع الشيخ الشوكاني في أن بعض المناسبات التي ذكرت بين السور أو بين الآيات متكلفة، ويجب أن ينزه عنها الكلام ولكن الأمر الذي

---

[٨١] سورة الفاتحة: الآية ٤.

[٨٢] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ٢/١.

[٨٣] البرهان: ٣٨/١.

[٨٤] الاتقان: ١٠٨/١.

[٨٥] مثل سورة الكهف وسورة الانعام.

[٨٦] سورة هود: الآية ١.

لا يوافقه عليه أحد هو الحكم بصفة عامة على عدم فائدة هذا العلم وأنه من قبيل التفسير بالرأي المنهي عنه.

٥: وأخيراً أقرر بأن الآيات التي أجمع على أن ترتيبها توقيفي والسور التي رأينا فيما مضى أو يهتدي إليها بعضنا، ولا يهتدي إليها البعض الآخر لكن الحكمة قائمة على أية حال وقد صدق السيوطي إذ يقول: "وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته"[٨٧].

---

[٨٧] الاتقان: ١٣٨/٢.

المبحث الثاني:

فكرة النظم في القرآن الكريم عند الإصلاحي.

عناية الشيخ الإصلاحي بنظم القرآن الكريم:

نظم القرآن الكريم هو المرجع الثاني بعد اللغة العربية عند الشيخ الإصلاحي لفهم القرآن الكريم. ويقصد بالنظم وجود التناسق بين آياته ويعبر عنه بالربط. ولا يستقيم عنده تفسير القرآن الكريم ما لم يكن مبنياً على هذا. أي تبدو الآيات بعد تفسيرها متناسقة فيما بينها مرتبطة بعضها مع بعض .

النظم هو جزء الكلام الذي لا ينفك عنه، ولا يتصور حسن الكلام بدونه[1]. ويتعجب الإصلاحي من منكري النظم في القرآن الكريم الذين يعتبرونه كتاباً بدون نظم.

أهمية النظم عند الإصلاحي:

يقول الشيخ الإصلاحي في بيان نظم القرآن الكريم وربطه:

"كما أن معرفة خواص عديدة من نباتات وآثارها من كتاب المفردات للطب شيء والوصفة الطبية من هذه الأجزاء سريعة الأثر التي ركبها طبيب حاذق شيء آخر وبينهما فرق كبير. وكذلك شأن القرآن الكريم فإنه مركب من ألفاظ وجمل باللغة العربية ومرتب ترتيباً إلهياً أعطاه جمالاً وكمالاً حيث لا يستطيع أحد أن يبارزه. ولذا يجب النظر فيه من حيث مرتباً مرتبطاً لا متفرقاً في الجمل والإفراد."

---

(١) مقدمة تدبر: ص/ هـ.

لذلك نرى القرآن الكريم الذي قدم الدلائل التاريخية والحقائق النفيسة على القضايا الأصولية وبيّنها بأسلوب جانب يوضح حكمه ومن يتلو الآيات بالتدبر سينكشف له هذا الترتيب حتى يحس القارئ في قلبه أثناء قراءته تأثيراً لطيفاً حيث يقرأ خطبة جامعة للحجج والدلائل. والأمر ينعكس تماماً في حق من ليست لديه معرفة بالربط. هذا هو الجانب العلمي والنظري لهذه المسألة[٢].

وبعد ذلك شرع الإصلاحي في بيان الجانب السياسي والاجتماعي لنظم القرآن الكريم.

الجانب السياسي والاجتماعي لنظم القرآن الكريم.

يقول الإصلاحي: "إن وحدة الأمة الإسلامية مرتبطة بالقرآن الكريم وهو حبل الله تعالى الذي أمر عباده أن يعتصموا به جميعاً ولا يتفرقوا. وهذا يقتضي أن نرجع إليه في كل شيء مُختَلَفٌ فِيهِ - القرآن الكريم - ونقبل حكمه ولكن الذي يؤسف له هو ظهور الآراء المختلفة حول مفاهيم القرآن الكريم، وأكثر هذه الآراء متناقضة وليس عندنا شيء الذي يحدد لنا القول الراجح من هذه الأقوال. وسبب هذه الخلافات أن أصحابها لم ينظروا-في رأي الإصلاحي-في نظم القرآن الكريم ولم يراعوه في تحديد معانيه ومطالبه في ضوء سيّاق الكلام ولهذا تعددت الآراء في تفسير كتاب الله العزيز."

ويقول الإصلاحي بعد هذا: "ولو حاول العلماء فهم القرآن الكريم حسب مقتضيات سياقه لما تناقضت آراءهم في كثير من المواضع لأن أكثرها لا يقبل إلا قولاً واحداً. ومن الأسف أيضاً أن كل الفرق الضالة اعتمدت- حسب ظنها- على آيات كتاب الله تعالى. وفهموها مقطعة دون أن يربطوا الآيات بعضها ببعض."

---

(٢) مقدمة تدبر: ص: ط.

ثم يقول: "هذا الذي جعلني أهتم كثيراً بنظم القرآن الكريم وحاولت الفهم والاستنباط بمراعاة السياق والمواقع ولذا ما اخترت إلا قولاً واحداً في جميع المواضع في تفسير القرآن الكريم."

ثم يأتي ويجيب على السؤال التالي وهو: إن كان للنظم القرآني مثل هذه الأهمية فلماذا خفي على كثير من الناس حتى أن الإمام الرازي رغم غزارة علمه لم ينجح في فهم النظم في القرآن الكريم؟

ويجيب على هذا السؤال من وجوه:

أولاً: "إن هذا الإشكال أو الخفاء في النظم القرآني ليس إلا أمراً جهلناه نحن وإلا فأول مخاطبيه ما جهلوه ولم يقعوا في أية مشكلة في فهمه لأنه نزل بلغتهم وتحدث عن بيئتهم، والأفكار والعقائد التي تحدث عنها القرآن كانت معلومة لهم فلذا فهموا كل ما وجد في القرآن من حكمة أو رمز أو إشارة أما نحن فمختلفون عنهم تماماً في الظروف والأحوال والمسائل ثم هذا البُعد الزمني الذي يمتدُ إلى قرون طويلة أيضاً من أسباب المشاكل التي تعترينا في فهم القرآن الكريم. ولذا يجب على كل من يريد معرفة أسراره وحقائقه أن يتعرف على لغته وبالتالي الظروف والأحوال والأفكار التي وجدت في زمن نزول القرآن الكريم."

ثانياً: "أن هناك فرقاً ملموساً بين تركيب الشيء وأجزائه، ومعرفة الأجزاء سهلة وأما فهم التركيب فيحتاج إلى دقة النظر وعمق الفكر. ومن السهل للباحث أن يعرف الأحكام التي قدمها القرآن الكريم في مجال العمل وهذا لا يحتاج إلى جهد كبير-في نظر الإصلاحي- وأما الذي أراد أن يفهم الحكمة من هذه الآيات فهذا لا يمكن إلا بالخوض في بحر القرآن الكريم بجهد كبير وهذا يتطلب من الباحث زمناً طويلاً."

ثالثاً: "إن للغة العربية ميزات تخصها منها وجود الإيجاز فيها الذي كان القدماء من العرب حريصين عليه وكان يعجبهم هذا النوع من الكلام. وكانوا يعتمدون على قوة فهم السامع فيحذفون الروابط بين الكلام حرصاً على الإيجاز الذي هو من أهم صفات الكلام البليغ. فمثلاً نحن عند التكلم نرجّح التفصيل في الكلام ونذكر الروابط بخلاف العرب هم يحذفونها على أساس أن المخاطب يفهم هذا الأسلوب من الكلام ويحبه. وهذا الاختلاف في اللغة أيضاً أوقعنا في المشكلة (لفهم النظم والربط)."

رابعاً: "إن الله تعالى جعل هذا الكتاب كنزاً وأودع فيه من العلوم والفنون ما يرشد الناس إلى يوم الساعة وعجائبه غير متناهية. وكل من أكبّ عليه يلتقط من روافده ما كتب له ومع هذا لا تنتهي حكمه ولا يمكن الإدعاء لأي واحد من الناس أنه فهمه بكل أسراره ورموزه وهذا الكتاب يختلف عن الكتب الأخرى التي إن قرأناها مرة أو مرتين فهمناها ولكنه يتطلب منا أن نكبّ عليه إكباباً وأن نفنى أعمارنا في فهمه وكأنه مثل المعدن الذي لا تنتهي خزائنه"[٣].

وملخص كلام الإصلاحي أنه أرجع مشكلة خفاء النظم في القرآن الكريم إلى سببين:

أولهما: عدم معرفة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم.

ثانيهما: عدم اعتناء التدبر و التفكر لمعرفة الربط والنظم في القرآن الكريم.

نظم القرآن الكريم من حيث المجموع:

بعد بيان أهمية النظم في القرآن الكريم يبين الإصلاحي نوعاً آخر من نظم القرآن وربطه ويقول:

"إن ما ذكرناه قبل هذا كان يتعلق بداخل كل سورة أي أن لكل سورة وحدة مستقلة من حيث العنوان والموضوع (وربما يسميه الإصلاحي "العمود)" ويتعلق جميع أجزاء

---

[٣] ملخص من مقدمة تدبر: ص: ل.

السورة بالعمود تعلقاً تاماً. والآن أتقدم خطوة وأقول إن هناك نظاماً خاصاً في القرآن الكريم من حيث المجموع وله جانب ظاهر لكل واحد ولكن مع هذا له جانب سري الذي لا يتضح إلا بعد التدبر والتفكر العميق في كتاب الله العزيز[٤].

الجانب الظاهري لنظم القرآن الكريم:

يقول الشيخ الإصلاحي في هذا الصدد: "إذا نظرنا إلى الترتيب المصحف الحالي الموجود بأيدينا-فيتضح لنا الأمر وهو أن نجد سبعة أقسام مزدوجة من سور مكية ومدنية. ويبدأ كل قسم- من هذه الأقسام- من سورة أو سورتين مكيتين وينتهي بسورة أو سورتين مدنيتين[٥].

والشيخ الإصلاحي هو أول من بين هذه الأقسام لبيان نظم القرآن الكريم. وبيّنه بترتيب خاص ولم يبرز أحد من المفسرين هذه النكتة. وقد أخذ الإصلاحي هذه النكات من شيخه الفراهي حيث ذكر تسع نكات في كتابه "دلائل النظام"[٦].

وسنتكلم عن فكرة الزمر في القرآن الكريم عند الشيخ الإصلاحي في الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

والآن نذكر بعض النماذج لنظم القرآن من تفسير "تدبر قرآن".

النموذج الأول: علاقة سورة الفاتحة بالقرآن الكريم:

قال الشيخ الإصلاحي: إن هذه السورة كتبت في بداية القرآن الكريم ولها عدة أسماء-

---

(٤) المصدر نفسه: ص: ل.

(٥) المصدر نفسه: ص: ل.

(٦) قد مر ذكر هذا الكتاب في ترجمة الشيخ الفراهي في الفصل الثاني من الباب الأول. وهو مطبوع تحت إشراف "دائرة الحميدية". سرائ مير. أعظم جره. بالهند.

منها: فاتحة الكتاب، وأم الكتاب والكافية والعافية والشافية وغيرها. فنرى من هذه الأسماء أن هذه السورة تتضمن جميع مطالب القرآن الكريم.

وبعد هذا بيَّن الإصلاحي ثلاثة وجوه لتسميتها بفاتحة الكتاب/ وذلك حيث يقول:

الوجه الأول: "إن هذه السورة قد بيَّنت أصول الدين والشريعة. كما بيَّنت الأسباب والدوافع لعبادة الله تعالى والباعث عليها، وما هي الخطوة الأولى التي يسلكها الإنسان بعد وجود هذه الدوافع في قلبه؟ وما يجب عليه بعد ذلك؟ ومن المعلوم أن السورة التي تجيب/ عن هذه الأسئلة هي جديرة أن تسمى بفاتحة الكتاب.

والآن ننظر كيف تجيب هذه السورة عن/ تلك الأسئلة.

"بينت هذه السورة أن دلائل الربوبية والرحمة والعدالة التي توجد في الآفاق والأنفس هي سبب لخلق دوافع الشكر لله تعالى في قلب الإنسان وتدفعه إلى عبادة الله تعالى والاستعانة به. وهذه الداعية من الأهمية بمكان ونظام النبوة والرسالة إنما وضع من أجلها ليعرف العبد كيف يشكر ربه؟ لكي ترتقي فطرته التي فطرالله عليها عن طريق الإيمان بالرسل. وكذلك بيَّنت سورة الفاتحة هذه الحقيقة بالإجمال على وجه الكمال ولذا سمِّيت بفاتحة الكتاب.

الوجه الثاني: إن مطالب القرآن الكريم يمكن حصرها في التوحيد والرسالة والمعاد، وتضمَّنت هذه السورة النكات الثلاثة ولذا سميت بفاتحة الكتاب.

الوجه الثالث: وكذلك بيَّنت هذه السورة أن هناك عطشاً في قلب الإنسان نحو الهداية والخروج من الظلمات إلى النور، وقد هدى الله تعالى إلى هذا النور أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولكنهم استحبوا العمى على الهدى والظلمات على النور.

ونجد في هذه السورة دعاء الله تعالى بالتوفيق إلى الخروج من الظلمات إلى النور وإلى تجنُّب طريق المغضوب عليهم والضالين من أهل الكتاب.

وهذا الدعاء كان وفق فطرة الإنسانية وقد أنزل الله تعالى القرآن هداية للناس استجابة للدعاء. ونظراً إلى هذا كله من الوجوه كانت جديرة أن تسمّى بفاتحة الكتاب[٧].

النموذج الثاني: علاقة سورة الفاتحة بسورة البقرة:

يقول الإصلاحي في الربط بين هاتين السورتين: "إذا نظرنا إلى نهاية سورة الفاتحة وبداية سورة البقرة نانجد بينهما نفس العلاقة التي تكون بين الدعاء وأستجابته حيث اشتملت سورة الفاتحة على الكلمات التالية: {اهدنا الصراط المستقيم ... غير المغضوب عليهم ولا الضالين[٨]} ومباشرة بعدها بدأت سورة البقرة بقوله تعالى :{الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين[٩]}. فنرى كان الدعاء في سورة الفاتحة للهداية السماوية. فظهرت هذه الهداية بنزول سورة البقرة. وكذلك ذكر في سورة الفاتحة {صراط الذين انعمت عليهم» إزاء "غير المغضوب عليهم ولاالضالين}[١٠]. وبيّنت سورة البقرة تفصيلاً لهذا الإجمال ببيان من يستحق الاتباع والاجتناب[١١].

النموذج الثالث: النظم بين سورة آل عمران و بين سورة البقرة:

ذكر الشيخ الإصلاحي فيه خمسة وجوه وهي:

١: إن موضوعهما واحد، وهو إثبات رسالة نبيّنا صلى الله عليه وسلم للناس عامة ولأهل الكتاب خاصة.

---

[٧] تدبر: ١/- ٧٠.

[٨] سورة الفاتحة: الآية:٥-٦.

[٩] سورة البقرة: الآية ١-٢.

[١٠] سورة الفاتحة: الآية ٥-٦.

[١١] تدبر: ٣٥٥/١.

٢: ذكر أصول الدين بنفس الأسلوب من ناحية الإجمال والتفصيل.

٣: واسمهما القرآني أيضاً واحد وهو: {الم}.(أراد به بدايتهما كما هو ظاهر).

٤: أن كلتا السورتين بمثابة فروع لأصل واحد. وقد شبههما الرسول صلى الله عليه وسلم بالشمس والقمر وقال: "تأتيان يوم القيامة مثل السحاب" ومن المعلوم أن الاشتراك في الوصف والتمثيل لا يكون بدون الربط والمناسبة.

٥: أن النسبة بينهما نسبة الزوجين حيث إذا ذكر الشيء على وجه الإجمال في إحداهما ذكر مفصلاً في الأخرى. وكذلك إذا بقي الفراغ في إحداهما ملأته الأخرى. وهكذا تتقدمان إلى المقصد الأعلى على وجه الكمال بين التفصيل والإجمال[١٢].

المنوذج الرابع: علاقة سورة النحل بسورة الحجر:

ويقول الإصلاحي في بيان النظم بين هاتين السورتين:

"إن سورة الحجر قد انتهت بتسلية النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا تحزن على ما يقولو/ لك أعدائك حيث قال تعالى: "**فوربك لنسئلنهم أجمعين. عما كانوا يعملون**... إلى قوله تعالى: **حتى يأتيك اليقين**"[١٣]. وبعد هذا خاطب الله تعالى هؤلاء المتكبرين مباشرة بدون أي تمهيد حيث قال: "**أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحنه وتعلى عما يشركون**"[١٤]. حيث أصدر الله تعالى أمر العذاب وقال : "فلا تستعجلوه ولا تظنوا بأن هؤلاء شركائكم سوف يشفعون لكم ويكفونكم عذاب الله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون[١٥].

---

[١٢] تدبر: ٩/٢.

[١٣] سورة الحجر: الآية ٩٢-٩٩.

[١٤] سورة النحل: الآية ١.

[١٥] تدبر: ٣٨٣/٤.

أمثلة للنظم بين الآيات:

المثال الأول: قوله تعالى:

الم. ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين..... إلى قوله تعالى: " اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون "(١٦).

علاقة هذه الآيات بما بعدها:

عندما فرغ الشيخ الإصلاحي من بيان تفسير هذه الآيات المذكورة من سورة البقرة بدأ في تفسير الآية التالية: " إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "(١٧). بيّن العلاقة بين الآيات السالفة بما بعدها حيث قال:
هذا كان بيان خصائص الذين آمنوا باللّه ورسوله صلى اللّه عليه وسلم والآن يأتي ذكر المحرومين من نعمة الإيمان "(١٨).

المثال الثاني: قوله تعالى: " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون "(١٩).

يقول الشيخ الإصلاحي: " إلى هنا قد انتهي بيان أسباب عزل اليهود عن منصب الإمامة والرئاسة. والآن يأتي الحديث عن قيام أمة جديدة المنصب وهذه الأمة هي أمة وسط وتسير على الصراط المستقيم، صراط اللّه الذي له ما في السموات وما في الأرض. وتكون ملتها ملة إبراهيم. وقبلتها قبلة إبراهيم وهي بيت اللّه الحرام وبيّن اللّه تعالى فضيلة هذه الأمة في قوله تعالى حيث قال(٢٠):
" وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا.... قول وجهك شطر المسجد الحرام...."(٢١).

هكذا يلتزم الشيخ الإصلاحي ببيان النظم والربط بين الآيات وبين السور من أول التفسير إلى آخره. وهذه محاولة جيدة فجزاه اللّه تعالى عنا خير الجزاء. ونكتفي بهذا القدر من أمثلة نظم القرآن الكريم وربطه. وباللّه التوفيق.

---

(١٦) سورة البقرة: الآية ١-٥.

(١٧) سورة البقرة: الآية ٦.

(١٨) تدبر: ١/١٠٥.

(١٩) سورة البقرة: الآية ١٤١.

(٢٠) تدبر: ١/٣٥٥-٣٥٦.

(٢١) سورة البقرة: الآية ١٤٣-١٤٤.

الفصل الثاني

فكرة (الزمر) والازدواجية عند الشيخ الإصلاحي.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: فكرة الزمر عند الإصلاحي.

المبحث الثاني: فكرة الازدواجية بين السور عند الإصلاحي.

المبحث الأول

فكرة الزمر عند الإصلاحي.

إن فكرة الزمر في السور جزء نظم القرآن الكريم وربطه عند الشيخ الإصلاحي.

ونظم القرآن الكريم عند الإصلاحي على ثلاثة أقسام. وهي:

القسم الأول: يتعلق بداخل السور أي كل سورة وحدة مستقلة لموضوعها(عمودها). ويتعلق جميع أجزاء السورة بالعمود تعلقاً تاماً.

وقد مر ذكر هذا النوع من نظم القرآن الكريم في الفصل السابق.

القسم الثاني: هو عبارة عن الازدواجية بين السور.

وسيأتي الكلام عنه في المبحث التالي إن شاء الله تعالى.

القسم الثالث: هو عبارة عن نظم القرآن الكريم وربطه من حيث الزمر.

يقول الشيخ الإصلاحي في مقدمة تفسيره بعد بيان مفهوم النظم وأهميته: "... إن هناك نظاماً خاصاً في القرآن الكريم من حيث المجموع، وله جانب ظاهري ومعلوم لكل واحد[1]، ولكن مع هذا له جانب خفي ولا يتضح هذا إلا بعد التدبر والتفكر فيه[2].

ثم يقول: "إذا نظرنا إلى ترتيب المصحف الحالي فيتضح لنا الأمر وهو أن هناك سبعة أقسام (مجموعات) مزدوجة من سور المكية والمدنية. ويبدأ كل قسم من سورة أو سورتين

---

(١) كما قال الزمخشري: وقد جعل الله فاتحة سورة "**قد افلح المؤمنون**" وأورد في خاتمتها "**إنه لايفلح الكافرون**". وسورة "ص" بدأ بالذكر{ ص والقرآن ذي الذكر. سورة "ص" الآية: ١} وختمها به قوله "**إن هو إلا ذكر للعلمين**". وفي سورة "ن" بدأها بقوله : "ما أنت بنعمة ربك بمجنون" وختمها بقوله "**إنه لمجنون**". وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به". {وهوقوله تعالى: "**فسبح باسم ربك العظيم**". سورة الواقعة: الآية ٩٦}. الاتقان: ٢/١١١-١١٢.

(٢) مقدمة تدبر: ص: ل.

مكيتين وينتهي بسورة أو سورتين مدنيتين. والسورة المدنية متناسقة حسب مضمونها ببقية سور قسمها من السور المكية كعلاقة الشجرة بفروعها"[٣].

مستدل الإصلاحي لهذه الفكرة المجموعات السبعة:

استدل الشيخ الإصلاحي لإثبات فكرته من القرآن الكريم وهو قوله تعالى: **"ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم"[٤].**

حيث قال: "ما المراد بسبع من المثاني في هذه الآية؟

ثم أجاب قائلاً: "اختلف العلماء فيه على عدة آراء ولكن نكتفي بثلاثة أقوال منها وهي:

القول الأول: إن المراد به السور السبعة الأولى [٥]. { وهي: سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف ويونس}.

القول الثاني: المراد به سورة الفاتحة، لأن فيها سبع آيات[٦]. وبالتالي نهي تثنى في الصلوات.

القول الثالث: المراد به جميع القرآن الكريم"[٧].

ثم يقول الإصلاحي:"إن القول الثالث قوي عندي بالأدلة"[٨].

---

(٣) المصدر نفسه: ص: ل.

(٤) سورة الحجر: الآية ٨٧.

(٥) هذا قول ابن عمر وسعيد بن جبير في بعض الروايات ومجاهد. التفسير الكبير: ١٦٥/١٩. وابن عباس وابن مسعود.ابن كثير: ٣١٨/٢.

(٦) وهذا لو نعدُّ البسملة جزءاً من الفاتحة. وفيها اختلاف العلماء والإصلاحي يرجح فيها مسلك قراء المدينة الذين لا يعدونها جزءاً أيُّة سورة ولا الفاتحة إلا النمل هي للفصل بين السور وتتلى للبركة. تدبر: ٤٩/١.

(٧) وهو منقول عن ابن عباس في بعض الروايات، وقول طاؤس ودليلهم قوله تعالى: "كتاباً متشابهاً مثاني". (سورة الزمر: الاية ٢٣) التفسير الكبير: ١٦٦/٢. وهو أيضاً مستدل الإصلاحي كما ذكرنا.

(٨) تدبر: ٣٧٧/٤.

دليل الإصلاحي وهو أن القرآن الكريم صرّح بأن المراد من "السبع المثاني" هو القرآن نفسه حيث قال تعالى: "الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني"(٩).

واستدل الإصلاحي بهذه الآية على أن المراد "بسبع من المثاني" هو هذه الأقسام المزدوجة من سور القرآن الكريم مكية ومدنية.

وأما القول الثاني الذي ذكره الإصلاحي وهو قول أكثر المفسرين، وهو قول ابن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي هريرة، والحسن، وأبي العالية، ومجاهد والضحاك وقتادة(١٠). واختاره ابن جرير، واحتج عليه بالأحاديث الوادرة في ذلك.

وقد ذكر البخاري هنا حديثين:

أحدهما: عن أبي سعيد بن المعلى قال: "مرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أصل فدعاني. فلم آته حتى صليت فأتيت، فقال: ما منعك أن تأتني؟ فقلت: كنت أصلي، فقال: "أ

---

(٩) سورة الزمر: الآية ٢٣. وقال الرازي في كلمة "مثاني" إن أكثر الأشياء المذكورة وقعت زوجين مثل: والنهي، العام والخاص، والمجمل والمفصل، وأحوال السموت والأرض، والجنة والنار، والظلمة والنور، و والقلم، الملائكة والشياطين، والعرش والكرسي، والوعد والوعيد، والرجاء والخوف، والمقصود منه ب كل ما سوى الحق زوج. التفسير الكبير: ٢٣٧/٢٦.

(١٠) التفسير الكبير: ١٦٤/١٩.

يقول الله: "يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم"[١١]. ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج فذكرت فقال؟ الحمد لله رب العلمين". هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته".

ثانيهما: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم[١٢].

ويقول ابن كثير بعد أن ذكر هذين الحديثين: "فهو نص في الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطوال لما فيها من هذه الصفة كمالا ينافي وصف القرآن بكماله بذلك أيضاً. كما قال تعالى: الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني[١٣]". فهو مثاني من وجه ومتشابه من وجه وهو القرآن العظيم أيضاً"[١٤].

والأساس الثاني لفكرة الإصلاحي هذه وهو الجانب الخفي لنظم القرآن الكريم وهو في الحقيقة من اكتشاف الفراهي وتلقاه الإصلاحي منه/ وذلك حيث يقول:

"إنه كما يكون لكل سورة عمود خاص ترتبط به جميع أجزاء هذه السورة كذلك يكون هناك عمود جامع لكل قسم وترتبط جميع سور القسم بهذا العمود، ورغم احتواء كل قسم من هذه الأقسام على المطالب العامة يميز عمود كل قسم من الآخر بطابعه الخاص الذي يغلب عليه دون غيره"[١٥] مثلاً:

"ربما نجد في قسم من هذه الأقسام أن لون الشريعة والقانون أظهر فيه من غيره وفي الآخر بيان تاريخ ملة إبراهيم عليه السلام وفي غيره يكون الجدال بين الحق والباطل وذكر سنن الله تعالى، وكذلك في الآخر يكون لون الرسالة والنبوة وخصائصها وفي غيره نجد مقتضيات التوحيد وفي الآخر لون البعث والنشر والإنذار"[١٦].

المجموعات والزمر (الأقسام) السبعة عند الإصلاحي:

والآن إليك بياناً لهذه المجموعات (الأقسام) السبعة التي ذكرها الإصلاحي حيث قال:

١: يبدأ القسم الأول من سورة الفاتحة وينتهي إلى سورة المائدة. والسورة الأولى مكية والأربع الأخيرة مدنية.

٢: ويبدأ القسم الثاني من سورتي الأنعام والأعراف وهما مكيتان وينتهي إلى سورتي الأنفال والتوبة وهما مدنيتان.

---

(١١) سورة الأنفال: الآية ٢٤. (١٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير باب: ٣. (٥) ٢/٢٢٢.
(١٣) المصدر نفسه ٢/٢٢٢ - وسورة الزمر: الآية ٢٣. (١٤) مختصر تفسير ابن كثير: ٢/٣١٨.
(١٥) تدبر ١/١٥-١٦. (١٦) المصدر نفسه.

٣: يبدأ القسم الثالث من سورة يونس وينتهي إلى سورة النور. والأربع عشرة الأولى مكية وسورة النور مدنية[١٧].

٤: يبدأ القسم الرابع من سورة الفرقان وينتهي إلى سورة الأحزاب، فهي تسع سور. الثمانى الأولى مكية وسورة الاحزاب مدنية.

٥: ويبدأ القسم الخامس من سورة "سبأ" وينتهي إلى سورة الحجرات. فيه ثلاث عشرة سورة مكية والعشر الأخيرة مدنية.

٦: ويبدأ القسم السادس من سورة "ق" وينتهي بسورة التحريم. السبع الأولى مكية والعشر الأخيرة مدنية[١٨].

٧: ويبدأ القسم السابع من سورة الملك وينتهي بسورة الناس. من سورة الملك إلى سورة الكافرون مكية، ومن سورة النصر إلى سورة الناس مدنية. ويقول الإصلاحي:"وأما الاختلاف في ترتيب المكي والمدني فهو اختلاف بسيط"[١٩].

ثم قال: "إن سورة الفاتحة مثل المقدمة للقرآن الكريم. وهذه المجموعات بمنزلة الفصول فيه". وهذا عنده من متطلبات نظم القرآن الكريم. وقال بعد هذا: قد ظهر من الترتيب المذكور بين المجموعات إن القسم الذي فيه بيان للشريعة والقانون مقدم على القسم الذي

---

(١٧) قال الإصلاحي: إن بعض العلماء عدّ سورتي الرعد والحج من السور المدنية ولكن هذا غير صحيح (عنده) مقدمة تدبر: ص: ل. وسورة الحج مدنية عند الشيخ الفراهي لما تتضمن الجهاد والقتال والهجرة. دلائل النظام: ص ٩٢. ذكر الشيخ الإصلاحي سورة الحج من سور المكية ولكن ذكرها الزركشي من السور المدنية. البرهان: ١/١٩٤.

(١٨) وقال الإصلاحي: ظن بعض المفسرين أن سورة الرحمن مدنية ولكن هذا غير صحيح.

(١٩) مقدمة تدبر:ص: م.

فيه الإنذار[٢٠].وفيه إشارة إلى أن المقصود من الإنذار هو توجيه الناس إلى الصراط المستقيم. ولذا لابد أن يكون النظر إلى المقصود والغاية أولاً [٢١].

وقال: "ويظهر لنا بعد التدبر في هذه الأقسام أن العلاقة بين القسم الأول والأخير كالعلاقة بين البناء وأساسه ولا شك أن الأساس يكون مقدماً على البناء"[٢٢].

---

(٢٠) مثلاً قلنا قبل هذا إن المجموعة الأولى تبدأ من سورة الفاتحة وتنتهي إلى سورة المائدة. فنجد فيها الأحكام مثل أحكام الصلوة والزكاة والصوم والحج والنكاح والطلاق والميراث والبيع والربو والديون والدعوة والحرب والسلم والعلاقات الدولية وغيرها.

والمجموعة الثانية تبدأ من سورة الأنعام وتنتهي بسورة التوبة، فنجد أن جانب الإنذار غالب في سورة الأعراف والإرشاد للتهيئ بالجهاد في سورة الانفال والتهديد النهائي لقريش في سورة البراءة.

(٢١) مقدمة تدبر: ص:ن-س.

(٢٢) المصدر نفسه: ص:س.

المبحث الثاني

فكرة المزاوجة بين السور عند الشيخ الإصلاحي.

كما ذكرنا في المبحث السابق أن فكرة النظم في القرآن الكريم عند الإصلاحي تشتمل المجموعات والزمر وتشتمل أيضاً على فكرة الازدواجية بين السور. ويقول:

"إن لكل سورة زوج ومثنى أي لكل سورة زوج مثلها وتوجد المناسبة بينهما مثل ما توجد بين الزوجين بحيث إذا وجد الفراغ في إحداهما تملئها الأخرى، وإن كان فيه جانب خفي فتظهره الأخرى. وأخيراً تظهران بشكل الشمس والقمر. ومثال ذلك في السور الطوال سورة البقرة وآل عمران؛ وفي السور القصيرة سورة الفلق وسورة الناس.... والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتلوها في الصلاة مراعاة لهذه المناسبة فمثلاً كان يقرأ سورة القيامة مع سورة الدهر وسورة الجمعة مع سورة المنافقين وكذلك سورة الأعلى مع سورة الغاشية وهلم جرا"(٢٢).

ثم قال: "وقد استثنيت الفاتحة منها-أي من فكرة الازدواجية- لأنها مثل المقدمة للقرآن الكريم. ومن أسمائها "الكافية" والإشارة بها إلى أنها تكتفي بنفسها ولا تحتاج إلى سورة أخرى"(٢٤).

والنكتة الأساسية لفكرة الازدواجية عند الشيخ الإصلاحي هو اشتراك سورتين في موضوع واحد وهو الذي يعبّر عنه في بعض الأحيان بالعمود.

* عندما يبدأ الشيخ الإصلاحي بتفسير سورة فيذكر أولاً علاقة الازدواجية بين السورتين. ومثال ذلك أنه قال في بداية سورة الأعراف: "إن سورة الأعراف مثنى لسورة الأنعام لأن فيها دعوة لقريش وأما الأعراف فلون الإنذار غالب فيها. أي كانت الإشارة في الأولى إلى جريمة الكفار إجمالاً ثم جاء ذكر تاريخ الأمم مفصلاً في سورة الأعراف كأنها جاءت بتفصيل الإجمال الذي ذكر في آخر آية من سورة الأنعام وهو قوله تعالى: "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ..."(٢٥).

---

(٢٣) مقدمة تدبر: ص: ل.

(٢٤) المصدر نفسه: ص:ل.

(٢٥) سورة الأنعام: الآية ١٦٦. تدبر: ٣/٢١٥.

* وقال في بيان عمود سورة بني إسرئيل: "إن هذه السورة توأم لسورة النحل، لأنه ليس بينهما فرق أساسي من حيث الإجمال والتفصيل، بحيث كان في النحل إجمال وفي الإسراء تفصيل.

وكانت الإشارة في الأولى إلى أمور أساسية في الأوامر: كالعدل والإحسان. والحقوق لذي القربى والأرحام، وفي النواهي كالفحشاء والمنكر والبغي[٢٦] ثم جاء تفصيل ذلك كله في الثانية [٢٧].

وكذلك نجد ذكر الهجرة في الأولى بالإشارة [٢٨] بينما جاء ذكرها في الثانية مفصلاً [٢٩]. [٣٠]

* وكذلك قال في بداية تفسير سورة "مريم": إنها مثنى لسورة الكهف لأن عمودهما واحد والفرق بينهما إنما هو في الأسلوب والاستدلال [٣١].

هذه فكرة المزاوجة عند الشيخ الإصلاحي. وقد عنى بها في تفسيره عناية بالغة.

ووجهة نظر الإصلاحي من ناحية المزاوجة أن العمود (الموضوع) في السور المثنى واحد ولكن مع هذا هناك فرق بينهما في الدلائل والشواهد وطرق الاستدلال فقط.

---

(٢٦) سورة النحل: الآية: ٩٠.

(٢٧) سورة بني إسرئيل: الآية: ٢٣-٢٨-٣٠-٣٢.

(٢٨) أشار إلى قوله تعالى: "وأوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ...". سورة النحل: الآية ١٢٣.

(٢٩) أشار إلى قوله تعالى: "وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج ...". سورة بني إسرائيل: الآية ٨٠.

(٣٠) تدبر: ٤/٤٦٩-٤٧٠.

(٣١) تدبر: ٤/٦٢٩.

أهم نواحي لسور المثنى هي:

١: التاكيد على قول واحد من نواحي عديدة:

ونجد المناسبة بين السور المثناه أن يكون أبرز الشيء موضوعاً مشتركاً بينهما هذا الموضوع وبيان أهمية/ وتظهر في سورة أخرى الناحية الثانية. وخير دليل لهذا سورة البقرة وسورة آل عمران حيث نجد فيهما الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح ولكن في الأولى بيان حقيقة الإيمان وفي الثانية بيان حقيقة الإسلام.

وفي كل منهما نجد ذكر أهل الكتاب حيث إن الخطاب يتوجه إلى اليهود في الأولى وإلى النصارى في الثانية.

وكذلك نجد الدلائل فيهما من الفطرة ومن الصحف السماوية إلا أن معظم الاستدلال في سورة البقرة من الفطرة بينما في آل عمران ذكرت الدلائل من الصحف السماوية[٣٢].

٢: المقدمات والنتائج:

ويمكن أن تكون سورتان مثنى مثنى من حيث نجد بيان المقدمات في إحداهما والنتائج في الأخرى مثلاً: قيل لقريش بمكة في سورة الفيل أن سيادتكم على أرض العرب هي بسبب بيت الله الحرام وقيل في سورة قريش أن عندهم وسائل الأمن والرزق وطرقها مفتوحة بسبب بيت الله الحرام ولذا يجب عليهم العبادة لرب البيت وألا يشركوا به غيره[٣٣].

وكذلك ذكر في سورة الماعون سلوك زعماء قريش الذين كانوا يتولون شئون بيت الله عند نزول السورة. وذكر أنهم ليسوا أهلاً للقيام بمسئولية بيته لأنهم ضيعوا مقاصده وانتهى الكلام بذكر جريمتهم، وأما سورة الكوثر فذكر فيها أن قريشاً أهل لعزل من مسئولية بيت الله الحرام وفوضت الأمانة إلى أهله[٣٤] (وهم المسلمون).

---

(٣٢) تدبر ٢/١٣.

(٣٣) تدبر: ٩/٥٦٩-٥٧٠.

(٣٤) تدبر: ٩/٥٨٩-٥٩٠.

٣: الدلائل والشواهد من نواحي عديدة:

ويمكن ان تكون سورتان مثنى مثنى من حيث ذكر شواهد مختلفة لإثبات عمود واحد. ومثال ذلك سورة يوسف وسورة الرعد. ذكر فيهما أن الحق يغلب على الباطل نهائياً ولكن بعد ذكر شهادة تاريخ من حياة يوسف عليه السلام أثبت الحقيقة المذكورة أنفاً. وذكرت نفس الحقيقة في سورة الرعد بدلائل العقل والفطرة[٣٥].

ونجد مثالاً آخر في سورة القيامة والدهر حيث ذكرت فيهما ضرورة القيامة. والفرق بينهما أن في الأولى ذكر دليل القيامة من داخل الإنسان/ وهي النفس اللوامة بحيث أن الإنسان يجد في نفسه ضرورة عدالة الكبرى(للقيامة) بشكل (أو بصورة العدالة الصغرى). وقال في سورة الدهر نفس القول بالدلائل مع ذكر الحقيقة أن الله تعالى أودع قوة السمع والبصر في الإنسان وكذلك عنده صلاحية التفريق بين الخير والشر

فمن اقتضاء هذه النعم أن يأتي يوم كي يجد فيه جزاء من عرفها وشكر الله تعالى ويعنب من كان أعمى في هذه الدنيا وكفر بالله تعالى[٣٦].

٤: المزاوجة من ناحية الإجمال والتفصيل:

ويمكن أن يكون مثنى من سورتين بحيث أن يكون العمود في إحداهما مجمل وفي الثانية مفصلاً. مثلاً: قدمت دعوة الإسلام في سورة النحل إلى كفار مكة. وقيل لهم لو لم تقبلوها فعذاب الله آت، ولكن كلاهما-الدعوة والتحذير- كانا بالإشارة. وأما في سورة بني إسرائيل فقدمت الدعوة مفصلة مع بيان الإنذار كذلك.

وكذلك نجد الأحكام التي كانت مجملة في الأولى مفصلة في الثانية.

---

(٣٥) تدبر: ٢٦٣/٤.

(٣٦) تدبر: ٩٩/٩.

وكذلك ذكرت الهجرة في الأولي بالإشارة وفي الثانية بالصراحة مع الإشارة للنبي والصحابة للتهني واتخاذ أسباب اللازمة لها(٣٧).

ومثال آخر هو سورة المزمل التي أخبر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً"(٣٨). وفي سورة المدثر ذكرت هذه المسئولية العظمى مع بيان طرق أدائها(٣٩).

٥: المزاوجة من ناحية الأصول والشرح:

وكذلك يكون المثنى من سورتين بحيث تذكر الأصول في إحداهما والشرح في الثانية. مثلاً قال تعالى في سورة المجادلة مبيناً للأصول:
" إن الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الأذلين"(٤٠). ونجد بياناً واضحاً في سورة الحشر لهذه الأصول حيث استدل على الوقائع التي قد وقعت في الزمن الماضي ونبه المنافقين بقوله: "فاعتبروا ياولي الأبصار" (٤١).

وكذلك قال تعالى في سورة التين: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم" (٤٢) وجه الخطاب إلى الذين اتصفوا بالإيمان أن لهم جزاء أعمالهم: وأما الذين أعرضوا عن الصراط المستقيم فيحسرون مع الهالكين.

---

(٣٧) تدبر: ٤٦٩/٤.

(٣٨) سورة المزمل: الآية ٥.

(٣٩) تدبر: ٣٧/٩.

(٤٠) سورة المجادلة: الآية ٢٠.

(٤١) تدبر: ٢٧٩/٨. وسورة الحشر: الآية ٢.

(٤٢) سورة التين: الآية ٤.

وذكر سلوك القريش في سورة العلق ونبههوا على أنهم يسلكون مسلك الضالين الذين سوف يوصلهم إلى الهلاك والدمار[٤٣].

٦: المزاوجة من ناحية الوحدة في التضاد:

ويكمن أن يكون المثنى من سورتين بحيث يذكر شيء في إحداهما مخالفاً لما في الثانية ويبدو في الظاهر أن بينهما تعارضاً ولكن في الحقيقة بينهما توافق لأن إحداهما تبيّن الناحية الإيجابية والثانية تتحدث عن الناحية السلبية ومثال ذلك سورة الطلاق حيث أخبرت عن السلوك المطلوب من المسلم في الإسلام في حالة الفرقة (بين الزوجين) وكيف يهتم بحدود الله تعالى وأما في سورة التحريم فأخبر بالأمور التي يلزم اتباعها في حالة المحبة[٤٤].

وكذلك نجد في سورة العصر صفات المؤمنين المخلصين الفائزين بينما في سورة الهمزة بيان البخلاء الطماعين الراسبين[٤٥].

قدظهر لنا من الأمثلة المذكورة أن كل سورة وحدة مستقلة و أنها زوج للأخرى.

---

(٤٣) تدبر: ٤٤٩/٩.

(٤٤) تدبر: ٤٥١/٨.

(٤٥) تدبر: ٥٤٣/٩. وقد أشار القرآن الكريم إلى هؤلاء في قوله تعالى: "الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقت والذين لا يجدون إلا جهدهم فسيخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم". سورة التوبة: الآية ٧٩.

الفصل الثالث

فكرة العمود عند الشيخ الإصلاحي

فيه مبحثان:

المبحث الأول: فكرة العمود في القرآن الكريم عند الإصلاحي.

المبحث الثاني: نماذج العمود من تفسير "تدبرقرآن".

المبحث الأول

فكرة العمود في القرآن القرآن الكريم عند الإصلاحي.

المراد بالعمود عند الإصلاحي هو الموضوع الذي تشتمل عليه السورة. وكل سورة وحدة مستقلة من حيث الموضوع (العمود) وتتعلق جميع أجزاء السورة بالعمود تعلقاً تاماً. وكذلك العمود جامع لكل قسم -الذي مر ذكره في المبحث الأول من الفصل السابق- وترتبط جميع السور من هذا القسم بهذا العمود. ويقول الشيخ عن فكرة العمود في القرآن الكريم وهو يشير إلى الجوانب الخفية لنظم القرآن الكريم من حيث المجموع-:

"كما يكون لكل سورة عمود خاص ترتبط به جميع أجزاء هذه السورة كذلك يكون هناك عمود جامع لكل قسم ويرتبط به جميع السور من هذا القسم بهذا العمود، رغم احتواء كل قسم من هذه الأقسام على المطالب العامة يتميز : عمود كل قسم من الآخر بطابعه الخاص الذي يغلب عليه دون غيره، فمثلاً ربما نجد في قسم لون القانون والشريعة أظهر من غيره -كما في المجموعة الأولى- وفي الآخر لون الإنذار-كما في المجموعة الثانية والثالثة وفي بعض الأقسام يكون التوحيد أبرز الموضوع- كما في القسم الخامس- وفي الآخر لون إثبات النبوة والرسالة وخصائصهما يكون غالباً[٤٦]-كما في المجموعة الرابعة وهلم جراً.

---

(٤٦) مقدمة تدبر: ص:م.

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم

ويشتمل هذا المبحث على النكات التالية:

*الوحدة الموضوعية للسورة.(فكرة العمود).

*الوحدة الموضوعية للسورتين:

*الوحدة الموضوعية لمجموعة من السور.
(فكرة المجموعات والزمر).

الوحدة الموضوعية للسورة (فكرة العمود).

نماذج :

النموذج الأول:

قال الشيخ الإصلاحي عند بيان موضوع سورة الكهف:

"نزلت هذه السورة في مكة المكرمة عند ما دخل الصراع بين الحق والباطل في المرحلة النهائية. وكانت قريش تريد القضاء على دعوة القرآن وبدأ اليهود والنصارى يساعدونهم في هذه المعركة حتى لا تكون حاجة لمواجهة هذه الدعوة" (٤٧).

ونظراً إلى هذه الظروف ذكرت النقاط التالية في هذه السورة:

١: الإنذار والتنبيه قريش حتى لا يكون مغرورين لنجاتهم الدنيوية ولا مكذبين للحقائق البديهية، إذا لم يجتنبوا من رعونتهم سيقعون في عذاب الله تعالى"(٤٨).

٢: التلقين للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة بالصبر والعزيمة(٤٩).

وبالإضافة إلى هذا هناك بعض الإشارات إلى الهجرة والبشارة للغنائم في المستقبل"(٥٠).

---

(٤٧) تدبر: ٩/٤.

(٤٨) كما في قوله تعالى: "وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظلمين نارا ...إلى قوله: وساءت مصيرا. (الكهف: الآية ٢٩). وفي قوله تعالى: "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ... واتخذوا آيتي ورسلي هزوا".((الكهف:الآية ١٠٣-١٠٤.

(٤٩) كما في قوله تعالى: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ...".(الكهف: الآية ١-٢.
وقوله تعالى: "فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا".(الكهف: الآية ٦).
وقوله تعالى: "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه...". (الكهف: الآية: ٢٨-و ٣٠-٣١-و١٠٧-١٠٨.

(٥٠) تدبر: ٩/٤.

المنوذج الثاني: موضوع سورة طه:

يقول الإصلاحي في بيان موضوع هذه السورة: "لُقن النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر والانتظار بمقابل مخالفيه. وقيل له لا تفكر على عدم استماعهم لقول الحق الذي جئت به وهم سينظرون عاقبة أمرهم. وكانت بداية سورة بهذا المفهوم وكذلك نهايتها حيث أُمر النبي صلى الله عليه وسلم باهتمام الصلاة والدعاء لحصول الصبر مع ذكر نتيجة تركها وتوجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة.

وكذلك ذكرت قصة موسى عليه السلام من الولادة إلى الدعوة والهجرة مع ذكر أهم الحوادث التي ظهرت في حياته ليكون نموذجاً عملياً في جميع مراحل الدعوة إلى الله تعالى"(٥١).

المنوذج الثالث: موضوع سورة الفرقان:

قال الشيخ: "إن موضوع هذه السورة هو الدفاع عن القرآن الكريم والنبي صلى الله عليه وسلم. والجواب عن شبهات مخالفيه مع ذكر أسباب المخالفة. وكذلك ذكرت الدلائل على وحدانية الله تعالى والإنذار من عذابه لأن الكفار كانوا متنفرين عنها"(٥٢).

المنوذج الرابع: موضوع سورة "ص".

قال الشيخ: "إن أساس هذه السورة قائم على التوحيد مثل السورة السابقة، مع ذكر حقيقة أن القرآن ذكر للقريش وهم يخالفونه بكبرهم وبغيهم وغافلون عن العاقبة التي يخبرهم القرآن وسيؤمنون عندما يرون العذاب ولكن لا ينفعهم إيمانهم حينئذ"(٥٣).

---

(٥١) تدبر: ٤/١٤٩.

(٥٢) تدبر: ٤/٥٧١.

(٥٣) تدبر: ٥/٥٠٥.

النموذج الخامس: موضوع سورة "حم السجدة":

قال الشيخ في بيان موضوع هذه السورة: "إنه وحدانية الله تعالى مع دلائلها، والإنذار لمخالفي القرآن ودعوته والبشارة للمؤمنين الذين يثبتون على الإيمان رغم مخالفة الكفار. وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالصبر على مخالفة أعدائه لأن هذه هي الطريقة المستقيمة وفيها سر نجاة الدعوة "(٥٤).

هذا هو منهج الشيخ الإصلاحي في تعرضه لبيان موضوع السور في تفسيره، والتزم هذا الأسلوب من أوله إلى آخره. ورأينا في هذه النماذج أنه في بعض الأحيان يفصل الكلام ويختصره في حين آخر.

---

(٥٤) تدبر: ٦/ ٧١.

الوحدة الموضوعية لمجموعة من السورتين:

النموذج الأول: موضوع سورة "هود" وعلاقتها بما قبلها(سورة يونس):

يقول الإصلاحي في بيان موضوع سورة "هود" والوحدة الموضوعية بين السورتين: "إن سورة "هود" زوج لسورة "يونس" ولذا لا يوجد فرق بينهما بصفة عامة، لكن هناك فرق بينهما من حيث الإجمال والتفصيل وأسلوب الكلام والاستدلال. ونرى الإجمال في الأولى والتفصيل في الثانية، مثلاً ذكرت الأمم السابقة في الأولى مجملة، بينما بيّنت في سورة "هود" مفصلة".

وبداية السورتين واحدة وهو "الر". واشتراك السور في الأسماء دليل على وحدة الموضوع والمطالب والمفاهيم"(٥٥).

النموذج الثاني: موضوع سورة "الرعد" وعلاقتها بما قبلها(سورة يوسف) -

يقول الإصلاحي: "إن سورة "الرعد" زوج لسورة "يوسف"، وليس هناك فرق أساسي بين موضوعهما. فكانت المعركة بين وهم المؤمنون - الحق والباطل عند نزول القرآن فذكر القرآن الطائفة الناجحة، ونفس هذه الحقيقة ذكرت في سورة "يوسف" من حياة عليه السلام بينما في "الرعد" ذكرت بدلائل العقل والفطرة"(٥٦).

النموذج الثالث: عمود سورة "فاطر" وعلاقتها بما قبلها(سورة سبأ) -

---

(٥٥) تدبر: ٩٧/٤.

(٥٦) تدبر: ٢٦٣/٤.

قال الإصلاحي: "إن سورة "فاطر" زوج لما قبلها(سبا) ولذا ليس هناك فرق بين موضوعهما. وهو إثبات التوحيد[٥٧] وإبطال ألوهية الملائكة[٥٨].

وكذلك إبطال ألوهية الجن والملائكة في سورة "سبأ" والرد على هذه العقيدة في السورة المذكورة. وجاء ذكر الرسالة والمعاد ضمن ذكر التوحيد.

وكذلك بدايتهما "بالحمد لله" ونهايتهما بذكر المعاد"[٥٩].

المنوذج الرابع: سورة الليل وعلاقتها بما قبلها(الشمس):

قال الإصلاحي: "إن سورة الليل زوج لما قبلها (الشمس) ولذا ليس هناك فرق أساسي بين موضوعهما. فقال الله تعالى في السورة الشمس عن النفس الإنسانية: "قد أفلح من زكها. وقد خاب من دسها"[٦٠]. وقال في سورة الليل إن المال يكدر النفس الإنسانية ثم ذكر طرق تزكيتها"[٦١].

هذه هي طريقة الإصلاحي وأسلوبه في بيان الوحدة الموضوعية بين السورتين من أوله إلى آخره. ونكتفي بهذا القدر من الأمثلة من تفسيره "تدبر قرآن".

---

(٥٧) مثلا في قوله تعالى: "الحمد لله الذي له ما في السموت وما في الأرض... وهو الرحيم الغفور".(سبا: الآية ١-٢.
وقوله تعالى: "الحمد لله فاطر السموت والأرض ... فأنى يؤفكون". (الفاطر:الآية ١-٣). ذكر فيها أن الملائكة مخلوق الله تعالى والذي يحتاج لله لوجوده فكيف يكون خالقا ؟ لأن الخالق لا يحتاج أحدا والمحتاج لا يكون خالقا .

(٥٨) كما في قوله تعالى: ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون". (سبا: الآية: ٤٠-٤١). فعلم من هذا أن الملائكة سوف يسئلون ، والمسئول لا يكون خالقا كما قال تعالى: "لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون". (الأنبياء: الآية ٣٢).

(٥٩) تدبر: ٣٤٧/٦.

(٦٠) سورة الشمس: الآية ٩-١٠.

(٦١) تدبر: ٣٩٧/٤.

أقسام الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم كله:

النموذج الأول:

عندما يبدأ الإصلاحي في تفسير القرآن الكريم يبيِّن العمود الجامع لكل قسم من الأقسام السبعة (٦٢).

ويقول الإصلاحي في بيان الوحدة الموضوعية في القسم الأول:

"إن القسم الأول يبدأ من سورة الفاتحة وينتهي بسورة المائدة. فنجد في هذا القسم موضوع الأحكام والقوانين غالبة"(٦٣).

النموذج الثاني: الوحدة الموضوعية للسور في المجموعة الثانية.

وقال الإصلاحي: "إن القسم الثاني يبدأ من سورة الأنعام وينتهي بسورة التوبة. فنجد فيه "موضوع الإنذار غالباً".

النموذج الثالث:

الإصلاحي

عندما بدأ بذكر موضوع القسم الثالث قال: "القدر المشترك في هذا القسم من السور-الذي بدأ من سورة يونس وانتهى بسورة النور-أن المعركة التي كانت بين الحق والباطل ستنتهي بالفلاح والفوز للرسول وللمؤمنين وبالذلة والهزيمة لقريش، وبعبارة أخرى أن فيه "إنذاراً لقريش وبشارة للرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة (٦٤) رضي الله عنهم أجمعين.

---

(٦٢) كما ذكرناها في الفصل الثاني من الباب الرابع.

(٦٣) مثلاً نجد فيها أحكام الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والنكاح، والطلاق، والرضاعة، والبيع، والربا، والديون وغيرها.

(٦٤) تُدبر: ٤/ ١٠.

النموذج الرابع:

يقول الإصلاحي: "نجد البحث في هذا القسم عن جميع أدوار الدعوة الإسلامية، والهجرة والجهاد- وكذلك الكلام عن جميع مطلب/الأساسية (الدعوة) التوحيد، والرسالة والمعاد-

ويختلف هذا القسم بأساليب وطرق الاستدلال عن بقية الأقسام من بعض النواحي.

والموضوع الجامع لهذا القسم هو إثبات الرسالة. وكذلك نجد فيه الجواب عن جميع شبهات واعتراضات قريش على رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى القرآن الكريم مع إظهار المكانة الأصلية للرسول والقرآن الكريم.

وكذلك فيها بشارة للمؤمنين أن الفوز لهم في الدنيا والآخرة بعد المرور بمراحل الاختبار. وأما الذين يصرون على التكذيب بعد إتمام الحجة فأخبرهم بعاقبتهم"[٦٥].

النموذج الخامس:

القسم الخامس من السور يبدأ من سورة "سبأ" وينتهي بسورة الحجرات. ويقول الإصلاحي في بيان موضوع هذا القسم: "إن الموضوع الجامع لهذا القسم من السور هو "إثبات التوحيد"، الذي هو أبرز المواضيع في جميع سوره. وإن كان فيه الكلام عن المطالب الأساسية الثلاثة للدعوة القرآنية-التوحيد، والرسالة، والمعاد- ولذا كان الحديث فيه عن جميع المطالب المذكورة إلا أن الأول/(التوحيد) كان أظهر. واختلف منهج الاستدلال وأسلوب البيان".

النموذج السادس:

---

(٦٥) تدبر: ٤٣٩/٥.

يبدأ هذا القسم من سورة " ق "وينتهي بسورة "التحريم". فيها سبع عشرة سور. منها السبع الأول مكية والعشر الأخيرة مدنية.

والموضوع الجامع لهذا القسم هو البعث بعد الموت والحشر والنشر. وهو أبرز المواضيع في جميع السور المكية، و إن كان فيه ذكر المطالب الأخرى الأساسية كبقية الأقسام ولكن هذه المطالب كانت ضمن الموضوع المذكور وكذلك السور المدنية المذكورة في هذا القسم.

النموذج السابع:

يبدأ هذا القسم السابع من سورة "الملك" وينتهي بسورة "الناس". وذكر الإصلاحي رأيه أن السور المكية عنده من سورة "الملك" إلى سورة "الكافرون"(٦٦). وأما السور المدنية فهي من سورة النصر إلى سورة الناس.

ونجد الكلام فيه عن جميع الأسس للدعوة القرآنية -التوحيد، والرسالة، والمعاد -.

والموضوع الجامع لهذا القسم هو "الإنذار". وطريقة معظم الاستدلال مبنى على المشاهدة في الآفاق وعلى الحقائق التاريخية وأدلة الأنفس"(٦٧).

---

(٦٦) ذكر الإصلاحي سورة المطففين من السور المكية وهو قول عطاء أيضاً. ويقول ابن عباس إنها مدنية". البرهان: ١٩٤/١. ولذا عند الإصلاحي عدد السور المكية ثمانية وثمانون بينما ذكر الزركشي عدد السور المكية خمس وثمانين. وعدد السور المدنية عند الإصلاحي ست وعشرون وعند الزركشي تسع وعشرون على اختلاف الروايات. البرهان: ١٩٤/١.

(٦٧) تدبر: ٤٧٩/٨.

الجدول

نظرة عابرة على

فكرة نظم القرآن الكريم عند الشيخ الإصلاحي في نظر الباحث

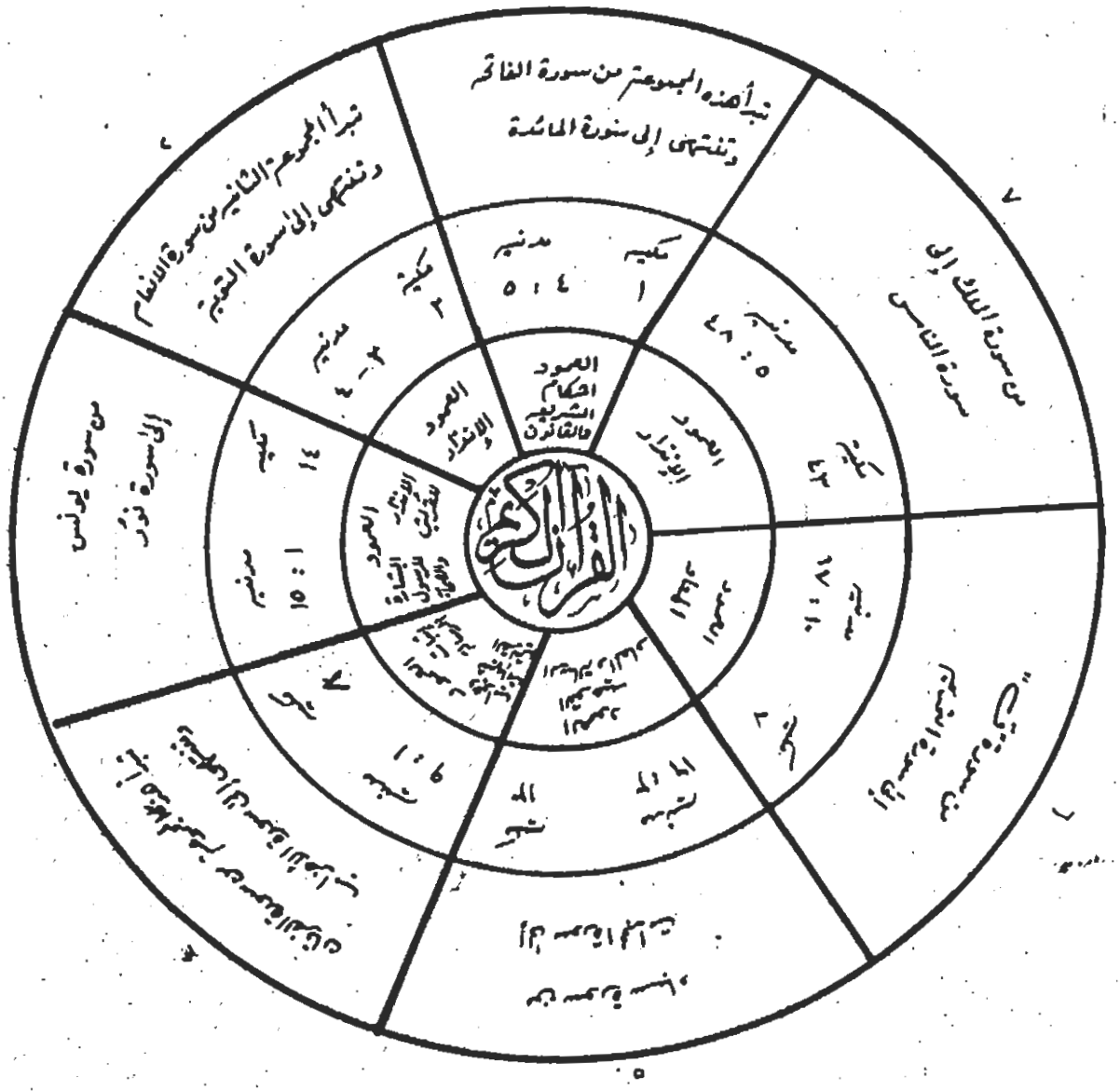

١: فكرة الأقسام السبعة لسور القرآن عند الشيخ الإصلاحي.

٢: عدد سور المكية ٨٨- والمدنية ٢٦ (المجموع: ١١٤).

٣: الوحدة الموضوعية لسور القرآن (عمودها).

٤: العمود للقرآن كله (أهم موضوعات القرآن).

الباب الخامس

منهج الشيخ الإصلاحي في التفسير بالرأي.

فيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الاتجاه اللغوي في تفسير تدبر قرآن.

الفصل الثاني: منهج الإصلاحي في تقرير المسائل الفقهية.

الفصل الثالث: منهج الإصلاحي في تقرير مسائل العقيدة في تفسيره.

الفصل الرابع: منهج الإصلاحي في الدفاع عن الإسلام ورده على خصومه.

الفصل الأول:

الاتجاه اللغوي في تفسير تدبر قرآن.

فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاتجاه اللغوي.

المبحث الثاني: الاتجاه النحوي.

المبحث الثالث: الاتجاه البلاغية-

المبحث الأول

الاتجاه اللغوي

لقد عنى الشيخ الإصلاحي عناية خاصة باللغة العربية، فهي أساس لفهم القرآن الكريم.

وقد ذكرها الإصلاحي في مقدمة تفسيره ضمن الوسائل الداخلية لفهم القرآن الكريم حيث قال: "اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي التي توجد في كلام شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس وعمرو بن كلثوم وزهير بن لبيد وفي كلام خطباء الجاهلية مثل قيس بن ساعدة ونحوه. وليست بتلك التي كان يستخدمها المتنبي أو الحريري ولا هي بلغة تصدرها الصحف والجرائد في بلاد مصر وشام مثلاً. ولذا لابد لكل من يريد أن يتذوق بلاغة القرآن في إيجازه وإعجازه أن يمارس كلام شعراء الجاهلية وخطبائها، وبدون تذوق كلامهم لايمكن إدراك محاسن لغة القرآن ولايستطيع أحد أن يدرك ذلك السحر الذي أعجز كل بليغ وفصيح لمعارضة هذا الكتاب"[1].

اهتم الشيخ الإصلاحي بهذه الناحية اهتماماً بالغاً حيث بيّن معاني الكلمات المفردة مع ذكر النظائر والشواهد الواردة في القرآن الكريم.

ولا يوجد مثل هذا الاهتمام البالغ في كتب تفسير المعاصرين. وسيدور كلامنا حول النكات التالية:

معاني المفردات، وبيان اشتقاقها.

معاني المفردات: أولاً

يبيّن الشيخ الإصلاحي معاني المفردات، ويعيّن المعنى المقصود ويستشهد عليه من القرآن الكريم. ومثال ذلك:

المثال الأول:

كلمة "الحمد" في قوله تعالى: "الحمد لله رب العلمين"[2]. قال الإصلاحي في تفسير هذه الكلمة: إن معظم المفسرين ذكروا أن معنى "الحمد" "الثناء" ولكن معناها عندي

---

(١) مقدمة تدبر: ١/١٥.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ١.

"الشكر" لأن كلمة "الحمد" عندما استعملت في القرآن الكريم في مثل هذا المقام أفادت معنى الشكر"[٣]. وذلك

١: لقوله تعالى: "وقالوا الحمد لله الذي هدنا لهذا"[٤].

٢: وقوله تعالى: "وآخر دعوهم أن الحمد لله رب العلمين"[٥].

٣: وقوله تعالى "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق"[٦].

ثم قال الإصلاحي: "إن {الحمد} أهم من الشكر، حيث يستعمل للاعتراف بكل كمال سواء ينتفع به الحامد أو لا ينتفع به، بخلاف الشكر فإنه يكون في مقابل النعمة التي ينتفع بها الشاكر ورغم هذا الفرق، الشكر داخل في مفهوم "الحمد"، فإذاً لابد من انضمام الشكر إلى الثناء عند شرح كلمة "الحمد" أو أن نشرحها بالشكر"[٧]. يريد الشيخ الإصلاحي أن المفهوم الحقيقي "للحمد" يستلزم الشكر والثناء معاً.

المثال الثاني:

كلمة "الدين" في قوله تعالى: "ملك يوم الدين"[٨]. فسّر الإصلاحي هذه الآية وبيّن معاني "الدين"، حيث قال: "إن كلمة "الدين" جاءت في القرآن الكريم بمعان عدة

١: الديانة كما في قوله تعالى: "أفغير دين الله يبغون"[٩].

٢: القانون كما في قوله تعالى: "ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك"[١٠].

---

(٣) تدبر: ١/٥٥-٥٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٥) سورة يونس: الآية ١٠.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٣٩.

(٧) تدبر: ١/٦٥. وقد فصل الكلام الشيخ الآلوسي في مقدمة تفسير-روح المعاني- لبيان معنى الحمد، والشكر والثناء مع ذكر الفروق بينها.

(٨) سورة الفاتحة: الآية ٣.

(٩) سورة آل عمران: الآية ٨٣.

(١٠) سورة يوسف: الآية ٧٦.

٣: الطاعة كما في قوله تعالى: "وله ما في السموت والأرض وله الدين واصباً"(١١).

٤: الجزاء كما في قوله تعالى: "إنما توعدون لصادق. وإن الدين لواقع"(١٢).

ثم يقول الإصلاحي: "إن المعنى الأخير هو المراد ويُقصد به كلا من : جزاء الأعمال الحسنة والسيئة"(١٢).

المثال الثالث:

كلمة "الكتاب" في قوله تعالى: "تلك الكتب لا ريب فيه"(١٤).

قال الإصلاحي: "إن كلمة "الكتاب" وردت في القرآن الكريم بمعانٍ خمسة، هي:

١: "التقدير" في قوله تعالى: "لولا كتب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم"(١٥).

٢: "اللوح المحفوظ " في قوله تعالى: "وعندنا كتب حفيظ "(١٦).

٣: "الرسالة" في قوله تعالى: "إني ألقي إليَّ كتب كريم"(١٧).

٤: "الأحكام والقوانين" في قوله تعالى: "ويعلمهم الكتب والحكمة"(١٨).

---

(١١) سورة النحل: الآية ٥٢.

(١٢) سورة الزريت: الآية ٥-٦.

(١٣) تدبر: ١٤/١. وقد ذكر الدامغاني خمسة معاني لكلمة "دين" وهي: التوحيد، الحساب، الحكم، الدين بعينه والملة". واستشهد عليها من الآيات القرآنية ". قاموس القرآن: ص: ١٧٨-١٧٩. حسين بن محمد الدامغاني. ت: عبد العزيز سيد الأهل. ط: ٢. دار العلمية، بيروت. لبنان.

(١٤) سورة البقرة:الآية ٢.

(١٥) سورة الانفال: الآية ٦٨.

(١٦) سورة "ق": الآية ٤.

(١٧) سورة النمل: الآية ٢٩.

(١٨) سورة الجمعة: الآية ٢.

٥: "كلام الله المنزل" في قوله تعالى: "والذين يمسكون بالكتب وأقاموا الصلوة"[١٩].

ثم قال الإصلاحي: "إن هذا المصطلح {الكتاب} ليس بجديد عند اليهود بل كانوا يسمون صحف أنبيائهم "السفر" ومعناه "الكتاب". وكذلك استخدم المفسرون المسيحيون اسم "بابل" لكتبهم ومعناه في اللغة اليونانية "الكتاب". وكذلك استخدمت كلمة (scripture) لصحفهم ومعناها في اللغة اللاتينية "الكتاب" .

وجملة القول إن هذا المصطلح -الكتاب- ليس بجديد بل هو مصطلح قديم. وفي هذا المعنى ورد في القرآن الكريم(٢٠) -

ويستطرد الإصلاحي في بيان كلمات كثيرة بنفس الطريقة التي ذكرت بعض الأمثلة عليها آنفا .

عناية الإصلاحي بالاشتقاق:

اهتم الشيخ الإصلاحي بذكر الاشتقاق اهتماماً كثيراً حيث يبين أصل الكلمة ومعناها الحقيقي الذي استخدمه أهل اللغة.

الأمثلة:

المثال الأول: ماذكره الشيخ الإصلاحي في تحقيق لفظ "الشيطان" في قوله تعالى: "وإذا خلوا إلى شياطينهم"[٢١]. حيث قال: "إن لفظ {شيطان} مشتق من شاط يشيط/شيطان فهو على وزن فعلان، وهي صيغة مبالغة ومعناه عجلان، شرير الطبع. وهذا النوع من الصفة توجد في الجن والإنس معاً والمراد بهذا اللفظ هنا هم رؤساء اليهود الذين كانوا سبب الفساد في الأرض"[٢٢].

---

(١٩) سورة الأعراف: الآية ١٧٠.

(٢٠) تدبر: ٤٢/١.

(٢١) سورة البقرة : الآية ١٤.

(٢٢) تدبر: ٧٦/١.

المثال الثاني: ما ذكره الإصلاحي في تحقيق لفظ "حطة " في تفسير قوله تعالى: "قولوا حطة [٢٢]" حيث قال: "إن لفظ {حطة} ناب مناب الجملة مثل ما جاء في قوله تعالى: "ويقولون طاعة "[٢٤]. ولذا نقدرُ هنا مبتدأ. وقد ذكر الزمخشري تقديره حيث قال: "مسئلتنا حطة "[٢٥].

و اشتقت كلمة {حطة} من " حط " ومعناه "المغفرة"ومن هنا استخدمت لحط الذنوب. واللغة العربية متقاربة في النطق من العبرانية وقال الإصلاحي أظن أن هذا اللفظ استخدم في العبرانية بمعنى الحط والعفو، وكانت " حطة " عندهم من كلمات الاستغفار والتوبة وانتقلت منها إلى العربية"[٢٦].

وللشيخ الإصلاحي تحقيق في مواضع متعددة من هذا النوع ونكتفي هنا بما ذكرنا على سبيل المثال.

---

(٢٢) سورة البقرة: الآية ٥٨.

(٢٤) سورة النساء: الآية ٨١.

(٢٥) الكشاف: ١٢٥/١. وقد نقل أبو حيان عن الحسن بن ابي الحسن حيث قال: "حطة": مفرد ومحكى القول لابد أن يكون جملة فاحتج إلى تقدير مصحح للجملة فقدر: "مسئلتنا حطة". البحر المحيط: ٢٢٢/١.

(٢٦) تدبر: ١٧٦/١.

المبحث الثاني

الإتجاه النحوي في تفسيره

لم يهمل الإصلاحي هذا الجانب بل ذكر بعض المسائل النحوية أيضاً. وربما يذكر المسألة النحوية ويشير إلى قاعدة عند النحويين، مثال ذلك:

المثال الأول: قوله تعالى: "فمن جآءه موعظة من ربه "[٢٧]. قال الإصلاحي: "يغلب جانب الزجر والتنبيه في لفظ "الموعظة ". والموعظة صيغة مؤنث. وذكر قبلها الفعل المذكر وهو " جآء " وهذا لأن تأنيثها غير حيقيقي ولذا جاء الفعل مذكراً[٢٨].

المثال الثاني: قوله تعالى: "فرهن مقبوضة "[٢٩]. قال الشيخ الإصلاحي: "إن كلمة {رهان} جمع رهن. والمراد بها الشيء الذي يودعه المدين عند الدائن. و"فرهن مقبوضة" مثل قوله تعالى: "فصبر جميل"[٣٠].

وبيّن فيها وجوه التقدير حيث قال: "يجوز فيها وجهان:

١: أن نجعلها مبتدأ ونقدر خبره.

٢: أو نجعلها خبراً ونقدر له مبتدأ.

معنى ذلك إن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فاعطوا شيئاً لصاحب المال وهذا يكون بمثابة رهن في يده فبهذا يمكن إتمام أمر الدين"[٣١].

المثال الثالث: قوله تعالى: "قد نرى تقلب وجهك في السمآء"[٣٢]. ويقول الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "لابد أن نذكر هنا أسلوب اللغة العربية وهو أن تحذف صيغ

---

(٢٧) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

(٢٨) تدبر: ١/٦١٠.

(٢٩) سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

(٣٠) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٣١) تدبر: ١/٥٩٨.

(٣٢) سورة البقرة: ١٤٤.

الأفعال الناقصة قبل فعل المضارع عامة مثل "كان يفعل" ويحذف "كان" ويبقى "يفعل" فقط. ونجد لها أمثلة من كلام العرب ومن القرآن الكريم أيضاً مثلاً: قوله تعالى:

١: "فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل"(٣٣). تقدير العبارة هو: "كما كانوا يعبدون". ويكون حذف فعل "كان".

٢: وكذلك قوله تعالى: "وكم أرسلنا من نبي في الأولين. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون"(٣٤). فاكتفي القرآن بذكر الفعل "يأتيهم". وحذف الفعل الناقص "كان". وتقدير العبارة: "وما كان يأتيهم". وهذا الحذف كان جرياً على اللغة العربية.

٣: وقوله تعالى: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموت الأرض "(٣٥). تقدير العبارة هو: "وكذلك كنا نرى ابراهيم". ويكون حذف الفعل.

قال الإصلاحي: "الأصل كانت العبارة هكذا: كنا نرى إبراهيم" ولكن حذف الفعل الناقص قبل فعل المضارع عملاً بأسلوب عربي معروف. و بناء على هذا حذف الفعل في الآية: "قد نرى تقلب وجهك في السماء" هكذا جاء على النسق العربي بحذف الفعل الناقص قبل المضارع"(٣٦). أصل العبارة كانت: "قد كنا نرى".

---

(٣٣) سورة هود: الآية ١٠٩.

(٣٤) سورة الزخرف: الآية ٦-٧.

(٣٥) سورة الأنعام: الآية ٧٥.

(٣٦) تدبر: ٣٢٨/١.

المبحث الثالث

الاتجاه البلاغية -

اهتم الشيخ الإصلاحي بالمباحث البلاغية[٣٧] اهتماماً كبيراً، بحيث أنه ما مر بآية إلا وقد وقف على نكاتها البلاغية ومن هذه الأمثلة التي ذكرها كالتالي:

المثال الأول:

قوله تعالى: "يذبحون أبنائكم ويستحيون نسائكم"[٣٨] حيث قال: " عندما ذكر لفظ "الذبح" جعله للأبناء وفي هذا إشارة إلى محبة وشفقة الآباء بالأبناء. وعندما ذكر "الاستحياء" ذكر بلفظ "نسائكم" مضافاً للمخاطب مشيراً إلى تأثير هذا التعبير في تحريك الغيرة"[٣٩].

المثال الثاني:

قوله تعالى: "يايها الذين أتوا الكتب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً"[٤٠]. قال الإصلاحي: "نجد البلاغة في تنكير "وجوها" حيث أن التنكير هنا جيئ لإظهار النفرة والكراهة حيث ذكرت اللعنة في الآية السابقة. والمقصود بالتنكير هنا هو إظهار ما بلغته هذه الوجوه من اللعنة والكراهة حيث لا يريد المتكلم أن يشير إليهم على وجه التحديد والتعيين، فلذا لم يقل: "وجوهم" بل قال: "وجوها" منصرفاً عنهم"[٤١].

---

(٣٧) البلاغة: هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته. مختصر المعاني - للشيخ سعد الدين التفتازاني - المكتبة الفاروقية، ملتان، ص ٤٢-٤٦-

(٣٨) سورة البقرة: الآية ٤٩.

(٣٩) تدبر: ١٦٨/١.

(٤٠) سورة النساء: الآية ٤٧.

(٤١) تدبر: ٨٣/٢.

المثال الثالث:

قوله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها"[٤٢]. قال الإصلاحي: "والمراد بتنكير " {قلوب} هنا إظهار الكراهة كأنما قيل إن هذا القلوب مكروهة إلى القدر الذي لا يحب المتكلم أن يشير إليهم على وجه التعيين"[٤٣].

المثال الرابع:

ما قاله الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك"[٤٤]. وفي قوله تعالى أيضا: "قال يابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"[٤٥]. حيث قال: "إذا تدبرنا هاتين الآيتين وجدنا أن في الآية الأولى ذكر لفظ " لا " بعد لفظ "ما منعك " ولم يذكر في الثانية. والعلة فيه أن مفهوم " لا " وجد في قول "ما منعك " ولذا لم تكن هناك حاجة إلى ذكر " لا " بعدها. لأننا إذا ذكرناها فتدل على شدة التنكير على (إبليس) فتتضح شناعته من هذه الجملة"[٤٦].

استطرد الشيخ الإصلاحي من ذكر النكات البلاغية في مواضعها[٤٧].

---

(٤٢) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٤٣) تدبر: ٤١٩/٦.

(٤٤) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٤٥) سورة "ص": الآية ٧٥.

(٤٦) تدبر: ٦٠٦/٢.

(٤٧) أنظر: تدبر: ٦٣٥/٣.

الإيجاز في القرآن الكريم:

ذكر الشيخ الإصلاحي الإيجاز[٤٨] في تفسير القرآن الكريم حيث قال في تفسير قوله تعالى:

١: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى"[٤٩] هنا في العبارة حذف ويكون تقديره: "وتزودوا التقوى فإن خير الزاد التقوى". وحذفت كلمة "التقوى" الأولى بمقتضى الإيجاز والبلاغة لأنها ذكرت بعدها. ولو ذكرت لوجد التكرار وهو عيب في اللغة العربية والقرآن الكريم منزه عن كل عيب"[٥٠].

٢: وقال في تفسير قوله تعالى: "للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله"[٥١]. إن هنا في العبارة حذف وتقديره: هذه الصدقة تنفق للذين أحصروا في سبيل الله أي حذف المبتدأ هنا. والدليل الأول على حذفه القرينة. والثاني فيه إشارة إلى إخفاء الصدقة. كأن الآية أشارت إلى المحتاجين ولكن إلى أي رجل هذه الإشارة؟ فهذا مفوض إلى فهم المخاطب. وصان عزة المحتاجين بإخفاء الصدقة التي أشارت إليها الآية"[٥٢]. { والمراد بالصدقة هنا هي صدقة النفل}.

٣: وقوله تعالى: "ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآيتنا يظلمون"[٥٣]. حيث قال الإصلاحي: "ليس هنا في هذه الآية المناسبة بين الصلة

---

(٤٨) الإيجاز: "جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإيضاح ". البلاغة الواضحة: ص ٢٣٩.

(٤٩) سورة البقرة: الاية ١٩٧.

(٥٠) تدبر: ١/ ٤٤١.

(٥١) سورة البقرة: الآية ٢٧٣.

(٥٢) تدبر: ١/٥٧٩-٥٨٠.

(٥٣) سورة الأعراف: الآية ٩.

والفعل ولذا لابد أن نقدر هنا فعلاً الذي يملأ هذا الفراغ فيكون تقدير العبارة: "بما كانوا يكفرون بآيتنا ويظلمون أنفسهم"(٥٤).

٤: وقوله تعالى: "قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة"(٥٥). قال الشيخ الإصلاحي :"إن الله تعالى ذكر وصف المؤمنين حيث أنهم يقاتلون في سبيل الله. ولكن لم يصرح الله تعالى بمن يكون قتالهم؟

ثم يبين سببه فيقول: "والسبب عدم الصراحة في أمر الكافرين هو أسلوب اللغة العربية الذي ذكر في معظم مواضيع القرآن الكريم وهو: إذا اجتمع شيئان متقابلان فيحذف أحدهما للإيجاز لأن ذكر أحد الشيئين يدل على الحذف، فيكون تقدير العبارة هكذا: فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت. فحذف لفظ "مؤمنة " في الأولى و"في سبيل الطاغوت" في الثانية، وهذا لأن كلمة "كافرة" تدل على المؤمنة و"في سبيل الله" يدل على "سبيل الطاغوت". وهذا الأسلوب ذكر في القرآن الكريم كثيراً. ولا يتضح سرُ الكلام بدون تقدير. وهذا الحذف فرع الإيجاز الذي هو روح البلاغة"(٥٦).

إن هذه النكات تدل على تبحر الإصلاحي في علوم العربية والبلاغة وأنه فارس من أئمة هذا الميدان وإمام في هذا الفن في هذا الزمان.

هكذا دأب الشيخ الإصلاحي على ذكر النكات البلاغية في تفسيره(٥٧) بطرق مختلفة. وربما تحت عنوان: "نكتة بلاغية"، وربما تحت عنوان: "أسلوب اللغة العربية" ونحو ذلك. ولا شك في أن هذه محاولة جيدة من الشيخ الإصلاحي.

---

(٥٤) تدبر: ٢/ ٦٠٠.

(٥٥) سورة آل عمران: الآية ١٣.

(٥٦) تدبر: ١/٦٣٩-٦٤٠.

(٥٧) مثلاً: تدبر: ٣/٣١٧. و ٣/٥٣٧.

المجاز في القرآن الكريم:

وقد عنى الشيخ الإصلاحي في تفسيره ببيان المجاز[٥٨]، وهذه بعض الأمثلة على ذلك قوله تعالى:

١: "إني أعصر خمراً"[٥٩] إن أسلوب اللغة العربية قد يعبّر عن الشيء بغايته فمثلاً إذا كان المقصود من عصر العنب الخمراً فنستطيع أن نقول "أعصر خمراً"[٦٠]. وهذا الأسلوب الذي ذكر هنا في هذه الآية يقال له في العربية مجاز باعتبار ما يكون.

٢: قوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله ..."[٦١]. قال الإصلاحي: "فيها إشارة إلى الميثاق الذي أخذه الله سبحانه وتعالى من بني إسرائيل على اجتناب الشرك والتزام حسن السلوك مع الوالدين والأقربين، والتيامى والمساكين وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة. وأول شيء في هذا الميثاق هو المنع من عبادة غير الله حيث قال: "لا تعبدون إلا الله". وقال الإصلاحي: "إن هذه الجملة وإن كانت ظاهرها خبراً ولكنها في معنى النهي، ولذا صح عطف الجملة الإنشائية عليها"[٦٢]. واستخدام الجملة الخبرية بمعنى الإنشاء قسم من المجاز.

---

(٥٨) المجاز: هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي". البلاغة الواضحة: ص٦٦.

(٥٩) سورة يوسف: الآية ٣٦.

(٦٠) تدبر: ٤٦٣/٣.

(٦١) سورة البقرة: الآية ٨٣.

(٦٢) تدبر: ٢١٧/١. وكذا ذكر الزمخشري في الكشاف: ١٥٩/١.

المقلوب:

ذكر الشيخ الإصلاحي قصة قوم شعيب في تفسير قوله تعالى: "إنك لأنت الحليم الرشيد"[٦٢]. فقال: "عندما قال قوم شعيب هذه الكلمة له/ما قالوها إلا استهزاء وسخرية بشعيب لأنهم لم يؤمنوا بما قالوا ولم يقولوه على وجه الحقيقة"[٦٤].

الاستعارة التمثيلية[٦٥]: ببيان الاستعارات التي تشتمل عليها الآيات

وقد عنى الشيخ الإصلاحي/ أيضاً كما في قوله تعالى: "نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم "[٦٦]. حيث قال: "إن معنى الحرث في اللغة "الزرع"، واستعار هو الحرث للنساء/أن القانون الإلهي للحرث أن تزرع في جو ملائم ووقت مناسب وأن تزرع الأرض الجيدة و لا يزرع العاقل/في الشوارع ولا يخالف الزارع هذه القاعدة، وكذلك قانون الفطر يقتضي منك أن لا تصيب حاجتك/من زوجك في أيام الحيض ولا في غير الآتي لأن المرأة تحمل في هذه الأيام. والجماع في غير الآتي سبب الأذى والضياع، فمن هذه الجهة تكون هذه الآية تفسيراً وتوضيحاً للآية السابقة[٦٧] من السورة"[٦٨].

---

(٦٢) سورة هود: الآية ٨٧.

(٦٤) تدبر: ٤٠٩/٣.

(٦٥) الاستعارة التمثيلية: تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة م قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي". البلاغة الواضحة: ٩٧.

(٦٦) سورة البقرة: الآية ٢٢٣.

(٦٧) وهي: قوله تعالى: "ويسئلونك عن المحيض، قل هو أذى فاعتزلوا النساء ف المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم ال إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين". سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٦٨) تدبر: ٤٨٣/١.

المشاكلة[٦٩]:

١: قال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به"[٧٠]. ذكر نفس أسلوب المشاكلة الذي ذكر في الكلمة المأثورة :"دناهم كما دانوا". أي كما فعلوا: فقال الله تعالى لهم إن يريدون القصاص فلابد أن يكون بقدر الذي أصابكم ولابد أن يكون التوافق والتوازن بين الجناية والدية. فذكر فعل المعاقبة مشاكلة[٧١].

٢: قوله تعالى: "وللبسنا عليهم مايلبسون"[٧٢]. قال الشيخ الإصلاحي: "نسب فعل "لبس" إلى الله في مقابلة "يلبسون". وهذا لا يعني أن الإلباس حقيقي ولكن هم الذين وقعوا فيه. وهذه النسبة إلى الله فقط على سبيل المشاكلة"[٧٣].

٣: في قوله تعالى: "فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"[٧٤]. فيها أيضاً نسبة فعل "أزاغ" إلى الله في مقابلة "أزاغوا" . ولذا سمّي فعل الله على سبيل المشاكلة فقط[٧٥].

---

(٦٩) المشاكلة: وهي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحته، تحقيقاً أو تقديراً". تلخيص المفتاح: ٣٢١.

(٧٠) سورة النحل: الاية ١٢٦.

(٧١) تدبر: ٣/٧٠٩.

(٧٢) سورة الأنعام: الآية ٩.

(٧٣) تدبر: ٢/٣٩٨.

(٧٤) سورة الصف: الآية ٥.

(٧٥) تدبر: ٨/٤٨٠.

خروج اللفظ عن المعنى الظاهر:

ذكر الإصلاحي هذا النوع من البلاغة أيضاً في تفسيره. مثال ذلك:

من الأمر والنهي فيه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه وُجِّه العتاب إلى الآخرين فيه كما في قوله تعالى: "واستغفر الله"(٧٦). هذا مثال الأمر.

ومثال النهي: كما في قوله تعالى: "ولا تكن للخائنين خصيماً"(٧٧).

وكذلك قوله تعالى: "ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم"(٧٨).

قال الإصلاحي: "الخطاب في هذه الآيات المذكورة بالظاهر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه وكيل الأمة ولكنه في الحقيقة وُجِّه الخطاب إلى المسلمين الذين يساعدون المنافقين حيث قيل لهم اجتنبوا هذه العادة وتلك الأعمال. ويمثل هذا الأسلوب البلاغي لإظهار عدم الالتفات إلى الذين وُجِّه الخطاب إليهم حيث لا يليق بهم الخطاب، ولذا وُجِّه الخطاب إليهم بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم"(٧٩).

---

(٧٦) سورة النساء: الآية ١٠٦.

(٧٧) سورة النساء: الآية ١٠٥.

(٧٨) سورة النساء: الآية ١٠٧.

(٧٩) تدبر: ٢/١٥٠.

الفصل الثاني

منهج الشيخ الإصلاحي في تقرير المسائل الفقهية.

فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى الفقه لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: منهج الإصلاحي في عرض الأحكام الفقهية.

المبحث الثالث: نماذج/من تفسير تدبر قرآن فقهية.

المبحث الأول

معنى الفقه لغةً واصطلاحاً

الفقه لغة: الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقهه. وكل علم بشيء فهو فقه. يقولون: لا يفقه ولا ينقه. ثم اختص بذلك علم الشريعة، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيه. وأفقهتك الشيء، إذا بيَّنته لك"[١].

وفي اللسان: "الفقه: العلم بالشيء والفهم له، وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم كما غلب النجم على الثريا.

وقال ابن الأثير: "واشتقاقه من الشق والفتح، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة، شرفها الله تعالى، وتخصيصاً بعلم الفروع منها. وقال غيره: والفقه في الأصل الفهم. يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً فيه. قال الله عزوجل: **"ليتفقهوا في الدين"**[٢]. أي ليكونوا علماء به[٣].

الجرجاني

وقال سيِّد شريف: "الفقه: هو في اللغة عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه"[٤].

الفقه في اصطلاح الشرع:

---

(١) معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. (٣٩٥) ت: عبد السلام محمد هارون. مادة: فقه. ٤/٤٤٣. ط: ٢. ١٣٩١هـ-١٩٧١م. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٣) لسان العرب: مادة: فقه. (١٣/٥٢٢).

(٤) التعريفات لسيِّد شريف: ص ١١٢. مطبعة أحمد كامل. سلطان با يزيد. استنبول. (ت:١٣٢٧هـ)

كان الغالب في الصدر الأول استعمال الفقه في فهم الأحكام الدينية جميعاسواء أكانت متعلقة بالأحكام الاعتقادية، أو الأحكام العملية، أو الأحكام الوجدانية.

وكما يطلق على فهم جميع هذه الأحكام كان يطلق على الأحكام نفسها.

ولهذا المعنى جاء تعريف أبي حنيفة للفقه الإسلامي فقال: هو معرفة النفس ما لها و ما عليها"(٥).

وجاء في كتاب المستصفى: "الفقه عبارة عن العلم والفهم في أهل الوضع يقال فلان يفقه الخير والشر أي يعلمه ويفهمه ولكن صار بعرف العلماء عبارة عن العلم بالأحكام الشرعية الثابتة لأفعال المكلفين خاصة حتى لا يطلق بحكم العادة اسم الفقيه على متكلم وفلسفي ونحوي ومحدث ومفسر بل يختص بالعلماء بالأحكام الشرعية الثابتة للأفعال الإنسانية، كالوجوب والحظر، والإباحة، والندب، والكراهة وكون العقد صحيحاً وفاسداً وباطلاً وكون العبادة قضاء وأداء وأمثاله"(٦).

وعرف صدر الشريعة الفقه: "بأنه علم بالأحكام الشرعية العملية التي قد ظهر نزول الوحي بها، والتي انعقد الإجماع عليها من أدلتها مع ملكة الاستنباط الصحيح منها"(٧).

ويقول سيد شريف الجرجاني: الفقه في الاصطلاح: "هو علم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية"(٨).

وقيل: "هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم وهو علم مستنبط بالرأي والاجتهاد ويحتاج فيه إلى النظر والتأمل ولهذا لا يجوز أن يسمى الله فقيها لأنه لا يخفى عليه شيء"(٩).

---

(٥) التوضيح: لعبيد الله بن مسعود المشهور بصدر الشريعة ابن تاج الشريعة(ت:٧٤٧هـ) ١/٢٢. ط: ٢. نور محمد، أصح المطابع. آرام باغ، كرتشي. ١٤٠٠هـ.

(٦) المستصفى: ١/٤.

(٧) التوضيح على التنقيح: ١/٣٦.

(٨) التعريفات لسيد شريف: ص ١١٢. وشرح البدخشي: ١/٢٧.

(٩) المصدر نفسه: ص ١١٢.

المبحث الثاني

منهج الإصلاحي في عرض الأحكام الفقهية.

لابد أن نلاحظ هنا بعض الأمور التي تساعدنا على فهم تفسير منهج الإصلاحي الذي سلكه في عرض الأحكام الفقهية في تفسيره.

إن تفسيره -الإصلاحي كما ذكرنا سابقاً- أقرب إلى التفسير بالرأي منه إلى التفسير بالمأثور حيث أطلق المؤلف عنان العقل وقل اعتماده على النقل ولم يعتمد على أقوال المفسرين السابقين إلا نادراً وقد جرى على نفس الصنيع في تفسير آيات الأحكام قلما يستدل بالحديث رغم اعترافه بحجية الحديث وهو اعتراف في نطاق محدود جداً كما فصلنا ذلك في موضعه. ومن الصعب جداً تفسير آيات الأحكام دون الاستعانة بالحديث الذي معظمه أخبار آحاد التي لا اعتبارلها عند الشيخ الإصلاحي. ومن هنا نراه يختصر في تفسير آيات الأحكام، وعند تعرضه للمسائل الفقهية نراه يحيل إلى كتب الفقه قائلاً التفصيل في كتب الفقه وما أشبه ذلك. ولكن على رغم هذا كله استرسل الإصلاحي في بعض المواضع من تفسيره عند آيات الأحكام.

المبحث الثالث:

نماذج/المسائل الفقهية من تفسير تدبر قرآن.

النموذج الأول:

تفسير الإصلاحي لقوله تعالى: "فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما"(١٠). قال الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "يظهر من هذا التعبير أن السعى ليس واجباً، بل هو في حكم الاستحباب ولكن هذا الرأى عندنا غير صحيح، لأنه إذا كان المراد الاستحباب فكان المناسب أن يكون تقدير العبارة هكذا كما قالت عائشة: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما"(١١).

"كما أن هذا أيضاً غير مناسب بأن يقال بعد قول الله: "إنها من شعائر الله". فكيف قال بعد هذا مباشرة بأن "لاحرج في عدم الطواف بهما. وكان الأحسن أن يكون المراد أن هذا السعى واجب".

ويبقى السؤال بعد هذا هل هو فرض أو واجب أو مستحب؟

وقال الإصلاحي: "أما في رأينا فهو أن حكم السعى الوجوب"(١٢). والآن بقي سؤال آخر وهو إذاً ما معنى "فلا جناح"؟

---

(١٠) سورة البقرة: الآية ١٥٨.

(١١) وقد أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنا يومئذ حديث السن أرئيت قول الله تبارك وتعالى "إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلاجناح عليه ان يطوف بهما" فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما فقالت عائشة: كلا. لو كانت كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فأنزل الله: إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او إعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما". صحيح البخاري، كتاب التفسير: ٥-١٥٣/٢. وسنن الترمذي: ١٤-٢٠٨/٥-٢٠٩.

(١٢) تدبر: ٣٨٧/١. وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية تسعة مسائل بالتفصيل مع ذكر مذاهب العلماء وأدلتهم حسب عادته. ورجّح مذهب وجوب السعي الذي هو مذهب الشافعي والذي ذكره الإصلاحي هو خلاصة ما ذكره القرطبي بغاية الاختصار أخذاً بظاهر القرآن الكريم". القرطبي: ١٧٨/٢-١٨٤.

وعلى المسؤلين من الجانبين أن يحكموا في الأمور المذكورة في ظروف عادية وإن تنازعوا في شيء فلهم الرجوع إلى القاضي للحكم (بينهما) فيما اختلفوا فيه[١٦].

وقد ذكر القرطبي ثماني عشرة مسألة في تفسير هذه الآية منها الستة المذكورة مع ذكر الأدلة ومذاهب الفقهاء[١٧].

النموذج الثالث:

تفسيره لقوله تعالى: "**اليوم أحل لكم الطيبٰت وطعام الذين أتوا الكتٰب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنت من المؤمنت والمحصنت من الذين أوتوا الكتب من قبلكم**"[١٨] حيث استدل بهذه الآية "إن طعام أهل الكتاب حلال للمسلمين بشرط أن يكون في حدود الحل التي بينها الإسلام.

ثم قال: "كان الغرض من هذا التفصيل إخبار المسلمين بأنه لابد أن تكون لكم علاقة بالأقوام الآخرين ولكن يجب أن يكون كله بقيود الحل والحرمة[١٩]-

وكذلك استدل الشيخ الإصلاحي بهذه الآية على جواز نكاح المسلم بالكتابية بشرط أن تكون محصنة ولا تكون زانية. وقال الله تعالى للمسلمين إنا كما أحللنا لكم طيبات مائدة أهل الكتاب فكذلك يجوز لكم نكاح نساء أهل الكتاب. ثم قال: "اشترط بعض الفقهاء أن يكون هذا النكاح في دار السلام". وهذا الرأى قوي عندي. وأرى أنهم استنبطوا هذا من فحوى الكلام"[٢٠].

---

[١٦] تدبر: ١/٥٤٥.

[١٧] القرطبي: ٣/١٦٠-١٧٣.

[١٨] سورة المائدة: الآية ٥.

[١٩] تدبر: ٢/٢٣٦-٢٣٧.

[٢٠] المصدر نفسه: ٢/٢٣٦-٢٣٧. وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية عشرة مسائل منها هاتان المذكورتان بذكر أقوال العلماء فيها وأدلتهم. القرطبي: ٢/٧٥/٨٠.

النموذج الرابع:

تفسيره لقوله تعالى: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ...."[٢١].

استنبط الإصلاحي بعض المسائل من هذه الآية تحت عنوان: "مسؤلية الأمة في النواحي التالية": فقال:

١: القتل يسبب الاضطراب للأمة كلها، ما لم يقتص من القاتل فيظن كل واحد أنه غيرمعصوم الدم. فالقانون يحافظ على كل نفس فإذا قتل أحد فالمقتول ليس هو وحده بل كل واحد عرضة للقتل.

٢: التفتيش عن القاتل ليس مسؤلية ورثة المقتول فقط بل هو مسؤلية المجتمع كله لأن القاتل لم يقتل رجلاً واحداً بل قتل أمة بأكملها.

٣: لايجوز لأحد أن يترك أخاه في مشكلة بحجة أن هذا الأمر لايهمه بل عليه أن يساعده مهما كانت التضحية، لأن هذه المساعدة ليست لأجل رجل واحد بل هي للمجتمع كله.

٤: إذا كتم أحد قتل أحد أو شهد للقاتل أو كفل عنه أو آواه أو وكل عنه أو برأه من جريمة القتل عمداً فكأنه ساعد الذي أراد قتله أو قتل أخاه أو أباه لأن من قتل نفساً واحدةً فكانما قتل الناس جميعاً.

٥: مساعدة ورثة المقتول أو الحكام حياة للمقتول في الحقيقة لقوله تعالى: "ولكم في القصاص حيوة ياأولي الألباب"[٢٢].

النموذج الخامس:

تفسيره لقوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله ..."[٢٣]. قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "السارق والسارقة" كل منهما

---

[٢١] سورة المائدة: الآية ٣٢.

[٢٢] تدبر: ٢/ ٢٧٥-٢٧٦. سورة البقرة، الآية ١٧٩.

[٢٣] سورة المائدة: الآية ٣٧-٣٩.

وعلى المسؤلين من الجانبين أن يحكموا في الأمور المذكورة في ظروف عادية وإن تنازعوا في شيء فلهم الرجوع إلى القاضي للحكم (بينهما) فيما اختلفوا فيه[١٦].

وقد ذكر القرطبي ثماني عشرة مسألة في تفسير هذه الآية منها الستة المذكورة مع ذكر الأدلة ومذاهب الفقهاء[١٧].

النموذج الثالث:

تفسيره لقوله تعالى: "**اليوم أحل لكم الطيبٰت وطعام الذين أتوا الكتٰب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنت من المؤمنت والمحصنت من الذين أوتوا الكتب من قبلكم**"[١٨] حيث استدل بهذه الآية "إن طعام أهل الكتاب حلال للمسلمين بشرط أن يكون في حدود الحل التي بينها الإسلام.

ثم قال: "كان الغرض من هذا التفصيل إخبار المسلمين بأنه لابد أن تكون لكم علاقة بالأقوام الآخرين ولكن يجب أن يكون كله بقيود الحل والحرمة[١٩]-

وكذلك استدل الشيخ الإصلاحي بهذه الآية على جواز نكاح المسلم بالكتابية بشرط أن تكون محصنة ولا تكون زانية. وقال الله تعالى للمسلمين إنا كما أحللنا لكم طيبٰات ماندة أهل الكتاب فكذلك يجوز لكم نكاح نساء أهل الكتاب. ثم قال: "اشترط بعض الفقهاء أن يكون هذا النكاح في دار السلام". وهذا الرأى قوي عندي. وأرى أنهم استنبطوا هذا من فحوى الكلام"[٢٠].

---

[١٦] تدبر: ١/٥٤٥.

[١٧] القرطبي: ٣/١٦٠-١٧٣.

[١٨] سورة المآئدة: الآية ٥.

[١٩] تدبر: ٢/٢٣٦-٢٣٧.

[٢٠] المصدر نفسه: ٢/٢٣٦-٢٣٧. وقد ذكر القرطبي في تفسير هذه الآية عشرة مسائل منها هاتان المذكورتان بذكر أقوال العلماء فيها وأدلتهم. القرطبي: ٢/٧٥/٨٠.

من صيغ الصفة/التي تدل على أنه لابد.لإيجاب الحد من أن يكون العمل بحيث يصح إطلاق السرقة على مرتكبه. فإذا قطع وجل ثمرة من الشجرة أوسرق الخضروات أو غيرها فهو يستحق التنبيه على هذا، ولكن لا يعدّ هذا/من السرقة التي توجب قطع يده. وقد ذكر فقهاؤنا بعض الشروط لإطلاق وصف السرقة على هذه/الجناية وتنفيذ العقوبة اللازمة فيها وهي مذكورة بالتفصيل في كتب الفقه ولا يسعنا التفصيل أكثر من هذا، ولكن نشير هنا إلى بعض هذه الأقوال:

١: لاتقطع اليد إلا إذا سرق شيئاً متقوماً. وأما إذا سرق شيئاً تافهاً فلا تقطع يده، واختلف العلماء في تقدير الثمن اللازم[٢٤].

٢: أن يكون المال المسروق في حرز.فإذا كان غير مصون مثل الحيوان في الصحراء فهذا لا يدخل في حكم السرقة شرعاً.

٣: إذا كان للسارق شركة في المال المسروق أو يكون المال في حفظه أو أمانة عنده وسرق منه فهذا/ليس من السرقة التي توجب الحد [٢٥].

٤: إذا كان السارق مجنوناً أو غير بالغ فلا يجري عليه حد السرقة[٢٦].

٥: إذا سرقت زوجة من مال زوجها أو خادم البيت من مال سيده فهذا أيضاً لا يدخل تحت حد السرقة.

٦: إذا كانت هناك شبهة الاضطرار فلا ينفذ حد السرقة لأن عمر بن الخطاب منع قطع اليد في وقت القحط عام الرمادة.

---

(٢٤) وقد قال الإصلاحي في كتابه: "مبادئ تدبر قرآن": لا تقطع يد السارق إلا إذا كان ثمن الشيء المسروق ربع دينار فصاعدا. كما روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذكره إمام مالك في موطأ. باب ما لا قطع فيه". ٦٩/١-٧٠.

(٢٥) قال القرطبي في تفسيره: اتفق جمهور الناس على أن القطع لا يكون إلا على من أخرج من حرز ما يجب فيه القطع. وقال: الوصف الثالث: أن لا يكون للسارق فيه ملك كمن سرق ما رهنه أو استاجره ولا شبهة ملك". القرطبي: ١٦٨/٦.

(٢٦) ذكر القرطبي خمسة أوصاف للسارق وهي: البلوغ والعقل، وهو أن يكون غير مالك للمسروق منه وأن لا يكون له عليه ولاية فلا تقطع اليد إن سرق من مال سيده، وكذلك السيد إن أخذ مال عبده لا تقطع بحال... وقطع اليد بإجماع الصحابة وبقول الخليفة" غلامكم سرق مالكم" عمر بن الخطاب. والسارق كان غلاما لعبد الله بن عمرو الحضرمي سرق مرآة إمرأته ثمنها ستون درهما". القرطبي: ١٦٧/٦.

٧: "لابد من تنفيذ حد السرقة من دار الإسلام لأن الحدود والتعزيرات تتعلق بالحكام ولاتتعلق بالدار.

بالمدينة
ونزولها/دليل على أن وجود دار الإسلام شرط لتنفيذ هذا القانون لأن الله تعالى أنزل الأحكام بعد أن قامت الحكومة الإسلامية"(٢٧).

النموذج السادس: من آيات

ربما يفسر الإصلاحي آية/الأحكام ويعين مرادها في ضوء اللغة ولو كان مخالفاً لحديث صحيح ولإجماع الأمة وجمهور العلماء، فمثلاً تفسيره لقوله تعالى: "**فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره... لقوم يعلمون**"(٢٨).

قال الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "إذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً فلا يحل له الرجوع إليها حتى تنكح زوجاً غيره ثم يطلقها وتمضي عدتها. والحكمة في هذا أن لا يطلق الرجل امرأته في حالة الاستعجال والغضب بل لا بد له أن يفكر في أمر الطلاق في ضوء نتائجه في المستقبل. وكان المقصود من هذا الشرط هو صون الطلاق من أن يكون لعبة في أيدي الناس. ولا يسمح بالرجوع بعد الطلقة الثالثة لأنه لو أتيحت الفرصة للزوج بعد الطلقة الثالثة لضاعت الحكمة من مشروعية الطلاق ولم تظهر له أهمية الطلاق الحقيقية. وبوجود هذا الشرط أي النكاح بزوج ثان يفكر الزوج ألف مرة قبل أن يطلق زوجته"(٢٩).

ثم بين معنى النكاح في قوله تعالى: "حتى تنكح زوجاً غيره" فقال:

---

(٢٧) تدبر: ٥١٢/٢. وقد ذكر القرطبي اختلاف العلماء في إقامة الحدود في أرض الحرب فعند مالك والليث بن سعد تقام الحدود في أرض الحرب ولا فرق بين دار الحرب والسلام. وقال أبو حنيفة: إذا غزا الجند أرض الحرب وعليهم أمير فإنه لا يقيم الحدود في عسكره إلا أن يكون إمام مصر أو شام، أو العراق أو ما أشبه فيقيم الحدود في عسكره... استدل من قال بعموم القرآن وهو الصحيح إن شاء الله تعالى وأولى من يحتج به لمن منع القطع في أرض الحرب مخافة أن يلحق ذلك بالشرك والله أعلم". القرطبي: ١٧١/٦.

(٢٨) سورة البقرة: الآية ٢٣٠.

(٢٩) تدبر: ٥٣٧/١.

"إن لفظ النكاح هنا في معنى عقد النكاح عندنا. وأما الذين قالو إن النكاح هنا في معنى الوطء فهو تكلف من غير ضرورة[٣٠] بقطع النظر عن المقصد الذي كانوا يريدونه لم يحصلوا ... أيضاً، لأن أسلوب استخدام الكلمة يأبى هذا المعنى -الوطء- وذلك لأن ضمير الفاعل في "تنكح" يرجع إلى المرأة وإذا أريد "الوطء" بلفظ النكاح فيكون معنى الآية: "حتى تطأ المرأة زوجاً آخر". والوطء هو من فعل الرجل لا من فعل المرأة.

وإن أريد به -تنكح"- حتى تطأ المرأة برجل آخر، فما دليلهم في أخذ هذا المعنى من قوله تعالى حتى تنكح زوجاً غيره؟ [٣١].

ولم يكتف الإصلاحي في حمل كلمة النكاح على عقد الزواج بل رد على الذين عنى بها "الوطء" في ضوء الحديث قائلاً إن مذهبهم قول بلا دليل حيث قال:

"لا دليل على قول من قال بأن المرأة لا تحل للزوج الأول إلا بعد أن ينكحها زوج ثان ثم يطلقها بعد أن يطأها. وقد أثبتنا أن استدلالهم بكلمة "تنكح "غير ناهض"[٣١].

ثم قال : "إن أصل مستدل من يشترط في الحل للزوج الأول وطء الزوج الثاني هو الحديث فقط أما الاستدلال بالقرآن ضمن باب استخراج النكات بعد الوقوع. فهذا الاستدلال ضعيف كما أثبتنا. وأما الحديث فبعد النظر في جميع طرقه يتوافق مع ما فهمنا من القرآن ولا يخالفه" [٣٢].

هذا موقف الإصلاحي من هذه المسألة الفقهية- وفيما يلي الأحاديث التي اشترطت وطء الزوج الثاني في حل المرأة المطلقة ثلاثا للزوج الأول -

---

[٣٠] تدبر: ١/٥٣٨.

[٣١] تدبر: ١/٤٨٠-٤٨١.

[٣٢] تدبر: ١/٤٨١.

[٣١] المصدر نفسه: ١/٤٨١.

أخرج البخاري في صحيحه "باب إذا طلقها ثلاثاً ثم تزوجت بعد العدة زوجاً غيره فلم يمسها:

عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رفاعة القرظي تزوج امرأة[٣٤] ثم طلقها فتزوجت آخر فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت أنه لا يأتيها وأن ليس معه إلا مثل هدبة فقال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"[٣٥].

"قوله "فقال لا": قال الكرماني: "فإذا قلت ما المعني بقوله لا؟ قلت: الرجوع إلى الزوج الأول وسائر الروايات تدل عليه"[٣٦].

وقوله: "حتى تذوقي عسيلته" قال جمهور العلماء ذوق العسيلة كناية عن المجامعة. وهو تغيب حشفة الرجل في فرج المرأة. وزاد الحسن البصري حصول إنزال المني. وهذا الشرط انفرد به عن الجماعة"[٣٧].

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "أي أنه إذا طلق الرجل امرأته طلقة ثالثة بعد ما أرسل عليها الطلاق مرتين بأنها لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره أي يطأها زوج آخر في نكاح صحيح. فلو وطئها الواطئ في غير نكاح ولو في ملك اليمين لم تحل للأول لأنه ليس بزوج وهكذا لو تزوجت ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأول واشتهر بين كثير من العلماء أن سعيد بن المسيب يقول: "يحصل المقصود في تحليلها للأول بمجرد العقد على الثاني. وفي صحته عنه نظر على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار والله أعلم"[٣٨].

---

(٣٤) اسمها: "تميمة". الكوكب الدراري: ٢٢٨/١٩.

(٣٥) صحيح البخاري، كتاب الطلاق: ٨٠١/٢.

(٣٦) الكوكب الدراري شرح الكرماني: ٢٢٨/١٩.

(٣٧) حاشية صحيح البخاري كتاب الطلاق. لأحمد علي علي السهارنفوري: ٨٠١/٢.

(٣٨) ابن كثير: ٢٧٨/١.

وقال بعد هذا: "فإن طلقها": أي الزوج الثاني بعد الدخول بها(فلا جناح عليهما أن يتراجعا) أي المراد الزوج الأول (إن ظنا أن يقيما حدود الله) أي يتعاشرا بالمعروف"(٣٩).

وقد ذكر أبو جعفر ابن جرير تفسير هذه الآية فقال:

"عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة فيتزوجها زوج آخر فيطلقها قبل أن يدخل بها أترجع إلى الأول؟ قال: لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها"(٤٠).

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسير الآية: "فإن طلقها" أي بعد التطليقتين "فلا تحل له" برجعة ولا بنكاح جديد "من بعد" أي/من بعد هذا الطلاق. "حتى تنكح زوجاً غيره أي: حتى تذوق وطء زوج آخر، وهي العسيلة التي صرح بها النبي صلى الله عليه وسلم في نكاح صحيح، وفي جعل هذا غاية للحل، زجر لمن له غرض مّافي إمرأته عن طلاقها ثلاثاً، لأن كل ذي مروءة يكره أن يفترش امرأته آخر"(٤١).

وقال الإمام ابن القيم في زاد المعاد: حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المطلقة ثلاثاً لا تحل للأول حتى يطأها الزوج الثاني.

وذكر في تأييده حديث البخاري الذي ذكرناه قبل هذا. وفيه زيادة بعض الألفاظ حيث قال:

"ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يارسول الله إن رفاعة طلقني فبت طلاقي. وإني نكحت عبد الرحمن بن الزبير القرظي وإن ما معه مثل الهدبة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك"(٤٢).

---

(٣٩) المصدر نفسه: ١/٢٨١.

(٤٠) الطبري: ٢/٢٩٢.

(٤١) تفسير القاسمي: المسمى "محاسن التأويل". ٢/٢٤٩. جمال الدين القاسمي. ت: محمد فواد عبد الباقي. ط: ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. بيروت، لبنان.

(٤٢) المصدر نفسه: ٢/٤٤٩-٥٠٠.

عن عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله عليه وسلم: العسيلة الجماع ولو لم ينزل"(٤٣).

عن ابن عمر قال: سئل رسول الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثاً، فيتزوجها الرجل، فيغلق الباب ويرخي الستر، ثم يطلقها، قبل أن يدخل بها، قال: "لا تحل للأول حتى يجامعها الآخر"(٤٤).

بعد ذكر هذه النصوص من الحديث النبوي استنبط الشيخ القاسمي منها أربعة مسائل حيث قال:

فتضمن هذا الحكم أموراً:

١: أنه لايقبل قول امرأة على الرجل: أنه لايقدر على جماعها.

٢: أن إصابة الزوج الثاني شرط في حلها للأول، خلافاً لمن اكتفى بمجرد العقد فإن قوله مردود بالسنّة التي لا مردلها.

٣: أنه لا يشترط الإنزال بل يكفي مجرد الجماع الذي هو ذوق العسيلة.

٤: أنه صلى الله عليه وسلم لم يجعل مجرد العقد المقصود -الذي هو نكاح رغبة- كافياً، ولا اتصال الخلوة به وإغلاق الباب وإرخاء الستور حتى يتصل به الوطء..! وهذا يدل على أنه لم يكف مجرد عقد التحليل الذي لا غرض للزوج والزوجة فيه سوى صورة العقد وإحلا لها للأول بطريق الأولى، فإنه إذا كان عقد الرغبة المقصود للدوام غير كاف حتى يوجد فيه الوطء، فكيف يكفي عقد تيس مستعار ليحلها، لا رغبة في إمساكها وإنما هو عارية كحمار الفرس المستعار للضراب؟"(٤٥).

وقد فسر القرطبي هذه الآية حيث قال:

---

(٤٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٠. أخرجه النسائي ولفظه: عن عائشة قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاثاً فتزوجت زوجاً غيره، فدخل بها ثم طلقها قبل أن يدنو منها، أتحل للأول؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا، حتى يذوق العسيلة كما ذاق الأول". كتاب الطلاق ٩، رقم الحديث ٣١٩٠، قال الألباني: صحيح

(٤٤) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٠. أخرجه النسائي - كتاب الطلاق ١٢٠ - باب إحلال المطلقة ثلاثاً، والنكاح الذي يحلها به، رقم الحديث ٣١٩٧ - وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: حديث صحيح.

(٤٥) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٠-٢٥١.

"المراد بقوله تعالى: {فإن طلقها} الطلقة الثالثة {فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره} وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه.

واختلفوا فيما يكفي من النكاح، وما الذي يبيح التحليل؟ فقال سعيد بن المسيَّب ومن وافقه مجرد العقد كاف. وقال الحسن بن أبي الحسن لا يكفي مجرد الوطء حتى يكون الإنزال"[٤٦].

وقال بعد نقل قول سعيد بن المسيَّب:"...أما الناس فيقولون لاتحل للأول حتى يجامعها الثاني، وأنا أقول إذا تزوجها تزوجاً صحيحاً لا يريد بذلك إحلالها فلا بأس أن يتزوجها الأول"[٤٧].

فيتضح لنا من هذه النصوص أن المراد بالنكاح في قوله تعالى: {حتى تنكح زوجاً غيره} هو الوطء كما ثبت بالحديث الصحيح الذي ذكرناه.

ولكن ما قاله الشيخ الإصلاحي بأن المراد بالنكاح هو "مجرد العقد"، ولا يشترط الوطء

وذكرنا قبل هذا قول الشيخ القاسمي حيث قال: "إن إصابة الزوج الثاني شرط في حلها للأول، خلافاً لمن اكتفى بمجرد العقد، فإن قوله مردود بالسنَّة التي لا مرد لها"[٤٨].

ولذا نقول إن قول الشيخ الإصلاحي بلا حجة لأنه مخالف للحديث الصحيح الصريح

وأولى بنا تخطئة رجل واحد وعدّ قوله شاذاً بدلاً من أن نترك حديثاً صحيحاً

---

[٤٦] القرطبي: ٢-٣/١٤٨.

[٤٧] المصدر نفسه: ٢-٣/١٤٨.

[٤٨] تفسير القاسمي: ٢: ٢٥٠-٢٥١.

ولا نستطيع أن نعتذر عن الشيخ الإصلاحي كما اعتذر القرطبي عن سعيد بن المسيّب وسعيد بن جبير حيث قال: "وأظنهما لم يبلغهما حديث العسيلة أو لم يصح عندهما فأخذا بظاهر القرآن وهو قوله تعالى: "حتى تنكح زوجاً غيره" والله أعلم"(٤٩).

وهذا ذلك الحديث الذي رواه أصحاب الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث فهو صحيح ثابت بسند صحيح وإلا لم يروه البخاري وغيره من المحدثين في كتبهم.

النموذج السابع:

وهذا مثال آخر من تفسير تدبر قرآن الذي خالف فيه الشيخ الإصلاحي مسلك جمهور الأئمة وترك الأحاديث الصحيحة وأنكر حكم "رجم الزاني المحصن" الثابت بالأحاديث الصحيحة. وذكر دليله من القرآن الكريم الذي لم يقل به أحد قبله. فيجدربنا أن نذكر:

أولاً: وجهة نظر الإصلاحي حول المسألة مع ذكر دليل الرجم عند الفقهاء.

ثانياً: دليل الرجم عند الشيخ الإصلاحي.

ثالثاً: قصة رجم ماعز بن مالك الأسلمي.

وسيرى القارئ هل وافق الإصلاحي الفقهاء أم شذّ عنهم؟

قال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واجد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين"(٥٠).

---

(٥٠) سورة النور: الآية ٢.

بعض شروط الفقهاء على عموم الآية ووجهة نظرنا في المسألة:

"إن ظاهر ألفاظ الآية يتعلق بكل نوع من الزاني والزانية ولكن ذكر فقهاءنا بعض القيود منها صحيحة وأخرى غير صحيحة وبعضها تحتاج إلى البيان" (٥١).

ثم ذكر الإصلاحي خمسة شروط الفقهاء - وارتضى ثلاثة منها وهي كما التالي:

١: لابد من دار الإسلام أو الحكومة الإسلامية لإجراء الحد. وقال: "هذا الشرط لازم عندنا لأن الأحكام نزلت بعد قيام الحكومة الإسلامية في المدينة المنورة"(٥٢).

٢: ينفذ هذا الحد على العاقل البالغ دون المجنون ومن هو دون البلوغ.

٣: يكون حد العبد والأمة نصف حد الحر. وقال: هذا أيضاً صحيح". والدليل عليه هو قوله تعالى: "فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب"(٥٣).

٤: قال بعض الفقهاء: إن هذا الحد ينفذ على المسلم دون الكافر. وهذا القيد لم يرض به الإصلاحي وقال: وهذا خلاف العقل بداهة ولا يؤيده عمل النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لأن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه نفذوا الحدود على الكفار"(٥٤).

ونلاحظ هنا أن الشيخ الإصلاحي ادعى بأن الرسول صلى الله عليه وسلم رجم الكفار وكذلك خلفاؤه. ولكن لاأدري كيف نسي ما قاله:

"قصص الرجم غير ثابتة إلا قصة ماعز بن مالك الأسلمي فهي ثابتة ونعلم من الروايات أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجم اليهود والنساء الأخريات".

---

(٥١) تدبر: ٤/ ٥٠٠.

(٥٢) المصدر نفسه: ٤/ ٥٠٠.

(٥٣) سورة النساء: الآية ٢٥.

(٥٤) تدبر: ٤/ ٥٠٠-٥٠١.

إذا ثبتت حقيقة هذه الحوادث فاتضح الأمر بأنها مثل حادثة ماعز. فعلم من تاريخ ذلك العهد بأن بعض النسوة في زمن الجاهلية كن يفعلن ما يفعلن. وكان اليهود يستفيدون من أموالهن ولم ينته هؤلاء مع قيام الحكومة الإسلامية والتنبيه لهن حتى أُخذن فرجمهن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملاً بآتي المحاربة من سورة المائدة[٥٥]: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله..."[٥٦].

٥: أما الشرط الخامس الذي ذكره جميع الفقهاء تقييداً لعموم الآية هو: "أن هذا الحد (أي مائة جلدة) يتعلق بالزاني غير المتزوج أو المتزوج الذي لم يبن بزوجته. وأما الزاني المحصن فحده الرجم. والدليل على هذا هو عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه. و بناء على هذا خصص الفقهاء هذا الحد بالزاني غير المحصن والزانية غير المحصنة.

قال الإصلاحي: "إن الفقهاء نسخوا الحد في حق الزاني المحصن والزانية المحصنة". ثم قال: "إن الشرط مهم جداً سواء كان بمعنى التخصيص أو بمعنى النسخ. وهما لايجوزان بأخبار الآحاد. وبالتالي هو مما لا تطمئن إليه القلب، ولذا فالخوارج لا يقولون بهذا النسخ والتخصيص.وينكرون الرجم، ويعممون هذا الحد لكل زانٍ وليس بمقيّد أبداً"[٥٧].

الدليل الأول للفقهاء ووجهة نظرهم في المسألة:

ذكر الإصلاحي رواية عبادة بن الصامت التي هي وجهة نظر الفقهاء في الرجم وبها يخصصون الحد-المذكور في آية سورة النور-بالزاني غير المحصن.

---

[٥٥] تدبر: ٤/٥٠٦.

[٥٦] سورة المائدة: الآية ٣٣.

[٥٧] تدبر: ٤/٥٠١.

"عن النبي صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيّب بالثيّب الجلد والرجم"(٥٨).

ونقد الإصلاحي هذه الرواية فقال: "لو تدبرنا هذه الرواية لعلمنا أن فيها بيان عقوبة الزاني غير المتزوج، وهي: "الجلد وتغريب عام". وكذلك عقوبة المحصن الزاني: هما الجلد والرجم".

والسؤال هنا: هل ينفذ الحدان كلاهما معاً؟ فأجاب الفقهاء الأحناف والشافعية بأنه لا يصح الحدان معاً. وحد الجلد المذكور في الرواية هو منسوخ بعمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة. والحد للمحصن الزاني هو الرجم فقط. ورواية عبادة بن الصامت كانت ناسخة لآية "النور". ولا ينسخ القرآن بالسنة. وعند ما لم ينجح هؤلاء في مقصدهم نسخوا الرواية برواية أخرى. ومثل هذه الأقوال سبب نفور الناس عنهم"(٥٩).

ونلاحظ من نقد الإصلاحي لهذه الرواية أنه لا يقيم وزناً لعمل الرسول والصحابة كما هو واضح. ولا يعترف كذلك بنسخ القرآن بالحديث أصلاً ونرى هنا أنه لا يعترف بنسخ السنّة بالسنّة أيضاً.

وخلاصة القول إن رواية عبادة بن الصامت رواية صحيحة وكان العمل عليها ثم نسخت في حق الزاني المحصن عند البعض أو خصصت بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة. والحد المذكور في سورة النور هو خاص بالبكر. وأما الزاني المحصن فعليه الرجم الثابت بسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة بها. ونقل ابن بطال إجماع الصحابة وأئمة الأمصار على أن المحصن إذا زنى عامداً عالماً مختاراً فعليه الرجم.

وقد ذكر النووي إجماع العلماء في المسألة حيث قال:

"وأجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة. ورجم المحصن وهو الثيّب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكى القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام وأصحابه".

وقال بعد هذا: "وقال جماهير العلماء الواجب الرجم وحده. وحجة الجمهور أن النبي صلى الله عليه وسلم اقتصر على رجم الثيّب في أحاديث كثيرة منها قصة ماعز وقصة المرأة الغامدية وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "واغد يا انيس على إمرأة هذه فإن

---

(٥٨) تدبر: ٤/٥٠١-٥٠٢. وذكره مسلم في صحيحه: ١٨٨/٧. باب حد الزنا. وفتح الباري: ٢٦٢/٢٥.

(٥٩) تدبر: ٥٠٢/٤.

اعترفت فارجمها. وقالوا وحديث الجمع بين الجلد والرجم منسوخ فإنه كان في أول الأمر"[٦٠].

الدليل الثاني:

ذكر الإصلاحي فيه رواية عمر بن الخطاب التي جاءت في الكتب الستة وفي غيرها بالإسناد الصحيح الذي لا شبهة حوله مع هذا لا يرضى الإصلاحي أن يقول إنها رواية للصحابي فضلاً أن تكون رواية عمر بن الخطاب، بل يقول:

"لو تدبرنا لعلمنا أنها من وضع المنافق. والغرض من هذا الاختلاق-في رأي الإصلاحي-هو إثارة الشبهات والوساوس في قلوب المؤمنين حول حفظ الله تعالى للقرآن الكريم وتواتر نصه إلينا دون أي تحريف أو تغيير"[٦١].

ورواية عن ابن عباس قال: قال عمر قد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وقد قرأنا "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة"[٦٢].

نقد الإصلاحي هذه الرواية وذكر فيه ثلاثة نكات:

١: لا تليق هذه الرواية أن تكون آية من القرآن الكريم على أساس اللغة.

٢: إن كانت آية من القرآن الكريم فمن أخرجها؟ وحكم الرجم باق فيها فما معنى هذا؟ وإن كانت آية فأخرجت منه فهذا-خير-دليل على أن حكم الرجم كان ثم نسخ. إذاً فما معنى الاستدلال بها في إثبات الرجم"؟

---

[٦٠] صحيح مسلم: ١٨٩/٦. وقد ذكر ابن حجر أن هذا مسلك الجمهور. وقال: إن قصة ماعز متراخية عن حديث عبادة بن الصامت وهي ناسخة له". فتح الباري: ٢٦٢/٢٥.

[٦١] تدبر: ٥٠٢-٥٠٣.

[٦٢] تدبر: ٥٠٣/٤. وصحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٨٩/٢٥.

٣: وفي حالة الصحة لا تفيدهم أيضاً لأنهم يريدون إثبات الرجم للزاني المحصن وفيها حكم الشيخ والشيخة، وليس من الضروري أن يكون كل متزوج شيخاً. فإذاً أين المطابقة بين الدعوى والدليل؟[٦٣].

ولم يرض الإصلاحي أن يعدّ هذه الرواية من قول عمر بن الخطاب فضلاً أن تكون قول الرسول صلى الله عليه وسلم أو آية من القرآن الكريم.

فقد رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله نعهما قال: "قال عمر: "لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل:لا نجد الرجم في كتاب الله،فيضلوا بترك آية أنزلها الله، ألا وأن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البيّنة، أو كان الحمل أو الاعتراف. قال سفيان: كذا حفظت ألا وقد رجم رسول الله ورجمنا بعده"[٦٤].

ورواه البخاري في باب: "رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت" رواية طويلة وذكر فيها قول عمر حيث قال: "إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق،وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم الرسول صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده"[٦٥]. وكذلك رواه أبو داود في سننه وزاد بعد كلمة الاعترف: "وأيم الله لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها"[٦٦].

---

(٦٢) تدبر: ٤/٥٠٣-٥٠٤.

(٦٤) صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٥/٢٨٩.

(٦٥) المصدر نفسه: ٢٥/٢٩٤.

(٦٦) سنن أبي داود: ٢/٤٥٦.

وقال النووي: "أراد عمر بآية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة. وهذا مما نسخ لفظه وبقي حكمه. وقد وقع نسخ حكم دون اللفظ وقد وقع نسخهما جميعاً"(٦٧).

وقد وقعت هذه الزيادة في هذا الحديث من رواية الموطأ عن يحي بن سعيد عن ابن المسيّب قال: "لما صدر عمر بن الخطاب من الحج وقدم المدينة فخطب الناس ثم قال: "أيها الناس قد سنت لكم السنن، وفرضت الفرائض وتركتم على المحجة الواضحة إلا أن تضلّوا بالناس يميناً و شمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، يقول قائل لا نجد حدين في كتاب الله، فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا والذي نفسي بيده لو لا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة". فإنا قد قرأناها. قال مالك: قوله: الشيخ والشيخة يعني الثيّب والثيّبة فارجموهما ألبتة"(٦٨).

وقد أخرجه الحاكم وصححه عن زر حبيش قال: "قال لي أبي بن كعب: كاين يقرأ سورة الأحزاب. قال قلت ثلاثاً وسبعين آية. قال: قط. قلت: قط. قال: لقد رأيتها وأنها لتعدل البقرة ولقد قرأنا فيما قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"(٦٩).

وكذلك ذكر الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحتسب. قوله عزوجل: **يأهل الكتاب قد جاء كم رسولنا يبيّن لكم كثيراً**

---

(٦٧) صحيح مسلم مع شرح النووي: ١١/١٩٠.

(٦٨) مؤطا الإمام مالك: كتاب الحدود: ص ٥٩٢-٥٩٣.

(٦٩) المستدرك على الصحيحين. كتاب الحدود: ٤/٣٥٩.

مما كنتم تخفون من الكتاب..."[٧٠]. فكان الرجم مما أخفوا. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"[٧١].

وكذلك أخرج هذا الحديث ابن حبان في صحيحه تحت عنوان: ذكر إخفاء أهل الكتاب آية الرجم حين أنزل الله فيما أنزل"[٧٢]. وسكت عليه.

وكذلك رواه عبد الرزاق في المصنف مثلما رواه الحاكم في المستدرك[٧٣].

هذه الحقيقة لرواية عمر بن الخطاب التي ذكرها المحدثون في كتبهم وصححها.

ولكن مع هذا لا تعتبر في نظر الإصلاحي من قول عمر فضلاً أن تكون حديثاً و آية من القرآن الكريم. وبعد قراءة هذه الرواية يستطيع القارئ أن يحكم هل هي رواية صحيحة كما قال المحدثون أم هي من منافق كما قال الشيخ الإصلاحي في تفسيره (تدبر قرآن).

موقف الشيخ الإصلاحي من الرجم:

١: الرجم عند الإصلاحي ثابت بالقرآن الكريم خلافاً للجمهور لأن ثبوته عندهم بالسنة النبوية.

---

(٧٠) سورة المائدة: الآية ١٥.

(٧١) المستدرك على الصحيحين: ٤/٩٥٣.

(٧٢) الإحسان بترتيب ابن حبان: ٧/٣٠٢. أبو حاتم محمد بن حبان البستي.(ت: ٣٥٤هـ) ت: علاءالدين علي بلبان الفارسي. مكتبة الأثرية. سانجلة هل. فيصل آباد.

(٧٣) مصنف عبد الرزاق: ٧/ ٣٣٠.

٢: ليس الرجم عند الإصلاحي حداً للزاني المحصن بل للمفسد الذي يسبب الاضطراب للمجتمع. خلافاً للجمهور لأن حد الرجم عندهم للزاني المحصن.

ويقول الإصلاحي فيه ما يلي:

الجاني على قسمين:

١: الجاني الذي يصدر منه القتل أو ارتكب الزنا أوالسرقة أو القذف بحيث لايكون خطراً للمجتمع ولا للحكومة.

٢: الجاني الذي يرتكب الجريمة بحيث يصبح مصيبة للمجتمع والحكومة. بيَّن القرآن الكريم الأحكام كالحدود والقصاص التي تنفذها الحكومة الإسلامية وفقاً للشروط المذكورة في القرآن والسنَّة. (هذا هو القسم الأول)

وأما القسم الثاني فبيَّن الله تعالى الأحكام في آيتي المحاربة"(٧٤).

طريقة إثبات الرجم من القرآن عند الإصلاحي:

وبعد هذا التمهيد الموجز بيَّن الإصلاحي مأخذ الرجم مستدلاً من القرآن الكريم. وذلك حيث قال:

"إن كلمة "يقتَّلوا" هنا استخدمت بالتشديد من باب التفعيل بدلاً من القتل مما يدل على شدة المعنى وقوته. ولذا يكون التقتيل إشارة إلى أشنع صورة للقتل وكذلك الإشارة إلى أثر هذه الطريقة في القتل في ردع الآخرين وزجرهم. فلذا يجب على الحكومة أن تختار هذا الأسلوب لإيقاف الجرائم. وعليها أن تمنع ما حرمه الشارع من طرق القتل كالإحراق بالنار الذي من حق الله تعالى. والرجم عندنا داخل في معنى التقتيل. ولذا يعاقب المجرمون الذين أصبحوا خطراً على أعراض الناس فعليهم حد الرجم الذي استنبطناه من مفهوم لفظ التقتيل"(٧٥).

---

(٧٤) تدبر: ٤/٥٠٣-٥٠٤. وسورة المآئدة: ٣٣-٣٤.

(٧٥) تدبر: ٤/٥٠٤-٥٠٥.

ثم قال بعد بيان مأخذ الرجم من القرآن الكريم: "يتضح من هذا أن القائلين بعدم الرجم في القرآن الكريم فهم في خطأ ووهم. ولابد أن يلاحظ هنا شيء مهم وهو أن حد الرجم ليس لكل زانٍ بل هو للذين يزنون بحيث يصبحون خطراً على أعراض المجتمع. والحد الذي ذكر في سورة النور -وهو مائة جلدة - هو حد عام في حق كل زانٍ بصرف النظر عن مرتكب الزنا هل هو متزوج أو غير متزوج؟ وأما من لم يرتدع بالحد المذكور وأصبح آفة على المجتمع فعلى الحكومة أن ترجمه نكالاً وهذا ثابت من القرآن الكريم"(٧٦).

هذا هو تفسير الإصلاحي لآيتي المحاربة من سورة المآئدة وإثبات الرجم منها. ولا شك في أن هذا تفرد له ولم يتعرضه أحد لا من السلف ولا من الخلف.

لا شك في أن الشيخ الإصلاحي اعترف برجم الرسول لماعز بن مالك الأسلمي والغامدية ولكن هذا الاعتراف يفهم في ضوء منهجه الخاص وهو أن الرجم ثابت من القرآن الكريم من آيتي المحارية. ولا يقول الإصلاحي بأن الرجم ثابت من السنّة، وكذلك لم يقل أن مناط حكم الرجم "الإحصان" بل ادعى أن حكم الزاني هو الجلد الثابت من آية سورة النور: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة" سواء كان محصناً أو غير محصن.

والآن يجدر بنا أن نذكر ما قاله الإصلاحي عن قصة ماعز بن مالك الأسلمي.

"من أشهر قصص الرجم قصة رجم ماعز بن مالك الأسلمي. وتناقض الروايات بعضها ببعض. وتقول بعض الروايات إنه كان ذاخصلة حسنة. وبعض الأخرى تقول كان ذا خصلة سيّئة. ويكفي لنا أن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم رجمه ولم يصل عليه. وأرجّح الروايات التي تقول بأنه كان ذا خصلة سيّئة وبها رجم أو استحق الرجم. وكذلك تقول الروايات عنه بأنه عند ما كان يخرج الرسول والصحابة للغزو يستغل

---

(٧٦) تدبر: ٤/٥٠٥.

ماعز هذه الفرصة ويفعل فعلة شنيعة مع النساء واطلع الرسول صلى الله عليه وسلم على أفعاله. ومرة طلبه وسأله بطريق غريب وعند ما علم بأن لا مفر له أقر بجريمته فرجمه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إقراره ولم يصل عليه. وكان الناس يتكلمون عن خصلته السيئة ومنعهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن الكلام عنه ولكن كان ظن عامة الناس عنه هكذا"(٧٧).

وبعد ذكر وجهة نظره هذه ذكر الإصلاحي الروايات التي فيها ذم ماعز وسكت عن جميع الروايات التي مدح فيها ماعز وثناء الرسول عليه السلام عليه في اليوم الثاني. وآخيراً نسجل الجدول المقارن الذي يوضح الحقيقة عن قصة ماعز بن مالك الأسلمي.

---

(٧٧) تدبر: ٣١٩/٥.

جدول المقارنة

الروايات التي فيها ذم ماعز:	الروايات التي مدح فيها ماعز بن مالك الأسلمي،ولم يذكرها الإصلاحي:
* فرجمناه بجلاميد الحرة (يعني الحجارة) حتى سكت قال:ثم قام رسول الله صلى عليه وسلم خطيباً من العشي قال أو كلما انطلقنا غزاة في سبيل الله. تخلف رجل في عيالنا له نبيب كنبيب التيس علي أن لا أوتي برجل فعل ذلك إلا نكلت به قال فما استغفره ولا سبه "١. (صحيح مسلم ٦ ١٩٨/١١).	* فأمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين قائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده ثم قال اقتلني بالحجارة قال فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال استغفروا لماعز بن مالك قال فقالوا غفر الله لماعز بن مالك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم". (صحيح مسلم ٦ ١٩٩/١١).
وذكر الإصلاحي هذه الرواية وترك الرواية التي مدح فيها ماعز بن مالك. وقد ذكرها مسلم في صحيحه نذكرها في مقابلها.	

و يا للعجب من الشيخ الإصلاحي وأسلوبه حيث ذكر جزء الحديث الذي فيه ذكر خطيئة ماعز بن مالك وترك الجزء الذي فيه ذكر توبته وثناء الرسول صلى الله عليه وسلم عليه.

* عن ابن عباس أن ماعز بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه زنى فأعرض عنه فأعاد عليه مراراً فأعرض عنه فسأل قومه أمجنون هو؟ قالوا: ليس به بأس. قال: أفعلت بها؟ قال: نعم. فأمر به أن يرجم فانطلق به فرجم ولم يصل عليه".(سنن أبي داود، كتاب الحدود: ٤٥٧/٢).

* عن جابر: أن رجلاً من "أسلم" جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف بالزنا فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم حتى شهد على نفسه أربع مرات وقال له النبي صلى الله عليه وسلم أبك جنون؟ قال:لا. قال:أحصنت؟ قال: نعم. فأمر به فرجم بالمصلى. فلما ازلقته الحجارة فرّ فأدرك فرجم حتى مات. فقال النبي صلى الله عليه وسلم خيراً وصلى عليه ". (سنن أبي داود، كتاب الحدود: ٤٥٩/٢. ومصنف عبد الرزاق: ٣٢٤/٧.

* "فأمر به فرجم. فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: أنظر إلى هذا الذي ستره الله عليه. فلم يدعه نفسه إلا رجم رجم الكلب".(سنن أبي داود الكتب الحدود: ٤٥٩/٢). إلى هنا ذكر الإصلاحي هذا الجزء من الحديث وترك بقية الحديث الذي فيه الثناء على ماعز، فنذكر الجزء الباقي الذي تركه الإصلاحي لتوضيح الحقيقة.

فسكت عنهما: ثم سار ساعة حتى مر بجيفة من الحمار شائل برجله فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذان يارسول الله عليه وسلم قال: أنزلا فكلا من جيفة هذا الحمار". فقالا: يا نبي الله من يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه. والذي نفسي بيده، إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها". (مصنف عبد الرزاق: ٣٢١/٧).

هذا هو جزء الحديث الذي تركه الإصلاحي لإثبات ما ادعاه.

وكذلك ذكر عبدالرزاق في المصنف قصة ما عز ... قيل للنبي: يا رسول الله تصلي عليه، قال: لا. فما كان الغد صلى الظهر فطول الركعتين الأولين كما طولهما بالأمس أو أدنى شيء، فلما انصرف قال: صلوا على صاحبكم فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم والناس". (٧٨-الف).

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال نا عبدالله بن نمير ح قال وحدثنا محمد بن عبدالله بن نمير وتقاربا في لفظ الحديث قال حدثنا ابى قال نا بشير بن المهاجر قال عبدالله بن بريده عن ابيه أن ما عز بن مالك الاسلمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى قد ظلمت نفسى وزنيت وانى اريد ان تطهرني فرده فلما كان من الغد اتاه فقال: يا رسول الله انى زنيت فرده الثانية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فقال: اتعلمون بعقله باساً تنكرون منه شيئا؟ فقالوا ما نعلمه الا وفيّ العقل من صالحينا فيما نرى. فاتاه الثالثة فارسل اليهم أيضاً قال عنه فاخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله. فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم امر به فرجم(٧٨)ب -

عن عبدالله بن بريده عن ابيه قال كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الاسلمى ما عز بن مالك فقال يا رسول الله إلى زنيت وإلى أريد أن تطهرنى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إرجع فرجع. حتى أتاه الثالثة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم فأحسنوا عليه الثناء. فقال كيف عقله؟ هل به جنون؟ قالوا لا والله واحسنوا عليه الثناء في عقله ودينه. وأتاه الرابعة فسألهم عنه فقالوا له مثل ذلك. فامرهم فحفروا له حفرة إلى صدره ثم رجموه. هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم(٧٩) -

---

٧٨-الف- ٧/٢٢٥.

٧٨-ب- صحيح مسلم٢/٦٨.

٧٩- مستدرك٢/٣٦٢.

وأخرج الحاكم عن محمد بن المنكدر عن ابن هزال عن أبيه أن رسول الله عليه وسلم: ياهزال لو سترته بثوبك كان خيراً لك". وقال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٨٠).

لا شك في أن المحدثين اختلفوا في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماعز بن مالك ولكن لم يختلفوا في ثنائه عليه وكذلك لم يختلفوا في أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى على الغامدية ولكن لا أدري لماذا ترك الإصلاحي الروايات التي ورد فيها مدح ماعز بن مالك وحتى عده من المنافقين؟ ولماذا لم يذكر الروايات التي ذكر فيها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الغامدية وتوبتها؟

الرجم في الشرعية الإسلامية:

ادعى الشيخ الإصلاحي في قصة ماعز بن مالك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم "طلبه وسأله بطريق غريب". ولكن في الحقيقة لم يثبت في رواية صحيحة بأن الرسول طلبه بل تدل الروايات أن قومه رغبوه في الحضور أمام الرسول عليه السلام حيث قال نعيم بن هزال: فيما "أخرجه أبو داود في سننه قال: حدثنا محمد بن سليمان الأنباري قال حدثنا وكيع، عن هشام بن سعد، قال: حدثني يزيد من نعيم بن هزال، عن أبيه قال: كان ماعز بن مالك يتيماً في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنعت، لعله يستغفرلك وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجاً"(٨١).

وقد أخرجه البخاري تحت عنوان: باب سؤال الإمام المقر: هل أحصنت؟

عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله عليه وسلم رجل من الناس وهو في المسجد، فناداه: يارسول الله إني زنيت، يريد نفسه، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فتنحى لشق وجهه الذي أعرض قبله فقال: يارسول الله، إني زنيت فأعرض عنه فجاء لشق وجه النبي صلى الله عليه وسلم الذي أعرض عنه، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه

---

(٨٠) المصدر نفسه: ٣٦٣/٤.

(٨١) سنن أبي داود: ٤٥٦/٢.

النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أبك جنون؟ قال: لا، يا رسول الله، فقال: أحصنت؟ قال: نعم يا رسول الله، قال اذهبوا فارجموه"(٨٢).

وأخرجه البخاري عن ابن عباس: "قال: لما أتى ماعز بن مالك النبي صلى الله عليه وسلم قال له: لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت قال: لا يارسول الله، قال: أنكحتها؟ لايكنى، قال: فعند ذلك أمر برجمه"(٨٣).

فعلمنا من هذه الروايات أن ماعزاً جاء مقراً بالزنا ليطبق عليه ما يجب شرعاً.

وكذلك روى الإمام مسلم في صحيحه قصة ماعز بن مالك عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله طهرني فقال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يا رسول الله طهرني ... فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم أطهرك؟ فقال: من الزنا. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال أشربت خمراً؟ فقال رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت فقال نعم فأمر به فرجم"(٨٤).

ثم روى مسلم في الحديث السابق بعد قليل قصة الغامدية حيث قال:

"ثم جاءته إمرأة من غامد من الأزد فقالت: يارسول الله طهرني. فقال ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه، فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك قال وماذاك؟ قالت: إنها حبلى من الزنا. فقال: أنت؟ قالت نعم، فقال لها حتى تضعي ما في بطنك، قال فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال قد وضعت الغامدية فقال إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إليّ رضاعه يانبي الله قال فرجمها"(٨٥).

---

(٨٢) صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٥/٢٨٢.

(٨٣) المصدر نفسه: ٢/٢٨١.

(٨٤) صحيح مسلم: ٦/١٩٩-٢٠١.

(٨٥) صحيح مسلم: ٦/٢٠١-٢٠٢.

ورواه مسلم عن عمران بن حصين أن امرأة من جهنية أتت نبي الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنى فقالت يا نبي الله أصبت حداً فاقمه عليّ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال أحسن إليها فإذا وضعت فأتني بها،ففعل فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت. ثم صلى عليها،فقال له عمر:تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ قال لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم. وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى"(٨٦).

وفي رواية عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا إن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله:أنشدك(الله)إلا قضيت لي بكتاب الله.فقال الخصم الآخر وهو أفقه منه،نعم فاقض بيننا بكتاب الله وأذن لي.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل. قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا،فزنى بامرأته وإني أخبرت أن على ابني الرجم،فافتديت منه بمائة شاة ووليدة،فسألت أهل العلم فأخبروني إنما على ابني جلد مائة وتغريب عام،وإن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم رد وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام. اغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها،قال فغدا عليها،فاعترفت فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجمت"(٨٧). وفي رواية البخاري: "فغدا عليها فاعترفت فرجمها"(٨٨).

فعلم من هذه الروايات أن الرجم قد ثبت بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله وعمله، وكذلك بإجماع الصحابة. فقد ثبت بالروايات الصحيحة التي لا يتطرق إليها شك. وبطريق التواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام حد الرجم على بعض الصحابة كماعز والغامدية، وأن الخلفاء أقاموا هذا الحد في عهودهم وأعلنوا مراراً أن الرجم هو الحد للزاني بعد الإحصان.ثم ظل فقهاء الإسلام في كل عصر وفي كل مصر مجمعين على كونه حكماً ثابتاً وسنة متبعة وشريعة ماضية ثابتة بأدلة متظافرة لا مجال للشك فيها أو الارتياب، بحيث هذا لكم إلى عصرنا هذا لم يخالف فيه أحد إلا لانثلمة شاذة من الخوارج (حيث قالوا: إن الرجم غير مشروع)[٨٩]

(٨٦) صحيح مسلم: ٦/٢٠٤-٢٠٥.

(٨٧) صحيح مسلم: ٦/٢٠٥-٢٠٥.

(٨٨) صحيح البخاري مع فتح الباري: ٢٥/٢٨٧.

(٨٩) روائع البيان تفسير آيات الأحكام: ٢/٢١. محمد علي الصابوني. مكتبة الغزالي. دمشق، سوريا

الفصل الثالث:

منهج الشيخ الإصلاحي في تقرير مسائل العقيدة.

فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقريره لأدلة الربوبية والألوهية.

المبحث الثاني: موقفه من الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: تقريره لأدلة إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: تقريره لأدلة إثبات عقيدة البعث بعد الموت.

تمهيد:

إن معرفة الاتجاه العقائدي للمفسر شيء مهم جداً، إذ أنه في الغالب منطلق كل باحث وكاتب، و خاصة علم التفسير وهو العلم الذي يمكن أن يستغله ذوو المعتقدات الفاسدة أو الصحيحة على السواء، من خلال تلك الاتجاهات التي آمنوا واقتنعوا بها.

فعقيدة أي مفسر هي القاعدة الفكرية وعلى أساسها يبني المفسر، وعلى ضوئها ينهج ويسير بل هي بمثابة الإطار الفكري له فكل ما يثير يثار في داخله ولا يتعداه. وتتجلى هذه الحقيقة بكل وضوح في تفاسير المعتزلة، فقد بنوا تفاسيرهم على ما يظنونه ويسمونه بزعمهم أصول المعتزلة العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين. فنجد أن تفاسيرهم تسير على هذا، ولا يمكن أن تخرج عنه فكأنها هي الأصل بحيث إن القرآن تفسر أو تؤول آياته على ضوئها.

ومثل هذه التفاسير جديرة بأن تنسب إلى التفسير بالرأى المذموم وقد نلاحظ بعض التشابه في تفاسير الأشاعرة من أهل السنة الذين أثبتوا-في باب صفات الله- صفات معينة محدودة وأولوا ما سواها تنزيهاً لله تعالى.

والحقيقة البديهية التي لا أوضح منها هي أنه ليس هناك أعلم بالله من الله وليس هناك من هو أعلم بالله -بعد الله من رسوله صلى الله عليه وسلم، فما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فإنه يجب الإيمان به وبأنه حق، كما يليق بجلال الله مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يكون له شبيه، أو نظير، أو ند أو ضد.

ونود هنا-بعد أن عرفنا أهمية الاتجاه العقائدي لأي مفسر-أن نبيّن منهج الشيخ الإصلاحي في تفسير الآيات المتعلقة بالعقيدة الإسلامية بصفة عامة، وموقفه من آيات الصفات بصفة خاصة، ولذا فإننا سنقسم هذا الفصل إلى الأقسام الأربعة:

المبحث الأول: تقرير الأدلة الربوبية والألوهية.

المبحث الثاني: موقفه من الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: تقرير الأدلة على إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المبحث الرابع: تقرير الأدلة على إثبات عقيدة البعث بعد الموت.

المبحث الأول

تعزيزه للأدلة الربوبية والألوهية في تفسيره.

يعد الشيخ أمين أحسن الإصلاحي من كبار علماء أهل السنة والجماعة في مجال تفسير القرآن الكريم شبه القارة الهندية.

ومنهج الإصلاحي هو منهج جمهور أهل السنة والجماعة في معظم الأمور العقائدية. ويظهر ذلك للقارئ أثناء قراءته الآيات التي تتعلق بالعقيدة حيث يثبت ما أثبت الله تعالى لنفسه وينفي ما نفى عن نفسه.

ويستدل الإصلاحي في مسألة التوحيد على إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى وقدرته وعلمه. وينفي الشرك من جميع الجوانب حتى يثبت التوحيد الكامل له في ذاته وصفاته وأفعاله عند ما يفسر الآيات التي فيها إثبات التوحيد ونفي الشرك ويبذل جهده لإثبات المسألة بكل ما لديه من طرق الاستدلال. ويستدل على وجوده سبحانه وتعالى في تفسيربقوله تعالى: ."الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسمآء بناء وأنزل من السمآء مآء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون"[١].

وكذلك يستدل الشيخ الإصلاحي بالأدلة العقلية والآفاقية على وحدانيته سبحانه وتعالى في تفسير قوله تعالى: "أولم ير الذين كفروا أن السموت والأرض كانتا رتقاً ففتقنهما وجعلنا من المآء كل شيء حي أفلا يؤمنون"[٢].

أذكر بعض الأمثلة لتوضح ذلك فأقول وبالله التوفيق.

---

[١] سورة البقرة: الآية ٢٢.

[٢] سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

دليل التوحيد:

قوله تعالى: "الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسمآء بناء وأنزل من السمآء مآء فأخرج به من الثمرات من ربكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون"[٣].

قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "إن هذا دليل التوحيد من حيث التوافق الذي يوجد بين أضداد العالم، حيث نجد ذكر الأرض بجانب السمآء كذلك الليل بمقابل النهار، والظلمة بمقابل النور، والشتاء بمقابل الصيف والمرأة بمقابل الرجل.

يبدو لنا من هذه المضادات أن هذه الدنيا كلها مجموعة أضداد ومن هنا نجد بعض الأقوام السابقين قد ضلوا لأنهم جعلوا لكل شيء إلهاً مستقلاً كالعرب. فرفع القرآن هذه الشبهة حيث قال إن هذا التضاد ظاهري فقط بحيث لو فكرنا وتأملنا فيها (الدنيا) لوجدنا التوافق العميق بين هذه الأضداد. مثلاً أن الأرض مفروشة مثل البساط والسمآء فوق الناس كالخيام. وينزل المآء منها وتخرج الثمرات المختلفة من الأرض بالمآء حيث قال الله تعالى: "أولم يروا أنا نسوق المآء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون"[٤].

وإذا وجدنا هذا التوافق فكيف نظن أن هناك إلهاً مستقلاً للسمآء وآخر للأرض لأنه لا يمكن التوافق في تصرفات مختلفة حيث تصبح الأرض والسمآء مثل المهد ويربي الإنسان بينهما كما يربي الطفل في حجر أمه. فنظراً إلى هذه الأضداد التي تدل على وحدانية الله تعالى قال: "وأنتم تعلمون". فبعد بيان الدليل قيل لهم إنكم تعرفون أن وجود الظاهر نفسه دليل على قدرة الله تعالى، أنه لا يمكن أن يأتي بمثلها غيره". وكيف تشركون به بعد هذه المعرفة؟

---

[٣] سورة البقرة: الآية ٢٢.

[٤] سورة السجدة: الآية ٢٧.

وقد ثبت علمياً أن الكفار لم ينكروا الله تعالى، بل كانوا يشركون معه آلهة أخرى، لذلك لم تكن هناك حاجة إلى إثبات وجود الله تعالى بل كانت الحاجة قائمة للرد على مزاعمهم فقط، ولذا هذا الدليل ليس لإثبات وجوده بل لإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى"[٥].

شهادة الآفاق على وحدانية الله تعالى:

قوله تعالى: "أولم ير الذين كفروا أن السموت والأرض كانتا رتقاً ففتقنهما وجعلنا من المآء كل شيء حي أفلا يؤمنون"[٦]. قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: لماذا لا يفكرون الذين ينكرون القيامة ويطالبون علاماتها في دلائل الآفاق التي يشاهدونها كل يوم؟ وقد جعل الله تعالى الآيات في الدنيا في غاية الوضوح ليهتدي الناس بها إلى الصراط المستقيم. وعلينا أن نفكر ونعلم أن هذه الآيات والدلائل المصدقة بما دعا القرآن الكريم الناس إليها. منها دليل التوحيد الذي تدل عليه الآية السابقة: إذا كان إله السمآء غير إله الأرض فما كان للسمآء أن تنزل المآء إلى الأرض لتحيا به وما كان للأرض أن تخرج خزائنها[٧]. فهذا التوافق بينهما يشهد بأن خالقهما واحد ويفعل فيهما ما يريد[٨]. هذا خير دليل على إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى.

وهذا الدليل ذكره ابن كثير في تفسير هذه الآية أيضاً وقال في آخره: "وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد"[٩].

---

(٥) تدبر: ١٤٨/١.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٧) كما قال تعالى: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا". سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٨) تدبر: ٢٧٨/٤-٢٧٩.

(٩) ابن كثير: ١٧٧/٣.

المبحث الثاني

موقف الإصلاحي من الأسماء والصفات.

لقد ذكر القرآن الكريم أسماء *عديدة* وصفات للباري عزوجل. وأسماء الله تعالى كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال. إذ هو سبحانه له الكمال المطلق المنزه عن العيوب والنقائص، وهو سبحانه وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه في أسمائه وصفاته كما لا يشبه أحد من خلقه "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"(١٠).

وقد اختلفت مواقف الناس وتباينت اتجاهاتهم نحو أسماء الله الحسنى وصفاته حسب اختلاف مشاربهم وتعدد مناهجهم، وظهرت هذه الاتجاهات واضحة في تلك المناهج.

والذي يعنينا هنا هو تحديد موقف الشيخ الإصلاحي من أسماء الله تعالى وصفاته وتحديد المدرسة التي يمكن أن *ننسبه إليها* أهي مدرسة الوقوف عند النص، وعدم الخوض فيه مع التسليم به، أم هي مدرسة الاجتهاد في تأويل النص وحمله على بعض المحامل و الوجوه، أو بعبارة أخرى هل يميل الإصلاحي إلى رأي السلف أم إلى رأى الخلف؟ لا أريد أن أتعجل في إصدار الحكم لكن من خلال نصوصه وكلامه نستطيع إن شاء الله تعالى أن نبيّن موقفه، وأن نحكم عليه فيما بعد بالصواب أو عدمه والله ولي التوفيق.

أولاً: أسماء الله الحسنى وموقفه منها:

عنى الشيخ الإصلاحي بتفسير أسماء الله الحسنى وبيان معانيها في صلب تفسيره. قال في تفسير البسملة:

"الله": أصله إله. ثم أدخلت أداة التعريف عليه. وحرف اللام كان ساكناً ثم أدغم في لام الإله فأصبح "الله". وهذا الاسم *اطلق على* الله سبحانه وتعالى- منذ البداية- الذي خلق السموت والأرض. ونفس هذا المفهوم كان لهذا الاسم في الجاهلية لدى المشركين. وكانوا

---

(١٠) سورة الشورى: الآية ١١.

يعبدون الأصنام فقط بظنهم أنها شفعاء لهم عند الله تعالى يوم القيامة"[١١]. وقد ذكر القرآن الكريم مقالتهم حيث قال: "مانعبدهم إلا ليقربنا إلى الله زلفى"[١٢].

وكذلك قوله تعالى: "قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر، فسيقولون الله"[١٣].

وقوله تعالى: "ولئن سألتهم من خلق السموت والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله"[١٤].[١٥]

الرحمن الرحيم:

قال الشيخ الإصلاحي في هذين الاسمين:

"الرحمن" اسم على وزن غضبان وسكران، صيغة مبالغة. و"الرحيم" اسم على وزن عليم وكريم صفة مشبه. وقد ظن بعض الناس أن لفظ "الرحمن" أكثر مبالغة من لفظ "الرحيم"، ولذا "الرحيم" هنا زائد بعد "الرحمن" ولم تكن حاجة لها". ولكن جاء للتأكيد فقط. ولكن هذا غير صحيح عندنا، لأن وزن فعلان في اللغة العربية يدل على معنى الحركة والنشاط. ووزن فعيل يدل على الدوام والاستمرار، ولذا لا زيادة هنا بل الأول يدل على كثرة رحمة الله تعالى والثاني على الدوام"[١٦].

---

[١١] تدبر: ٦/١.

[١٢] سورة الزمر: الآية ٣.

[١٣] سورة يونس: الآية ٣١.

[١٤] سورة العنكبوت: لآية ٦١.

[١٥] تدبر: ٤٧/١-٤٨. وفي كتاب الأسماء والصفات للبيهقي: "قال: إن معنى (الله) أنه الإله وهو أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني والأشبه أنه كأسماء الأعلام موضوع غير مشتق...". ص: ١٧. وأنظر ما قيل من الاشتقاق في لفظ الجلالة في "المفردات" للراغب الأصفهاني: ص ٢١. وكذلك "شرح أسماء الله الحسنى للرازي: ص. ١١٣-١٢٥. ط: ١. ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

[١٦] تدبر: ٤٨/١. وأنظر ما قيل في تفسير "الرحمن الرحيم" في شرح أسماء الله الحسنى للرازي ص: ١٦٤ وما بعدها. والمفردات للراغب: ص ١٩١-١٩٢.

وقد فسر الشيخ الإصلاحي قوله تعالى:

"هو الله الذي لا إله إلا هو علم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحن الله عما يشركون. هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى"(١٧).

فقال: "علم الغيب والشهادة" وهو يعلم الغائب والحاضر كليهما. واستعمل لفظ "الغيب" بالنسبة إلى العباد وإلا فكل شيء في حكم الشهادة (الحضور) بالنسة لله سبحانه وتعالى"(١٨).

الملك: يقول الإصلاحي في تفسيره: "هو الذي خلق الدنيا وهو معبود ومالك دون غيره. وبناء على ذلك أرسل الرسل إلى الناس لكي يبتغوا مرضاة الله بامتثال أوامره"(١٩).

القدوس: وهو المنزه عن كل نقص وعيب. ولذا أنزل الكتب وأرسل الرسل إلى عباده ليزكوا أنفسهم". وذكر إقتضاء هذه الصفات بعد أن بيَّنها في سورة الجمعة حيث قال: "الملك القدوس العزيز الحكيم". وبعد هذا بيَّن مقتضاها فقال: "هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آيته ويزكيهم"(٢٠).(٢١). وهو تزكية نفوسهم.

---

(١٧) سورة الحشر: الآية ٢٢-٢٤.

(١٨) تدبر: ٣١١/٨. ومثل هذا التفسير في المفردات للراغب: ص ٣٦٦-٣٦٧.

(١٩) تدبر: ٣١٣/٨. وكذا في المفردات: ص ٤٧٢-٤٧٣. وشرح الأسماء والصفات للرازي: ص ١٨٢-١٩٣ والاعتقاد على مذهب السلف أهل السنّة والجماعة. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت:٤٥٨هـ). ص ١٥.

(٢٠) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢١) تدبر: ٣١٢/٨-٣١٣. وكذا في المفردات: ص ٣٩٦-٣٩٧. وشرح الأسماء والصفات للرازي: ص ١٩٤-٩٥ والاعتقاد للبيهقي: ص ١٥.

السلام: قال الإصلاحي: "معناه: السلامة والراحة. ونستخدمها عند ما ندعو بالخير. وقد ذكر القرآن الكريم بنسبة ليلة القدر : "سلمٌ هي حتى مطلع الفجر"(٢٢). أي هو سلّم عباده من كل آفة ومصيبة. وعندما يوفض العبد نفسه إلى الله تعالى يستريح و بهذه الصفة (ذكر الله) تطمئن القلوب حيث قال تعالى: "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"(٢٣).(٢٤)

المؤمن: "وهو من الأمن أي الذي أمن عباده من الشيطان وذريته".

المهيمن: معناه عند الخليل وأبي عبيدة: الرقيب. وعند ابن الأنباري: القائم على الناس. وعند الشيخ الفراهي: المعتمد والوكيل. وقال الإصلاحي: بعد بيان هذه المعاني : "وعندي ليس هناك فرق بين هذه المعاني لأن الرقيب في الحقيقة هو المعتمد والوكيل. والقرآن أيضا "مهيمن" لأنه مقياس حقيقي للصحف السماوية"(٢٥).

العزيز: الغالب القوي وهو يعلو ولا يعلى"(٢٦).

الجبار: معناه: القوي والشديد في العربية للنخل الطويل". وقال: وهذه الصفة تنفي ألوهية غير الله"(٢٧).

المتكبر: أي الذي له التكبر حقاً. وهو شيء ذاتي له. أزلي وأبدي(٢٨).

البارئ: أي الخالق. والمراد به الذي بدأ الخلق واخترعه".

له الأسماء الحسنى:

---

(٢٢) سورة القدر: الآية ٥.

(٢٣) سورة الرعد: الآية ٢٧.

(٢٤) تدبر: ٣١٣/٨. والمفردات:ص ٢٣٩-٢٤١. وكتاب المذكور للرازي: ص ٢٩٦-١٩٨. والاعتقاد للبيهقي: ص ١٥.

(٢٥) تدبر: ٣١٣/٨. وأنظر كتاب الأسماء والصفات للرازي: ص ٢٠١-٢٠٣. والاعتقاد للبيهقي: ص ١٥.

(٢٦) تدبر: ٣١٣/٨. وكتاب المذكور للرازي: ص ٢٠٣-٢٠٦. والاعتقاد للبيهقي: ص ١٥.

(٢٧) تدبر: ٣١٤/٨. وكتاب المذكور للرازي: ص ٢٠٦. والاعتقاد: ص ١٥.

(٢٨) تدبر: ٣١٤/٨. وأنظر شرح كتاب الأسماء والصفات للرازي: ص ٢٠٨-٢١٠. والاعتقاد للبيهقي: ص ١٥.

إن هذه الصفات أساسية عديدة. وكل صفة ماعداها فالله متصف بها على الحقيقة. ولفظ "أسماء" هنا استخدم بمعنى الصفات، لأن أسماء الله كلها تعبير عن صفة ما"[٢٩].

هو الأول والآخر:

أي ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية. وهو بدأ كل شيء وترجع إليه وراثة كل شيء"[٣٠].

والظاهر والباطن:

قال الإصلاحي:

فسّر بقوله الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية:/"أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء"[٣١].

موقف الشيخ الإصلاحي من صفات الله تعالى:

لقد وصف الله عزوجل نفسه بصفات معينة في القرآن الكريم. ووصفه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بصفات ثابتة في السنّة المطهرة. وصفات الله تعالى-قطعية-هي صفات كمال وجلال أبعد ما تكون عن صفات المخلوقين الموسومة بالنقصان والزوال.

---

(٢٩) تدبر: ٨/٣١٤-٣١٥.

(٣٠) هذا التفسير يتفق مع التفسير البغوي الذي سيأتي ذكره. وليس فيه تأويل.

(٣١) تدبر: ٨/١٩٨. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء. وأنت الآخر فليس بعدك شيء. وأنت الظاهر فليس فوقك شيء. وأنت الباطن فليس دونك شيء..." رواه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء . باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. الكتب الستة ٦-٣/٢٠٨٤. رقم الحديث: ٢٧١٣.

وذكر هذه الصفات في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة لم يرد عبثاً، ولم يذكر سدى وإنما ورد لحكم شتى وذكر لفوائد عديدة منها:

تقوية الإيمان بالله. وحمل النفوس على محبته، وطلب رضاه، وعلى الخوف منه، واستشعار مراقبته واطلاعه، واعتقاد هيمنته، وعظيم قدرته وسلطانه، فينتج من ذلك الإيمان. وتلك العقيدة الراسخة تصور صحيح لهذا الكون. وللغاية من وجود هذه الحياة، وهذا الخلق، كما ينتج عنه سلوك نظيف نقي منشأه تلك العقيدة الراسخة في النفوس تحافظ على نقاء ذلك السلوك وطهارته، تلك العبادات التي تطهر الروح، وتزكي النفس وتمد صاحبها بشحنات من الثقة واليقين... تلك العبادات المتمثلة. فيما فرضه الله تعالى على عباده. وهكذا يكتمل هذا الدين الذي هو خاتم الأديان، ويبرز أثره واضحاً في الحياة لأنه عقيدة ينبثق منها منهاج علم متكامل للحياة، تسير الأمة على هذا وتلزمه ولا تتعداه وبالرغم من وضوح الهدف من ذكر الصفات في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة. وبالرغم من وجود الحدود، والضوابط التي تفصل بين صفات الخالق عزشأنه وصفات خلقه إلا أن المسلمين-وبكل أسف-بلغ بهم الترف العلمي حداً خطيراً أصبحت معه صفات الله تعالى مثار بحث ونقاش هل تقبل أم لا؟ هل هي على ظاهرها أم لها معان أخرى. وبدأ العقل البشري القاصر يحاول جاهداً أن يعرف مالا سبيل له إلى معرفته مما فوق قدرته وطاقته، وهنا برزت مدرستان فكريتان شهيرتان هما مدرسة المعتزلة و مدرسة أهل السنَّة وتحت كل مدرسة فروع شتى.

فالمعتزلة على تعدد فرقهم متفقون جميعهم على نفي الصفات الأزلية لله تعالى، فيقولون مثلاً: إنه عالم بدون علم وقادر بدون قدرة...الخ.

ويزعمون أنه لم يكن له في الأزل اسم ولا صفة، وأنه يستحيل رؤيته عزوجل بالأبصار في الآخرة، وأنه لا يرى نفسه ولا يراه غيره..."[٣٢].

---

(٣٢) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: لإمام الحرمين الجويني. (٤١٩-٤٧٨هـ). ت:د. محمد يوسف موسى و علي عبد المنعم عبد الحميد. مكتبة الخانجي. مصر. ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م. ص ١٧٦.
معظم المعتزلة مجمعون على أن البارئ لا يرى نفسه، وهو في معتقد هؤلاء يستحيل أن يرى بالحواس ويستحيل أن يرى من غير حاسة. وذهب شرذمة من المعتزلة إلى أن البارئ يرى نفسه، وإنما ممتنع على المحدثين رؤيته من حيث لا يرون إلا بالحاسة. واتصال الأشعة. وذهب الكعبي وصحبه إلى أنه تعالى لا يرى نفسه ولا غيره. وهذا مذهب النجار". كتاب الإرشاد لإمام الجويني: ص ١٧٦.

و انقسم أهل السنة والجماعة بالنسبة لصفات الله عزوجل إلى مذهبين:

١: مذهب السلف وهو الإيمان بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله دون تشبيه، أو تكييف ودون تعطيل أو تحريف.

٢: ومذهب الخلف: وهو في الأعم الأغلب-مذهب الأشاعرة ومذهب الماتريدية وهما متقاربان وهؤلاء أثبتوا بعض الصفات لله عزوجل-صفات المعاني كالحياة والعلم والقدرة والإرادة.

وأولوا الصفات الأخرى كالوجه واليد ...لأنها في نظرهم تستلزم التشبيه والتجسيم. والجميع مقرون بأن مذهب السلف أسلم وأقوم منهجاً وإن كان قد ادعى بعضهم أن طريقة الخلف أعلم.

ويكفي هذا التمهيد لكي نستعرض موقف الشيخ الإصلاحي من آيات الصفات في تفسيره لها وإلى أي الفريقين من أهل السنة ينتمي؟ أو يميل إلى مذهب المعتزلة؟

موقف الشيخ الإصلاحي:

لم يحصر الشيخ الإصلاحي صفات الباري عزوجل القائمة به في صفات المعاني السبع التي جرى المتكلمون على إثباتها للبارئ وتأويل ما سواها، بل أثبت هذه السبع وغيرها في تفسيره وأول بعضها. وهذه هي الأدلة على ذلك:

مسألة الاستواء:

ينهج الشيخ الإصلاحي في بعض آيات الصفات على نهج الخلف بحيث نجد في تفسيره بعض التأويلات لبعض آيات الصفات.

يقول الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى"[٣٣].

"هذا بيان لصفة الرحمن حيث أنه لم يترك الدنيا بعد خلقها بل تمكن على عرش القضاء بالفعل ويفعل ما يريد"[٣٤].

---

[٣٣] سورة طه: الآية ٥.

[٣٤] تدبر: ١٧/٥.

وقد ذكر الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: " ثم استوى على العرش يدبر الأمر "(٣٥). " عرش الله تعالى تعبير عن تمكينه على الحكم والقضاء وتدبير أمورها ولم يفوض الأمر إلى آخر "(٣٦).

وكأن هذه الآية ليست على ظاهرها عند الشيخ الإصلاحي بل وهو مذهب المعتزلة والجهمية والحرورية كما ذكره أبو الحسن الأشعري حيث قال: " وقد قال من المعتزلة والجهمية والحرورية، أن معنى قول الله عز وجل: " الرحمن على العرش استوى " أنه استوى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه. كما قال أهل الحق. وذهبوا في الاستواء إلى القدرة "(٣٧).

قال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: " وسع كرسيه السموت والأرض ولا يؤده حفظهما "(٤٠).

" إن حكمه على السموت والأرض. ولا يعني أن هناك بعض النواحي الخارجة عن حكمه بسبب سعة ملكه حيث يحتاج إلى المساعد في حكمه. وليس الله مثل ملوك الدنيا حيث يحتاجون إلى المساعدين من الوزراء والعاملين. ويصعب تصريف أمور الحكم بدون مساعدتهم. بل علمه غير محدود، وكذلك قدرته، ويملك قوة غير متناهية لتدبير الملك. وما يمسه من لغوب فيه حيث قال: " وهو العلي العظيم " أي آمنوا به وبما وصف به نفسه واجتنبوا القياس والظن والتشبيه والتمثيل، وإياكم أن تشبهوه بأنفسكم في شيء ما "(٤١).

وللاحظ هنا أن الشيخ الإصلاحي أول "الكرسي" بالحكم. وفسّر قوله تعالى: " وسع كرسيه السموت والأرض " بأن حكمه يشمل السموت والأرض. وقد ذكر الزمخشري أربعة أوجه في قوله تعالى: "وسع كرسيه السموت والأرض" منها: " وسع ملكه الذي هو الكرسي الملك "(٤٢).

صفة الوجه:

عند قوله تعالى: " ولا تدع مع الله إلهاً، لا إله إلا هو، كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون "(٤٣). فقال الإصلاحي: " إن مستحق العبادة هو الله ولا معبود سواه، وكل شيء هالك إلا ذاته "(٤٤).

---

(٣٥) سورة يونس: الآية٣.

(٣٦) تدبر: ٤/٣٢٠-٣٢٤.

(٣٧) الإبانة عن أصول الديانة: لأبي الحسن الأشعري، ص٨٦.

(٤٠) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٤١) تدبر: ١/٥٤٦.

(٤٢) الكشاف: ١/٣٨٥-٣٨٦.

(٤٣) سورة القصص: الآية٨٨.

(٤٤) تدبر: ٥/٧١٨.

ونلاحظ هنا أن الشيخ الإصلاحي أوّل صفة "الوجه" بمعنى "الذات". وقال إن معناه: "ذاته".

وكذلك فسّر قوله تعالى: "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذوالجلال والإكرام"(٤٥). حيث قال: "ويبقى ذات الله تعالى ذوالعظمة فقط(٤٦).

وهذا هو مسلك الذي اختاره الشيخ الإصلاحي في تفسير "الوجه" بالذات. وذهب معظم المتأخرين يقول البغدادي: "والصحيح عندنا أن وجهه ذاته"(٤٧).

وهناك مسلك ثان وهو التفويض الذي اختاره المتقدمون مثل ابن تيمية وقبله أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي(٤٨) واستاذه ابن فورك حيث قال عن صفة الوجه: "و ذلك من الصفات التي لا سبيل إلى إثباتها إلا من جهة النقل... وذهب أصحابنا إلى أن الله عزوجل ذو وجه. وأن الوجه صفة من الصفات القائمة به... والمقصود بالوجه إثبات وجه بخلاف معقول الشاهد"(٤٩). وهذا هو مذهب الأشعري (٥٠).

وفسّر الشيخ الإصلاحي "وجه الله" في مقام آخر "بالرضا". مثل تفسيره لقوله تعالى: "وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله"(٥١). وقوله تعالى: "وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى"(٥٢).

---

(٤٥) سورة الرحمن: الآية ٢٦-٢٧.

(٤٦) تدبر: ١٣٦/٨.

(٤٧) أصول الدين: ص ١١٠. عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت: ٤٢٩هـ).

(٤٨) الأسماء والصفات: ٢٥/٢. والبيهقي وموقفه من الأسماء والصفات. د: أحمد بن عطية الغامدي: ص ٢٣٢ وما بعدها.

(٤٩) مشكل الحديث: ص ١٧٢-١٧٤.

(٥٠) الإبانة: ص ٣٥. وشرح العقيدة الواسطية لابن تيمية. تأليف: محمد خليل هراس. ص ٥٩-٦٠. وكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب: محمد بن إسحاق بن خزيمة: ص ١٠.

(٥١) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

(٥٢) سورة الليل: الآية ٢٠.

صفة العين:

أولها الإصلاحي بالمحافظة والرعاية والعناية مثال ذلك قوله تعالى: "واصنع الفلك بأعيننا ووحينا"(٥٢). قال الإصلاحي: "واصنع الفلك برعايتنا وعنايتنا وفق هدايتنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون"(٥٤).

فرأينا هنا أن الشيخ الإصلاحي اختار مسلك التأويل الذي يقول عنه البيهقي: "ومن أصحابنا-يعني الأشاعرة-من حمل "العين" المذكورة في الكتاب على "الرؤية"... وبعض آخر أولها بالحفظ والكلاءة وزعم أنها من صفات الفعل، وإن من قال بأحد هذين التأويلين زعم أن المراد بخبر نفي العور عن الله تعالى، وإنه لا يجوز عليه ما يجوز على المخلوقين من الآفات والنقائص"(٥٥).

وقال الشيخ الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "وألقينا عليك ظل حبك ليحبك عدوك وتكون تربيتك بعنايتنا ورعايتنا. والظاهر أن ظل حب الله الذي سبب حفظ موسى وعبر الله هذا الخطاب-المحبة هنا-بالعين(٥٧).

وكذلك قال في تفسير قوله تعالى: "واصبر لحكم ربك فإنك بإعيننا"(٥٨). وكذا في تفسير قوله تعالى: "تجري بأعيننا"(٥٩).

---

(٥٢) سورة هود: الآية ٣٧.

(٥٤) تدبر: ٤/١٤٠.

(٥٥) الأسماء والصفات: ٢/٤١-٤٢. والاعتقاد: ص ٣٠. البيهقي وموقفه من الإلهيات: ص ٢٤١-٢٤٢. والعقيدة الواسطية: ص ٦٢-٦٣. وكتاب التوحيد لابن خزيمة: ص ٤٢ وما بعدها.

(٥٦) سورة طه: الآية ٣٩.

(٥٧) تدبر: ٥/٤٥.

(٥٨) سورة الطور: الآية ٤٨.

(٥٩) سورة القمر: الآية ١٤. وتدبر: ٨/٩٨.

صفة اليد:

فسّر الإصلاحي كلمة "يد" في بعض الأحيان بالاهتمام الخاص وفي حين آخر بالقوة والقدرة. قال في تفسير قوله تعالى: "وقالت اليهود يد الله مغلولة"[٦٠]. "إنها تذكرة استهزاء الكفار في حق الله تعالى حيث قالوا : "يد الله مغلولة" أي فقيرة. وذكر نفس قول اليهود في سورة آل عمران بقوله تعالى: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء"[٦١]. وكانت اليهود تستهزأ بآيات الله إذ قالوا إن الله أصبح فقيراً حتى يستقرض منا"[٦٢].

وأوّل الإصلاحي "اليد" بمعنى الاهتمام الخاص. في قوله تعالى: "قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"[٦٣]. فقال:

"سأل الله إبليس سؤال عتاب لماذا لم تسجد لما خلقت بيدي الخاصة؟ استكبرت أم كنت من العالين؟ والمراد من كلمة "خلقت بيدي" إشارة إلى الاهتمام الخاص من الله تعالى عند خلق الإنسان"[٦٤].

وسكت الشيخ الإصلاحي في بعض المواضع ومثال ذلك قوله تعالى: "يد الله فوق أيديهم"[٦٥].

وأوّل الشيخ الإصلاحي "اليد" بمعنى القوة والقدرة. فقال في تفسير قوله تعالى: "والسمآء بنينها بأيد وإنا لموسعون"[٦٦]. "أيد معناه المعروف: "اليد". ولكن ربما

---

(٦٠) سورة المآئدة: الآية ٦٤.

(٦١) آل عمران: الآية ١٨١.

(٦٢) تدبر: ٥٥٤/٢.

(٦٣) سورة ص : الآية ٧٥.

(٦٤) تدبر: ٥٤٩/٦.

(٦٥) سورة الفتح: الآية ١٠. وتدبر: ٤٥١/٧.

(٦٦) سورة الزريت: الآية ٤٧.

يأتي ليعبر عن القوة والقدرة"[٦٧]. وفسَّر الزمخشري كلمة "اليد" بمعنى "القوة" حيث قال: "بأيدي" بقوة. والآد: القوة"[٦٨].

ويتضح مما ذكره الشيخ الإصلاحي على تسمية آيات الصفات بالمتشابه أنه يميل إلى الإيمان بآيات الصفات والتسليم بها دون تكييف وأنه يفوض علم حقيقتها إلى الله سبحانه و تعالى. مؤكداً بأن ذلك هو مذهب السلف الصالحين ومن أمثلة ذلك:

مسألة عدد خزنة جهنم:

قال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "عليها تسعة عشر"[٦٩]. "ويمكن أن يسأل أحد ما هي الحكمة في ذكر عدد خزنة جهنم تسعة عشر؟ وإن كان عددهم (تسعة عشر) فما هي ضرورة ذكره بهذا الاهتمام؟ فأجابت الآية الثانية عن هذا السؤال

"وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتب ويزداد الذين آمنوا إيماناً"[٧٠].

ثم قال: "فمعلوم أن أمور الآخرة ثابتة بدلائل العقل والفطرة والآفاق والأنفس. وبيَّنها القرآن الركريم بصراحة، أما تفصيل الجنة والنار فهي من المتشابهات ويعلمها الله تعالى. فهو أفهمنا بالأمثلة والتشبيه فنتصورها نحن جملة ولكن لا ندرك حقيقتها وإن تصدى الإنسان لمعرفة حقيقتها فيقع في الفتنة. وربما ينكر الحقائق. ولذا الطريق السليم للعاقل

---

[٦٧] تدبر: ٦٢٦/٨.

[٦٨] الكشاف: ٤/٤. نرى هنا أن الشيخ الإصلاحي اختار مسلك التأويل حيث حمل "اليد" على "القوة والقدرة". وأما رأي السلف: فهم يحملون كلمة: "يد" كما ورد في النص بلا تأويل ولا تعطيل، وبلا تشبيه وتمثيل. {العقيدة الواسطية}: محمد خليل هراس: ص: ٦١. وكتاب الأسماء والصفات: ص ٤٣. والاعتقاد: ص ٢٩. كلاهما للبيهقي.

وكتاب التوحيد لابن خزيمة: ص ٥٣ ومابعد. حيث يقول: إن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه قال الله تعالى لإبليس: {مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي (سورة ص:٧٥)} وقال جل وعلا تكذيبا لليهود حين قالوا {يد الله مغلولة(سورة المآئدة: ٦٤)} فكذبهم في مقالتهم {بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء(سورة المآئدة: ٦٤)} وغيرها من الآيات التي فيها كلمة "اليد".

[٦٩] سورة المدثر: الآية ٣٠.

[٧٠] سورة المدثر: الآية ٣١.

في مثل هذه الأمور أن يؤمن بما أخبر الله تعالى أن حقيقتها الأصلية تظهر في يوم القيامة"[٧١]

ثم ذكر بعد ذلك آية من سورة آل عمران لتأييد رأيه [٧٢].

قد رأينا في هذه الآية أن الشيخ الإصلاحي اختار مسلك السلف الصالح أي مسلك التفويض. وكذلك في المسألة التالية اختار مسلك التفويض.

مسألة مجيئ الله تعالى يوم القيامة:

قوله تعالى: وجاء ربك والملك صفاً صفاً"[٧٣]. قال الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "ويمتحن الله تعالى الناس اليوم-في الدنيا-من وراء الحجاب لكن سيأتي اليوم-القيامة فيرفع الحجاب ويظهر الله تعالى بنفسه على الناس حيث لا تبقى في رؤيته -تعالى- شائبة من ريبة. وبقي السؤال: كيف يكون ظهور الله تعالى؟ فأجاب الإصلاحي قائلاً: "إن هذه أمور الآخرة تتعلق بالمتشابهات. ويكفينا الإيمان الإجمالي بها لأن الخوض في مثل هذه المسائل يؤدي إلى الفتنة"[٧٤]. فرأينا هنا أنه اختار مسلك التفويض في هذه المسألة أيضاً.

---

[٧١] تدبر: ٥٤/٩.

[٧٢] قوله تعالى: هو الذي أنزل عليك الكتب منه ايت محكمت هن أم الكتب وأخر متشبهت فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الالباب". (سورة آل عمران: ٧).

[٧٣] سورة الفجر: الآية ٢٢.

[٧٤] تدبر: ٣٦٠/٩. وكذلك اختار الإصلاحي مسلك التفويض في مسألة "نزول الله تعالى من السمآء إلى سمآء الدنيا. وفي الحديث: ينزل الله إلى سمآء الدنيا لشطر الليل الأخير فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ ... رواه البخاري في كتاب التوحيد مع فتح الباري: رقم الحديث: ٧٤٩٤. ٢٥/٣٠-٢٥٦. ورواه مسلم رقم الحديث: ٧٥٨. ٥٢١/١. ت: فواد عبد الباقي.

ويقول الإصلاحي لو سألنا أحد كيف ينزل الله تعالى إلى سمآء الدنيا في أخر الليل؟ فنقول "نحن نعلم أنه يأتي ولكن لا نعرف كيفية نزوله. (لمسائل الأساسية للفلسفة في ضوء القرآن". ص ٦٠) وهذا هو موقف ابن تيمية حيث يقول هراس في العقيدة الواسطية:"إن النزول صفة الله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته. فهو لا يشمل نزول الخلق كما أنه استواء لا يماثل استواء الخلق... ويقول هذا: فأهل السنة والجماعة يؤمنون بالنزول صفة حقيقية لله عزوجل على الكيفية التي يشاء فيثبتون النزول كما يثبتون جميع الصفات التي ثبتت في الكتاب والسنة. ويقفون عند ذلك فلا يكيفون ولا يمثلون ولا ينفون ولا يتعطلون. ويقولون إن الرسول أخبرنا أنه ينزل ولكنه لم يخبرنا كيف ينزل؟ وقد علمنا أنه فعال لما يريد. وأنه على كل شيء قدير".ص: ١٠٢-١٠٣.

النظر إلى وجه الله الكريم يوم القيامة:

قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة. إلى ربها ناظرة"[٧٥]. قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "إنهم ينتظرون ويرجون رحمة ربهم. ويقول: إن حرف "إلى" عندما يأتي صلة بعد "نظر" فيكون معناه النظر إليه فكذلك يأتي في معنى "التوقع والرجاء". فقال أهل اللغة: "لو قال أحد لآخر الذي يتوقع منه: إنما ننظر إلى الله ثم إليك"، فمعنى ذلك نحن نتوقع منك بعد فضل الله تعالى"[٧٦].

هذا ما ذكره الإصلاحي في تفسيره وهو مسلك المعتزلة لأنهم أولوا "النظر" بالانتظار حيث قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: "وهو كقول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى "التوقع والرجاء"[٧٧].

فنرى في تفسير الإصلاحي السابق أن موقفه فيه يوافق مع موقف المعتزلة ولكن بعد هذا بيّن الإصلاحي نظره في مسألة رؤية الباري وهو مخالف لتفسيره السابق حيث قال تحت عنوان:

موقفنا من رؤية الباري عزوجل

"من استدل من قوله تعالى: "إلى ربها ناظرة" على رؤية البارئ فكما ذكرنا في تفسيرها بأنها لا تتعلق بهذه المسالة. وكذلك من خالف رؤية البارئ حتى غيّر معنى "إلى" فرأيه أيضاً لا يصح عندنا. ورأينا في رؤية الله تعالى "أن إيماننا في هذه الدنيا هو إيمان بالغيب ونرى ربّنا (في الدنيا) في آياته. ولكن في الآخرة يمون إيماننا بالمشاهدة ونتيقن حق اليقين بكل حقيقة.

---

[٧٥] سورة القيمة: الآية ٢٢-٢٣.

[٧٦] تدبر: ٩/ ٩٠.

[٧٧] الكشاف: ٤/ ١٩٢.

وبقي السؤال هنا وهو كيف تكون هذه المشاهدة؟ وما هي نوعيتها؟ والجواب عنه بأن لا نستطيع أن نعلم حقيقتها في هذه الدنيا. وهذا الشيء من المتشابهات ولا يجوز الخوض فيها والله أعلم بنوعية هذه المشاهدة"[٧٨].

إثبات صفة الكلام للباري:

عند تفسيره لقوله تعالى: "وكلم الله موسى تكليماً"[٧٩]. قال الإصلاحي: "إن القول الثابت بالقرآن الكريم والتوراة أن موسى عليه السلام حصلت له هذه الخصوصية حيث كلمه الله تعالى ويختلف شأن هذا الكلام عن الوحي الذي أوحى الله تعالى به إلى الأنبياء الآخرين. وهذا الكلام من الله تعالى لموسى عليه السلام لم يكن وجهاً لوجه بل كان من وراء الحجاب"[٨٠].

الخلاصة:

* اختار الشيخ الإصلاحي موقف التسليم والتفويض-وهو موقف السلف الصالح في بعض المواضع من المتشابهات مثل: مسألة عدد خزنة جهنم، ومسألة المجيء واتيانه سبحانه وتعالى.
* وفي بعض المواضع اختار موقف إثبات صفات الله تعالى مثل: صفة الكلام والعلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات.
* واختار موقف المتأخرين في بعض المواضع من صفات الله وأولها مثل: مسألة الاستواء على العرش، وصفة الوجه والعين واليد.

---

[٧٨] تدبر: ٩/ ٩١. فرأينا هنا أن الشيخ الإصلاحي له رأيان تجاه ما جاء في رؤية الله تعالى:
أحدهما: التأويل كما ذكره هو في تفسيره.
وثانيهما: التفويض-أي إثبات رؤية الله تعالى-للمؤمنين يوم القيامة وهو مذهب سلف الأمة جميعا وذهب إليه الأشاعرة والبيهقي وابن تيمية. أنظر :شرح العقيدة الواسطية: ص ٩٤-٩٥. وكتاب الأسماء والصفات و الاعتقاد كلاهما للبيهقي: ص ٤٥. البيهقي وموقفه من الإلهيات: ص ٣٠٥ وما بعدها.

[٧٩] سورة النساء: الآية ١٦٤.

[٨٠] تدبر: ٢/ ٣.

* وسكت في بعض المواضع مثل: **يد الله فوق أيديهم**"[٨١]. فلم يتكلّم فيها شيئاً.

* وتردد الإصلاحي في بعض المتشابهات مثل قوله تعالى: "**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**"[٨٢]. حيث ذكر أولاً تفسير هذه الآيات بمثل ما فسّرها به المعتزلة. وثانياً ذكر وجهة نظره من رؤية الله تعالى واختار فيها موقف السلف وهو موقف التسليم والتفويض.

---

[٨١] سورة الفتح: الآية ١٠.

[٨٢] سورة القيمة: الآية ٢٢-٢٣.

المبحث الثالث

تقريره لأدلة إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

ذكر الشيخ الإصلاحي الأدلة على ضرورة الرسالة والنبوة في تفسيره-تدبر قرآن- حيث ذكر بعض النتائج من آيات سورة البقرة من قوله تعالى: "**وإذ قال ربك للملئكة إني جاعل في الأرض خليفة ...إلى قوله تعالى ...هم فيها خلدون**"(٨٣).

وقال تحت عنوان: **الحقائق المستنبطة من هذه الآيات:**

"إن الحقيقة السادسة التي تظهر منها هي: "أن الله تعالى ابتلى الإنسان حيث أعطى الفرصة للشيطان لإضلال الإنسان، ولذا اقتضت رحمة الله تعالى أن لا يترك أمر الإنسان من ناحية الهداية والإصلاح لعقله وفطرته فقط بل لابد من شيء لإيقاظ الفطرة وللحفاظ على عقله من الإعوجاج والضلال وهذا، لأن من يريد الهداية فلابد أن يختارها على وجه البصيرة، وكذلك الذي يختار الضلالة فيختارها بعد إتمام الحجة من الله سبحانه وتعالى. وهذا هو الغرض والمقصد الأصلي لبعثة الرسل وإنزال الكُتب من الله تعالى.

وفي الحقيقة أن دراسة حياة الأنبياء عليهم السلام هي بضاعة حقيقية لهداية الإنسان في عالم الابتلاء. وإن فقد هذا الشيء منه فيضل عن الصراط المستقيم، لأن الفراغ الذي وضع في فطرة الإنسانية لا يمكن ملئها إلا بامتثال أوامر الله تعالى ورسوله وإلا فلا يأمن الإنسان من فتنة الشيطان"(٨٤).

"ولذا كان من اقتضاء رحمة الله تعال أن يرسل الأنبياء عليه السلام لهداية الناس من الظلمات إلى النور. وقد ذكر الله تعالى مقولة هؤلاء حيث قال: "**ولو أنا أهلكنهم بعذاب من**

---

(٨٣) سورة البقرة: الآية ٣٠-٣٩.

(٨٤) تدبر: ١: ١٣٠.

قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آيتك من قبل أن نذل ونخزى"[٨٥]. وكذلك ذكر سنّته بإرسال الرسل حيث قال: "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير"[٨٦].

يتعرض الشيخ الإصلاحي لهذا الجانب الثابت من الأمور العقيدة لإثبات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ويستدل على ذلك من خلال قوله تعالى في سورة البقرة: "تلك آيت الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين. تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجت..."[٨٧].

"فيقول الشيخ الإصلاحي: "إن هاتين الآيتين وقعتا في سياق الكلام عن الجهاد والإنفاق في سبيل الله، ففيهما الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بأن بني إسرائيل حرّفوا تاريخهم وجعلوه شيئاً تافهاً لا قيمة له.... وقال الله تعالى: "ونحن الآن نتلوا عليك وحياً صحيحاً سليماً بعيداً عن الخطاء والتحريف في حكمه ومصالحه البالغة وفيما يترتب عليه لترى أنت وأصحابك الصورة الصحيحة لأمرك ومستقبلك"[٨٨].

ويستدل الشيخ الإصلاحي بهذا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو إلا واحد من هذه السلسلة المباركة للأنبياء والمرسلين صلوات وسلامه عليهم أجمعين، وإلا فكيف عرف تحريف اليهود الذي لا وسيلة إلى معرفته الصحيحة إلا بالوحي".

"ولو فكر أهل الكتاب في أمر النبوة من هذا الجانب فقط فهو خير دليل على صدق رسالتك وأنها من عند الله تعالى وحده، ولكن تعصبهم الأعمى منعهم من

---

[٨٥] سورة طه: الآية ١٣٤.

[٨٦] سورة فاطر: الآية ٢٤.

[٨٧] سورة البقرة: الآية ٢٥٢-٢٥٣.

[٨٨] تدبر: ٥٧٢/١.

الإقرار بنبوتك ونبوة أي نبي من أنبياء الله تعالى إلا من أرسل إليهم، وأيضاً منعهم ذلك من التسليم بتفضيل الله لبعضهم على بعض وأن هذا لا يكون إلا له جل شأنه فقد قال في الآية الثانية : "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجت..."(٨٩).

الدليل الثاني.

تفسيره لقوله تعالى: وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشهدين"(٩٠) حيث قال:

"إن هذا التفات إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد قصة موسى عليه السلام. وفيها إشارة إلى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ويتوجه الخطاب إلى اليهود أيضاً. والغرض من هذا الخطاب إثبات الرسالة حيث لم تكن (يامحمد) موجوداً عند ما أعطينا التوراة لموسى عليه السلام ولا عند قومه، ومع هذا كيف عرفت هذه القصة بكاملها صحيحة. وهذا خير دليل على أن الله تعالى أخبرك بها بوحيه وأنت رسول الله تعالى حقاً".

الدليل الثالث:

وكذلك استدل من قوله تعالى: "وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما اتهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون"(٩١).

كما استدل الشيخ الإصلاحي لإثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى: "وما كنت تتلوا من قبله من كتب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون"(٩٢).

---

(٨٩) تدبر: ٥٧٢/١. وسورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٩٠) سورة القصص: الآية ٤٤.

(٩١) سورة القصص: الآية ٤٦. وتدبر: ٦٨١/٥.

(٩٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨. وتدبر: ٧/٦.

استدلال الإصلاحي على عصمة الأنبياء عليهم السلام:

ويستدل الشيخ الإصلاحي على عصمة الأنبياء عليهم السلام بقوله تعالى: "ولقد همت به وهم بها لولا أن را برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين"(٩٣).

قال الإصلاحي: "المراد من قوله تعالى "برهان ربه" هو نور الله تعالى الذي وضعه الله تعالى في فطرة كل إنسان وبه يميز الإنسان الخير من الشر فيختار الأول ويجتنب الثاني. ويعطي الله تعالى هذا النور للجميع ولكن سنّة الله تعالى في هذا الباب أن الذين يحافظون عليه ويستنيرون منه ويقدرونه فالله تعالى يزيد هم نوراً على نور بحيث يتخلصون من حظ الشيطان بخلاف الذين لايحافظون عليه/ فحالهم عكس ذلك تماماً. ويوسف عليه السلام كان من الفئة الأولى. لم لا وهو نبي الله تعالى ومعصوم فقد كان له النصيب الأكبر من نور النبوة ولذا قال الله تعالى: "كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين".

ثم قال: "كما يطلق "البرهان" على "النور" كذلك يطلق على "الدليل الواضح والحجة الساطعة". فأي شيء يكون أوضح من الدليل الذي يكون من داخل الإنسان ومن قلبه ومن بصيرته. فهذه الآية تدل على عصمة الأنبياء عليهم السلام".

وقال بعد هذا:

إن الله تعالى يعصم الأنبياء عليهم السلام من الذنوب قبل البعثة.

ولا نعني بهذه العصمة أن الله تعالى يسلبهم ما جبل عليه البشر من فعل الذنوب ولكنهم -بفضل الله تعالى واصطفائه- يوفقون إلى نور يملأ صدورهم ويزداد

---

(٩٣) سورة يوسف: الآية ٢٤.

بالتدرج ليمنعهم عن الزيغ والضلال عن الصراط المستقيم خاصة عند المصائب والابتلاءات"[٩٤].

استدلال الإصلاحي من الكتب السابقة: (لإثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم)

واستعان الشيخ الإصلاحي في باب إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما ورد في التوراة والإنجيل من أخبار المتقدمين التي ذكرت نبيّنا صلى الله عليه وسلم و خاصة عند تفسيره لقوله تعالى:

"الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التورة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينههم عن المنكر"[٩٥].

منها قول موسى عليه السلام لقومه:

"يقيم لك الرب إلهك نبياً من بينكم من إخوتك مثلي له تسمعون. جرياً على كل ما سألته الرب إلهك في "حورب" في يوم اجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت. فقال لي الرب فقد أحسنوا فيما قالوا. أقيم لهم من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فمه فيخاطبهم بجميع ما آمره به. وأي إنسان لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي فإني أحاسبه علي"[٩٦].

فيقول الإصلاحي: فنعلم من هذا الكلام أن موسى عليه السلام أخبر بأن النبي الذي سيأتي يكون أميّاً من بينكم "من إخوتك" فلا ينبغي أن يكون من بني إسرائيل. وهذه البشارة على لسان موسى عليه السلام في الحقيقة إعادة البشارة المذكورة في سورة البقرة بأن النبي الأمي الخاتم يكون من أولاد إبراهيم وإسماعيل"[٩٧].

ومنها بشارة موسى عليه السلام حيث قال:

---

[٩٤] تدبر: ٣/٤٥٣-٤٥٣.

[٩٥] سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

[٩٦] تدبر: ٣/٣٧٤. والعهد العتيق. باب التثنية: ١٨/١٥-١٩.

[٩٧] تدبر: ٣/٣٧٤.

"فقال أقبل الرب من سماء وأشرق لهم من سعير، وتجلى من جبل فاران وأتى من ربي القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم"(٩٨).

منها قول عيسى عليه السلام: "وأنا أسأل الأب فيعطيكم "معزى" آخر ليقيم معكم إلى الأبد"(٩٩).

وقال في مقام آخر:

"لا أكلمكم أيضاً كلاماً كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء"(١٠٠).

وكذلك قال:

"ومتى جاء المعزى الذي أرسله إليكم من عند الأب روح الحق الذي من الآب ينبثق فهو يشهدلي"(١٠١).

وكذلك قال:

"إني أقول لكم الحق أن في انطلاقي خيراً لأني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزى ولكن إذا مضيت أرسله إليكم"(١٠٢).

فيقول الشيخ الإصلاحي: " أي رجل عادل لو يتدبر في هذه المبشرات من غير تعصب

فهو يعترف أن المصداق الحقيقي لهذه الصفات ليس إلا نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم"(١٠٣).

---

(٩٨) العهد العتيق: باب استثناء. ٢/٣٣.

(٩٩) العهد الجديد: ١٤/١٧.

(١٠٠) المصدر نفسه: ١٤/٣٠.

(١٠١) المصدر نفسه: ١٥/٢٦.

(١٠٢) المصدر نفسه: ١٦/٧.

(١٠٣) تدبر: ٣/٣٧٥.

المبحث الرابع

تقرير الأدلة إثبات عقيدة البعث بعد الموت.

تعرض الشيخ الإصلاحي لإثبات عقيدة البعث بعد الموت. واستدل عليه من الآيات القرآنية وأقام الحجة على منكريه. منها تفسيره لقوله تعالى: "ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً. أو لا يذكر الإنسان أنا خلقنه من قبل ولم يك شيئاً"(١٠٤). حيث قال: "إن المراد بالإنسان في هذه الآية هم مشركو العرب الذين كانوا يستبعدون القيامة ويتعجبون منها. وكانت علامة إنكارهم عجيبة لأنهم كانوا يعترفون بالله أنه هو المحي والمميت ومع ذلك لايصدقون بأمر البعث بعد الموت ثم الحساب على ما قدّموا".

"ومن ناحية أخرى كانوا يزعمون بأن لو فرض البعث بعد الموت سنجد يومئذ ماكان عندنا في الدنيا، ولذلك جعلوا لهم شركاء وظنوا أنهم شفعاءهم عند الله تعالى من عذابه و يدخلهم الجنة".

"فذكر الله تعالى دهشتهم في الآية الأولى واستبعادهم لوقوع ذلك اليوم، وفي الثانية رد عليهم حيث قال: "أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً". ولفت أنظارهم إلى الحقيقة الثابتة لدى الإنسان التي لا يستطيع أن ينكرها وهي: أن الله تعالى خلقه من العدم المحض فكيف تستبعد الحياة بعد الممات؟ لأن الأمر في البداية قد تم بقدرته فإعادته أهون عليه"(١٠٥).

ومثل هذا الأسلوب ذكر الإصلاحي في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

* منها قوله تعالى: "أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير"(١٠٦).

---

(١٠٤) سورة مريم: الآية ٦٦.

(١٠٥) تدبر: ٤/١٣٢-١٣٣.

(١٠٦) سورة العنكبوت: الآية ١٩-٢٠.

* منها قوله تعالى: "وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموت والأرض وهو العزيز الحكيم[١٠٧].
* منها قوله تعالى: "قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم"[١٠٨].
* منها قوله تعالى: "الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون"[١٠٩].
* منها فوله تعالى: "أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه. بلى قدرين على أن نسوى بنانه"[١١٠].

الدليل المشترك في إثبات التوحيد والبعث:

قوله تعالى: "وهو نرأكم في الأرض وإليه ترجعون"[١١١]. قال الشيخ الإضلاحي: "هذه إشارة إلى المعاد وقال لا تتبعوا ظنكم وزعمكم حيث قلتم: "إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر"[١١٢]. وقال: "مثلكم مثل الزارع حيث لا يزرع الزارع ليضيع بذوره بل ليجمعها في يوم ملء كذلك الذي ذرأكم في الأرض فيجمع أيضاً في يوم ما فيحشرون للحساب لأنه إذا كان الله وحده قد ذرأكم فكيف يكون له شريك في جمعكم؟ لو فكرنا لعلمنا أن الله تعالى أشار إلى المعاد بدليل وحدانيته في الإيجاد، فإذا هذا دليل على وحدانيته و قدرته على البعث"[١١٣].

هذا هو أسلوب الشيخ الإصلاحي في بيان أمور العقيدة.

---

(١٠٧) سورة الروم: الآية ٢٧.

(١٠٨) سورة "يسين": الآية ٧٩.

(١٠٩) سورة الروم: الآية ١١.

(١١٠) سورة القيمة: الآية ٣-٤.

(١١١) سورة المؤمنون: الآية ٧٩.

(١١٢) سورة الجاثية: الآية ٢٤.

(١١٣) تدبر: ٤/٤٧٦-٤٧٧.

الفصل الرابع

موقف الشيخ الإصلاحي في الدفاع عن الإسلام وأسلوبه في حل مشكلات القرآن.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف الشيخ الإصلاحي في الدفاع عن الإسلام.

المبحث الثاني: أسلوبه في حل مشكلات القرآن الكريم.

المبحث الثالث: خصائص تفسيره تدبر قرآن.

المبحث الأول:

موقف الشيخ الإصلاحي من الدفاع عن الإسلام.

لاشك أن الشيخ الإصلاحي من كبار علماء أهل السنّة والجماعة الذين دافعوا عن الإسلام وعقيدته فزاد عنها بقلمه نافياً كل ما دخلها من بدع وخرافات.

وقد صنّف الشيخ الإصلاحي عدة كتب في الرد على الشبهات/و طعون المبطلين فكتابه: حقيقة الشرك" كان لتوضيح عقيدة الإسلام والرد على افتراءات المبطلين. وكذلك كتابه: "نقد قانون الأسرة". رد فيه بأسلوب علمي على المسائل العائلية/التي الأسرية تثار دائماً لإيجاد الشبهات والاعتراضات على نظام الأسرة في الإسلام من قبل أعداء الإسلام.

وقد امتاز منهج الإصلاحي في كتبه بالمعالجة العميقة والرد الشافي والغيرة على الإسلام والذود ، ويشعر القارئ لتفسيره باطمئنان بالغ لتلك المعالجات والردود التي بناها على العقل والنقل معاً وهو في غاية السهولة بعيدة عن أي تعقيد.

وأورد بعض الأمثلة لتوضيح منهج الشيخ الإصلاحي في ذلك -

أولاً: العبادات:

أما الآيات التي تتعلق بالعبادات فيرد الشيخ عند تفسيرها على المغرور بالحضارة الغربية وفلسفتها التي قال أصحابها: "إن الصوم[1] يضعف صحة الإنسان وبالتالي يصاب المجتمع بالضعف في الإنتاج مما يؤدي إلى الضرر وبذلك يرفضون هذه الفريضة الإسلامية الثابتة بنص قطعي ويبدأ الشيخ الإصلاحي رده بتذكيرهم بحقيقتين أساسيتين هما:

الأول: "إن قيمة الإنسان في نظر هؤلاء من حيث وجوده المادي لا من حيث وجوده الروحي فهم يقيسون الإنسان على الثور القوي كلما كان سميناً كان قادراً على جر الحرث وكذلك الإنسان كلما كان قوياً (جسدياً) كان قادراً على البذل والعمل... ونسوا هؤلاء قول

---

(1) الصوم لغة: مطلقاً الإمساك. المصباح المنير: مادة: صوم.
واصطلاحا: إمساك عن المفطريات حقيقة أو حكما في وقت مخصوص من شخص مخصوص مع النيّة.
حاشية ابن العابدين: ٢/ ٨٠.

الرسول صلى الله عليه وسلم: إني أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني"[٢]. فإذا كان الإنسان مكوناً من لحم وشحم فيكون اعتراضهم في موضعه ويصبح له وزن. أما إذا كان بجانب جسده روح فيبدأ السؤال ما هو غذاء هذا الروح؟ وكيف يحفظ على حياته؟ وهل يصلح غذاء الجسد أن يكون غذاء للروح؟ وعلى هذا النحو من التحليل يستمر الإصلاحي في رده ويوضح أن جوهر الروح الإنسانية من السماء وليس من الأرض، وعلى هذا يكون غذائه أيضاً من السماء، فعلاقة الإنسان بالله تعالى والصلة به وبكلامه يجعله روحاً حيث يرفرف في السموات ويرتقي في الكمالات وهو يعيش على الأرض"[٣].

فإذا نظرنا إلى حقيقة الصوم فهو أيضاً يعطي هذا الروح حياته وحريته، حيث يضعف جانب الشهوة والطغيان ويقوى جانب الإرادة والقدرة على الالتزام بأوامر الشرع واجتناب نواهيه في سهولة ويسر"[٤].

وآخر ما ذكر الإصلاحي في هذه النكتة أن سر قوة الإنسان وطاقته في روحه وليس في جسده، فإذا كان القلب والروح في حالة من الضعف والجسم قوي ومنعم فقد شبه القرآن الكريم حال من يكون كذلك بقوله تعالى: "كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم"[٥]. وعلى العكس الذين تقوى أرواحهم وإن كانوا قلة فهم منتصرون، كما قال تعالى: "كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله"[٦].

الثاني: "إن هؤلاء نسوا أن قيمة الشيء وقدره لا تعرف من نتائجه المؤقتة المباشرة، بل تعرف بأثره الدائم وثماره المستمرة وإن تأخرت قليلاً سواء كانت ملموسة أو غير

---

(٢) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين إنك تواصل يا رسول الله. قال: وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني...". وفي رواية عن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إياكم والوصال مرتين. قيل إنك تواصل يا رسول الله. قال: إني أبيت يطعمني ربي ويسقين فاكلفوا (تكلفوا) من العمل ما تطيقون". البخاري، كتاب الصوم ١/٢٤٢-٢٤٣. ومسلم، كتاب الصيام ١/٧٧٤-٧٧٦. رقم الحديث: ٥٧-٥٨. ٦٠-٦١.

(٣) تدبر: ١/٤٦٠-٤٦١.

(٤) المصدر نفسه: ٤٦٠-٤٦١.

(٥) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

ملموسة. فكذلك الصوم- فإن أثره المباشر لا سيما على الصائمين الجدد- سيكون بالضعف والكسل والخمول فلا يلتفت إلى هذا الأثر المؤقت ولكن ينظر إلى الأثر الحقيقي على الباطن وذلك الذي يقوم السلوك ويقوي الإرادة ويحقق للروح حياتها وارتقائها وصحوها وهذا كله لإيجاد مناعة قوية لدى الإنسان إزاء شياطين الجن والإنس التي لا تغفل لحظة واحدة عن إضلال الإنسان وإغوائه"[٧].

ويجدر بنا أن يذكر أن هناك هدفان للصوم الذين ذكرهما القرآن، وهما:

الأول: التقوى: وهو أن يحبس الإنسان نفسه في جميع مراحل حياته وظروفه وينضبط بحدود الشرع في كل أمر ونهى"[٨].

الثاني": الصبر:[٩] وهو أن يعطى الإنسان قدرة على المجاهدة والجهاد المتواصل في مواجهة المشاكل والمتاعب الداخلية ويقابل كل ذلك بالعزم والروح الصبور العالية. فالمسلم يخرج من الصوم بتربية عالية المستوى حيث تقوى روحه ونفسه وإرادته ويزداد قدرة على تحمل المصائب ومواجهتها بالمجاهدة. ثم هذا هو الإنسان الحقيقي

---

[٧] تدبر: ١/ ٤٦١-٤٦٢. ط: ٢. ١٩٨٥م-١٤٠٥هـ.

[٨] تدبر: ١/٤٦٢. التقوى في اللغة: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية. وعند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته. وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك.
والتقوى في الطاعة: يُراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد به الترك والحذر. كتاب التعريفات للجرجاني: ت: إبراهيم الإبياري. ص ٩٠.

[٩] الصبر: الإمساك في ضيق. يقال صبرت الدابة حبستها بلا علف. والصبر حبس النفس فيما يقتضيه العقل والشرع. وسمي الصوم صبرا لكونه كالنوع له". المفردات في غريب القرآن: ص ٢٧٢-٢٧٣.
وذكر الدامغاني خمسة معاني للصبر:
١: الصبر الصوم. قوله تعالى: **يايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة**": يعني بالصبر الصوم مثلها منها. سورة البقرة: الآية ١٥٣.
٢: الصبر الجرأة: قوله تعالى: "**فما أصبرهم على النار**". البقرة: الآية ١٧٥. (يعني فما أصبرهم على فعل يؤدي بهم إلى النار وما أجرأهم عليه).
٣: الصبر: الإصرار على الشيء. قوله تعالى: **إن امشوا واصبروا على آلهتكم**". سورة ص: الآية ٦. (أي اصبروا على عبادتها واثبتوا).
٤: الصبر: الرضا. قوله تعالى: **واصبر لحكم ربك**". سورة الطور: الآية ٤٨. (يعني ارض بقضاء ربك). ومثلها في سورة القلم: الآية ٤٨.
٥: الصبر بعينه: قوله تعالى: **إنا وجدناه صابراً**". سورة ص: الآية ٤٤. ومثلها في سورة الحج: **والصبرين على ما أصابهم**". الآية ٣٥. قاموس القرآن للدامغاني: مادة: ص. ب. ر. ص: ٢٧٣.

وإلا كما قال القرآن الكريم: "إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل"(١٠).(١١)

ثانياً: المعاملات:

يستدل الشيوعيون بقوله تعالى: "ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو"(١٢). بأنه يجوز للحكومة أن تحول الملكية الخاصة إذا زادت عن الحاجة عند صاحبها إلى الملكية العامة. ويقول الشيخ الإصلاحي رداً عليهم ضمن تفسير هذه الآية: "إن مثل هذا السؤال كان من قبل الضعفاء الذين يحسون المشقة في الإنفاق، فالجواب كان مختصراً وواضحاً وقطعياً حيث قال: "قل العفو" فالمراد به الفاضل الذي يبقى بعد حوائجه ليس المراد من الإنفاق الواجب على المسلمين من زكاة ونحوها، بل هذا الإنفاق يتعلق بالجهاد وإعلاء كلمة الله والدفاع عن الملة والدولة، فالآن بيان القدر الذي يحقق المقاصد السابقة فعلى كل مسلم أن ينفق ما زاد عن حوائجه الأصلية. ثم يدخل الشيخ في الرد المفصل على كلام هؤلاء الاشتراكيين بأن هذه الآية يؤخذ منها شيوع الملكية وتحويل مازاد عن الحاجة إلى الملكية العامة (الحكومة) فيقول في نكات محدودة:

* هذا الأمر يتعلق بالفرد نفسه في ذاته ولا يتعلق بالحكومة، فهي من قبيل إعداد وتأهيل المسلم للإيثار ولكن بكامل حريته وإرادته.
* هذا الأمر يتعلق بالظروف الخاصة (الاضطرارية) ولا يتعلق بالظروف العامة.
* وعندما تكون الحاجة للحفاظ على الملكية وتحقيق مقاصد عليا فلا بأس أن يشارك الناس بجزء من هذا الزائد.

وفي النهاية يوضح الشيخ أن التربية الإسلامية تستهدف إلى أن يكون المسلم مستعداً للتضحية وامتثال أوامر الله باختيار وحرية، والقدر الحقيقي في الإسلام للحسنة التي تكون بحرية كاملة وليس بالحسنة التي تكون تحت الضغط والقيد"(١٣).

---

(١٠) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(١١) تدبر: ١/٤٦٢-٤٦٣.

(١٢) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(١٣) تدبر: ١/٤٧١-٤٧٣.

ثالثاً: الجنايات:

تفسيره لقوله تعالى: "ولكم في القصاص حيوة يا أولى الألباب لعلكم تتقون"[١٤]. وقوله تعالى: "والسارق والسارقة قاطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ..."[١٥]. يرد الشيخ الإصلاحي على من قال إن الجنايات التي تصدر من المجرمين تأتي نتيجة عدم اعتدال نفسياتهم واختلال عقولهم ومعاكسة ظروف المجتمع لهم مما يستحقون معه أن يوصفوا بأنهم مرضى وبالتالي يحتاجون إلى العلاج والدواء لا إلى العقاب ويحتاجون إلى التربية وإصلاح النفوس. فقال الشيخ رداً عليهم:

"ومعلوم أن كلمة حياة ليس المقصود حياة الفرد بل حياة المجتمع بأسره، فالظاهر أنه عند ما تقتل نفس قصاصاً تتلف نفس ثانية فكيف تكون الحياة بالقصاص والمدقق يعلم أن قتل النفس الثانية فيه ضمان لحياة المجتمع كله، ولو لم يقتص من القاتل فإن المجتمع كله سيصاب بهذا المرض وهو انتشار القتل وتبادر الثأرات بأن من ارتكب القتل بالأمس سيقتل-بسهولة-غداً وهلم جراً".

وكذلك هناك فرق بين مرض ومرض، فالأمراض مثل القتل والسرقة والزنا التي تؤدي إلى ما يسمى بالجنايات فهذه مثل الأمراض التي يقطع منها أحد أعضاء الجسم حتى لا يسرى المرض في الجسد كله. وإن كان هذا القطع مؤلماً ومضراً بدرجة كبيرة ولكن المعالج يقطع ذلك حتى يمنع هلاك الجسد كله بسبب هذا العضو المريض فالمجتمع في مجموعة مثل الجسد فأي فرد يمرض فيه يؤدي مرضه إلى هلاك المجتمع فلابد أن يعالجه لتسري الحياة في المجتمع كما عبرت الآية: "ولكم في القصاص حياة"[١٦]. وكذلك يلحظ في كلمة (نكال) في الآية و "ولعلكم تتقون" تعبير كعامل زجر ومنع لمن يفكر في ارتكاب تلك الجرائم"[١٧].

---

[١٤] سورة البقرة: الآية ١٧٩.

[١٥] سورة المائدة: الآية ٣٨.

[١٦] سورة البقرة: الآية ١٧٩.

[١٧] تدبر: ٣٩١-٣٩٣.

الرد على الأفكار الجديدة:

المثال الأول:

تفسيره لقوله تعالى: " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة (٢٠). فقال الشيخ الإصلاحي: إن الجزء الأول منها يبيّن حقوق كل من الزوجين على الآخر التي لا بد من أدائها لتسقيم حياتهما في المستقبل وأعطى الإسلام درجة للرجل على المرأة لبقاء النظام العائلي واستقراره. وذكر دليلين في تأكيد هذه الدرجة، وهما:

ا: أن توجد القوة المدافعة عن حقوق المرأة.

ب: أن الرجل قادر على كسب المال والإنفاق على الأسرة.

فهذه الإنفاق ليس تبرعاً من الرجل بل هو مسئوليته كما قال الله تعالى: "ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" فهذا لا يعني بأن القرآن الكريم يعترف أن المرأة تساوي الرجل في كل شيء بل هو بيان لحقوق الزوجين فمعنى ذلك أن للمرأة حقوقاً مثل مسئوليتها تماماً"(٢١).

وقوله تعالى: " وللرجال عليهن درجة". قال الشيخ الإصلاحي: إن هذا نص قاطع يدحض فكرة مساواة المرأة بالرجل المستوردة من الغرب. فهدم القرآن الكريم هذه الفكرة. أي المساواة. وذكر أن أصل القوامة للرجل وبناء على هذا الاصل جاءت بقية القوانين الأسرية فالقول بالمساواة في نظام الأسرة لا يؤدي إلا إلى الانحراف عن الدين الحنيف وإفساده"(٢٢).

المثال الثاني:

تفسيره لقوله تعالى: " لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي (٢٣). قال الشيخ الإصلاحي في تفسير هذه الآية: "إن فيها بياناً لسنّة الله تعالى التي بيّنها لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وتعالى: " ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنت"(٢٤).

ثم قال: " هذا مزيد من البيان من الله تعالى في باب الهداية والضلالة. فالتكليف من الله تعالى لرسوله كان لإبلاغ الحق بطريق واضح. وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بمسئولية وقد أدها. وتمت حجة الله تعالى على الناس. والآن مسئوليتهم أن يؤمنوا أو يكفروا. ولم يختار الله تعالى في أمر الهداية الطريق الإجباري، بل أعطى الحرية للناس إن شاءوا اختاروا الإيمان وإن شاءوا اختاروا الكفر.

وقال تعالى مبيناً لسنته: " وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلغ المبين. ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت. فمنهم من هدي الله ومنهم

---

(٢١) تدبر: ١/٤٨٨-٤٨٩.

(٢٢) تدبر: ١/٤٨٩-٤٨٨.

(٢٣) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

(٢٤) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين. إن تحرص على هدهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من نصرين"[٢٥].

فظهر منها أن النفى في الآية: "لا إكراه في الدين"[٢٦]. فالمقصود بالنفي في باب الهداية والضلال بأن يسوق الناس بقدرته ومشيئته إلى الإيمان أو الكفر ولو أراد الله أن يفعل لفعل ولا يستطيع أحد أن يمنعه من هذا ولكن اختار طريقاً وهو طريق إرسال الرسل ليوضحوا الحق من الباطل. فمن أراد أن يختار الهداية فهو يمهد الطريق ومن يختار الكفر فيمهله. كما قال تعالى في مقام آخر: "نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً"[٢٧].

وبعد ذلك يذكر الشيخ الإصلاحي إعتراضاً ثم يرد عليه رداً جميلاً حيث يقول:

"إن بعض سفهاء هذا الزمان يأخذون مفهوماً آخر لهذه الآية ويقولون إن المراد بالنفي في الآية: "لا إكراه في الدين" النفي الإجباري القانوني. ويستدلون به على هذا بأنه لا يوجد الإكراه في الإسلام، ولذا فالعقوبات المقررة لبعض الجنايات لا توجد في الإسلام. إن هذه العقوبات ليست إلا اختراع علماء هذه الأمة ولا علاقة لها بالإسلام[٢٨].

فقال الشيخ الإصلاحي رداً على هذه الطائفة: "لو سلمنا بأن استدلالهم صحيح فمعنى ذلك أن شريعة الله تعالى خالية من الحدود والتعزيرات، وأن لكل إنسان أن يفعل ما يريد دون أي ضابط، وبالتالي أن لا توجد هناك عقوبات على الجرائم مثل الزنا والسرقة وقطع الطريق والفساد في الأرض.

ويعلم الجميع أن هناك نظاماً كاملاً في الإسلام وهو نظام الحدود والتعزيرات وتنفيذه من واجبات الدين. وإذا لم يصل أحد من المسلمين فللحكومة الإسلامية الحق أن تعاقبه على

---

[٢٥] سورة النحل: الآية ٣٥-٣٧.

[٢٦] سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

[٢٧] سورة النساء: الآية ١١٥.

[٢٨] تدبر: ٥٤٧/١.

هذا. وهذا لا ينافي آية "لا إكراه في الدين". وكذلك إذا خالف أحد الإسلام فعليه عقوبة على تلك المخالفة وهذا أيضاً لا ينافي قول الله تعالى "لا إكراه في الدين".

وقد أوجب الله تعالى الجهاد على المؤمنين ضد المفسدين في الأرض وهذا أيضاً لا ينافي الآية المذكورة"(٢٩).

ولا شك في أن الإسلام لا يجبر أحداً على قبوله ولكن مع هذا فهو لا يأذن لأحد أن يفعل ما يشاء بعد دخوله في الإسلام. ثم لا يؤاخذ على ما فعل بل الذي قبله ورضي به ملزم بحدوده وقيوده. أما في النظم اللادينية "المذهب" (العقيدة) يعتبر جزء من حياة الإنسان الخاصة. ولذا إذا خالف أحد قانون الحكومة فهي تعاقب على هذه المخالفة. وإذا بغى أحد على حكم الله تعالى فلا عقوبة عليه. ولكن الإسلام لا يقول إن "المذهب" (العقيدة) جزء من حياة الإنسان الخاصة. بل الحكومة الإسلامية هي حكومة الله تعالى أصلاً وحقيقةً. والمعهد الإداري والسياسي ليس إلا أداةً لتنفيذ قوانين الله وإجراء أحكامه في الرياسة. ولذا يؤخذ على كل من يخالف أوامر الله تعالى سواء كانت سرية أو جهرية. والفرق بينهما فقط بأن المؤاخذة على المخالفة السرية تكون في الآخرة. وعلى المخالفة الجهرية تكون في الدنيا. ولذا يعتبر الارتداد نوعاً من الجناية بل هو أعظم الجنايات. والمؤاخذة على هذا في الإسلام لا تعني الإجبار على قبول الإسلام بل هي على أنه أعلن علم البغي على قانون الله تعالى وحكومته"(٣٠).

المثال الثالث: وهي الربا

أما المسألة التي عمت بها البلوى/ فذكر الشيخ الإصلاحي وجهة نظر المخالفين وأجاب جواباً شافياً مختصراً عند تفسيره قوله تعالى:

"الذين يأكلون الربوا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطن من المس، ذلك بأنهم قالوا إن البيع مثل الربوا ..."(٣١).

---

(٢٩) المصدر نفسه: ٥٤٧-٥٤٨.

(٣٠) تدبر: ١/٥٤٨-٥٥٠.

(٣١) سورة البقرة: الآية ٢٧٥.

فقال: "الربا"[٣٢] هو من : ربا يربو رباء في اللغة العربية تأتي بمعنى التنمية والزيادة: وأخذ الربا منه. والمراد منه الزيادة المعينة التي يأخذها المقرض من المقترض مقابل الانتفاع بالمال المقروض في فترة ما. وهذا المصطلح الفقهي كان مشهوراً في الإسلام والجاهلية. وقد اختلفت ألوانه، بدون تعرض الأمر لتعيين حقيقته. هل هذا القرض أعطى للفقير أو الغني؟ أو أعطى للتجارة أو للزراعة أو للصناعة أو لأمر فردي أو للمجتمع. ولا يختلف مفهومه الأصلي باختلاف صوره المتنوعة"[٣٣].

ثم فسر قوله تعالى: "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة"[٣٤]. فذكر وجهة نظر القائلين بجواز الربا باختلاف الصور في ظروف مختلفة. فقال:

"قد ذهب بعض سفهاء هذا الزمان إلى أن الربا الذي كان رائجاً قبل نزول القرآن الكريم كان نوعاً من الربا: وهو أن يأخذ الفقير من الغني مالاً لسد حاجته. والمقرض كان يأخذ من المديون الربا على هذه المهلة. ورغم أن القرآن الكريم قد عبّر هذه الزيادة "بالربا". وحرمه في هذه الصورة. وأما دين التجارة في هذا الزمان لم يكن له وجود في تلك الظروف. وبالتالي لم يبحث القرآن الكريم عن حرمتها وكراهتها"[٣٥].

فرد الشيخ الإصلاحي على هؤلاء قائلاً: "فنجد الجواب لهؤلاء في الآية المذكورة نفسها حيث قال القرآن الكريم: "وإن كان ذوعسرة فنظرة إلى ميسرة"[٣٦]. فأخبرت الآية بغاية الوضوح أن المستقرضين في ذلك الزمان كانوا من الأغنياء أيضاً. بل الأغنياء هم الذين كانوا يستقرضون. وإن كان الفقراء في بعض الأحيان يستقرضون. وهذا الحكم في الآية المذكورة لهؤلاء الأغنياء. لأن لفظ "إن" لا يستخدم في العربية في الظروف العادية بل في

---

[٣٢] هو في اللغة: الزيادة. وفي الشرع: هو فضل حال عن عوض شرط الأحد المتعاقدين. التعريفات للجرجاني ص ١٤٦. (باب الراء).

[٣٣] تدبر: ٥٨٦/١.

[٣٤] سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

[٣٥] تدبر: ٥٩٤/١.

[٣٦] سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

الظروف الشاذة. و لفظ "إذا" يستخدم في الظروف العادية. وإذا تدبرنا الآية فعلمنا أن المستقرضين كانوا أغنياء في معظم الأحوال"[٣٧].

ثم ذكر الإصلاحي موقف الشيخ الفراهي في تأييد رأيه. حيث قال: "وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم"[٣٨].

"يلوح من هذه الكلمات أنهم كانوا يأخذون الرِبا من ذوي ميسرة. وقريش كانوا تجاراً وأصحاب ربا، فلا أرى فرقاً بين حالهم وحال أبناء زماننا في الربا. والله أعلم بالصواب.

"فالظاهر أن الأغنياء كانوا يأخذون "الدين" لحوائجهم الضرورية، بل كانوا يستقرضون لمقاصدهم التجارية. فإذاً ما الفرق بين القرض لفرض التجارة في ذلك الزمان وبين القرض في زماننا؟[٣٩]

وبجملة القول إن الشيخ الإصلاحي يعدُّ الربا: الزيادة على رأس المال الذي يأخذ الدائن من المديون، سواء كان هذا الدين للحوائج الضرورية أو لغرض التجارة أو غيرها. وبالتالي يبقى حراماً كما ثبت بنص قطعي.

---

[٣٧] تدبر: ١/٥٩٥.

[٣٨] سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

[٣٩] تدبر: ١/٥٩٤-٥٤٥.

المبحث الثاني

أسلوب الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في حل مشكلات القرآن الكريم.

لاشك في أن مشكلات القرآن الكريم موضوع مهم جداً فكل من تصدى لتفسير كتاب الله العزيز حاول أن يحلها وفق فهمه وحكمته التي رزقه الله تعالى في هذا الباب. وهناك علماء أفردوا له التصانيف مثل ابن قتيبة من المتقدمين حيث صنّف كتابه : "مشكل القرآن". والشيخ العلامة أنور شاه الكشميري من المتأخرين أيضاً صنف كتاباً وسماه: "مشكلات القرآن".

والشيخ الإصلاحي أيضاً تكلم في تفسيره عن هذه الآيات التي تعتبر من مشكلات القرآن الكريم. وأود هنا في هذا المبحث أن ألقي الضوء على منهجه الذي اختاره في تفسيره لهذه الآيات المشكلات.

المثال الأول:

الآية المشكلة

يحمل الشيخ الإصلاحي على ظاهرها ولا يؤلها مثل قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها"[٤٠]. تقرير قال الإصلاحي: بعد أن بيّن الله تعالى حكم القتل الخطاء قال في قتل العمد: ومن يقتل مؤمناً...".

والعقوبة التي ذكرت هنا في هذه الآية لجريمة قتل العمد هي نفس العقوبة التي ذكرت للكافرين حقاً"[٤١]. معنى ذلك من قتل متعمداً هو مخلد في النار كما قال تعالى عن الكافرين: والذين كفروا وكذبوا بآيتنا اولئك أصحاب النار هم فيها خلدون"[٤٢].

---

[٤٠] سورة النساء: الآية ٩٣.

[٤١] تدبر: ٢/٩٣. قال بعض العلماء: إنها مخصوصة بالمستحل. أو المراد بالخلود المكث الطويل، أو أنه مخصوص بمن لم يتب، أو لعله قصد به التشديد تعظيما لهذه الخطيئة.

[٤٢] سورة البقرة: الآية ٣٩. وقوله تعالى: إن الذين كفروا من أهل الكتب والمشركين في نار جهنم خلدين فيها". سورة البينة: الآية ٦. وقوله تعالى: والذين كفروا وكذبوا بايتنا اؤلئك أصحب النار خلدين فيها". سورة التغابن: الآية ١٠.

المثال الثاني:

وفي بعض الأحيان يحاول الإصلاحي التوفيق بين الآيات التي يظهر التعارض بينها ويفوض الأمر نهائياً إلى الله تعالى مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: "ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون"(٤٦).

وقوله تعالى: "تعرج الملئكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة"(٤٧).

قال الشيخ الإصلاحي: "يظهر لنا أن هناك تعارضاً بين الآيات المذكورة ولكن في الحقيقة ليس هناك تعارض، لأن تفاوت الأيام مبني على اختلاف المدار ولذا تختلف الأيام باختلاف السيارات. ويمكن أن يكون العروج للأمور في يوم كألف سنة. وأما عروج الملائكة و جبريل فيكون في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. وقال بعد ذلك: "إن هذه الأشياء تتعلق بأمور الغيب ولا نستطيع أن نقول فيها شيئاً بالجزم"(٤٨).

وقال في تفسير قوله تعالى: "تعرج الملئكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة-(٤٩) "إن هذه الأشياء من المتشابهات لا يمكن لنا إدراك حقيقتها والغرض منها هو ألا تقيسوا أوامر الله تعالى على أنفسكم لأن يوماً عنده كألف سنة عندكم"(٥٠).

---

(٤٤) سورة النحل: الآية ٦٢.

(٤٥) تدبر: ٤/٤١٨-٤١٩.

(٤٦) سورة السجدة: الآية ٥.

(٤٧) سورة المعارج: الآية ٤.

(٤٨) تدبر: ٦/١٥٨.

(٤٩) سورة المعارج: الآية ٤.

(٥٠) تدبر: ٨/٥٦٦.

المثال الثالث:

قال الإصلاحي في تفسير قوله تعالى: "فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان"(٥١). "إ
السؤال على عدة أنواع. والسؤال المنفي هنا هو الذي يكون على وجه الاستخبار وطل
التعريف إذ لا يحتاج إلى ذلك، لأن المجرمين يعرفون بسيماهم. وبيّن الله تعالى سبب عد
السؤال عنهم حيث قال: "حتى إذا ما جآءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بم
كانوا يعملون"(٥٢).

"وأما السؤال على وجه الحساب والتوبيخ (٥٣) والملامة والاستهزاء فلا نفي له هنا
وكذلك الأسئلة المذكورة في القرآن الكريم فلذا ليس هناك تعارض بين النفي والإثبات"(٥٤).

وقوله تعالى: "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون"(٥٥). فيه
سؤال هو أن الخطاب للكفار، ومن جملة ما كانوا يعبدون من دون الله هو عيسى عليه السلا
ومعاذ الله أن يلقى الله تعالى نبيُّه في النار. والجواب كما قال الشيخ الإصلاحي في حل هذ
المشكلة:

"إن حرف "ما" في قوله تعالى {وما تعبدون} لا يستخدم حقيقة إلا في غير العقلاء
ولذا المراد به "ما" هو الأصنام والأحجار لأنهم كانوا يعبدونها، والشياطين كانوا تحد
طاعتهم. والغرض من إدخال الأصنام النار مع كونها جماداً لا يحس ولا يعقل إهانة
لمن عبدها ليعلموا هناك أن آلهتهم لا تغني عنهم شيئاً، وبالتالي تنبيه على أنهم ل
كانوا آلهة ما وردوا (٥٦)-جهنم-.

---

(٥١) سورة الرحمن: الآية ٣٩.

(٥٢) سورة حم السجدة: الآية ٢٠.

(٥٣) مثل قوله تعالى: "فوربك لنسئلنّهم أجمعين". سورة الحجر: الآية ٩٢. وقوله تعالى: "لايسئل عما يفعل و
يسئلون". سورة الأنبياء: الآية ٢٣. وقوله تعالى: "ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم". سورة التكاثر: الآية ٨

(٥٤) تدبر: ١٤٢/٨.

(٥٥) سورة الأنبياء: الآية ٩٨.

(٥٦) تدبر: ١٩٢/٥.

وأما المشركون الذين كانوا يعبدون الأنبياء (مثل عيسى عليه السلام) فلا كلام عنهم هنا بل الكلام عنهم في سورة المائدة[٥٧] وغيرها من المواضع حيث يبرؤون المعبودون من عابديهم[٥٨].

المثال الرابع:

تفسيره لقوله تعالى: "الحمد لله فاطر السموت والأرض جاعل الملئكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلث وربع يزيد في الخلق ما يشاء"[٥٩].

قال الشيخ الإصلاحي: "إن كلمة {أولى أجنحة} صفة للرسل. وأجنحة: جمع جناح. وجناح الإنسان يده. وتأتي كلمة {أجنحة} للطائر، وهو ما يخفق به للطيران[٦٠]. وهنا استخدمت للملائكة، ولذا فهي من المتشابهات وحقيقتها وكيفيتها علمها عند الله تعالى. والمراد هنا هو اخبارنا أن الملائكة ليسوا على درجة واحدة بل خلقها الله تعالى وفق المصلحة حسب تفاوت لهم من المراتب فينزلون بها أو يعرجون أو يسرعون بأجنحة مثنى وثلث وربع"[٦١].

ولاحظ هنا أن الشيخ الإصلاحي اختار مسلك التفويض مثل السلف الصالحين.

المثال الخامس:

تفسيره لقوله تعالى: "إلى ربها ناظرة"[٦٢]. قال الشيخ الإصلاحي: "إن إيماننا به في هذه الدنيا إيمان بالغيب حيث نعرفه من خلال آياته وأما في الآخرة يكون إيماننا بالمشاهدة

---

[٥٧] وهو قوله تعالى: "وإذ قال الله يعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحنك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق... وأنت على كل شهيد". سورة المائدة: الآية ١١٦-١١٧. وقوله تعالى: "ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملئكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون...بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون". سورة سبا: الآية ٤٠-٤١.

[٥٨] تدبر: ١٩٢/٥. ومثل قوله تعالى: "فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بايته ... فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون". سورة الأعراف: الآية ٣٧-٤٠.

[٥٩] سورة الفاطر: الآية ١.

[٦٠] كذا في لسان العرب: مادة: جنح. وفي روح المعاني: ١٦٢/٢٣.

[٦١] تدبر: ٣٥٤/٥.

[٦٢] سورة القيمة: الآية ٢٣.

فتحصل لنا درجة حق اليقين في كل شيء. وأما السؤال عن نوعية المشاهدة فلا نستطيعها في الدنيا وهذا من المتشابهات ولا يجوز التعمق فيها: والله أعلم بحقيقتها"(٦٣).

المثال السادس: تفسيره لقوله تعالى: "وما كان استغفار ابراهيم ..." قال الإصلاحي:

"ومن بديع حكمته تعالى أنه أخبر أن الاستغفار للمشركين حرام على المؤمنين وأردف بما يدفع قول من يقول إذا كان هذا حراماً على المؤمنين وهم على ملة إبراهيم عليه السلام. فما باله كان مباحاً لإبراهيم عليه السلام حيث دعا لوالده، فقال تعالى: "وما كان إستغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه..."(٦٤). أي/أن الاستغفار للمشركين لم يكن مباحاً لإبراهيم عليه السلام ولكنه لما وعده بالاستغفار(٦٥). واستغفر له لأنه كان حياً فلم يتبين/فبين لإبراهيم أنه عدوا لله، فلما تبين له أنه عدو الله تبرأمنه. وفي الآية دلالة على جواز الاستغفار للإحياء من المشركين إلى أن يتبين كفرهم وكونهم من أهل النار"(٦٦).

هذا هو منهج الشيخ الإصلاحي في حل مشكلات القرآن الكريم. فرأينا أنه في معظم الأحيان لايخرج عن مسلك السلف الصالحين. ويختصر الكلام ولا يفصله.

---

(٦٣) تدبر: ٩/٩١.

(٦٤) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٦٥) فقال سلم عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا". سورة مريم: الآية ٤٧.

(٦٦) تدبر: ٣/٦٥٥.

خلاصة البحث

خلاصة البحث.

بعد قضاء مدة طويلة ومطالعة واسعة عن موضوع:

الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ومنهجه في تفسيره "تدبر قرآن".

استطيع أن أقدم تلخيص الموضوع، فأقول إن طبيعة البحث اقتضت أن يقسم إلى مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

وقد تناولت في المقدمة الكلام عن النكات التالية:

١: ذكرت الباعث على اختيار الموضوع ثم تكلمت عن أهميه: وذكرت في ذلك نبذة عن جهود علماء شبه القارة الهندية في مجال خدمة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

٢: دراسة أبرز العلماء الذين عملوا لإحياء الدين. وكان أولهم الشيخ أحمد السرهندي ثم الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي ثم الشيخ شاه ولي الله الدهلوي. وقد ذكرت نبذة عن حياتهم. وبعد ذلك سردت مؤلفات البارزين في مجال التفسير على سبيل الإجمال

٣- ثم تكلمت عن تفاسير معاصري الإصلاحي.

٣: وكان حديثي بعد هذا عن الدراسة السالفة في هذا الموضوع.

٤: وكانت الخاتمة بذكر المنهج في هذا البحث والرموز الخاصة.

و تناول الباب الأول الذي عنونته "الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عصره، حياته وآثاره. وينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الشيخ الإصلاحي وآثاره العلمية و فيه مبحثان:

المبحث الأول: تكلمت فيه عن ولادته ونشأته وعن تحصيله للعلوم الدينية. ثم تكلمت عن حياته العلمية مدرساً وذكرت أنه صار مدرساً في مدرسة الإصلاح في عام ١٩٢٥م. ودرّس بها الأدب العربي وعلم التفسير إلى سنة ١٩٤٣م.

ثم ذكرت نبذة عن حياته السياسية، وقلت إنه قد التحق أولاً "بالجماعة الإسلامية". ثم تخلى عن الجماعة نظراً لخلافاته الفكرية مع الشيخ أبي الأعلى المودودي. وجعل أكبر همه البحث العلمي والتأليف فعكف على كتاب الله العزيز. وشرع في تأليف تفسيره (تدبر قرآن) هو الذي من أبرز مؤلفاته وأشهرها.

المبحث الثاني في بيان آثاره العلمية فعرضت مؤلفاته على سبيل الإجمال ثم فصلت الكلام عنها.

الفصل الثاني: في ثقافة الشيخ الإصلاحي وفيه مبحثان:

وتحدثت في المبحث الأول عن مشايخ الإصلاحي ومؤلفاتهم في موضوعات شتى. وتكلمت في المبحث الثاني عن تلامذته مع ذكر آثارهم العلمية.

ويتناول الباب الثاني: "المدخل إلى دراسة منهج الإصلاحي وينقسم إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول في تعريف عام لتفسير الإصلاحي، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيّنت فيه تأثر الإصلاحي بشيخه الفراهي في التفسير.

المبحث الثاني: ذكرت فيه تعريفاً موجزاً بأجزاء تفسيره.

المبحث الثالث: تحدثت من خلاله عن غرض الإصلاحي من تأليف تفسيره.

الفصل الثاني: مصادر الإصلاحي في تفسيره. وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: بيّنت فيه مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم التي استقى منها الإصلاحي واستفاد منها في تفسيره مع ذكر تعريف موجز عنها، والأمثلة من تدبر قرآن.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن مصادر الإصلاحي من كتب الحديث النبوي الشريف مع الأمثلة:

المبحث الثالث: ذكرت فيه مصادر الإصلاحي من كتب اللغة مستصحباً بالشواهد والأدلة والأمثلة.

المبحث الرابع: تكلمت أولاً عن موقف الإصلاحي من الكتب السماوية السابقة في تفسيره ثم فصلت الكلام فيه عن مصادره من الكتب السماوية. وأبرزت فيه المواضع التي اعتمد الإصلاحي في تفسيره على الكتب السماوية بدلاً من من كتب الحديث والتفسير وهذا الشيء يجعل الإصلاحي مميزاً عن غيره من المفسرين عامة ومن معاصريه خاصة.

الفصل الثالث: في جمع الشيخ الإصلاحي بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي. و فيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تكلمت فيه عن معنى التفسير والتأويل ومدلولهما من حيث اللغة والشرع مع الفروق بينهما.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي في ضوء أقوال المفسرين.

المبحث الثالث: بينت فيه أن الإصلاحي رغم أنه فسر القرآن بالرأي في ضوء اللغة ولكن مع هذا هو جمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وهذا في أغلب الأحيان عندما يعيّن مفهوم الآية ويفسرها في ضوء اللغة ثم يستشهد عليه من الحديث والآثار الصحابة لتأييد رأيه.

ويتناول الباب الثالث منهج الشيخ الإصلاحي في التفسير بالمأثور وما يتعلق به. وينقسم إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول في منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: فصلت الكلام فيه عن مفهوم التفسير بالمأثور مع ذكر أهميته وأقدميته.

المبحث الثاني: تكلمت فيه عن موقف الإصلاحي من تفسير القرآن بالقرآن فقلت إن الإصلاحي قسم وسائل فهم القرآن إلى قسمين وسماها: "الأصول القطعية" و"الظنية". وذكر في القسم الأول لغة القرآن، ونظمه، ثم تفسير القرآن بالقرآن فمعنى هذا أن الإصلاحي وضع هذا النوع من التفسير في الدرجة الثالثة من بين الوسائل المذكورة لفهم القرآن بينما وضعه ابن تيمية وابن كثير في الدرجة الأولى. ثم ذكرت نماذج من تفسيره.

المبحث الثالث: بيّنت فيه موقفه من الحديث المتواتر والمشهور حيث أنه لا يقيم الوزن إلا للمتواتر منها ويعني بالتواتر ما انعقد الإجماع العملي عليه لدى المسلمين وأما التواتر اللفظي فلم يبيّن لنا الشيخ الإصلاحي هل هو يوافق على ثبوته أم هو شيء فرضي عنده؟ وظاهر صنيعه يدل على أنه لا يرى ثبوت التواتر اللفظي[1] الذي ادعى ابن حجر كثرة وجوده في نخبة الفكر. وفي بعض الأحيان يترك الحديث الصحيح كاملا وفي حين آخر يأخذ جزاء الذي يوافق رأيه ويترك الباقي وكل هذا ذكرنا بالأدلة والبراهين من تفسيره.

---

(١) قال في كتابه "مبادئ تدبر حديث" إنه يوجد تسمية المتواتر ولكن لا يوجد المسمى" ص: ٢٩ -

المبحث الرابع: "تفسير الصحابة والتابعين في تفسير تدبر قرآن". بدأت الكلام بذكر موقف الإصلاحي من تفسير الصحابة والتابعين ثم ما يلحظ عليه في هذا المجال حيث يورد أقوالاً الصحابة والتابعين دون عزوها إلى مصادرها وكذلك يأخذ منها ما يؤيد آراءه فقط. وذكرت أنه يذكر روايات وأقوال ابن عباس حيث أنه ترجمان القرآن ثم نجد ذكر عكرمة وهو مولى ابن عباس وتلميذه في التفسير واختصت الحديث بذكر النماذج والأمثلة من تفسيره مع العزو إلى مصادرها الأصلية من كتب التفسير مثل الطبري وابن كثير.

الفصل الثاني الإسرائيليات وموقف الإصلاحي منها". وفيه مبحثان:

المبحث الأول: ذكرت فيه مفهوم الإسرئيليات ثم فصلت الحديث عن تسربها إلى كتب التفسير وقلت إن دخول الإسرائيليات أمر يرجع إلى عهد الصحابة وذلك نظراً إلى اتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض المسائل بفارق الإيجاز والإطناب في التوراة والإنجيل. ثم توسع الأمر في عهد التابعين ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام. ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها إلى درجة جعلتهم لا يردون قولاً وإن كان لا يتصوره العقل السليم. واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذه القصص الإسرائيلي الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.

المبحث الثاني: ذكرت فيه موجزاً عن أقسام الإسرائيليات ثم فصلت الكلام عن موقفه عنها وأبرزت براءة الإصلاحي بالأمثلة من تلوثة بها وقلت إنه يمتاز على المفسرين القدامى و معاصريه بعدم ذكر الإسرائيليات في تفسيره ويجتنب عنها اجتناباً كلياً.

الفصل الثالث في موقف الإصلاحي من أسباب النزول والنسخ في القرآن الكريم". وفيه مبحثان:

المبحث الأول: "موقف الإصلاحي من أسباب النزول" تكلمت فيه عن معنى سبب النزول، وثانياً فوائد معرفة سبب النزول، وثالثاً ذكرت طرق معرفته مع ذكر موقفه عن سبب النزول. وهو إن الحكم لعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم ذكرت الأمثلة من تفسير تدبر قرآن مع إبراز النماذج حيث سكت الإصلاحي عنها في تفسيره رغم وجودها في أمهات كتب التفسير والحديث.

المبحث الثاني ذكرت أهمية النسخ وضرورته/وتعريفه ثم ذكرت أركان النسخ وشروطه والنسخ بين المثبتين والمنكرين وفصلت الكلام فيه عن موقف أهل الأديان منه. وبعد ذلك وضحت موقف الإصلاحي منه وهو قائل بوجود النسخ وكذلك بنسخ القرآن بالقرآن. و نسخ الحديث بالقرآن، ولكن ليس بقائل بنسخ القرآن بالحديث.. مع ذكر الأمثلة من تفسيره بهذا الصدد.

ويتناول الباب الرابع فكرة النظام والترتيب في القرآن الكريم عند الشيخ الإصلاحي". وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول في اعتناء العلماء بنظم القرآن الكريم. وبينت فيه معنى النظم والربط. ثم فائدة علم الربط والمناسبة وقلت إن الربط ليس توقيفياً بل هو أمر اجتهادي يعتمد على اجتهاد المفسر وتذوقه. وهذا ليس أمراً سهلاً بل هو صعب جداً ولا يستطيع كل واحد أن يخوض فيه. ولا شك في أنه علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته كما قال السيوطي.

ثم تكلمت عن ارتقاء فكرة النظم من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر مع ذكر أهم المؤلفات مراعياً الترتيب الزمني.

المبحث الثاني : ذكرت فيه "فكرة النظم والربط في القرن الكريم عند الشيخ الإصلاحي". واهتمامه بربط القرآن الكريم في تفسيره وأرى أنه يمتاز في هذه الناحية من معاصريه.حيث ذكر أولاً أهمية الربط ثم ذكر جوانبه السياسية والاجتماعية حيث قال إن هناك نظاماً ما يتعلق بداخل كل سورة من حيث إنها وحدة موضوعية وكذلك هناك نظاماً خاصاً في القرآن الكريم من حيث المجموع وله جانب ظاهر لكل واحد ولكن هناك جانب خفي الذي لا يتضح للقارئ إلا بعد التدبر والتفكر. ثم ذكرت النماذج لنظم القرآن من تفسيره.

الفصل الثاني في بيان فكرة الزمر في سور القرآن الكريم،

فيه مبحثان:

المبحث الأول في بيان فكرة الزمر عند الشيخ الإصلاحي وقسم سور القرآن الكريم إلى سبع مجموعات نظراً إلى الوحدة الموضوعية/أن كل مجموعة مركبة من سور المكية والمدنية، واستدل الإصلاحي لإثبات فكرته(النظم) من القرآن الكريم:

"ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم"[١]. ومن قوله تعالى: "الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني"[٢].

وذكرت في المبحث الثاني الوحدة الموضوعية بين السور. ويقول الإصلاحي :إن لكل سورة من سور القرآن زوج مثلها أو مثنى وتوجد بينهما علاقة قوية حيث إذا وجد الخلاء في إحداهما تملئها الأخرى واستشهد على هذا من القرآن الكريم وسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يتلوها مراعياً لهذا الترتيب كما ثبت في الحديث أنه كان يقرأ سورة القيامة مع سورة الدهر وسورة الصف مع سورة الجمعة وكذلك سورة الأعلى مع سورة الغاشية وهلمّ جراً. وأبرزنا وجهة نظره بالأدلة من تفسيره.

الفصل الثالث في فكرة الموضوع عند الإصلاحي وفيه مبحثان:

المبحث الأول: كان تحدث فيه عن فكرة العمود (الموضوع) في القرآن الكريم عند الإصلاحي ويريد بها الإصلاحي أبرز الموضوع وهو كما يكون في السورة كذلك يكون في السورتين في المجموعة للسور وهكذا يرتبط الإصلاحي القرآن بعضه ببعض من أوله إلى آخره نظراً إلى فكرته لنظم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: ذكرت فيه النماذج من تفسيره كما ذكره هو فيه وهي على ثلاثة أنواع:

١: الوحدة الموضوعية (فكرة العمود) للسورة.

٢: الوحدة الموضوعية (فكرة العمود) بين سورتين.

٣: الوحدة الموضوعية (فكرة العمود) للقرآن الكريم كله من خلال المجموعات السبعة حسب رأيه.

ويتناول الباب الخامس منهج الشيخ الإصلاحي في التفسير بالمأثور.

---

(١) سورة الحجر: الآية ٨٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول في اتجاهاته اللغوية واهتمامه بالنكت البلاغية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول في اهتمام الإصلاحي في تحقيقاته اللغوية. والشيخ الإصلاحي اهتم بهذه الناحية اهتماماً بالغاً حيث ذكر معاني الكلمات المفردة مع ذكر النظائر والشواهد الواردة في القرآن الكريم وبيَّن أسلوب الكلام ولا يوجد مثل هذا الاهتمام البالغ في كتب المفسيرين المعاصرين.

المبحث الثاني في اهتمامه بالاتجاه النحوي. ولم يترك الإصلاحي هذا الجانب بل ذكر بعض المسائل النحوية أيضاً مستشهداً عليها من القرآن الكريم وأبرزتها في هذا المبحث.

المبحث الثالث في اهتمامه بالناحية البلاغية في تفسيره. واهتم الإصلاحي بجانب البلاغة أيضاً ولم يهملها وما مرَّ على الآية في تفسير القرآن الكريم إلا وقد وقف على النكتة البلاغية فذكرها. واستطرد الإصلاحي من ذكر النكات البلاغية في مواضعها وأبرزتها من تفسيره. وقد حاول الإصلاحي أن يوجه القارئ إلى هذا الأسلوب حيث يجد في نفسه الداعية التي تدفعه إلى البحث والتدبر لإبراز تلك النكات الموجودة في كتاب الله تعالى الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه. تنزيل من حكيم حميد.

الفصل الثاني في موقف الإصلاحي من المسائل الفقهية. وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيَّنت فيه معنى الفقه وما يحتوي الفقه.

المبحث الثاني تكلمت فيه عن أسلوب الإصلاحي في عرضه المسائل الفقهية حيث أنه لا يخوض في استنباطها ولا يذكرها كثيراً بل هو مقتصر جداً وعند التعرض للمسائل الفقهية يحيل القارئ إلى كتب الفقه قائلاً إن التفصيل في كتب الفقه وما أشبه ذلك. ولكنه استرسل في بعض مواضع من تفسيره عند آيات الأحكام.

المبحث الثالث: ذكرت فيه النماذج للمسائل الفقهية من تفسيره. وأبرزت المسائل التي خالف فيها الإصلاحي الأحاديث الصحيحة وموقف علماء الأمة الإسلامية منها، ورجح رأيه على الأحاديث وما أعطى لها وزناً واعتمد في هذا على الرأي واللغة فقط.

من أبرز المسائل هي مسألة المطلقة الثلاث في تفسير قوله تعالى: "فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى زوجاً غيره"(٣). وأثبتنا بالأمثلة في ضوء الحديث أن موقفه مردود بالسنّة التي لا مرد لها.

وكذلك في مسألة "رجم الزاني المحصن" في تفسير قوله تعالى: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ..."(٤). حيث لا يقول الإصلاحي "برجم الزاني المحصن" على جريمة الزنا بل هو قائل بمائة جلدة للزاني سواء كان محصناً أم لا نظراً إلى ظاهرة الآية القرآنية ولا يقول بتخصيص الآية بالأحاديث مطلقاً في هذه المسألة بينما يقول تخصيص الآية بالحديث في حد السرقة في تفسير قوله تعالة: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم"(٥). حيث يقول: "لا تقطع يد السارق إلا إذا سرق شيئاً متقوماً"(٦). وقد ذكر في كتابه: "مبادئ تدبر حديث": إن هذا التخصيص بالحديث روى الإمام مالك عن محمد بن يحيى بن حبان... عن رافع بن خديج ...أنه سمع رسول الله صلى عليه وسلم يقول: لا تقطع في تمر، ولا كتر". (الكتر: الجمار)...". وقال الإصلاحي: "لا تقطع يد السارق إلا أن يكون قيمة الشيء المسروقة ربع دينار"(٧).

وأما مسألة رجم الزاني المحصن فيقول الإصلاحي إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرجم الزاني على جريمة الزنا بل رجم على الجرائم الأخرى حيث إنهم كانوا مجرمين متعودين.

(HABITUAL CRIMINAL)

---

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٠.

(٤) سورة النور: الآية ٢.

(٥) سورة المآئدة: الآية ٣٧.

(٦) تدبر: ٥١٢/٢. والموطأ إمام مالك. كتاب الحدود، باب: مالا قطع فيه. ص: ٦٩٩-٧٠٠. وفي باب ما يجب فيه القطع: عن عائشة أنها قالت: ما طال علي، وماتسيت: "القطع في ربع دينار فصاعداً". الموطأ: ص ٦٩٤.

(٧) مجلة تدبر: ٢٦. العدد: ٥١. سبتمبر ١٩٩٦م- جمادى الأول ١٤١٦هـ.

ورجحهم امتثالاً لآيتي المحاربة.(المآئدة: ٣٣-٣٤) ولم يكن بإحصانهم. وأثبتنا بالأدلة أن موقف الإصلاحي ضعيف وقوله بلا حجة وبالتالي مخالف للحديث الصحصح الصريح وثانياً مخالف لإجماع العلماء.

الفصل الثالث في منهج الإصلاحي في تعرضه للمسائل العقيدة في تفسيره، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول بيَّنت فيه موقفه في تعرضه لأدلة الربوبية والألوهية مع ذكر الأمثلة. ثم تكلمت في المبحث الثاني عن موقفه من الأسماء والصفات خاصة. واختار الإصلاحي موقف السلف الصالح-موقف التسليم والتفويض-في بعض المواضع من المتشابهات مثل مسألة المجيئ واتيانه سبحانه وتعالى. وفي بعض المواضع اختار موقف إثبات صفات الله تعالى مثل صفة الكلام والعلم والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات. واختار موقف المتأخرين في بعض صفات الله تعالى وأوّلها مثل مسالة "الاستواء على العرش، وصفة الوجه والعين واليد".

وسكت في بعض المواضع "مثل يد الله فوق ايديهم" فلم يتكلم فيها بشيء. وتردد الإصلاحي في بعض المواضع من المتشابهات مثل "رؤية الله تعالى في تفسير قوله تعالى: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"[٨]. حيث اختار أولاً تفسير مثل المعتزلة ثم ذكر وجهة نظره و اختار فيه موقف التفويض.

المبحث الثالث: بدأت الكلام بضرورة النبوة والرسالة ثم ذكرت موقفه من إثبات الرسالة خلال تفسيره مستشهداً من تدبر قرآن مع عزو أدلته إلى مصادره من الكتب السماوية السابقة.

المبحث الرابع فصلت الكلام فيه عن موقفه من إثبات المعاد في تفسيره مع الأدلة.

الفصل الرابع ذكرت فيه موقفه من الدفاع عن الإسلام وأسلوبه في حل مشكلات القرآن وخصائص تفسيره، وفيه ثلاثة مباحث:

---

(٨) سورة القيامة: الآية ٢٢-٢٣.

المبحث الأول: تكلمت فيه عن موقف الإصلاحي في الدفاع عن الإسلام ورده على المعترضين في العبادات والمعاملات والحدود في الجنايات ورده على النظريات الجديدة والمستشرقين مثل الصوم، والبيع وحرمة الربا والحدود في بعض الجرائم. وامتاز الإصلاحي في ذلك كله بالمعالجة العلمية والرد الشافي والغيرة على الإسلام والزود عنه.

المبحث الثاني ذكرت فيه أسلوب الإصلاحي في حل مشكلات القرآن الكريم في بعض الأحيان يحمل الآية عل ظاهرها ولا يتأولها مثل قوله في مسألة " قتل العمد" حيث يقول: إن القاتل يعقب عقوبة الكفار(٩). وفي بعض الأحيان يحاول التوفيق بين الآيات التي يظهر التعارض بينها ويفوض الأمر إلى الله تعالى مثل اختلاف في مقدار يوم القيامة حيث ذكر في بعض المواضع أن مقداره ألف سنة(١٠) وفي بعضها خمسون ألف سنة(١١).

الفهارس:

ا: فهرس الآيات القرآنية الواردة في البحث.
ب: فهرس الأحاديث النبوية الواردة فيه.
ج: فهرس الأعلام.
د: فهرس المصادر والمراجع.
ه: فهرس الموضوعات.

ولله الحمد من قبل ومن بعد.

الباحث:

الحافظ افتخار أحمد
١٩٩٦/١/٧م.

---

(٩) تدبر: ٢/١٣٣. " ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً. (سورة النساء: الآية ٩٣).
وقوله تعالى: إن الذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك اصحب النار هم فيها خلدون" (سورة البقرة: الآية ٣٩).

(١٠) قوله تعالى: يدبر الامر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون. (سورة السجدة: الآية ٥).

(١١) قوله تعالى: " تعرج الملئكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة". (سورة المعارج الآية ٤).

الفهارس

فهرس آيات القرآن الكريم

فهرس الأحاديث النبوي الشريف

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

فهرس الآيات القرآنية

	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
الحمد لله رب العلمين	١	٣٢٣
ملك يوم الدين	٣	٣٢٤
اياك نعبد واياك نستعين	٤	٢٨٥
اهدنا الصراط المستقيم	٥-٦	٢٩٣
صراط الذين انعمت عليهم	٦	١٥٤
المغضوب عليهم	٧	١٥٤
الضالين	"	١٥٥
سورة البقرة		
الم ذلك الكتب	١-٢	١٠٦-٢٩٣-٢٩٥
ذلك الكتب لا ريب فيه	٢	٠٩-٢٨٧-٣٢٥
الذين يؤمنون بالغيب	٣	١١٦
ويقيمون الصلوة	٣	١٥٥
ان الذين كفروا	٦	٢٩٥
ختم الله على قلوبهم	٧	١٠٤
واذا خلوا الى شيطينهم	١٤	٦-٧-٣٢٦
يا ايها الناس اعبدوا	٢١	٢٨٤
الذي جعلكم الأرض فراشاً	٢٢	٣-٣٧٢
اني جاعل في الأرض خليفة	٣٠	٤٢١
وعلم آدم الأسماء	٣١	
واذ قلنا للملئكة اسجدوا	٣٤	٥٢١
واذ قال ربك للملئكة اني جاعل هم فيها خلدون	٣٠-٣٩	١٣٥-١٤٢-١٥٩-٣٩٥

قلنا اهبطوا منها جميعاً	٣٨	١٧١
والذين كفروا وكذبوا بايتنا	٣٩	٣١٥
يبني إسرائيل اذكروا	٤٠	٢٨٠-١٥٧
اتامرن الناس بالبر	٤٤	١٢٠
الذين يظنون انهم	٤٦	١٠٩
يبني اسرائيل اذكروا	٤٧	١٥٨
يذبحون أبنائكم ويستحيون نسائكم	٤٩	٣٣٠-١٢٩
واذ قلتم يموسى لن نؤمن لك تشكرون	٥٥-٥٦	١١٤-١٠٢
واذ قلنا ادخلوا	٥٨	١٧١-١٤٣
قولوا حطة	٥٨	٣٢٧-٨٣-١٤٣
اذ استسقى موسى لقومه	٦٠	١١٨
اهبطوا مصرا	٦١	١٥٥
ان الذين امنوا والذين هادوا	٦٢	١١١
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل	٨٣	٣٣٤
قل من كان عدوا لجبريل -لو كانوا يعلمون	٩٧-١٠٣	١٦٣
واتبوا ما تتلوا الشيطن على ملك	١٠٢	١٨٣
ما ننسخ من آية ننسها	١٠٦	٢٤١-٢٣٣
والت اليهود والنصارى	١١٣	١٩٣
واذ ابتلى ربه	١٢٤	١٢١
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى	١٢٥	١٧١
أسلم قال اسلمت	١٣١	١٢٢
تلك أمة قد خلت لها ما كسبت	١٤١	٢٩٥
وكذلك جعلناكم امة وسطاً	١٤٣	٢٩٥
قد نرى تقلبك وجهك في السماء	١٤٤	٣٢٤-٣٢٨
فول وجهك شطر المسجد	١٤٤	٢٦٠

انها من شعائر الله	١٥٨	٣٤٢
ولكم في القصاص حيوة	١٧٩	٣٤٥-٤٠٨
كتب عليكم اذا حضر	١٨٠	٢٥٠-٢٣١
ولتكبروا الله على ما هدكم	١٨٥	٢٤٢-١٦٥
فمن شهد منكم الشهر	١٨٥	٢٥٠
وعلى الذين يطيقونه	١٨٤	٢٥٠
ثم اتموا الصيام إلى الليل	١٨٧	٢٣٨
وتزودا فان خير الزاد التقوى	١٩٧	٢٣٢
ويسئلونك ماذا ينفقون	٢١٩	٤٠٧
ويسئلونك عن المحيض	٢٢٢	١٠٠-٩٩
نسائكم حرث لكم فاتوا حرثكم	٢٢٣	٤٠٩-٣٣٥
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف	٢٢٨	٤١٠-٤٠٩
فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره	٢٣٠	٤٢٨-٣٤٧
والوالدت يرضعن اولادهن حولين كاملين	٢٣٣	٣٤٣-٩١
والذين يتوفون منكم	٢٣٤	٢٥٠
والذين يتوفون منكم	٢٤٠	٢٥٠
حافظوا على الصلوات	٢٣٨	١٥٦
فاذا امنتم فاذكروا اللّه	٢٣٩	١٥٦
وقال لهم نبيهم	٢٤٨	١٩٠-١٨٨
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة	٢٤٩	٤٠٥
تلك آيات الله -----	٢٥٢-٢٥٣	٣٩٦-٧
ولو شاء الله ما اقتتل الذين	٢٥٣	٤١٠
وسع كرسيه السموت والأرض	٢٥٥	٣٨٦
لا اكراه في الدين	٢٥٦	٤١٢-٤١١-٤١٠
ليس عليك هدهم	٢٧٢	١٠٨

وما تنفقون إلا إبتغاء وجه الله	٢٧٢	٣٨٧
للفقراء الذين احصروا في سبيل الله	٢٧٣	٣٣٢
الذين يأكلون الربوا لا يقومون	٢٧٥	٤١٢
فمن جاءه موعظمة من ربكم	٢٧٥	٣٢٨
وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة	٢٨٠	٤١٣-٤١٤
فرهن مقبوضة	٢٨٣	٣٢٨

سورة آل عمران

قد كان لكم آية في فئتين	١٣	٣٣٣
وان الهدى هدى الله	٧٣	١٠٨
افغير دين الله يبغون	٨٣	٣٢٤
ومن يبتغ غير الإسلام	٨٥	٢٤٠
واذ غدوت من اهلك	١٢١	١١٢
لقد سمع الله قول الذين	١٨١	٣٨٩
واذ اخذ الله ميثاق الذين	١٨٧	١٢٣-١٢٤
يفرحون بما اتوا ويحبون	١٨٨	١٢٤

سورة النساء

يوصيكم الله في أولادكم	١١	٢٣١-٢٤٢-٢٥٠
والتي ياتين الفاحشة	١٥	٢٥٠
والذان يأتيانها	١٦	٣٥٤
حفظت اللغيب	٣٤	١٠٩
فكيف إذا جئنا من كل أمة	٤١	١٦٧
يا ايها الذين اتوا الكتب آمنوا	٤٧	٣٣٠-١٥٤
فاولئك مع الذين	٦٩	١٥٤
ويقولون طاعة	٨١	٨٣-٣٢٧
ومن يقتل مؤمنا متعمداً	٩٣	٣١٥

وإذا ضربتم في الأرض	١٠١	٢١٦-٢١٧
إنا انزلنا إليك الكتب	١٠٥	١٤٨-٣٣٧
واستغفر الله	١٠٦	٣٣٧
ولا تجاول عن الذين	١٠٧	٣٣٧
نوله ما تولى ونصله جهنم	١١٥	٤١١
وإن من أهل الكتب	١٥٩	١٧٥
وكلم الله موسى تكليماً	١٦٤	٣٩٣

سورة المائدة

احلت لكم بهيمة الأنعام	١	١٥٩
حرمت عليكم الميتة	٣	١٦٠
اليوم احل لكم الطيبت	٥	٢٢٥-٣٤٤
واذكروا نعمة الله	٧	١٥٧
ياأهل الكتب قد جاءكم رسولنا	١٥	٣٦٠
وقالت اليهود والنصرى	١٨	١٧٨
واذ قال موسى لقومه	٢٠	١٥٧
قالوا يا موسى ان فيها	٢٢	١١٧
قالوا يا موسى انا	٢٤	١١٩
من أجل ذلك كتبنا	٣٢	٣٤٥
انما جزاء الذين يحاربون الله	٣٣	٣٥٥
والسارق والسارقة	٣٧-٣٩	٣٤٥-٤٠٨-٤٢٨
وقالت اليهود يد الله مغلولة	٦٤	١٧٨-٣٨٩
من لعنه الله	٦٠	١٥٥
قل ياهل الكتب لاتغلوا	٧٧	١٥٥
ولتجدن أقربهم مودة	٨٢	١١١
ومن قتله منكم	٩٥	١٧٦

سورة الأنعام

وما تأتيهم من آية آيت ربهم- قوما آخرين	٤-٦	
وللبسنا عليهم ما يلبسون	٩	٣٣٦
ولا رطب ولا يابس	٥٩	١٠٧
وكذلك رطب ولا يابس	٧٥	٣٢٩
فبهدهم اقتده	٩٠	١٠٨
لا تدركه الأبصار	١٠٤	١٦٦
وهو الذي جعلكم خلنف في الارض	١٦٦	٣٠٣

سورة الأعراف

ومن خفت موازينه	٩	٣٢٢
ما منعك ألا تسجد	١٢	٣٣١
ولا تقربا هذه الشجرة	٣٥	٦٤
وطفقا يخصفن عليهما	٢٢	٩٥
قالا ربنا ظلمنا	٢٣	١٥٩
يا بني آدم لا يفتننكم	٢٧	٩٥
وأقيموا وجوهكم	٢٩	١٥٦
وقالوا الحمد لله الذي هدنا	٤٣	٣٢٤
وبينهما حجاب	٤٦	٨٦
وعلى الأعراف رجال	٤٦	١٧٢
يوم ياتي تاويله	٥٣	١٣١
أن رحمة الله قريب من المحسنين	٦٥	٩٣
قال عذابي اصيب به من اشاء....	١٥٦-١٥٧	٢٢٧
المفلحون		
الذين يتبعون الرسول النبي	١٥٧	١٢٤-٣٩٩
الأمي الذي		

والذين يمسكون بالكتب	١٧٠	٣٢٦
ان هم الا كالانعام بل هم أضل	١٧٩	٤٠٧
ولو كنت أعلم الغيب	١٨٨	١٠٩
هو الذي خلقكم من نفس واحدة	١٨٩	١٩١-١٩٢

سورة الانفال

يايها الذين آمنوا استجيبوا	٢٤	٣٠٠
ان يكن منكم عشرون	٦٥	٢٥٢-٢٥٧
الآن خفف الله عنكم	٦٦	٢٥٠
لو لا كتب من الله سبق لمسكم	٦٨	١٠٦-٣٢٥

سورة التوبة

فاذا انسلخ الاشهر	٥-٦	٢٤٥
يريدون ان يطفئوا نور الله	٣٢	٢٢٣
وما كان الاستغفار ابراهيم	١١٤	٤١٩
ليتفقهوا في الدين	١٢٢	٣٣٩

سورة يونس

ثم استوى على العرش	٣	٣٨٦
وآخر دعوهم ان الحمد لله رب العالمين	١٠	٣٢٤
قل من يرزقكم من السماء والأرض	٣١	٣٨٠

سورة هود

كتاب احكمت آيته	١	٢٨٥
واصنع الفلك بأعيننا	٣٧	٣٨٨
اني توكلت على الله	٥٦	١٦٠
انك لأنت الحليم الرشيد	٨٧	٣٣٥
ذلك يوم مجموع له الناس	١٠٣	١٥٨
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء	١٠٩	٣٢٩

سوة يوسف

فصبر جميل	١٨	٣٢٨
وغلقت الابو الابواب	٢٣	١٢٩
ولقو همت به وهم بها	٢٤	١٩٥-٣٩٨
لو لا أن را برهان ربه	٢٤	١٩٥
إني أعصر خمراً	٣٦	٣٣٤
ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك	٧٦	٣٢٤
ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك	١٠٢	١٠٩

سورة الرعد

ألا بذكر الله تطمئن البلوب	٢٧	٣٨٢
يمحوا الله ما يشاء	٣٩	٢٤١

سورة إبراهيم

الحمد لله الذي وهب لي على الكبر	٣٩	٣٢٤

سورة الحجر

وما أهلكنا من قرية إلا ولها	٤	١٠٦
انا نحن نزلنا الذكر	٩	٢٢٢
قال هذا صراط على مستقيم	٧١	١٦٠
فجعلنا عاليها سافلها	٧٤	٩٣
ولقد آتيناك سبعل من المثاني	٨٧	٢٩٨-٢١٣-٤٢٦-٤٣١
فو ربك لنسئلنهم أجمعين	٩٢-٩٩	٢٩٤

سورة النحل

اتى أمر الله	١	٢٩٤
ينزل الملئكة بالروح	٢	١٦١
وعلى الله قصد السبيل	٩	١٦٠

وقال الذين اشركوا لو شاء الله		
وما لهم من نصرين	٣٥-٣٧	٤١١
وأنزلنا إليك الذكر	٤٤	١٣٧-١٤٨
وله ما في السموت والأرض	٥٢	٣٢٥
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء	٦٠	٤١٦
ويجعلون لله ما يكرهون	٦٢	٤١٨
وما انزلنا عليك الكتب إلا لتبيين للناس	٦٤	١٤٧
ويوم نبعث في كل أمة	٨٩	١٤٤
واذا بدلنا آية مكان آية	١٠١	٢٤١
وان علقيتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم	١٢٦	٣٣٦

سورة بني إسرائيل

اقم الصلوة لدلوك الشمس	٧٨	١٥٦
ويسئلونك عن الروح	٨٥	١٦١

سورة الكهف

سيقولون ثلثة رابعهم	٢٢	١٩٦
قل ربي أعلم بعدتهم	٢٢	١٩٧
واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك	٢٧	٢٢٣
واذ قال موسى لفتاه	٦٠	١٦٧
فوجدا عبداً من عبادنا	٦٥	١١
ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً	٨٢	١٣١
ويسئلونك عن ذي القرنين- فاتبع سبباً	٨٣-٨٤	١٩٧

سورة مريم

ويقول الإنسان أإذا ما مت ولم يك حياً	٦٦-٦٧	٦٠١

سورة طه

الرحمن على العرش استوى	٥	٣٨٥

أو أجد على النار هدى	١٠	١٠٨
وأقم الصلوة لذكري	١٤	١٥٦
ولتصنع علي عيني	٣٩	٣٨٨
ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله	١٣٤	٣٩٦

سورة الأنبياء

لو كان فيهما آلهة	٢٢	٤٢١
او لم ير الذين كفروا أن السموت	٣٠	٣٧٢-٣٧٨
انكم وما تعبدون من دون اللّه	٩٨	٤١٧

سورة الحج

الذين ان مكنهم في الأرض	٤١	١٥٧
فينسخ اللّه ما يلقى الشيطن	٥٣	٢٢٨
انك لعلى هدى مستقيم	٦٧	١٠٨

سورة المؤمنون

قد افلح المؤمنون	١	١٥٦
وهو الذي ذرأكم في الأرض	٩٧	٤٠٢

سورة النور

الزانية والزاني	٢	٣٥٣-٢٥١-٤٢٨
ان الذين جاءو بالإفك	١١	٢١٧
يوم تشهد عليهم	٢٤	١٥٩

سورة الفرقان

ولا يأتوك بمثل	٣٣	١٢٩
وأحسن تفسيراً	٣٣	١٢٨

سورة النمل

إني ألقي إلى كتاب كريم	٢٩	٣٢٥-١٠٧

سورة القصص

وما وكنت بجانب الغربي إذ قضينا	٤٤	٣٩٧
وما كنت بجانب الطور إذ ناديا	٤٦	٣٩٧
ولا تدع مع الله إلهاً آخر	٨٨	٣٨٦

سورة العنكبوت

اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق	١٩-٢٠	٤٠١
فمنهم من أرسلنا	٤٠	٩٣
وما كنت تتلوا من قبله	٤٨	٣٩٧
ولئن سألتهم من خلق السموت والأرض	٦١	٣٨٠

سورة الروم

الله يبدأ الخلق ثم يعيده	١١	٤٠٢
يخرج الحي من الميت	١٩	١٣٣
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده	٢٧	٤٠٢
ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة	٥	٤١٦
اولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض	٢٧	٣٧٧

سورة الأحزاب

ما كان محمد أبا أحد	٤٠	١٠٠-١٠٤

سورة سبا

ولسليمن الريح غدوها	١١	١١٢
فاعرضوا فارسلنا	١٦	١١
فاولئك لهم جزاء	٣٧	١١٣

سورة فاطر

الحمد لله فاطر السموت	١	٤١٨
إليه يصعد الكلم	١٠	١٧٢
وإن من أمة خلا إلا فيها نذير	٢٤	٣٩٦
ومن الجبال جدر	٢٧	٨٤
ثم اورثنا الكتب الذي	٣٢	١٧٢
ما ترك على ظهرها	٤٥	٨٢-٢٦

سورة يسين

قل يحيها الذي أنشأها	٧٩	٤٠٢

سورة ص

وهل أتاك نبأ الخصم	٢١-٥٢	٢٠١
لقد ظلمك بسؤال	٢٤	٢٠٣
ولقد فتنا سليمن	٣٤	٢٠٣-٢٠٥
والقينا على كرسيه	٣٤	٩٠
قال رب اغفرلي وهب لي	٣٥	٢٠٧
قال يا ابليس ما منعك أن تسجد	٧٥	٣٣١-٣٨٩

سنورة الزمر

ما نعبدهم إلا ليقربنا إلى الله	٣	٣٨٠
قل الله اعبد مخلصا له	٤١-٥١	١٠٣
الله نزل أحسن الحديث	٢٣	٣٠٠-٤٢٦-٤٣١
والتي لم تمت في منامها	٤٥	١١٤

سورة المؤمن

يلقى الروح من أمره	١٥	١٦١
انا لننصر رسلنا	٥١	١٥٩

سورة حم السجدة

حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم	٢٠	٤١٧-١٦٣
ولقد اتينا موسى الكتب	٤٦	٩٠

سورة الشورى

ليسَ كمثله شيء	١١	٣٧٩
وما كان لبشر أن يكلمه الله	٥١	١٦٦
وكذلك أوحينا إليك	٥٢	١٦١

سورة الزخرف

وكم أرسلنا من نبي في الاولين	٦-٧	٣٢٩

سورة الجاثية

ان هى إلا حياتنا الدنيا	٢٤	٤٠٢
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون	٢٩	٢٣٤
ان نظن إلا ظنا وما نحن	٣٢	١١٠

سورة الأحقاف

وحمله وفصله	١٥	٩١
والذي قال لوالديه	١٧	٢١٢

سورة محمد

والذين اهتدوا زادهم	١٧	١٠٢
افلا يتدبرون القرآن	٢٤	٣٣١

سورة الفتح

هو الذي انول السكينة	٤	١٩٠
يد الله فوق ايديهم	١٠	٣٩٤-٣٨٩
فعلم ما في قلوبهم	١٨	١٩٠

سورة الحجرات

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا	١	٢١٨
ان الذين ينادونك	٤	"
يايها الذين آمنوا ان جاءكم	٦	٢١٩

سورة ق

وعندنا كتب حفيظ	٤	١٠٧-٣٢٥

سورة الزريٰت

انما توعدون لصادق وان الدين لواقع	٥-٦	٣٢٥
والسمآء ذات الحبك	٧	٩١
وفي الأرض آيت الموقنين	٢٠	٩٢
وفي أنفسكم أفلا تبصرون	٢١	"
فو رب السمآء والأرض	٢٣	٩٢
وتركنا فيها آية	٣٧	"
والسمآء بنينها بأيد وإنا لموسعون	٤٧	٣٨٩
ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين	٥٨	٩٣

سورة الطور

وصبر لحكم ربك	٤٨	٣٨٨

سورة النجم

ما ينطق عن الهوى --	٣-٤	٢٢٧-٢٦٠
والمؤتفكة أهوى	٥٣-٥٤	٩٣

سورة القمر

تجري بأعيننا	١٤	٣٨٨

سورة الرحمن

فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان	٣٩	١٧٣-٤١٧

فان عز ينبغي وجه ربك	٢٧	٣٨٧

سورة الواقعة

فلو لا إذا بلغت الحلقوم	٨٣	٨٥

سورة الحديد

هو الأول والآخر والظاهر والباطن	٣	٣٨٣

سورة المجادلة

يايها الذين آمنوا	١٢	٢٥٢
أأشفقتم أن تقدموا	١٣	٢٥٢-٢٥٧
ان الذين يحادون الله ورسوله	٢٠	٣٠٧

سورة الحشر

فاعتبروا ياولى الابصار	٢	٣٠٧
هو الله الذي لا إله إلا هو	٢٢-٢٣	١٠٨-٣٨١
عالم الغيب والشهادة	٢٢	١٠٨
الملك القدوس	٢٣	٣٨١
السلم المؤمن المهيمن العزيز	٢٣	٣٨٢

سورة الصف

فما زاغوا ازاغ الله	٥	٢٢٨-٣٣٦
واذ قال عيسى مريم للحواريين	١٤	١١١

سورة الجمعة

هو الذي بعث في الأمين رسولاً منهم	٢	٣٨١
ويعلمهم الكتب والحكمة	٢	١٠٦-٣٢٥-٣٨١

سورة المنافقون

كأنهم خشب مسندة	٤	٤٠٥

سورة التحريم

يا ايها النبي لم تحرم	١	٢٢٠

سورة ن

يوم يكشف عن ساق	٤٢	٨٦-١٧٥

سورة الحاقة

إني ظننت أني	٢٠	١١٠

سورة المعارج

تعرج الملئكة والروح إليه في يوم	٤	٤٦
الذين هم على صلاتهم دائمون	٢٣	١٥٧

سورة الجن

فلا يظهر على غيبه أحداً	٢٦	١٠٩

سورة المزمل

يايها المزمل	١	٢٨٢
إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً	٥	٣٠٧

سورة المدثر

يايها المدثر	١	٢٨٢
عليها تسعة عشر	٣٠	٣٩٠
وما جعلنا عدتهم إلا فتنة	٣١	"

سورة القيمة

أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه	٣-٤	٤٠٢
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة	٢٢-٢٣	٣٩٢-٣٩٤-٤١٨
تظن أن يفعل بها فاقرة	٢٥	٨٤
كلا إذا بلغت	٢٦	٨٥

سورة المطففين

كلا بل ران على قلوبهم	١٤	١٨٣-١٩٥

سورة البروج

والماء ذات البروج	١-٣	١٥٩

سورة الأعلى

ان هذا لفي الصحف	١٨-١٩	٢٤٩

سورة الفجر

وجاء ربك والملك صفاً صفاً	٢٢	٣٩١

سورة الشمس

قد افلح من زكها وقد خاب من دسها	٩-١٠	٣١٦
كذبت ثمود بطغوها	١١	٩٣

سورة الليل

وما لاحد عنده من نعمة تجزى	١٩	٣٨٧

سورة العلق

اقرأ باسم ربك الذي خلق	١	٢٨٢

سورة القدر

سلم هى حتى مطلع الفجر	٥	٣٨٢

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

الحمد لله الذي أحيانا	١٠٢
الشيخ والشيخة اذا زنيا	٢٥٥
ألا إني أوتيت القرآن	١٤٨
اللهم فقهه في الدين	١٣٨
إن الله بعث محمداً	٢٥٦
أن إمرأة من جهنية أتت	٣٦٩
إن رجلاً من الأعراب أتى	
أن رسول الله ..... يا هزال لو سترته	٣٦٧
إن رسول الله قال إن مثلي	١٠١
إن الرسالة والنبوة قد انقطعت	١٠٤
إن المؤمن إذا أذنب	١٠٤
تقطع يد السارق في ربع	٥٣٧
ثم جاءته إمرأة من غامدية	٣٦٨
جاء ما عز بن مالك إلى رسول الله	٣٦٦-٣٦٨
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً	٣٥٦
عن ابن عباس أن ما عز بن مالك أتى النبي	٣٦٥
عن أبي هريرة قال قال رسول الله... رجل مِنَ الناس	٣٦٧
فأمر به فرجم فكان الناس فيه فريقين	٣٦٤
فأمر به فرجم فسمع النبي	٣٦٥
فرجمناه بجلاميد الحرة.... حتى سكت	٣٦٤
فسكت عنهما، ثم سار ساعة	٣٦٥
فغدا عليها فاعترفت فرجمها	٣٦٩
فقال يا رسول الله إني زنيت	٣٦٥
قال عمر قد خشيت أن يطول بالناس زمان	٣٥٧-٣٥٨

قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	١٠٢
قيل للنبي: يا رسول الله تصلي عليه	٣٦٥
كان رسول الله يشرب عسلاً	٢٢٠
كان ما عز بن مالك يتيماً	٣٦٧
كان النبي إذا أراد	١٠٠
كان يتكئ في حجري	١٠٠
كلكم راع وكلكم	١٠٣
كنت اغتسل	
فاغسله وأنا حائض	
لا تصدقوا أهل الكتاب	١٨٣
لا صلاة لمن لم يقرأ	١٠١
لا يرث المسلم الكافر	٥٣٧
لما أتى ما عز بن مالك النبي	٣٦٨
ما حدثكم أهل الكتاب	١٨٠
مررت ليلة أسرى بي	١٢١
من صلى صلاة لم يقرأ	١٠١

فهرس الأعلام

إبراهيم عليه السلام ١٢١-١٢٢-١٧١-٢٤٣-٢٩٩-٤١٩
إبراهيم بن عمر الجابري ٢١٠
أحمد بن أبي سعيد الصالحي ٩
أحمد بن حنبل (الإمام) ١٢١-١٩٢-٢٢٠-٢٥٩
أحمد حسن الدهلوي ٨
أحمد بن مقري الهمداني ٢٧٢
أحمد علي السهارنبوري ١٦٢
اختر حسين ٦٩
آدم عليه السلام ٨١-٩٤-١٤٢-١٧٩-١٨٨-١٩١-١٩٣-١٩٤-٢٤٢

ارسطاطاليس ٢٠٠
أبو إسحاق الثعلبي ١٣٤
اسرار أحمد(الدكتور) ٣٤-٣٦-٧٦
اسكندر الرومي ١٩٨-٢٠٠
إسماعيل عليه السلام ٣٩٩
اشرف علي(التهانوي) ٨-١٦-٢٧٧-٢٧٨
الاشعري أبو الحسن ٣٣٦
أصف (اسم الشيطان- رواية مجاهد) ٢٠٤
الأقرع بن حابس ٢١٩
أبو الأعلى(المودودي) ١٠-١٣-١٤-١٥-١٦-٣٢-٣٣-٣٤-٤٠-٤١-٦٩-٧٠-٤٢١

آلوسي أبو الثناء محمود (شهاب الدين) ١٢-١٣٦-١٨٨-٢٧٦-٢٧٧
إمرئ القيس ٣٢٣
أمير علي بن معظم علي ٨-١٥
أنس بن مالك ١٠٤-١٢١
انور شاه(الكشميري) ٤١٥
أنيس (بفتح النون) بن الضحاك ٢٥٧-٣٦٩
أوس بن حجر ١١٠
أبو بكر الباقلاني(محمد بن الطيب) ١٢-٢١٣-٢١٤-٢٧٣
البخاري (محمد بن إسماعيل) ١٠-٢٠٦-٢١٧-٢١٨-٢١٩-٢٢٠-٢٥٤-٢٩٩-٣٤٩-٣٥٠-٣٥٣-٣٥٨-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩

بدر الدين (الإصلاحي) ٦٦
برهان الدين بن عمر البقاعي ٢٧٥
البزدوي، علي بن محمد ٢٤٩
بشير بن المهاجر ٣٦٦
البغوي، الحسين بن مسعود(ابن الفراء) ١٩٤
بولوس(سنت بال) ١١١
بهاء الأميري ٣٠٣
البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين ٣٨٧-٣٨٨

تقي الدين، ابن تيمية الحراني ١٣٣-١٤٧-١٤٩-١٥١-١٥٢
-٢١١-٢١٢-٣٨٧
تراب علي ٤
الترمذي(أبو عيسى محمد بن عيسى) ١٩٢.
ثمود(قوم صالح عليه السلام) ٩٦
ثناء الله امرتسري ٨
ثناء الله باني بتي ٥-٦-٧-١٥-١٦
الثعلبي ١٩٢
الجاحظ(أبو عثمان عمر بن بحر) ٢٧.
جالوت ١٨٨
جاويد أحمد الغامدي ٧٢
جبرئيل عليه السلام ١٦٣
الجرجاني علي محمد بن علي ١٣٣-٢٣٦
ابن جرير(الطبري) ٨-٨١-٨٢-٨٩-١٤٣-١٨٤-١٨٥
١٨٦-١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٢-١٩٦
١٩٨-١٩٩-٢٠١-٢٠٣-٢٢٠-
٢٩٩-٣٥٠
أبو جعفر(ابن الزبير) ٢٧٥
جليل أحمد الحافظ ٦٩
جمال الدين القاسمي ٣٥٠-٣٥١
جمال الدين محمد بن مكرم ٢٦٨-٢٧٠-٢٧١-٢٧٩
ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن
علي بن محمد ٢٥٢
ابن أبي حاتم، عبدالرحمن الرازي ١٩٨
الحاتم الطائي ٨٥
الحاكم (أبو عبدالله) ٨٦-١٢٤-١٤٨-١٥٢
٣٥٩-٣٦٠-٣٦٧
ابن حبان-أبو حاتم محمد ٣٦٠
حبيب الرحمان الأعظمي ٢٨
ابن حجر العسقلاني ٣١-٤٢٣
حسن البصري ٣٤٩-٣٥٢
حسن بن علي بن نصر ٢٧٠
حسين أحمد(القاضي) ٤١
حسين بن محمد الراغب الأصفهاني ١٣٤
حسين علي ٢٧٨
حفصه، أم المؤمنين ٢٢٠
حمد بن محمد، الخطابي ١٢-٢٧١
حماد بن سلمة ١٢١
حنفي محمد شريف ٢٦٩
الحنفي(أبو سعود) ٢٧٥
أبو حيان(أثير الدين الاندلسي) ١٢-١٢٩-١٣٠-١٨٨-٢٧٥

حوّا (عليها السلام) ٨١-١٤٢-١٧٩-١٩١-١٩٤
خالد مسعود ١٢-١٨-٣٦-٥٦-٧١
ابن خزيمة، محمد بن إسحاق ١٢٤
خضر عليه السلام ١٦٧-١٨٣
ابن خلدون(عبدالرحمان المغربي) ١٨١-١٨٢
خليل الرحمن چشتي ١٨
خورشيد احمد(بروفيسور) ١٧
دريد بن الصمة ١٨٧
دانيال (عليه السلام) ٢٠٠
داؤد (عليه السلام) ٢٠١-٢٠٢
أبو داؤد، سليمان بن أشعث ٣٥٨-٣٦٧
ذوالقرنين ١٩٨-١٩٩-٢٠١
أبو بكر الرازي، محمد بن زكريا ٢٤٨
الرازي (أبو زرعة) ١٩٩
الرازي(فخر الدين) ١٢-٨٨-٨٩-٩٠-١٨٨-١٩٤-١٩٦-٢٢٠-٢٧٣-٢٧٤-٢٨٠-٢٨٩
رافع بن خديج ١٢٤-٣٢٨
رفاع القرظي ٢٤٩-٢٥٠
رفيع الدين، الدهلوي ٣
الرماني علي بن عيسى ٢٧١
الزرقاني، عبدالعظيم ١٣٠-١٣٧-١٣٩-٢١٢-٢٥٧-٢٥٨
زر ٣٥٩
الزركشي، محمد بن عبدالله ١٣٠-١٣١-١٣٤-١٣٨-١٥١-٢٤٨-٢٥٣-٢٥٦-٢٧٩
الزمخشري(محمود بن عمر) ١٢-٨٣-٨٤-٨٥-٨٦-٨٧-٢١١-٢١٤-٢٣٤-٢٧٤-٣٩٠
ذوالفقار علي بتو ٣٩-٤٠
الزهري، مسلم بن شهاب ١٧٦
زهير بن لبيد ٣٢٣
زيد بن خالد الجهني ٣٦٩
ابن ابي الزناد ٢٠٦
ابن زيد ١٧٢
زينب بنت جحش ٢٢٠
السدي ١٨٤-١٨٨
سرهندي(الشيخ أحمد) ٢-١٢١
أبو سعد الإصلاحي ٤١
أبو سعود ١٨٨
أبو سعيد الإصلاحي ٤١
أبو سعيد بن معلى ٢٩٩
سعيد ابن المسيّب ١٥٠-٢٥٥-٣٤٩-٣٥٢-٣٥٣-٣٥٩
سعيد بن جبير ١٥٠-١٦٨-١٧٦

سعيد الخوري الشرتوني ١١٢
سلام الدين، الرامبوري ٤
سليمان بن داؤد ١٨٥-١٨٦-١٨٧-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧.
سليمان بن بويدة ٣٦٨
السندهي، محمد عبادل الله ٤
السيد سليمان الندوي ٢٧، ٦١
ابن السمعاني، ابو سعد عبدالكريم ٢٥٨
سيف الدين أبو الحسن الآمدي ٢٣٥-٢٤٨-٢٤٩
سيد شريف (الجرجاني) ٣٣٩-٣٤٠
سيد قطب(الشهيد) ٢٧٧-٢٧٨
السيلاني، عبدالرحمن ٤
السيوطي، جلال الدين ٨-١٣-١٣٤-١٤٠-١٨٤-١٨٨-١٨٩-١٩٢-١٩٥-١٩٨-٢٠١-٢٠٣-٢٠٦-٢١٠-٢١٣-٢١٤-٢٦٥-٢٦٧-٢٧٥-٢٨٠-٢٨٦-٤٢٥.
الشافعي(محمد بن ادريس) ٢٥٨-٢٥٩-٢٦٠
شاكره بروين ١٥
الشبلي، نعماني ٢٧-٢٨-٦١-٦٢
شبير أحمد العثماني ٦-١٦
الشربيني، شمس الدين محمد ١٢-٢٧٥
شعبة بن حجاج ١٥١
شعيب(بن صفوان) ٢٠٦
شمس الحق العظيم أبادي ٦٨
أبو بكر ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد ٣٦٦
الشوكاني، محمد بن علي ٨١-٨٤-٢٤٥-٢٨٠-٢٨١-٢٨٤-٢٨٥
الشهراباني، أبو بكر ٢٧١
أبو صالح بن الإصلاحي(آمين أحسن) ٤١
صدر الدين الاصلاحي ٦٩-٧٠
صدر الشريعة(عبيدالله بن مسعود) ٣٤٠
صلاح الدين يوسف ١٤
أبو بكر صديق رضي الله عنه ٢١٩
صديق حسن خان ٧-٢٣٩-٢٥٩-٢٨٤
صديقي، أنوار حسين ٢٣
صهيب حسن، الدكتور ٣٧
الضحاك(بن سفيان بن عوف) ١٩٦-٢٩٩
طالوت عليه السلام ١٨٨-١٩٠-١٩١
ظفر أحمد الأنصاري ٢٩
ابن ظفر محمد بن محمد ٢٥٦
ظفر الله خان ٣٣

ظفر الملك علوي ٣٠
عاد(قوم هود عليه السلام) ٩٦
عائشة (رضي اللّه عنها) ١٠٠-٢١٢-٢١٧-٢٢٠-٣٤٩
٣٥٠-٣٥١

أبي العالية الفراء، زياد ٢٩٩
عابي، محبوب أحمد ١٥
عبادة بن الصامت ١٠١-٣٥٦
ابن عباس(عبداللّه) ١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٨-١٥٠-١٦٢-١٦٣-١٦٨-١٧٠-١٧١-١٧٢-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٧٦-١٨٧-١٩٦-٢٠١-٢٠٣-٢٠٤-٢١٩-٢٥٢-٣٥٧-٣٥٨-٣٥٩-٣٦٥-٣٦٨-٤٢٤.

عبدالجبار ٢٥٨
عبدالحق(الدهلوي) ٢-٤-٤٢١
عبدالخالق فاروقي ١٨
عبدالرحمان بن أبي بكر ٢١٢
عبدالرؤف ظفر ١٧-٢٣
عبدالرحمن المباركفوري ٢٧-٣١-٦٧
عبدالرحمن نكرامي ٢٩
عبدالرحمن بن بكر ٢٢
عبدالرحمن بن الزبير ٣٥٠
عبدالرحمن الناصر ٧٢
عبدالرحيم الدهلوي ٣
عبدالرحيم صفي بوري ٥
عبدالرحيم، الدكتور ١٨-٢٣
عبدالرحيم، المباركفوري ٥
عبدالرزاق(صاحب المصنف) ٣٦٠-٣٦٦
عبدالعزيز الدهلوي ٢٧٦-٢٧٧
عبدالعلي الكهنوي ٥
عبدالعلي ٩
عبدالغفار حسن ١٤-٣٧
عبداللّه بن سلام ١٨١
عبدالقادر الدهلوي ٣-٤-٨
عبدالقاهر البغدادي ١٢-٢٧٢
عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ٣٨٧
عبداللّه بن زبير ٢١٨
عبداللّه غلام محمد ٧٢
عبداللّه بن مسلم، ابن قتيبة ٤١٥
عبداللّه بن نمير ٣٦٦
عبدالماجد دريا آبادي ٣٠

عبدالله بن بريدة ٣٦٦
علي محمد الزبيري ٢٨٤
عبدالمالك بن جريج ١٢٤
عبدالواحد، الدكتور ١٧
أبو عبيدة(معمر بن مثنى) ٢٦٩
عبيدالله سندهي ٨-٢٧٨
عبيدالله بن مسعود ٢٣٥
عز الدين أبو الحسن ٣٣٩
عز الدين بن عبدالسلام ٢٧٩
عزيز الدين عزيز ٦٢
ابن العربي ١٩٤
عطاء بن ابي رباح المكي ١٥٠-١٧١-١٧٦
ابن عطيه ١٨٩
عقبة بن أبي معيد ٢٢٠
عقبه بن عامر ١٩٩
عكرمه (مولى ابن عباس) ٨٤-١٥٠-١٧٠-١٧٥-١٩٤-٤٢٤
علاؤ الدين المهانمي ٧-٢٧٥
علي اصغر سليمي ١٥-١٦
علي بن زيد(ابن جدعان) ١٢١
علي رضي الله عنه ١٨٤-١٨٩-٢٢٣
علي ابن المديني ٢١٠
أبو الحسن علي بن عيسى ٢٧١
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢١١-٢١٩-٢٥٤-٢٥٥-٢٥٦-٣٥٧
٣٥٨-٣٥٩-٣٦٠
أبو عمر بن عبدالبر ٣٤٩
ابن عمر (عبدالله) ١٨٤-٢٩٩-٣٥٠-٣٥١
عمر بن أمية ٢١٩
عمران بن حصين ٣٦٩
عمر بن كلثوم ٣٢٣
عنايت الله سبحاني ٢٦٨
عيسى عليه السلام ١١١-١٧٩(الف. ب)٢٢٦-٤٠٠-٤١٨
أبو عيسى محمد بن عيسى ٣١
العيني، بدر الدين ١٧٢
غازي، محمود احمد ٢٣
الغزالي، محمد بن محمد(الامام) ٢٣٥-٢٣٧-٢٤٨
الغامديه ٣٦٢-٣٦٨-٣٦٩
غلام مرتضى بن وزير علي ٢٨
ابن فارس، ابو الحسن أحمد ١٢٨
فاطمه جناح ٣٨
فاطمة الزهرا ١٦

الفراهي (عبدالحميد) ٨-١٢-١٤-٢١-٢٨-٢٩-٣١-٤٤
٦١-٦٢-٦٣-٦٤-٦٥-٦٦-٧٤
٧٥-٧٧-٨٠-٨٣-٨٥-٨٩-٩١
٩٢-٩٣-٩٤-٩٥-٩٦-٩٧-٩٨
١٠٥-١٠٦-١٠٧-١٠٨-١٠٩-١١٠-
١١٢-١١٥-١١٦-١٦٥-٢١٠-٢١٣-
٢١٤-٢١٥-٢١٦-٢٦٥-٢٧٨
٢٧٩
الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد ٩١-٢٧٠
فضل امام ٥
فضل حق خير آبادي ٥-٦
ابن فورك- أبو بكر محمد بن الحسن ٣٨٧
الفيروز أبادي مجدد الدين محمد ١٣٥
فيض الحسن السهارنفوري ٦٢-٦٣
أبو الفيض فيضي ٧
ابن فيلس المقدوني ١٩
قتادة بن دعامة السدوسي ١٦٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٢٠-٢٩٩
القرطبي، أبو عبدالله بن نصر ١٨٧-١٨٨-١٨٩-١٩٢-١٩٤
١٩٥-٣٥١-٣٥٣
القشيري(أبو نصر الشافعي) ١٣٥-٢١٢
قطب الدين الدهلوي ٧
قطرب الاصمعي ٢٦٩
قعقاع بن معبد ٢١٩
قمر الدين اصلاحي ٧٢
قورش ٢٠١
قيس بن ساعدة ٣٢٣
ابن قيم الجوزيه ٣٥٠
ابن كثير، اسماعيل بن كثير ١٢١-١٢٢-١٢٤-١٤٧-١٥١
١٥٢-١٦٢-١٦٣-١٧٦-١٨٧
١٨٨-١٨٩-١٩٩-٢٠٠-٢١٧
٢٩٩-٣٤٩-٣٧٨-٤٢٤
كرم شاه الازهري ١٠-١٥-١٦
الكرماني، شمس الدين محمد ٣٤٩
أبو كعب، عبد ربه وقيل اسمه عبدالله ١٦٨
كعب بن الاحبار ١٨١-١٨٤
ابي بن كعب ٢٥٩
أبو الكلام آزاد ٩
كيخسرو(ملك ايران) ٢٠٠
الدهيانوي محمد يوسف ١٤-١٥
الماتريدي، أبو منصور ١٣٤
ماجد خاور ٧٢-٧٦

ماروت ١٨٢-١٨٨
ماعز بن مالك الاسلمي ٣٥٤-٣٥٥-٣٦٢-٣٦٣-٣٦٤
٣٦٥-٣٦٦-٣٦٧-٣٦٨-٣٦٩

مالك بن انس ٢٥٥-٤٢٨
مجاهد بن جبر المكي ٨٢-٨٣-١٣٢-١٥٠-١٧١-١٧٥
١٨٤-٢٠١-٢٠٤-٢٠٥-٢٩٩

محبوب احمد سبحاني ٦٥
محمد بن احمد السندي ٥
محمد بن إدريس الكاندهلوي ١٠-٢٧٧-٢٧٨
محمد اسحاق ٤
محمد بن إسحاق، ابن النديم ٢٦٩-٢٧٠
محمد إسماعيل السلفي ١٣
محمد اشرف قريشي ١٦
محمد ايوب خان ٣٨
محمد حسين الذهبي ٧١-١٣٢-١٣٧-١٨٢
محمد رشيد رضا ٢٧٧
محمد زاهد الكوثري ١
محمد سليم ٧٢
محمد بن سليمان الانباري ٢٦٧
محمد شفيع، مفتي ٩-١٠-٢٧٧-٢٧٨
محمد صادق ٧٢
محمد ضياء الحق(الشهيد) ٣٩-٤٠
محمد طاهر ٢٧٨
محمد طفيل، ميار ٥٢
محمد عبده ٢٧٦-٢٧٧
محمد بن عبدالله بن نمير ٣٦٦
محمد علي جناح ٣٨
محمد علي جوهر ٢٩
محمد بن عيسى الترمذي ١٩٢
محمد قاسم ١٦٠
محمد بن قاسم، ابن الأنباري ١٢٩
محمد مبين، ملا ٥
محمد مجيد حسن ٢٩
محمد بن المنكدر ٣٦٧
محمد بن يحيى بن حبان ٤٢٨
محمود احمد لودهي ٧٢
محي الدين الخياط ٣٠
المراد آبادي، سعد الله ٥
ابن مردويه ١٢٤
المراغي محمد مصطفى ٢٧٧
مرزا حسن علي ٥

مروان ١٢٤-٢١٢
مريم عليه السلام ١١١-١٧٩(الف. ب)-١٨٨
مستنصر مير ١٢
مسروق ابن اجدع بن مالك ١٥٠
ابن مسعود، عبدالله ١٦٧-١٨٤-٢٩٩
مسلم بن حجاج ٢٥٤-٣٦٨-٣٦٩
أبو مسلم الاصفهاني ٢٤٢-٢٥٤
مصطفى الاعظمي، الدكتور ٢٨
مصطفى صادق الرافعي ٢٧٧
مصطفى كمال باشا ٣٠
مقاتل بن سليمان ١٨٠
مناع القطان ٢٦٨-٢٧٠-٢٧١-٢٧٩
منظور احمد النعماني ٣٢-٥٢
موسى عليه الصلاة والسلام ١٠٢-١٠٨-١١٨-١١٩-١٢٣
١٢٥-١٦٨-١٧٢-١٧٨-١٨٣
١٨٥-١٨٩-٢٢٥-٣١٣-٣٩٣
٣٩٧-٣٩٩
موسى جار الله ٢٧٨
موفق الدين أحمد الشيباني ١٣٥
المهانمي، علاؤ الدين ٧-٢٧٥
ميمونه رضي الله عنها ١٠٠
نذير احمد، الدهلوي ٦٧
النساني(المحدث) ٢٠٣
نظام الدين النيسافوري ٨٨
نعمان بن ثابت، أبو حنيفة ٢٥٨
نعيم بن هزال ٣٦٧
نور الحق بن عبدالحق ٢
النيسابوري، ابو بكر عبدالله بن محمد ٢٧١
النووي، شرف الدين ٣٥٦-٣٥٩
الواحدي، علي بن احمد ٢١٠-٢١١-٢١٣
الواسطي، محمد بن يزيد ٢٧٠-٢٧١
وكيع بن الجراح ٣٦٧
ولي الدين الملوي ٢٨٠
ولي الله الدهلوي ٢-٨-١٨٠-٢١٥-٢١٦-
٢٣٦-٢٧٦-٢٧٧-٤٢١
ولي الله بن حبيب الله الأنصاري ٤
الوليد بن عقبة ٢١٩-٢٢٠
وهب ابن منبه ١٨١-١٩٨
هاروت ١٨٧-١٨٨
هارون عليه السلام ١١٨-١١٩-١٨٩
أبو هريرة رضي الله عنه ١٠١-٢٠٥-٢٩٩-٣٦٧-٣٦٩

ابن هزال(نعيم)	٣٦٧
هشام بن سعد	٣٦٧
ياجوج وما جوج	١٩٨
يحيى بن سعيد	٣٥٩
يزيد(تلميذ نعيم بن هزال)	٣٦٧
يعقوب عليه السلام	١٧٨-١٨٨
يوسف عليه السلام	١٦٨-١٩٥-٣٩٨
يوشع بن نون	١٦٨

فهرس المصادر والمراجع

فهارس المصادر و المراجع

* التفسير وعلوم القرآن .
* الحديث وعلومه.
* الفقه وأصوله.
* كتب اللغة والمعاجم.
* كتب العقيدة.
* كتب عامة.

التفسير وتاريخه وعلوم القرآن .

القرآن الكريم.

ابن تيميّة؛ أحمد بن عبد العليم الحرّاني. (ت: ٧٢٨ هـ) . مقدمة في أصول التفسير. المكتبة العلمية، ٥١ شارع ليك، لاهور، باكستان.

ابن الجوزي؛ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. (ت ٥٠٨ هـ أو ٥٠٩ هـ أو ٥١٠ هـ أو ٥١١ هـ - ٥٩٧ هـ) - نواسخ القرآن. تحقيق ودراسة: محمّد أشرف. الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

ابن العربي؛ أبو بكر محمد بن عبد الله. (ت: ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ) أحكام القرآن. ت: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

ابن قتيبة؛ أبو محمّد عبد الله بن مسلم. تأويل مشكل القرآن. شرح وتحقيق: السيّد محمّد صقر. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر.

ابن كثير؛ أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. (٧٧٤ هـ). تفسير القرآن العظيم. ط: دار المعرفة. بيروت. ١٣٨٨هـ.

ابن المنير؛ أحمد الإسكندري. الانتصاف على حاشية الكشاف. دار الفكر، بيروت.

أشهد جمال؛ الإمام حميد الدين الفراهي و منهجه في التفسير وعلوم القرآن. دار العلوم ندوة العلماء، لكناؤ. الهند. ١٩٨٧م.

الأصفهاني؛ الحسين بن محمّد راغب. (ت ٥٠٢ هـ). مفردات القرآن. ت وضبط: محمّد سيّد كيلاني، نور محمّد كارخانه تجارت آرام باغ، كراتشي.

الإصلاحي؛ الشيخ أمين أحسن. * تدبر قرآن. مكتبة مركزي انجمن خدام القرآن، لاهور؛ ١٩٧٦م.

* مبادئ تدبر قرآن. مكتبة مركزي انجمن خدام القرآن، ٣٦، ماڈل تاؤن، لاهور.

الآلوسي؛ شهاب الدين محمود البغدادي. (ت ١٢٧٠ هـ).
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. مكتبة امدادية، ملتان، باكستان.

الأندلسي؛ محمّد بن يوسف أبو حيان. (ت ٧٤٩ هـ).
تفسير البحر المحيط. دار الفكر، بيروت. ط:٢. ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

التهانوي؛ أشرف علي. (ت ١٣٦٣ هـ).
بيان القرآن. مكتبة الحسن، لال جوك، شارع عبد الكريم، قلعة شاه فيصل، لاهور.

الجبري؛ عبد المتعال.
* لا-نسخ في القرآن لماذا؟ شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة. ١٤٠٠هـ.

* النسخ في الشريعة الإسلامية كما أفهمه. دار الجهاد ١٤٠ شارع الجمهورية، مصر. ١٣٨٠هـ.

الجرجاني؛ عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ).
دلائل إعجاز القرآن. المطبعة المهدية، شارع محمد علي الطريس، رقم ١٩، تطوان المغرب، ١٣٧٦هـ.

ابن الجزري؛ أبو الخير محمّد بن محمّد.
غاية النهاية في طبقات القراء. القاهرة.

الجصاص؛ أبو بكر أحمد بن علي الحنفي. (ت ٣٧٠ هـ).
أحكام القرآن. دار الكتب العربية، بيروت.

العمادي
الحنفي؛ أبو السعود بن محمّد. (ت ٩٨٢ هـ).
تفسير أبي السعود. (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم) ت:

عبد القادر أحمد عطا. مكتبة الرياض الحديثة، بالرياض.

الخطابي: أبوسليمان محمد بن محمد بن إبراهيم ت: ٣٨٨ هـ.
البيان في إعجاز القرآن. تصحيح: عبد الحليم. الجامعة الإسلامية، علي جره، الهند. ١٣٧٢هـ.

الداودي: الحافظ محمد بن علي بن أحمد. (ت ٩٤٥ هـ).
طبقات المفسرين. (راجع النسخة و ضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر) دارالكتب العلمية، بيروت.

الذهبي: محمد حسين.
التفسير والمفسرون. دار إحياء التراث العربية بيروت. ط:٢. ١٣٩٦ هـ.

الرازي: فخر الدين بن ضياء الدين. (ت ٦٠٦ هـ).
التفسير الكبير. دار الفكر، بيروت. ١٣٩٨ هـ.

زبيد أحمد:
مشاركة شبه القارة الهندية في الأدب العربي من العهد القديم إلى سنة ١٨٥٧هـ. رسالة الدكتوراه من جامعة لندن في عام ١٩٢٩م.ترجمة: شاهد حسين رزاقي: إدارة الثقافة الإسلامية، لاهور. ١٩٩١م.

الزبيري: علي محمد.
ابن جزي و منهجه في التفسير دراسة منهجيةً عن الإمام المفسر الأندلسي الشهيد ابن جزي وتوضيح مفصل لمنهجه في تفسيره" التسهيل لعلوم التنزيل." دارالقلم للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق. ١٤٠٧هـ.

الزرقاني؛ الشيخ محمّد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاؤه، بمصر.

الزركشي؛ محمّد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. دارالفكر، بيروت.

سبحاني؛ د: محمد عنايت الله. * إمعان في نظام الآى والسور. لم يطبع.

* البرهان في نظام القرآن. دار الكتب، قصه خوانى بازار، بشاور، باكستان.

السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن. (ت:٩١١ هـ).

* الإتقان في علوم القرآن: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

* الدر المنثور؛ منشورات مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي. قم، ايران.

* طبقات المفسرين. ت: علي محمّد عمر.مكتبة وهبة، ١٤ شارع الجمهورية بعابدين، القاهرة.

الشنقيطي؛ محمّد الأمين بن محمّد. (ت: ١٧ - ١١ - ١٣٩٣ هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. طبع على نفقة السمو الملكي الأمير أحمد بن عبد العزيز. الرياض. ١٤٠٣هـ.

الصابوني؛ محمّد علي. * روائع البيان في تفسير آيات الأحكام. مكتبة الغزالي، دمشق. ١٣٩٧هـ.

* مختصر تفسير ابن كثير. دار القرآن الكريم، بيروت، ط:٢. ١٤٠٢هـ.

الطبرسي؛ أبو الفضل الحسن . مجمع البيان في تفسير القرآن. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الطبري؛ أبو جعفر محمد بن جرير. (ت ٣١٠ هـ) . جامع البيان عن تأويل آى القرآن. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت.

عبد الكريم محمد المدرس. مواهب الرحمن في تفسير القرآن. دار الحرية للطباعة، بغداد. ط:٢. ١٤١٠هـ.

العثماني؛المفتي محمد شفيع. (ت ١٩٧٦م) . معارف القرآن. ادارة المعارف، كراتشي. ١٤٠١هـ.

الفراهي؛ عبد الحميد. ت١٩٣٠م) . * الإمعان في أقسام القرآن. دار المصنفين، أعظم جره، الهند، ١٣٤٩هـ.

* دلائل النظام؛ طبعه: الدائرة الحميدية. الهند. ١٣٨٨هـ.

* فاتحة تفسير نظام القرآن. طبع في مطبع إصلاح سراي مير أعظم جره، الهند. ١٣٥٧هـ.

* نظام القرآن في تفسير الفرقان بالفرقان. مطبعة فيض عالم، علي جره، الهند، ١٣٢٦هـ.

الفراء؛ أبو الحسين بن مسعود البغدادي. (ت ٥١٦ هـ) . معالم التنزيل. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.ط:٢. ١٣٢٥هـ.

القاسمي؛ محمد جمال الدين. تفسير القاسمي المسى محاسن التأويل. (١٢٨٣هـ/١٣٣٢هـ ١٨٦٦م/١٩١٤م. ت: محمد فواد

الباقي. دار الفكر؛ بيروت. ط: ٢. ١٣٩٨هـ.

قدوائي؛ د: محمّد سالم. (هندوستاني مفسرين اور ان کی عربی تفسيرين) مفسرو الهند وتفاسيرهم العربيّة. مكتبة جامعه، جامعه نكر، دهلي. الهند. أغسطس ١٩٧٤م.

القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب العربية الطباعة والنشر، بيروت، ط:٣. ١٣٨٧هـ.

محمّد طاهر مصطفى. تفسيري رجحانات كا ارتقاء. شكيل سنز، راولبندي. ١٩٩٣م.

محمّد طاهر. * سمط الدرر في ربط الآيات والسور. بنج بير صوابي، مردان. انجمن تعليم القرآن مردان. باكستان.

* نيل السائرين في طبقات المفسرين. دار القرآن. مركز اشاعة التوحيد والسنّة. بنج بير، مردان. باكستان.

مناع القطّان. مباحث في علوم القرآن. مؤسّسة الرسالة. بيروت؛ ١٩٩٠م.

المودودي؛ أبو الأعلى. (ت ١٩٧٩م). تفهيم القرآن. مكتبة تعمير انسانيت، لاهور. مارس ١٨٩١م.

هتيمي؛ د: رمضان محمّد عيد. النسخ وأحكامه في الشريعة الإسلامية. دارالطباعة المحمدية، بالأزهر، بالقاهرة؛ ١٤١٢هـ.

نواب؛ محمد صديق حسن خان. نيل المرام عن تفسير آيات الأحكام. جامعة تعليم الإسلام، ماموكانجن، فيصل آباد، باكستان.

الحديث وعلومه والتاريخ الإسلامي والتراجم.

ابن الأثير؛ عز الدين أبو الحسن. * أسد الغابة في معرفة الصحابة. المكتبة الإسلامية، بالرياض.
* النهاية في غريب الحديث. مؤسسة اسماعيليان، قم، ايران.
* الكامل في التاريخ. دار صادر. بيروت. ١٣٨٥هـ.

ابن تغري بردي؛ جمال الدين يوسف. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة. ١٣٤٨هـ.

ابن حبان؛ أبو حاتم محمد. (ت ٣٥٤هـ). الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الكلبي (ت:٧٣٩هـ) أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث؛ القاهرة.

ابن حجر؛ الحافظ أحمد بن علي العسقلاني. (ت ٨٥٢هـ). * الإصابة في تمييز الصحابة. دار صادر، بيروت. ١٣٢٨هـ.
* تقريب التهذيب. مجلس دائرة النظامية، حيدر آباد دكن الهند. ط:١. ١٣٩٥هـ.
* فتح الباري شرح صحيح البخاري. راجعه: طه عبد الرؤف مصطفى محمد

الهواري السيّد محمد المعطي. مكتبة الكليات الأزهرية لصاحبتها. حسين محمد المناوي الأزهري. طبعة جديدة، ١٣٩٨هـ.

* الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد دكن، الهند. ١٣٤٨هـ.

* لسان الميزان. مؤسّسة العلمية. بيروت. ط:٢؛ ١٣٩٠هـ.

* تهذيب التهذيب. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد دكن الهند. ١٣٢٥هـ.

* نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر. مصطفى البابي الحلبي، مصر. ١٣٥٢هـ.

* النكت على كتاب ابن صلاح. ت: د: بسيع بن هادي عمير. المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

ابن خلكان؛ شمس الدين أحمد. (ت ٦٨١هـ).

وفيات الأعيان وانباء الزمان. ت: د: إحسان عباس. منشورات الشريف رضي. قم، ايران. ط:٢. ١٣٢٤هـ.

ابن الصلاح؛ أبو عمرو عثمان عبد الرحمن. (ت ٦٤٣هـ).

مقدمة ابن الصلاح. فاروقي كتب خانه، ملتان.

ابن عساكر؛ أبو القاسم علي بن هبة الله. (ت ٥٧١هـ).

تهذيب تاريخ دمشق الكبير. ت: عبد القادر بدران. (ت: ١٣٤٦هـ) دار الميسرة، بيروت. ١٩٧٩م.

ابن القيم؛ الجوزية. (ت: ٧٥١هـ).

زاد المعاد في هدي خير العباد. مكتبة المنار الإسلامية، الكويت؛ ١٣٩٩هـ.

ابن فورك؛ أبو بكر محمد بن الحسن. (ت ٤٠٦هـ).

مشكل الحديث وبيانه. دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٠هـ.

ابن النديم؛ محمد بن اسحق النديم. (ت ٣٨٥هـ).

الفهرست دار المعرفة. بيروت. ١٣٩٨هـ.

أحمد أمين.

ضحى الإسلام. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة. ط:٥. ١٩٥٦م.

أحمد محمد شاكر.

الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. المكتبة الأثرية. سانجلة هل. فيصل آباد. باكستان.

البخاري؛ محمد بن إسمعيل. (١٩٥-٢٥٦هـ).

* التاريخ الكبير. دار الباز للنشر والتوزيع، عباس أحمد الباز. مكة المكرمة.

* صحيح البخاري.. نور محمد المصنع التجارية للكتب، كراتشي. ط:٣. ١٣٨١هـ.

البغدادي؛ أبو بكر أحمد بن علي. (ت ٤٦٣هـ).

تاريخ بغداد. دار الكتاب العربي، بيروت.

الترمذي؛ أبو عيسى محمد بن عيسى. (ت ٢٧٩هـ).

جامع الترمذي. الناشر: سعيد ايج ايم كمبني، ادب منزل، كراتشي.

حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي (١٠١٧هـ-١٠٦٧هـ). كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. دار الفكر، بيروت؛ ١٤١٠هـ.

الحاكم: أبو عبد الله بن عبد الله النيسابوري. (ت: ٤٠٥هـ)
* المستدرك علي الصحيحين. دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ.
* معرفة علوم الحديث. ١٩٠٤١هـ.

الحنبلي: عبد الحي بن العماد. (ت ١٠٨٩ هـ).
شذرات الذهب في أخبار من ذهب. دار الميسرة؛ بيروت. ١٣٩٩هـ.

الدار قطني: أبو بكر علي بن عمر (ت: ٣٨٥هـ). سنن الدر قطني. نشر السنة. ملتان.

الذهبي: أبو عبد الله شمس الدين. (ت: ٧٤٨هـ).
* تذكرة الحفاظ. دار احياء التراث العربي، بيروت. ١٣٧٤هـ.
* ميزان الاعتدال في نقد الرجال. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ت:علي محمد البجاوي.دار المعرفة، بيروت. ١٣٨٢هـ.

الزركلي: خير الدين. الأعلام. دار الملايين، بيروت؛ ط:٣.

السبكي: تاج الدين عبد الوهاب بن علي. طبقات الشافعية. ت: عبد الفتاح محمد الحلو محمود محمد المناخي. طبع مطبع عيسى البابي الحلبي و شركاؤه؛ مصر؛ ١٣٨٣هـ.

السجستاني: أبو داود سليمان بن الأشعث. (ت: ٢٧٥هـ). سنن أبي داود. تعليق: أحمد سعد علي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر. ١٣٧١هـ.

السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن. (ت:٩١١هـ).

* تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. ت: عبد الوهاب عبد الطيف. دارالكتب العلمية، بيروت. ط:٢. ١٣٩٩هـ.

* الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير. ترتيب: يوسف النبهاني. دار الكتب العربية الكبرى. مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكري وعيسى، بمصر. (بدون سنة الطبعة).

* جمع الجوامع أو الجامع الكبير. الهيئة المصرية العامة للكتاب. نسخة رقم: ٤٢٩. (بدون سنة الطبعة).

الشوكاني؛ محمد بن علي (ت:١٢٥٥هـ). نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيِّد الأخيار. دار الفكر، بيروت؛ ١٩٣٧م.

صديقي؛ د: محمَّد ميان. تذكرة محمَّد ادريس الكاندهلوي. مكتبة عثمانية، الجامعة الأشرفية، لاهور، ١٣٩٦هـ.

الصنعاني؛ أبو بكر عبد الرزاق بن همام. المصنف في الأحاديث والآثار عبد الرزاق. ت. د: حبيب الرحمن الأعظمي. توزيع: رياسة إدارة العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. المكتب الإسلامي. بيروت؛ ط:٢. ١٤٠٢هـ.

الطحاوي؛ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك (٢٢٩-٣٢١هـ). شرح معاني الآثار. ت: محمد زهري النجار. دار الكتب العلمية، ط: ٢. ١٣٠٧هـ.

عبد الغفار حسن. عظمت حديث. ناشر: دار العلم آباره ماركيت، اسلام آباد. ١٤٠٩هـ.

العجلي؛ أحمد بن عبد الله. (ت ٢٦١ هـ). تاريخ الثقات. ترتيب: نور الدين الهيثمي، ت:٨٠٧هـ. ت: د: أبو عبد المعطي قلعجي. بيروت. ١٤٠٥هـ.

العظيم أبادي؛ محمد شمس الحق. التعليق المغني على سنن الدار قطني. نشر السنّة، ملتان. باكستان.

العيني؛ بدر الدين أبو محمود بن أحمد بن موسى الحلبي.(٨٥٥هـ). عمدة القاري. دار الفكر، بيروت.

القاسمي؛ جمال الدين الدمشقي. قواعد التحديث. دار الكتب العلمية. بيروت.

القشيري؛ ابو الحسين مسلم بن الحجاج - (ت : ٢٦١ هـ) - صحيح المسلم - دار الفكر، بيروت، ط:٩١٠٢

القفطي؛ وزير جمال الدين. (ت ٦٢٤ هـ) - انباء الرواة على أبناء النحاة. ت: محمّد أبو الفضل إبراهيم. دارالفكر العربي، القاهرة، ومؤسّسة الكتب الثقافية. بيروت. ١٤٠٦هـ.

كحالة؛ عمر رضا. معجم المؤلفين. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الكرماني؛ شمس الدين محمد بن يوسب بن علي . (ت: ٧٨٦هـ). الكواكب الدراري. (شرح الكرماني لصحيح البخاري)المطبعة البهية المصرية، القاهرة. ١٣٥٨هـ.

مالك؛الإمام بن أنس بن مالك الأصبحي - (ت:١٧٩ هـ) - موطأ إمام مالك. إعداد: عمر موسى. دار النفائس، بيروت، ط:٦. ١٤٠٢هـ.

المباركفوري؛ محمد بن عبد الرحمن. (ت ١٣٥٣ هـ) - تحفة الأحوذي بشرح الترمذي. دارالفكر، بيروت.

محمد زكريا الكاندهلوي. أوجز السالك إلى موطأ مالك. المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ط: ٣. ١٤٠٤هـ.

مسلم: أبو الحسين الحجاج القشيري. (ت: ٢٦١هـ). صحيح المسلم. دار الفكر. بيروت: ط: ٢. ١٣٩٢هـ.

النمر: د: عبد المنعم. تاريخ الإسلام في الهند. دار الكتب للطباعة. مصر. ١٩٥٩م.

الكتب الستة. CAGRI YAYINEARI, BINBRDIREK. MEYDANI SOKAK.NO.5/1, 1400.-1981 TURBE, ISTANBUL, TURKY.

الفقه و أصوله:

ابن جزي: أبو القاسم محمد بن أحمد. (ت: ٧٤١هـ). القوانين الفقهية. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد. (٦٥٤هـ). المحلى. ت: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن عابدين: محمد أمين. (ت ١٢٥٢هـ). حاشية در المختار. علي در المختار شرح تنوير الأبصار في فقه إمام أبي حنيفة. ايچ، ايم سعيد، اداب منزل كراتشي.

ابن كمال: أحمد بن سليمان باشا. (ت: ٩٤٠هـ). تغيير التنقيح في الأصول. جمال آفندي. مطبعة سي. استمبول. ١٣٠٨هـ.

ابن النجار: محمد بن أحمد بن عبد العزيز. (٩٧٢هـ). شرح الكوكب المنير. (المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه). ت: د: محمد

الزحيلي و د: تريسه حماد. دار الفكر، دمشق. ١٤٠٠هـ.

ابن همام؛ كمال الدين محمد. (ت: ٨٦١ هـ) - فتح القدير. (شرح الهداية للعاجز الفقير) دار إحياء التراث العربي. بيروت:

الأسنوي؛ جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن. (ت ٧٧٢ هـ) - نهاية السول في شرح منهاج الأصول. (للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي). عالم الكتب؛ دمشق.

الإصلاحي؛ أمين أحسن. أحكام الحجاب في القرآن. مؤسسة فاران، لاهور. ١٩٨٢م.

الآمدي؛ سيف الدين علي بن أبي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام. مطبعة المعارف بشارع الضمالة. مصر.

أمير بادشاه؛ محمد أمين. تيسير التحرير. (شرح على كتاب التحرير في أصول الفقه. لكمال الدين بن همام الإسكندري: ت: ٨٦١هـ) طلع مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. مصر. ١٣٥١هـ.

البابرتي؛ أكمل الدين محمد بن محمود. (ت ٧٨٦ هـ) . العناية شرح الهداية. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

البدخشي؛ محمد بن الحسن. شرح البدخشي مناهج العقول. دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٥هـ.

البيضاوي؛ القاضي ناصر الدين.(ت ٦٨٥ هـ) - منهاج الوصول في علم الأصول. دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٥هـ.

التفتازاني؛ العلامة سعد الدين.(ت ٧٩٢ هـ) - التلويح على التوضيح. نور محمد أصح المطابع وكار خانه تجارت كتب، آرام باغ، كراتشي. ١٤٠٠هـ.

الجزيري؛ عبد الرحمن . الفقه على المذاهب الأربعة. المكتبة التجارية الكبرى، دار الفكر بيروت.

الجويني؛ إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله. (ت: ٤٧٨ هـ) - البرهان في أصول الفقه. ت:د: عبد العظيم الدين. دار الأنصار؛ بالقاهرة.

السبكي؛ علي بن عبد الكافي (ت:٧٥٦هـ). الإبهاج في شرح المنهاج. و ولده تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي. (ت: ٧٧١هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ.

السرخسي؛ أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل. (٤٩٠ هـ) - * أصول السرخسي ت: أبو الوفاء الأفغاني. دار المعرفة، بيروت.

* المبسوط. طبع: دار القرآن و العلوم الإسلامية. دي ٤٣٧، كاردن ايست كراتشي.

الشاطبي؛ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. المغني (لابن قدامة) دار المعرفة. بيروت.

الشافعي؛ محمد بن ادريس.(ت ٢٠٤ هـ) - الرسالة. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر. دار الفكر بيروت. ١٣٠٩هـ.

الشوكاني؛ محمّد بن علي بن محمّد. (ت ١٢٥٥ هـ) - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. دار الفكر، بيروت. ١٣٥٦هـ.

صدر الشريعة؛ عبيد الله بن مسعود.(ت٧٤٧هـ). التوضيح مع حاشية التلويح. نور محمّد أصح المطابع وكار خانه كتب، آرام باغ، كراتشي. ١٤٠٠هـ.

الفيروز آبادي، أبو إسحاق إبراهيم على. المهذب. مطبع عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر.

القزويني؛ محمّد بن عبد الرحمن.(ت: ٧٣٩هـ). تلخيص المفتاح. شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. ١٣٨٥هـ.

الكاساني؛ علاء الدين أبي بكر بن مسود الحنفي. (ت ٥٧٨ هـ) . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع. ايچ ايم سعيد، ادب منزل كراتشي.

مالك بن أنس؛ إمام. (ت ١٧٩ هـ) - المدونة الكبرى. دار صادر. بيروت.

محب الله بن عبد الشكور. مسلم الثبوت مع مفاتيح الغيب. مخزن العلوم، خان فور، زحيم يار خان، باكستان.

المرغيناني؛ أبو الحسن علي بن أبي بكر(ت:٥٩٣هـ). الهداية شرح بداية المبتدي. شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي و أولاده، مصر.

نواب: صديق حسن خان. ت:(١٣٠٨هـ)

حصول المأمول. مكتبة التجارية بأول شارع محمد علي بمصر. ١٣٥٧هـ.

كتب اللغة و المعاجم:

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي. (ت ٧١١هـ).

لسان العرب. المصري. دار صادر، بيروت.

أحمد، ابو الحسين بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ).

* الصاحبي. (في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها). المكتبة السلفية لمحبة الدين الخطيب؛ القاهرة. ١٣٢٨هـ.

* معجم مقاييس اللغة. ت: عبد السلام محمود هارون. شرمة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، بمصر ط: ٢.

أمين: د: إبراهيم.

المعجم الوسيط: مطابع دار المعارف، ط:٢. ١٣٩٢هـ.

البستاني، الأستاذ كرم.

المنجد في اللغة و الأعلام. دار المشرق، بيروت، ط: ٢٣. ١٩٧٣م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر.

كتاب الحيوان. ت: عبد السلام هارون. دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط:٣. ١٣٨٨هـ.

الجرجاني: علي محمد بن علي(٨١٦هـ).

التعريفات. ت: إبراهيم الملباري. دار الكتب العربي. بيروت: ١٤٠٥هـ.

الدامغاني: حسين بن محمد

قاموس القرآن. ت: عبد العزيز. سيد الأهل. دار العلمية، بيروت؛ ط: ٢.

الرازي: محمد بن أبي بكر عبد القادر. مختار الصحاح. دار الطبعة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت. ١٤٠٦هـ.

الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس. ت: عبد الستار أحمد. مطبعة حكومة الكويت. ١٣٨٥هـ.

الزمخشري: جار الله محمود بن عمر. (ت: ٥٣٨هـ). اساس البلاغة. ت: عبد الرحيم محمود. دار الكتب، بيروت: ١٣٢٣هـ.

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن. (ت: ٩١١ هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة. مطبعة عيسى البابي الحلبي. القاهرة. ١٣٨٤هـ.

شوقي: د: ضيف. البلاغة وتطور وتاريخ.دار المعارف، القاهرة.

علي جازم و مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. إسلامي أكادمي، ناشران كتب اردو بازار، لاهور.

الفراهي: الشيخ عبد الحميد.(ت:١٩٣٠م). مفردات القرآن. مطبعة اصلاح، سراى مير اعظم جره، الهند. ١٣٥٨هـ.

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد. كتاب العين. ت: د: مهدي المخزومي و إبراهيم الامرائي. ١٤٠٥هـ. منشورات دار الهجرة. قم، ايران.

الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط.. شركة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده. مصرط:٢: ١٣٧١هـ.

الفيومي؛ أحمد بن محمد بن علي الفقري. المصباح المنير. المطبعة الأميرية بالقاهرة. ط:٧ ١٩٢٨.

اللبناني؛ سعيد الخوري الشرتوني. أقرب الموارد في فصح العربية و الشوادر. منشورات مكتبة آية العظمى. قم، ايران. ١٤٠٣هـ.

معلم بطرس البستاني. محيط المحيط. المطبعة الأميرية، بالقاهرة. ط:٣. ١٩٢٨م.

موسى؛حسن محمد. قاموس قرآني. مطبعة خليل إبراهيم. بالإسكندرية، مصر. ١٣٨٦هـ.

العقيدة:

ابن خزيمة؛ محمد بن إسحاق . كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب. ت: خليل هراس. دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٠٣هـ.

البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ) - * الاعتقاد.حديث أكاديمي. فيصل آباد.
* كتاب الأسماء والصفات. ت: عماد الدين أحمد حيدر. دار الكتب العربي. بيروت؛ ١٤٠٥هـ.

الأشعري؛ أبو الحسن علي بن إسماعيل. الإبانة عن أصول الديانة. ت: عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة دار البيان، بيروت. ١٤٠١هـ.

التميمي؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي. (ت؛ ٤٢٩هـ) . أصول الدين. دارالكتب العلمية، بيروت. ط:٢. ١٤٠١هـ.

الجويني؛ إمام الحرمين.(ت، ٤٧٨هـ) - كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد. ت: د. محمد يوسف

موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد. مكتبة الخانجي.مصر. ١٣٦٩هـ.

الرازي: فخر الدين محمد بن عمر الخطيب. (ت: ٦٠٦ هـ) - شرح أسماء الله الحسنى. (لوامح البينات شرح أسماء الله الحسنى الصفات) ت:د: عبد الرؤف سعد. دار الكتاب العربي، بيروت. ١٩٨٤م.

الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم. (ت: ٥٤٨ هـ) - الملل والنحل. شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر. ١٣٩٦هـ.

الغامدي: د: أحمد بن عطية. البيهقي وموقفه من الإلهيات. الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، المجلس العلمي، إحياء التراث الإسلامي. ط:٢. ١٤٠٢هـ.

هراس: محمد خليل. شرح العقيدة الواسطية.إمام ابن تيمية.مركز شؤن الدعوة. الجامعة الإسلامية. بالمدينة المنورة. ط: ٥.

كتب عامة:

ابن تيمية: تقي الدين (ت: ٧٢٨ هـ) - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. دار الكتب العربي: بمصر. ط: ٤.

ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن كثير: اسما عيلْ بن كثير الدمشقي. (ت: ٧٧٤هـ).

البداية والنهاية. ت: د.أحمد ملحم و د. علي نجيب عطوي، وفواد عبد الباقي ومهدي ناصر الدين. دار الديار للتراث. مصر، ١٣٨٠هـ.

الإصلاحي: بدر الدين.

مقدمة ديوان الفراهي. (نوائ بهلوي). دائرة الحميدية، سرائ مير، أعظم جره، الهند.

الإصلاحي: أمين أحسن.

* التعليق على قانون الأسرة. طبع فيصل آباد.

* المسائل الأساسية للفلسفة. مؤسسة فاران: لاهور. ١٩٨٣.

* منهج الدعوة إلى الله. دار نشر الكتاب الإسلامي، بالكويت.

حالي: الطاف حسين.

حيات جاويد. مكتبه نامي. لاهور.

الحسني: عبد الحي (ت: ١٣٤١هـ).

* الثقافة الإسلامية:. المجمع الإسلامي، لكناؤ، الهند.

* نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر. دائرة المعارف العثمانية. حيدر آباد، الهند، ١٩٤٧هـ.

دريا آبادي: عبد الماجد .

معاصرين. مجلس نشريات اسلام. ناظم آباد، كراتشي.

زاهد حسين انجم.

اردو كا جامع انسائيكلو پيڈيا: الناشر نياز أحمد، شيخ غلام علي ايند سنز. لاهور.

سعدية سلطانة.

البرويزية وموقفهم من الحديث والرد على أباطيلهم. رسالة ماجستير. قسم

التفسير والحديث. كلية أصول الدين. الجامعة الإسلامية العالمية. بإسلام آباد. (رقم البحث: ٧٤٤) ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

الشوكاني؛ محمد بن علي-(ت١٢٥٥هـ). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

الندوي؛ سيّد سليمان . * حيات شبلي: طبع دار المصنفين. أعظم جره. الهند.

* ياد رفتگان. مجلس نشريات اسلام. ناظم آباد، كراتشي. ١٩٨٣م.

* مدرسة الإصلاح تاريخها ونظامها ومنهجها. المطبعة الكوثر، سرائ مير، أعظم جره، الهند.

الكوثري؛ الشيخ/زاهد. (ت ١٣٧١هـ) . مقالات الكوثري. ١٣٧١هـ. مطبعة الأنوار باقاهرة، مصر.

التصوف:

الغزالي؛ أبو حامد محمد. (ت:٥٠٥ هـ) . إحياء علوم الدين. دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، بمصر.

كتب الديانا الأخرى:

الكتاب المقدس: التوراة. منشوراة، دار المشرق. التوزيع: المكتبة الشرقية، بيروت. ١٩٨٦م.

العهد الجديد: منشوراة دار المشرق. التوزيع: المكتبة الشرقية، بيروت. ١٩٨٦م.

الدوريات:

١٩٤) تدبر: العدد: ٥١. إدارة تدبر قرآن وحديث. سمتبر ١٩٩٥م. لاهور.

١٩٥) ترجمان القرآن: (شهرية) تصدرها المنظمة الإسلامية. لاهور. فبراير ١٩٥٦م.

١٩٦) الداعي: تصدرها الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند. جريدة الإسلامية نصف الشهرية. العدد: ٤. ١٥ نوفمبر ١٩٨٣م. السنة: ٧. ١٩ صفر المظفر ١٤٠٤هـ.

١٩٧) دعوت: العدد الخاص. المجلد ٣٩. العدد رقم ١٠٠. ٧ نوفمبر ١٩٩١م. تصدر من دهلي الجديدة. بالهند.

١٩٨) طلوع اسلام: مارس ١٩٨٥م. ونوفمبر ١٩٩١م. إدارة طلوع اسلام، لاهور.

١٩٩) علوم القرآن: يوليو-ديسمبر ١٩٨٥م. أعظم جره، الهند. إدارة علوم القرآن، سر سيد جر، علي جره، الهند.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة:

جهود علماء الهند في مجال خدمة القرآن الكريم: ١

الناحية العلمية والدينية في الهند في أيام المغول: ٢
حركة التأليف ٤
دور علماء شبه القارة في التفسير: ٧

نبذة عن تفاسير معاصري الإصلاحي: ٩
أسباب اختيار الموضوع ١١
الدراسات السالفة (في هذا الموضوع) عن الإصلاحي: ١٢-١

منهجي في كتابة هذا البحث: ١٩

اصطلاحات خاصة: ٢١

كلمة الشكر: الباب الأول: الشيخ أمين أحسن الإصلاحي عصره، حياته وآثاره: ٢٢

الفصل الأول: ترجمة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي: ٢٥

المبحث الأول: بيئة الشيخ أمين أحسن الإصلاحي اسمه ونسبه نشأته وتحصيله العلمي: ٢٦-٥٠

المبحث الثاني: آثاره العلمية: ٤١-٥٧

الفصل الثاني: تتلمذ الإصلاحي مشايخه وتلامذته: ٥٨-

المبحث الأول: الشيخ عبد الحميد الفراهي: ٥٩-٦٣

مؤلفاته: ٦٤-١

الشيخ عبد الرحمن المباركفوري: ٦٦-١٧

المبحث الثاني: تلامذة الإصلاحي (صدر الدين) ٦٨

مؤلفات صدر الدين الإصلاحي ٦٩-٥٠

الشيخ خالد مسعود وغيره: ٧٠-١

الباب الثاني: المدخل إلى دراسة منهج الإصلاحي: ٧٢

الفصل الأول: تعريف عام لتفسير الإصلاحي: ٧٣

المبحث الأول: تأثر الإصلاحي بشيخه الفراهي في التفسير: ٧٤

المبحث الثاني: التعريف بأجزاء تفسير تدبر قرآن: ٧٥

المبحث الثالث:	غرض الإصلاحي من تأليف تفسيره:	٧٦
الفصل الثاني:	**مصادر الإصلاحي في تفسيره:**	٧٧- ٨
المبحث الأول:	مصادره من كتب التفسير:	٧٩-٤
	مصادره من كتب علوم القرآن:	٩٥-٩٧
المبحث الثاني:	مصادره من كتب الحديث النبوي الشريف:	٩٨-٣
المبحث الثالث:	مصادره من اللغة العربية:	١٠٤-١١٣
المبحث الرابع:	مصادره من كتب السماوية السابقة:	١١٤ -٢٥
الفصل الثالث:	**تحقيق مادة التفسير والتأويل...**	١٢٦
المبحث الأول:	التفسير لغةً:	١٢٧
	التفسير اصطلاحاً:	١٢٨
	التأويل لغةً:	١٣٠
	التأويل في الاصطلاح:	١٣١
	الفرق بين التفسير والتأويل:	١٣٢-٥
المبحث الثاني:	كلمة حول مادة التفسير بالمأثور:	١٣٦
	التفسير بالرأى:	١٣٧-٩
المبحث الثالث:	جمع الشيخ الإصلاحي بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى:	١٤٠-٢
الباب الثالث:	**منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور:**	١٤٣
الفصل الأول:	**منهج الإصلاحي في التفسير بالمأثور:**	١٤٤
المبحث الأول:	مفهوم التفسير بالمأثور وبيان أقدميته:	١٤٥-٥٠
المبحث الثاني:	منهج الإصلاحي في تفسير القرآن بالقرآن:	١٥١-١٣
المبحث الثالث:	منهج الإصلاحي في التفسير بالحديث:	١٦٣-١٧
المبحث الرابع:	تفسير الصحابة والتابعين في تفسير تدبر قرآن:	١٦٨
	عبد الله بن عباس:	١٧٠
	قيمة تفسير التابعين:	١٧٢
	منهج الإصلاحي في إيراد تفاسير التابعين:	١٧٣
	عكرمة مولى ابن عباس:	١٧٤

سعيد بن جبير: ١٧٥

الفصل الثاني: الإسرائيليات وموقف الإصلاحي منها: ١٧٦

المبحث الأول: مدلول الإسرائيليات وبيان تسربها إلى كتب التفسير: ١٧٧-١٧٩

مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير: ١٧٩

رأى ابن خلدون في تسرب الإسرئيليات

في كتب التفسير: ١٨٩

المبحث الثاني: الإسرئيليات وموقف الإصلاحي منها: ١٨٣

موقف الإصلاحي من قصة هاروت وماروت: ١٨٣

موقف الإصلاحي من قصة طالوت: ١٨٨

موقفه من قصة يوسف عليه السلام: ١٩٥

موقفه من قصة أصحاب الكهف: ١٩٦-

موقفه من قصة ذي القرنين: ١٩٨-

موقفه من قصة داود عليه السلام: ٢٠٢

موقفه من قصة سليمان عليه السلام: ٢٠٣

الفصل الثالث: آراؤه في أسباب النزول والنسخ في القرآن الكريم: ٢٠٨

المبحث الأول: منهج الإصلاحي في أسباب النزول: ٢٠٩

معنى سبب النزول: ٢١٠

فوائد معرفة سبب النزول: ٢١١

طريقة معرفة سبب النزول: ٢١٣

نماذج من تفسير تدبر قرآن: ٢١٦-

المبحث الثاني: موقف الإصلاحي من النسخ في القرآن الكريم: ٢٢١

النسخ وأهميته: ٢٢٢

ضرورة النسخ: ٢٢٤

تعريف النسخ لغة: ٢٣٢

تعريف النسخ اصطلاحاً: ٢٣٥

النسخ في اصطلاح المتقدمين: ٢٣٦

أركان النسخ: ٢٣٧

شروط النسخ: ٢٣٧
النسخ بين المثبتين والمنكرين: ٢٣٩
موقف أهل الأديان من النسخ: ٢٤٣
الفرق بين النسخ والتخصيص: ٢٤٤
أنواع النسخ في القرآن الكريم: ٢٤٩
نسخ الحكم والتلاوة معاً: ٢٤٧
نسخ الحكم مع بقاء التلاوة: ٢٤٩
نسخ التلاوة مع بقاء الحكم: ٢٥٣
نسخ القرآن بالقرآن: ٢٥٦
نسخ القرآن بالسنة: ٢٥٧
نسخ السنة بالقرآن الكريم: ٢٥٨
الباب الرابع: فكرة النظام والترتيب في القرآن الكريم عند الإصلاحي: ٢٦٢
الفصل الأول: تعريف عام بفكرة النظام في القرآن الكريم: ٢٦٣
المبحث الأول: اعتناء العلماء بنظم القرآن الكريم: ٢٦٤
معنى النظم: ٢٦٦
معنى المناسبة لغةً واصطلاحاً: ٢٦٧
فائدة علم الربط والمناسبة: ٢٦٧
ارتقاء فكرة النظام (تاريخ النظم): ٢٦٩
وجهة نظر الشوكاني عن نظم القرآن وربطه: ٢٨١
المبحث الثاني: فكرة النظم في القرآن الكريم عند الإصلاحي: ٢٨٧
أهمية النظم عند الشيخ الإصلاحي: ٢٨٧
الجانب السياسي والاجتماعي لنظم القرآن الكريم: ٢٨٨
الجانب الظاهري لنظم القرآن الكريم: ٢٩١
نماذج النظم من تفسير تدبر قرآن: ٢٩١
الفصل الثاني: فكرة المجموعات (الزمر) والإزدواجية عند الإصلاحي: ٢٩٩
المبحث الأول: فكرة الزمر عند الإصلاحي: ٢٩٧

المبحث الثاني: فكرة الربط بين السور عند الإصلاحي: ٣٠٣

أهم نواحي لسور المثنى: ٣٠٥

الفصل الثالث: فكرة العمود عند الشيخ الإصلاحي: ٣٠٩

المبحث الأول: فكرة العمود عند الإصلاحي: ٣١٠

المبحث الثاني: نماذج العمود من تفسير تدبر قرآن: ٣١١

الوحدة الموضوعية للسورة: ٣١٢

الوحدة الموضوعية لمجموعة من السورتين: ٣١٥

الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم كله: ٣١٧

الجدول: نظرة عابرة على فكرة نظم القرآن الكريم عند الإصلاحي: ٣٢٠

الباب الخامس: منهج الإصلاحي في التفسير بالرأي: ٣٢١

الفصل الأول: الاتجاه اللغوي في تفسير تدبر قرآن: ٣٢٧

المبحث الأول: الاتجاه اللغوي: ٣٢٣

المبحث الثاني: الاتجاه النحوي: ٣٢٨

المبحث الثالث: الاتجاه البلاغية ٣٣٥

الايجاز في القرآن الكريم: ٣٣٧

المجاز في القرآن الكريم: ٣٣٤

المقلوب في القرآن الكريم: ٣٣٥

الاستعارة التمثيلية: ٣٣٥

المشاكلة: ٣٣٦

خروج اللفظ عن المعنى الظاهر: ٣٣٧

الفصل الثاني: منهج الإصلاحي في تدوير المسائل الفقهية: ٣٣٨

المبحث الأول: معنى الفقه لغة واصطلاحا: ٣٣٩

المبحث الثاني: منهج الإصلاحي في عرض الأحكام الفقهية: ٣٤١

المبحث الثالث: النماذج لبعض المسائل الفقهية من تفسير تدبر قرآن: ٣٤٧

النموذج الأول: ٣٤٧

النموذج الثاني: ٣٤٣

النموذج الثالث: ٣٤٤
النموذج الرابع: ٣٤٥
النموذج الخامس: ٣٤٥
النموذج السادس: ٣٤٧
النموذج السابع: ٣٥٣
موقف الإصلاحي من الرجم: ٣٦٠
جدول المقارنة: ٣٦٤
الرجم في الشريعة الإسلامية: ٣٦٧

الفصل الثالث: منهج الإصلاحي في تقرير للمسائل العقيدة في تفسيره: ٣٧٥
المبحث الأول: تعرضه لأدلة الربوبية والألهية في تفسيره: ٣٧٢
المبحث الثاني: موقف الإصلاحي من الأسماء والصفات: ٣٧٥
أسماء الله الحسنى وموقف الإصلاحي منها: ٣٧٥
موقف الإصلاحي من صفات الله تعالى: ٣٧٩
موقف الإصلاحي من رؤية الله تعالى: ٣٨٨
المبحث الثالث: تقريره لأدلة لإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم: ٣٩١
المبحث الرابع: تقريره لأدلة لإثبات عقيدة البعث لحديث: ٣٩٧
الفصل الرابع: منهج الإصلاحي من الدفاع عن الإسلام وأسلوبه في حل مشكلات القرآن: ٣٩٩
المبحث الأول: موقف الإصلاحي من الدفاع عن الإسلام: ٤٠٠
المبحث الثاني: أسلوبه في حل مشكلات القرآن الكريم: ٤١٠

خلاصة البحث: ٤١٥
الفهارس: ٤٢٦
فهرس الآيات: ٤٢٧
فهرس الأحاديث: ٤٤٥
فهرس الأعلام: ٤٤٨
فهرس المصادر والمراجع: ٤٥٨
فهرس الموضوعات: ٤٨٣